التلخيص في تفسير القرآن العزيز

تأليف

الإمام العالم أبي العباس الكواشي

أحمد بن يوسف بن الحسن

المتوفى سنة ٦٨٠هـ

المجلد الثاني

تحقيق

دكتور

عماد قدري العياصي

دار البشير
الإمارات

دار ابن حزم

التلخيص في تفسير القرآن العزيز

تأليف

الإمام العالم أبي العباس الكواشي

أحمد بن يوسف بن الحسين

المتوفى سنة (٦٨٠هـ)

المجلد الثاني

تحقيق

دكتور

عماد قدري العياضي

دار البشير
الإمارات

دار ابن حزم

التلخيص

في

تفسير القرآن العزيز

٢

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ/٢٠١٩م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار البشير

الإمارات العربية المتحدة
الشارقة - ميسلون - شارع الشيخ زايد
ت/ ٠٠٩٧١٦٥٦٣٢٩٨٠
موبايل/ ٠٠٩٧١٥٠٥٩٦٠٧٠٢

دار ابن حزم

بيروت – لبنان – ص.ب : 14/6366
هاتف وفاكس : 701974 – 300227 (009611)
البريد الإلكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb
الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com

سورة (المائدة)

مدنية إلا ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ الآية [المائدة :٣] نزلت بعرفة ، وهي مائة وعشرون وقيل ثنتان وقيل ثلاث وعشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾

لمَّا ختم تعالىٰ سورة النساء آمرًا بتوحيده، والعدل بين عباده في القسم، أكد ذلك بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾: (تا) جمع العقد، وهو العهد الموثق، وأصله الجمع بين شيئين يشقُّ تمييز أحدهما من الآخر، يستعمل في الأعيان كالحبل، وفي المعاني كالذِّمام، وفىٰ بالعقد وأوفىٰ به لغتان، وهذا عام في كل واجب من أمر ونهي وحفظ وديعة كسرٍ ومال ذكر هذه المقدمة، ثم عقبها بالأحكام؛ ليلتزموا العمل بها، كقولك للرجل: افعل ما آمرك به، ثم تذكر له ما تريده منه.

ابن عباس(١): المراد بالعقود ما بعد من قوله: ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾: كل ذات أربع قوائم بهيمة.

الزجاج(٢): كل حي لا يميز بهيمة، قال: لأنَّه أبهم عن أن يميز، أو سميت بهيمة؛

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٥٠).

(٢) انظر: «الكشف والبيان» (٤/ ٧).

لعدم نطقها، والأنعام الأزواج الثمانية، وهي: الإبل والبقر والغنم، قالوا: ولا يقال لواحدها: أنعام، وزعم بعضهم أنَّه لا يقال للإبل: بهيمة، وإن كان الاشتقاق يقتضي بذلك، وإنما يقال لها: نعم، قالوا كانت العرب تسمي الإبل نعمًا لا تعرف غير ذلك، ومن هنا زعم بعضهم أنَّ المراد من الآية الإبل، وقالوا: هذا لا يتجه لأنَّ العرب ما كانت تعرف غيرها كما كانت لا تعرف المال إلامنها فسموها مالًا [ق/ ١١١ب]، أو بهيمة الأنعام: الأجنة في البطن إذا ذبحت أمهاتها، [أباحها][(١)] الشافعي وحرمها أبو حنيفة، أو الأنعام: الظباء والبقر الوحشية والحمر الوحشية، وسميت أنعامًا؛ لأنَّها تماثل الأنعام في الاحتراز وعدم الأنياب، وإضافة البهيمة إلىٰ الأنعام إضافة تبيين [بمعنىٰ][(٢)] (من) كثوب خز، أي: بهيمة من الأنعام.

وقوله: ﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾: تحريمه في قوله: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ الآية، نصب استثناء من بهيمة الأنعام،أي أحلت لكم هذه الأشياء إلا ما يذكر بعد.

﴿غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ﴾: نصب حال من الضمير في ﴿لَكُم﴾ أو ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾، فلا وقف بينهما،أي: أحلت لكم هذه الأشياء لا محلين الصيد.

﴿وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ﴾: (كا) جمع حرام، وهو المحرم، ومحل الجملة نصب حال من محلي الصيد، أي: أحللنا لكم بعض الأنعام في حال امتناعكم من الصيد وأنتم محرمون؛ لئلا نضيق عليكم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾: (تا) من التحليل والتحريم لا اعتراض عليه.

ونزل نهيًا عن تحليل ما حرم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: جمع شعيرة، وهي العلامة، والمراد مناسك الحج كالوقوف والرمي والطواف، أو الهدايا المشعرة بعلامة يعرف بها أنها هدي.

﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾: أي: لا تحلوا القتال في [أشهر][(٣)] الحج، أو المراد:

(١) في جـ: أباحه، والمثبت من أ، ب.
(٢) في جـ: المعنىٰ، والمثبت من أ، ب.
(٣) في جـ: شهر، والمثبت من أ، ب.

النسيء لأنَّهم كانوا يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا.

﴿وَلَا ٱلۡهَدۡيَ﴾: هو كل ما يهدىٰ إلىٰ البيت جمع هدية.

الأخفش: يقال للواحدة هدي كأنَّه مصدر وصف به.

﴿وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ﴾: جمع قلادة أي: ولا الهدايا ذوات القلائد، وعطفت علىٰ ﴿ٱلۡهَدۡيَ﴾ وإن كانت منها تفضيلًا لها كعطف جبرئيل علىٰ الملائكة، أو هو نهي عن التعرض إلىٰ نفس القلائد، وهذا أبلغ؛ لأنَّه إذا نهىٰ عن التعرض إلىٰ القلائد كان التعرض إلىٰ الهدي أنهىٰ، أو المراد أصحاب القلائد؛ لأنَّهم كانوا إذا خرجوا من الحرم قلدوا أنفسهم وإبلهم بشيء من لحاء شجرة لئلا يتعرض لهم، أو نفس القلائد؛ لأنَّهم كانوا يأخذون لحاء الشجر كما مر، فنهوا عن ذلك(١).

﴿وَلَآ ءَآمِّينَ﴾: أي ولا قتال قاصدين.

﴿ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾: وقرئ: (ولا آمي البيت) بحذف النون إضافة.

﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا﴾: رزقًا بالتجارة وثوابًا.

﴿مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ﴾: بأن يغفر للمؤمنين[ق/ ٧٥جـ]، ويصلح معايش

---

(١) قال الطيبي: وروىٰ محيي السنة: أنَّ هذه الآية نزلت في الحطم واسمه شريح بن هند بن ضبعة البكري أتىٰ المدينة وحده وخلف خيله خارج المدينة ودخل علىٰ النبي ﷺ فقال للنبي ﷺ: إلا ما تدعو الناس؟ فقال: إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة فقال: حسن إلا أن لي أمراء لا أقطع أمراً دونهم ولعلي أسلم وآتي بهم، فخرج من عنده، وقد كان رسول الله ﷺ قال لأصحابه: يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما خرج شريح قال النبي ﷺ: «لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما الرجل بمسلم» فمرّ بسرح من سرح المدينة فاستاقه وانطلق به فتبعوه فلم يدركوه فلما كان العام القابل، خرج شريح حاجّا مع حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقد قلد الهدي، فقال المسلمون: يا رسول الله هذا الحطم قد خرج حاجـًا فخلّ بيننا وبينه، فقال النبي ﷺ: «**إنه قد قلد الهدي**». فقالوا: يا رسول الله هذا شيء كنا نفعله في الجاهلية، فأبىٰ النبي ﷺ، فأنزل الله الآية.

«فتوح الغيب» (٥/ ٢٦٣).

الكافرين، ولا يعجل لهم العقوبة، أو كان المشركون يعتقدون أنهم يثابون على قصد [البيت][(١)].

وقرئ: (تبتغون) بالتاء خطابًا للمؤمنين، وهذا منسوخ بـ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة:٥]، وبقوله: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة:٢٨] هو المشهور[(٢)].

---

(١) سقط من ب، والمثبت من أ، جـ.

(٢) قال النحاس : ذهب جماعة من العلماء إلى أن هذه الأحكام الخمسة منسوخة وذهب بعضهم إلى أن فيها منسوخا وذهب بعضهم إلى أنها محكمة فممن ذهب إلى أنها منسوخة قتادة وروي ذلك عن ابن عباس

قال أبو جعفر: حدثنا أحمد بن محمد بن نافع، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله جل وعز ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ ﴾ [المائدة: ٢] ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام قال: « منسوخ كان الرجل في الجاهلية إذا خرج يريد الحج تقلد من السمر، فلا يعرض له أحد وإذا تقلد قلادة شعر لم يعرض له أحد، وكان المشرك يومئذ لا يصد عن البيت، فأمر الله جل وعز أن لا يقاتل المشركون في الشهر الحرام ولا عند البيت، ثم نسختها قوله جل وعز: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة: ٥] .

قال أبو جعفر: حدثنا بكر بن سهل، قال: حدثنا أبو صالح عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: وقوله: جل وعز ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ﴾ [المائدة: ٢] « فكان المؤمنون والمشركون يحجون إلى البيت جميعا، فنهى أن يمنع أحد من الحج إلى البيت من مؤمن وكافر، ثم أنزل الله جل وعز بعد هذا ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾ [التوبة: ٢٨] وقال جل ذكره: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [التوبة: ١٨]، وقال تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ١٧]، فنفى المشركين من المسجد الحرام ».

وبهذا الإسناد ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ ﴾ [المائدة: ٢] « كان المشركون يعظمون أمر الحج ويهدون الهدايا إلى البيت ويعظمون حرمته، فأراد المسلمون أن يغيروا ذلك، فأنزل الله=

وعن الحسن وغيره : ليس في المائدة منسوخ.

ثم أمرهم أمر إباحة فقال: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾: (حس) وقرئ: (أحللتم) من حل المحرم وأحل خرج من إحرامه.

وقرئ: بكسر الفاء حركوها بحركة همزة الوصل عند الابتداء.

= جل وعز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٢]، فهذا على تأويل النسخ في الأحكام الخمسة بإباحة قتال المشركين على كل حال ومنعهم من المسجد الحرام، فأما مجاهد فقال: لم ينسخ منها إلا القلائد كان الرجل يتقلد بشيء من لحا الحرم، فلا يقرب فنسخ ذلك.

قال أبو جعفر: وعلى مذهب أبي ميسرة أنها محكمة وأما عطاء فقال: ﴿لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٢] أي: لا تتعرضوا ما يسخطه واتبعوا طاعته واجتنبوا معاصيه، فهذا لا نسخ فيه وهو قول حسن، لأن واحد الشعائر شعيرة من شعرت به، أي: علمت به، فيكون المعنى: لا تحلوا معالم الله وهي أمره ونهيه، وما أعلمه الناس، فلا تخالفوه وقد روي عن ابن عباس الهدي، ما لم يقلد وقد عزم صاحبه على أن يهديه والقلائد ما قلد، فأما الربيع بن أنس فتأول معنى ولا القلائد أنه لا يحل لهم أن يأخذوا من شجر الحرم فيتقلدوه، وهذا قول شاذ بعيد وقول أهل التأويل إنهم نهوا أن يحلوا ما قلد فيأخذوه ويغصبوه فمن قال: منسوخ فحجته بينة أن المشرك حلال الدم، وإن تقلد من شجر الحرم، وهذا بين جدا، وفي هذه الآية مما ذكر أنه منسوخ قوله جل وعز: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾ [المائدة: ٢] قال عبد الرحمن بن زيد «هذا كله منسوخ نسخه الجهاد».

قال أبو جعفر: ذهب ابن زيد إلى أنه لما جاز قتالهم؛ لأنهم كفار جاز أن يعتدي عليهم ويبدؤوا بالقتال، وأما غيره من أهل التأويل، فذهب إلى أنها ليست منسوخة فممن قال ذلك مجاهد واحتج بقول النبي ﷺ: «**لعن الله من قتل بذحل في الجاهلية**»، وأهل التأويل أو أكثرهم متفقون على أن المعنى: لا يحملنكم إبغاض قوم لأن صدوكم عن المسجد الحرام يوم الحديبية على أن تعتدوا؛ لأن سورة المائدة نزلت بعد يوم الحديبية والبين على هذا أن تقرأ ﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾ [المائدة: ٢] بفتح الهمزة؛ لأنه شيء قد تقدم واختلف العلماء في الآية الثانية.

«الناسخ والمنسوخ» (ص/ ٣٥٨-٣٥٩).

القراءة: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: بفتح الياء من جرم.

وقرئ: بضمها من أجرم لغتان، وهما ككسب وأكسب [ق/ ٦٤أ] وزنًا ومعنىٰ وتصرفًا وتعدية، تقول: جرم ذنبًا ككسب، وأجرمته ذنبًا كأكسبته إياه، وفاعل يجرمنكم ﴿شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾: أي بغضهم.

القراءة: بفتح النون الأولىٰ وإسكانها لغتان في مصدر شنئت شَنَآنًا وشَنْآنًا أبغضت، أو من [سكن][1] جعله صفة كعطشان، ومن فتح جعله مصدرًا كالغليان.

القراءة: ﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾: بفتح الهمزة، أي: لأجل صدهم إياكم.

﴿عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: وبكسر الهمزة شرطًا، فيكون صدوكم مستقبلًا معنىٰ؛ لأنَّ الشرط حقه الاستقبال، يعضده ما قرئ: أن يصدوكم، قالوا: ونزلت هذه الآية عام الفتح سنة ثمان، والصد كان عام الحديبية سنة ست، فتقديره: إن يقع منهم صد فيما يستقبل مثل ما مضىٰ منهم، فلا تعتدوا عليهم.

وإن عديت ﴿يجرمنكم﴾ إلىٰ مفعولين الأول (كم)، الثاني ﴿أَن تَعْتَدُواْ﴾: (حس) عليهم بالقتل وأخذ الأموال.

تلخيصه: لا يكسبنكم بعض قوم علىٰ الاعتداء عليهم.

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ﴾: اتباع الأمر.

﴿وَٱلتَّقْوَىٰ﴾: اجتناب النهي.

﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ﴾: الكفر.

﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾: (كا) الظلم، ويجوز أن يراد بهما كل معصية، في الحديث: «**البر حسن الخلق، والعدوان ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس**»[2].

---

(١) في جـ: أسكن، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه مسلم(٢٥٥٣) من حديث النواس بن سمعان الأنصاري رضي الله عنه.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: (كا).

﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: (تا).

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾

ثم قال محرمًا ما كان يحلونه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾: إلىٰ ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾: هي التي تختنق، أو تخنق فتموت.

﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾: المضروبة حتىٰ تموت.

﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾: الساقطة إلىٰ منخفض فتموت.

﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾: المنطوحة حتىٰ تموت، ودخلتها الهاء؛ لأنَّ فعيلًا بمعنىٰ مفعول إذا ذكر معه الاسم استوىٰ فيه الذكر والأنثىٰ، فيقال:عين كحيل، وكف خضيب، فإذا أفردوا الصفة أدخلوا الهاء ليعلم أنها صفة مؤنث، فقالوا: رأينا كحيلة.

﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾: أي ما بقي مما أكله السبع.

وقرئ: (وأكيل السبع).

ومحل ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾:أي أدركتم ذكاته، وهي فري الأوداج وإنهار الدم بكل محدد ليس السن والظفر، نصب استثناء من الموجب قبله، [وهو][1] المتردية والنطيحة وأكيلة السبع، فكل واحدة من هذه إذا أدركت قبل أن تصير إلىٰ حالة

(١) في جـ: وهي، والمثبت من أ، ب.

المذبوح، فذبحت حلَّت.

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾: جمع نصاب وجمع نصب أنصاب، وكانت حجارة منصوبة حول البيت نحوًا من ثلاثمائة يعبدونها ويذبحون عندها ويشرحون[١] اللحم عليها؛ تعظيمًا [لها][٢] وتقربًا إلىٰ الله تعالىٰ، أو تقديره: وما ذبح علىٰ اسم النصب.

ومحل ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ﴾: تطلبوا القسم والحكم ﴿بِٱلْأَزْلَـٰمِ﴾: جمع زلم بضم الزاي وفتحها: قدح صغير لا ريش فيها ولا نصل، وكانت سبعة عند سادن الكعبة يستقسمون بها لحوائجهم عطف علىٰ الميتة، أي: حرمت عليكم الميتة والاستقسام بالقداح.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾:أي: المحرمات في الآية، أو الاستقسام.

﴿فِسْقٌ﴾:(حس) قال ﷺ:**«من تكهَّن أو استقسم أو تطيَّر طيرة تردَّه عن سفره، لم ينظر إلىٰ الدرجات العلا من الجنة يوم القيامة»**[٣].

﴿وَٱخْشَوْنِ﴾:(حس) بالغوا في خشيتي، ولا تخشوا غيري [ق/ ١١٢ب].

ونزل بعد تكميل شرائع الإسلام بالسنن والأحكام، ووافق يوم عرفة في يوم جمعة وكان عيدًا لليهود والنصارىٰ والمجوس، قالوا: ولم يجتمع أعياد أهل الملل في يوم قبله ولا بعده: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾:أي أتممته، كمل الشيء بالحركات الثلاث للميم ثَمَّ.

ابن عباس[٤]: لم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام.

قالوا: ولمَّا نزلت هذه الآية بكىٰ عمر، فقال له النبي ﷺ: **«ما يبكيك»**؟ فقال:

---

(١) جاء في حاشية ب: ويشرحون أي يقطعون.

(٢) في أ، ب: له، والمثبت من جـ.

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١١٧٧) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥١٨).

كنا في زيادة من ديننا، وأما إذا كمل فإنَّه لا يكمل شيء إلا نقص، فقال: «صدقت»[١]، وعاش بعدها ﷺ أحدًا وثمانين يومًا، وتوفي يوم الإثنين بعد ما زاغت الشمس لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة إحدىٰ عشرة من الهجرة، أو يوم الثاني عشر من ربيع الأول.

﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾: بإكمال الدين وبدخول مكة آمنين ظاهرين، ومنع المشركين من دخول الحرم بعد العام.

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾: (كا) اخترته لكم من بين جميع الأديان إن عديت ﴿وَرَضِيتُ﴾ إلىٰ واحد نصبت دينًا حالًا، وإن عديته إلىٰ مفعولين وجعلته بمعنىٰ صيرت نصبته مفعولًا ثانيًا، عن الله تعالىٰ: « هذا دين ارتضيته لنفسي، ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق، فأكرموه بهما ما صحبتموه»[٢].

وكفي الوقف هنا؛ لأنَّ ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾: وإن كان شرطًا مبتدأ فهو متعلق من جهة المعنىٰ بما تقدم من المحرمات، وما بينهما اعتراض مؤكد معنىٰ التحريم، والمعنىٰ: فمن اضطر إلىٰ أكل شيء من هذه المحرمات المذكورات.

﴿فِي مَخۡمَصَةٍ﴾: أي مجاعة.

﴿غَيۡرَ﴾: نصب حال.

﴿مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ﴾: أي: مائل إلىٰ إثم، وهو الأكل فوق الشبع، أو التعرض لمعصية في مقصده.

وقرئ: (متجنّف).

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾: له ما أتىٰ عند اضطراره.

﴿رَّحِيمٞ﴾: (تا).

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥١٨).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

ونزل لمَّا سأل زيد الخير وعدي بن حاتم الطائيان ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ﴾: مبتدأ.

﴿أُحِلَّ لَهُمۡۚ﴾: خبره.

﴿قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾: هي الذبائح علىٰ اسم الله تعالىٰ، أو هي ما تستلذه العرب من غير أن يرد فيه نص من كتاب أو سنة.

﴿وَمَا عَلَّمۡتُم﴾: عطف علىٰ الطيبات، أي: أحل لكم الطيبات وصيد الذي علمتم.

﴿مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ﴾: أي: الكواسب من البهائم كالكلب والفهد والنمر والطير كالبازي والصقر والشاهين والعقاب.

﴿مُكَلِّبِينَ﴾: نصب حال أي: مرسلي الكلاب علىٰ الصيد، ومؤدبها أيضًا كَلاَّب.

وقرئ: (مكلبين) مخففًا لغتان، كلبت الكلب وأكلبته أرسلته علىٰ الصيد، وخصت الكلاب بالذكر؛ لكثرتها، أو المراد [بالكلب][1] جميع السباع، كقوله ﷺ: «**اللهم سلِّط عليه كلبًا من كلابك**»، فقتله السبع[2].

لا وقف هنا إن نصبت ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾: أي تؤدبون الكلاب.

﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ﴾: من تأديب الكلاب للصيد حالًا من مكلبين، وإن استأنفتها وقفت علىٰ مكلبين، وإن جعلت ﴿وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ﴾ شرطية، فجوابها ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ﴾: فلا وقف بينهما، المعنىٰ إنَّ الجارحة إذا خرجت بإرسال صاحبها فقتلت الصيد كان حلالًا إذا كانت معلَّمة، والمعلَّمة هي التي إذا أشليت استشلت[3]، وإذا زجرت انزجرت، وإذا أخذت الصيد لم تأكله،

---

(١) في جـ: من الكلب، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٩٨٣٢).

(٣) قال ابن منظور: أشليت الكلب وقرقست به إذا دعوته وأشلىٰ الشاة والكلب واستشلاهما دعاهما بأسمائهما وأشلىٰ دابته أراها المخلاة لتأتيه؛ قال ثعلب: وقول الناس: أشليت=

الكلب علىٰ الصيد خطأ.

وقال أبو زيد: أشليت الكلب دعوته، وقال ابن السكيت: يقال: أوسدت الكلب بالصيد وأسدته إذا أغريته به ولا يقال: أشليته إنما الإشلاء الدعاء يقال: أشليت الشاة والناقة إذا دعوتهما بأسمائهما لتحلبهما. قال الراعي: وإن بركت منها عجاساء جلة بمحنية أشلىٰ

العفاس وبروعا وهما اسما ناقتيه

وقال الآخر: أشليت عنزي ومسحت قعبي، ثم تهيأت لشرب قأب: وقول زياد الأعجم: أتينا أبا عمرو فأشلىٰ كلابه علينا فكدنا بين بيتيه نؤكل، ويروىٰ فأغرىٰ كلابه، قال ابن بري: المشهور في أشليت الكلب أنه دعوته، قال: وقال ابن درستويه: من قال: أشليت الكلب علىٰ الصيد، فإنما معناه دعوته، فأرسلته علىٰ الصيد لكن حذف، فأرسلته؛ تخفيفا واختصارا، وليس حذف مثل هذا الاختصار بخطإ ونفس أشليت، إنما هو أفعلت من الشلو، فهو يقتضي الدعاء إلىٰ الشلو ضرورة؛ والشلو من الحيوان جلده وجسده وأشلاؤه أعضاؤه وأنكر أوسدت، وقال: إنما هو من الوسادة.

قال ابن بري: انقضىٰ كلام ابن درستويه، وقد ثبت صحة أشليت الكلب، بمعنىٰ: أغريته من أن إشلاء الكلب، إنما هو مأخوذ من الشلو، وأن المراد به التسليط علىٰ أشلاء الصيد وهي أعضاؤه، قال: ورأيت بخط الوزير ابن المغربي في بعض تصانيفه يذكر أنه قد أجاز الكسائي: أشليت الكلب علىٰ الصيد بمعنىٰ أغريته، قال: لأنه يدعىٰ ثم يوسد فوضع موضعه، قال: وهذا القول الذي حكاه عن الكسائي هو المعنىٰ الذي أشار إليه ابن درستويه في تصحيح كون الإشلاء بمعنىٰ الإغراء.

وقال الشافعي: إذا أشليت كلبك علىٰ الصيد فغلط ولم يغلط، قال: وقد جاء ذلك في أشعار الفصحاء منه بيت زياد الذي أنشده الجوهري، ومنه ما أنشده أبو هلال العسكري:

ألا أيها المشلي علي كلابه ... ولي غير أن لم أشلهن كلاب

ومثله ما أنشده حبيب بن أوس في باب الملح من الحماسة:

وإنا لنجفو الضيف من غير عسرة ... مخافة أن يضرىٰ بنا فيعود

ونشلي عليه الكلب عند محله ... ونبدي له الحرمان ثم نزيد

ومثله للفرزدق يهجو جريرا:

تشلي كلابك والأذناب شائلة ... علىٰ قروم عظام الهام والقصر

فقوله: علىٰ قروم يشهد بأن الإشلاء بمعنىٰ الإغراء؛ لأن «علىٰ» إنما يكون مع «أغريت»، «وأشليت» إذا كانت بمعناها وإذا قلت: أشليت بمعنىٰ دعوت لم تحتج إلىٰ ذكر «علىٰ»، وفي حديث مطرف بن عبد الله قال: «**وجدت العبد بين الله وبين الشيطان فإن استشلاه ربه نجاه وإن خلاه والشيطان هلك**» .

«لسان العرب» (١٤/ ٤٤٢) .

فإذا وجد ذلك منها ثلاث مرات، فهي معلَّمة، قال ﷺ: «إذا أرسلت كلبَك المعلَّم فأمسكَ فكل، وإن أكل فلا تأكل، فإنما أمسك على نفسه» (١)، وقال: «ما صِدْتَ بقوسِك وذكرْتَ اسمَ الله فكل، وما صِدْت بكلبك فذكرت اسم الله فكل، وما صدت بكلبك غير المعلَّم فأدركت ذكاته فكل» (٢).

﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: (كا) المعنىٰ سموا علىٰ المذبوح عند الذبح، وعلىٰ المرسل علىٰ الصيد عند الإرسال.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: (كا).

﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: (تا).

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٥)﴾

﴿الطَّيِّبَاتُ﴾: (كا) إن رفعت ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: هم اليهود والنصارىٰ ومن جرىٰ مجراهم، أو دخل في دينهم قبل بعث النبي ﷺ مبتدأ خبره ﴿حِلٌّ لَكُمْ﴾، وإن عطفت ﴿وَطَعَامُ﴾ علىٰ ﴿الطَّيِّبَاتُ﴾ لم تقف عليها.

﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾: بأن تطعموهم من طعامكم وإن كانوا كافرين.

تلخيصه: يحل لكم طعامهم وإطعامهم.

يكفي الوقف هنا إن رفعت ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾: مبتدأ خبره محذوف، تقديره: حل لكم، وإن عطفته علىٰ ﴿الطَّيِّبَاتُ﴾ لم يجز، وكذلك ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: أي: مهورهن.

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٣)، ومسلم (١٩٢٩) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥١٦١)، ومسلم (١٩٣٠) من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه.

﴿مُحْصِنِينَ﴾: أعفاء نصب حال من فاعل ﴿ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾.

﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾: نصب صفة (محصنين)، وتعطف﴿وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾: (كا) جمع خدن، وهو الصديق يطلق علىٰ الذكر والأنثىٰ علىٰ ﴿غَيْرَ﴾ أو علىٰ ﴿مُسَٰفِحِينَ﴾.

﴿مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: (تا).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿إِذَا قُمْتُمْ﴾: أي قصدتم القيام.

﴿إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾: وتدخل المرافق في الغسل لورود السنة بذلك، ولأنَّ الشيء إذا مد إلىٰ جنسه تدخل فيه الغاية، وإذا مد إلىٰ غير جنسه لا تدخل فيه، كقوله: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة/ ١٨٧]، والباء زائدة في ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ﴾، زعم بعضهم أنها تبعيض، فمالك يوجب مسح جميع الرأس كالوجه في التيمم، وأبو حنيفة ربعه كأحمد، والشافعي ما يطلق عليه اسم المسح بخلاف حلق الرأس في الحج، فإنَّه لا يجزئ عنده أقل من ثلاث شعرات[ق/ ٧٦جـ] ؛ لأنَّ ثَمَّ الأمر بحلق شعور الرؤوس، وأقل الجمع ثلاثة عندهم، وهنا الأمر بمطلق المسح بدليل أنَّه لا يجب علىٰ الأصلع إمرار الموسىٰ علىٰ رأسه في حلق حجه، ويجب عليه مسح جميعه أو بعضه في الوضوء علىٰ اختلافهم.

القراءة: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾:نصبًا عطفًا علىٰ الأيدي، وجرًّا عطفًا علىٰ الرؤوس، وفائدة عطفها علىٰ الرؤوس وإن كانت غير ممسوحة حثًّا علىٰ الاقتصاد في صب

الماء علىٰ الرجلين؛ لأنَّها مظنة الإسراف في صب الماء.

وقرئ: (وأرجلُكم) رفعًا مبتدأ محذوف الخبر، أي: مغسولة، ويجب غسل الرجلين.

﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾: الكعب: العظم: الناتئ من طرف الساق عند ملتقىٰ الساق والقدم، وأنكر الأصمعي قول الناس: إنَّه في ظهر القدم، وثنَّىٰ الكعبين وجمع المرفق؛ لنفي توهم أنَّ في كل واحدة من الرجلين كعبين، وإنما في كل رجل كعب واحد له طرفان من جانبي الرجل بخلاف المرافق، فثم أبعد عن التوهم، ظاهر قراءة الخفض توجب [ق/ ١١٣ب] مسح الرجلين، إلا أنَّ السنة صرحت بالغسل، فلابد من الجمع بين القراءتين والسنة، وطريقه أنَّ المسح يستعمل بمعنىٰ الغسل يقال: تمسحت للصلاة، أي توضأت، وبمعنىٰ خفيف الغسل.

أبو زيد: المسح خفيف الغسل، وبمعنىٰ الضرب والقطع كقوله: فطفق مسحًا بالسوق والأعناق، وبمعنىٰ المجامعة، يقال: مسحها: جامعها، فيحمل المسح هنا علىٰ الغسل ليعمل بالسنة، وهو ما صح أنَّ النبي ﷺ رأىٰ قومًا يمسحون علىٰ أرجلهم، وقد أرهقتهم الصلاة فناداهم بأعلىٰ صوته: «**ويل للأعقاب من النار**»[(١)].

وعن عليّ أنه رأىٰ فتية يتجوزون في وضوئهم، فقال: ويل للأعقاب من النار، فلمَّا سمعوا جعلوا يغسلونها غسلًا، ويدلكونها دلكًا[(٢)].

عطاء[(٣)]: والله ما علمت أن أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ مسح علىٰ القدمين.

فإذا حمل المسح علىٰ أحد محتملاته دلت القراءتان والسنة علىٰ شيء واحد وهو الغسل، وأيضًا فلأنَّ المسح لم تضرب له غاية في الشرع، وهنا قد جاء بـ«إلىٰ»

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠)، ومسلم (٢٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.
(٢) انظر: «الكشاف» (١/ ٦١١).
(٣) انظر: «الكشاف» (١/ ٦١١).

وهي غاية، ويجب غسل الكعبين مع الرجلين كالمرفقين، والشعبي ومحمد بن جرير لا يوجبان غسل المرفقين والكعبين مع اليدين والرجلين.

﴿فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾: (كا) اغتسلوا.

وقرئ: (فاطهروا)،أي: طهروا أبدانكم.

وقرئ: (فأموا).

﴿صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ﴾: (حس) من الصعيد.

﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾: لكم الرخصة بالتيمم [ق/ ٦٥أ].

﴿لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ﴾: في الطهارة.

﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ﴾: من الأحداث والذنوب.

﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾: (حس).

﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٠﴾

﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾:أي: عهده الذي عهده إليكم.

﴿إِذۡ قُلۡتُمۡ﴾: للنبي مبايعين ومتابعين.

﴿سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ﴾: (كا) أو حين أخرجتم من صلب آدم وأخذ عليكم الميثاق.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾: (كا).

﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: (تا) بما في القلوب.

ثم أومأ إلىٰ نفي الظلم بقوله: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ﴾: (كا).

المعنىٰ: ولا يحملنكم بعض المشركين علىٰ ترك العدل فيهم ولهم لعداوتكم إياهم، فتنالوا منهم ما لا يحل لكم بسبب العداوة، وهذا نهاية العدل حيث نهىٰ عن ترك العدل في المشركين، فما ظنكم به في المؤمنين، نهىٰ المؤمنين أولًا ملوّحًا بترك العدل، ثم أمرهم ثانيًا مصرحًا لهم به فقال: ﴿ٱعۡدِلُواْ﴾: في أوليائكم وأعدائكم.

﴿هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾: (كا) المعنىٰ العدل أقرب [للتقوىٰ](1).

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾: (تا).

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾: المفعول الأول لوعد.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:الثاني محذوف، كأنَّه قال: وعدهم الله وعدًا حسنًا.

ثم جاء بما هو دليل علىٰ الوعد وبيان له فقال: ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾: (تا) لأنَّه إذا وعدهم من لا يخلف الميعاد، فقد وعدهم مضمون هذه الجملة.

تلخيصه: وعدهم خيرًا، أو المفعول الثاني هذه الجملة كأنَّه قال: وعدهم هذا القول ومضمونه، كقوله: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٧٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٩﴾ [الصافات:٧٨:٧٩].

يقال للمؤمنين هذا القول عند الموت، وفي القيامة تطييبًا لقلوبهم.

تلخيصه: المؤمنون يكرمون، والكافرون ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾: (تا)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١١﴾

ونزل لمَّا أريد الفتك بالنبي ﷺ، فلم يمكن الله تعالىٰ منه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ﴾(2): (كا).

---

(١) في جـ: إلىٰ التقوىٰ، والمثبت من أ، ب.

(٢) انظر «أسباب النزول» (ص/ ١٩٢).

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ﴾: (كا).

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: (حس)أمر الله تعالىٰ بالخروج من مصر إلىٰ أريحاء من أرض الشام، وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون عوج وأصحابه ، وقال تعالىٰ : هي لكم دار وقرار ، فاتخذ موسىٰ من قومه:

﴿ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًاۖ﴾: وهو الذي ينقب عن الأمور ويتعرفها، فعاهدهم أن تكفلوا بقومهم، ولا تحدثونهم بما ترون من الجبارين، فلمَّا رأوهم وما هم عليه من عظم الأجساد نقضوا العهد، وحدثوهم إلا كالب بن يوفنا ويوشع بن نون.

﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةًۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْۖ﴾:(تا) ناصركم ومعينكم علىٰ عدوكم، يتم الوقف هنا لابقدانك بالشرط الداخل عليه اللام الموطئة للقسم وهو ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾: أي: نصرتموهم ووقرتموهم.

وقرئ: بتخفيف (عزرتموهم).

﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: أي أنفقتم إلىٰ أهل، وأحسنتم إلىٰ الناس.

واللام في ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾: لجواب القسم، وهذا الجواب سادٌّ مسد جوابي القسم والشرط معًا، وإن علقت ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ بلئن لم تقف علىٰ ﴿معكم﴾ لتعلق الشرط به، تقديره: إني معكم إن أقمتم الصلاة وفعلتم.

تلخيصه: إن امتثلتم أمري نصرتكم.

﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: (كا).

﴿ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: (كا) أخطأ طريق الحق.

القراءة: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾: يابسة غليظة لشوبهم الإيمان بموسىٰ والتوراة بكفرهم بمحمد والقرآن، بألف مخففًا، وقسية مشددًا لغتان.

وقرئ: (قِسية) بكسر القاف اتباعًا.

ولا أحب الوقف هنا لأنَّ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾: أي يبدلون نعت محمد ﷺ.

﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾: في كتبهم بيان لقسوة قلوبهم، لا من قسىٰ قلبه يقدم علىٰ ما لا يجوز.

﴿وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾: (كا) المعنىٰ: تركوا حظوظ أنفسهم من الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن.

﴿وَلَا تَزَالُ﴾: يا محمد.

﴿تَطَّلِعُ﴾: أي تظهر.

﴿عَلَىٰ خَآئِنَةٍ﴾: أي خيانة.

وقرئ بها، أو (علىٰ طائفة خائنة)، والمراد نقضهم العهد ومظاهرتهم المشركين علىٰ حربك.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾: (كا) هم الذين آمنوا منهم، ولم ينقضوا العهد.

ونسخ ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾: (كا) اتركهم ولا تتعرض لهم بآية السيف، أو المعنىٰ: أعف عن مؤمنيهم لا تؤاخذهم بما سلف منهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: (تا)، ونزل في النصارىٰ خاصة؛ إذ قد تقدم ذكر اليهود:

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ

يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذْنَا﴾: إن جعلت الواو استئنافية تَمَّ الوقف علىٰ ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، وكفىٰ؛ لأنَّه آخر آية إن جعلتها عاطفة علىٰ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، تقديره: أخذنا ميثاق بني إسرائيل، وأخذنا من الذين قالوا: إنا نصارىٰ.

﴿مِيثَـٰقَهُمْ﴾: علىٰ التوحيد والإيمان بالأنبياء وفعل الخير، والهاء في ﴿مِيثَـٰقَهُمْ﴾ لليهود الذين كانوا قبل النصارىٰ.

المعنىٰ: أخذنا علىٰ النصارىٰ ميثاقًا مثل الميثاق المأخوذ [ق/ ١١٤ب] قديمًا علىٰ اليهود، فنقضوا الميثاق.

﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾: أي: أوقعنا بين فرق النصارىٰ المختلفة.

﴿ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: (كا) بالأهواء المختلفة كاليعقوبية والملكانية والنسطورية، وكل فرقة تكفر الأخرىٰ، أو بين اليهود والنصارىٰ ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾.

ثم قال مخاطبًا اليهود والنصارىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾: محمد ﷺ.

﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ﴾: أي: تخفونه من نعت محمد ﷺ، فمحل (يبين لكم) حال من (رسولنا).

ومحل ﴿مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾: أي: التوراة والإنجيل مما فيه نعته ﷺ حال من الهاء المحذوفة من ﴿تُخْفُونَ﴾.

﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾: منه فلا يؤاخذكم على إخفائه.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾: أي: الإسلام، أو محمد ﷺ.

﴿وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾: القرآن.

ولا وقف هنا لاتصال (مبين) بما بعد وهو ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ﴾: أي: بالقرآن لما فيه من نفي الشك والشرك، أو بمحمد ﷺ.

﴿مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ﴾: أخلص توحيده.

﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾: طريق السلامة والخير.

﴿بِإِذْنِهِۦ﴾: (كا) بإرادته ومشيئته تعالىٰ.

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: (تا).

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ﴾: (كا) قالوا: كان في النصارىٰ من يصرح أنَّ المسيح هو الله، أو لمَّا كان اعتقادهم يؤدي إلىٰ ذلك أخبر به عنهم.

﴿وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ﴾: (تا) حال من ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ﴾: (كا) من ذكر وأنثىٰ، ومن أم بلا أب كعيسىٰ، ومن غير أب وأم كآدم، ومن الخلق المختلفة لا اعتراض عليه؛ لأنَّه القادر الفعال باختيار.

﴿قَدِيرٌ﴾:(تا).

﴿نَحۡنُ أَبۡنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ﴾: أي أبناء رسله.

﴿وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥۚ﴾: (حس) المعنىٰ: هو لهم كالأب في الشفقة والرحمة، وهم كالأنبياء في المنزلة والقرب، فأمر الله تعالىٰ نبيه ﷺ أن يقول منكرًا عليهم: ﴿قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ﴾: (كا) بسببها؛ لأنَّ الحبيب لا يعذب حبيبه، والوالد لا يعذب ولده، وقد عذبتم بأن قد مسخ منكم قديمًا ويعذب مسيئكم في الآخرة وأنتم تعترفون بذلك، أو المعنىٰ لو كنتم أبناءه حقيقة لما أذنبتم ولما عذبتم؛ لأنَّكم كنتم تكونون من جنسه، وهو منزه أن يذنب أو يعذب، فلمَّا عجزوا عن الجواب قال إضرابًا [ق/ ٧٧جـ]عن مجادلتهم وردًا عليهم: ﴿بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ﴾: (كا) المعنىٰ: أنتم من بني آدم، وبنو آدم من بعض خلقه، فلكم ما لهم وعليكم ما عليهم.

﴿يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ﴾: (كا).

﴿وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ﴾: (كا).

﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾: (كا).

﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٩﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَـٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿رَسُولُنَا﴾: محمد ﷺ.

ومحل ﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ﴾: محمد نصب حال مبينًا لكم شرائع الإسلام.

ومحل ﴿عَلَىٰ فَتۡرَةٖ﴾:أي: اندراس وانقطاع نصب حال من ضمير (يبين)، أو (علىٰ فترة) متعلق بجاءكم،أي جاءكم علىٰ فتور ﴿مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾: وكانت الفترة بين محمد وعيسىٰ عليهما الصلاة والسلام ستمائة سنة، أو خمسمائة وأربعون، أو ستون سنة، وكانت الرسل تترىٰ من موسىٰ إلىٰ عيسىٰ عليهما السلام، وزعم

بعضهم كان بين عيسىٰ ومحمد أربعة أنبياء ثلاثة من بني إسرائيل وواحد من العرب، المعنىٰ: جاءكم محمد [مثبتًا][1] للحجة عليكم؛ لئلا ﴿تَقُولُواْ﴾: معتذرين: ﴿مَا جَآءَنَا﴾: مرشد، والفاء بعد متعلقة بمحذوف تقديره: لا تعتذروا.

﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾: (كا).

﴿قَدِيرٌ﴾: (تا).

لمَّا كثرت الأنبياء والملوك من بني إسرائيل قال لهم موسىٰ: ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾: أصحاب خدم وحشم، قالوا: ولم يكن قبل بني إسرائيل لأحد خدم، أو من كان منهم له خادم ومسكن وامرأة كتب ملكًا، أو الملك من له مال يغنيه عن تحمل مشاق الأعمال، أو كانت لهم منازل واسعة وفيها مياه جارية، ومن كان كذلك فهو ملك، أو الملك من ملك نفسه عند الغضب.

﴿وَءَاتَىٰكُم﴾: من المن والسلوىٰ، وتظليل الغمام، وفلق البحر، وغير ذلك من النعم.

﴿مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: (حس) عالمي زمانكم.

﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾

﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾: هي أرض بيت المقدس، أو الطور وما حوله، أو أريحاء، أو دمشق، أو جميع الشام.

كعب[2]: الشام: كنز الله من أرضه، وبه كنزه من عباده.

---

(١) سقط من ب، والمثبت من أ، جـ.

(٢) أخرجه الطبري في « تفسيره»(١٨/ ٤٦٩).

المعنىٰ: اسكنوا الأرض الطاهرة.

﴿ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: في اللوح المحفوظ قبل خلقكم أنكم تقتسمونها، وتسكنونها بعد أعدائكم.

﴿وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾: لا ترجعوا علىٰ أعقابكم منهزمين خوف العدو.

﴿فَتَنقَلِبُواْ﴾: بالخيبة جزم عطف علىٰ (ترتدوا)، أو نصب جواب النهي.

﴿خَٰسِرِينَ﴾: (كا) في سعيكم.

ولمَّا علم بنو إسرائيل بأخبار نقبائهم أحوال الجبابرة، وما هم عليه من الشدة والمنعة، وعظم الأجساد جبنوا عن لقائهم، ودخول أرضهم، وقالوا: يا موسىٰ: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾: (حس) أراد داخلوها فحذفها للعلم بها.

القراءة: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾: الله ويخشونه بفتح الياء معلومًا، وهما كالب ويوشع.

وقرئ: (يُخافون) مجهولًا، الذين يخافهم بنو إسرائيل، وهما رجلان من الجبارين آمنا واتبعا موسىٰ، وحذرا بني إسرائيل منهم[(١)].

ومحل ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ رفع صفة ﴿رَجُلَانِ﴾، فإن جعلت ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾: بالإيمان والقبول من موسىٰ صفة ثانية فمحله رفع، وإن جعلته اعتراضًا، فلا محل له، والمعنىٰ علىٰ القراءتين أنَّ كالب ويوشع، أو المؤمنين من الجبارين شجعا بني إسرائيل علىٰ لقاء الجبابرة، وقالوا: إنهم أجسام بلا قلوب، فلا يهولنكم منظرهم.

---

(١) قال الزمخشري في «الكشاف» (١/ ٦٢٠): كأنَّه قيل: رجلان من المتقين. ويجوز أن تكون الواو لبني إسرائيل والراجع إلىٰ الموصول محذوف تقديره: من الذين يخافهم بنو إسرائيل وهم الجبارون، وهما رجلان منهم أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا بالإيمان فآمنا، قالا لهم: إن العمالقة أجسام لا قلوب فيها، فلا تخافوهم وازحفوا إليهم فإنكم غالبوهم، يشجعانهم علىٰ قتالهم. وقراءة من قرأ: يخافون، بالضم شاهدة له.

﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ﴾: (كا) باب مدينتهم.

﴿فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ﴾: (كا) وعلما ذلك؛ لأنَّ موسىٰ أعلمهما أنَّ الغلبة لبني إسرائيل.

﴿مُّؤۡمِنِينَ﴾: (حس).

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾

ثم أكد بنو إسرائيل تقية الدخول في المستقبل بقولهم: ﴿لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا﴾: ثم أبدل من (أبدًا): ﴿مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾؛ لأنَّ «ما» مصدرية، أو بيان لـ«أبدًا».

ثم إنَّهم لجهلهم وقسوة واستخفافهم بموسىٰ قالوا له: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾: (حس).

ولمَّا رأىٰ موسىٰ مخالفة بني إسرائيل وتمردهم متنصلًا من فعلهم وداعيًا عليهم [ق/ ٦٦أ] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ﴾ [ق/ ١١٥ب]: وقرئ: بكسر الراء فافصل ﴿بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾: (حس)، وكرر بين هنا، وحقها ألاَّ تكرر تأكيدًا، ولم يذكر الرجلين قالوا: لأنَّهم لم يكن معتمدًا عليهما كهارون، إن عطفت ﴿وَأَخِيۖ﴾ علىٰ ﴿نَفۡسِي﴾ فمحله نصب، وإن جعلته مبتدأ وخبرًا، أي وأخي كذلك، فمحله رفع، فثَمَّ تعالىٰ مشيرًا إلىٰ تلك البلدة قال: ﴿فإنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ﴾: تحريم منع لا تحريم تعبد، وكانت مكتوبة لهم بشرط الجهاد، فلمَّا لم يجاهدوا حرمت عليهم، أو هيٰ مكتوبة للطائعين محرمة [علىٰ العاصين][1] بعضهم يقف هنا ويبتدئ ﴿أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾: (كا) يترددون فيها متحيرين، وتنصب «أربعين» ينتهون، فالتحريم مجهول، والتيه

(١) في جـ: للعاصين، والمثبت من أ، ب.

أربعون سنة، وبعضهم يقف علىٰ (سنة) ويبتدئ علىٰ تقدير: هم يتيهون، وتنصب أربعين بمحرمة، فالتحريم أربعون سنة، والتيه مجهول، فأوحىٰ تعالىٰ إلىٰ موسىٰ بي حلفت لأحرمن عليهم دخول الأرض المقدسة غير عبدي يوشع وكالب، ولآتينهم في هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم تجسسوا فيه سنة، ولألقين جيفهم في هذه القفار، وأما بنوهم فيدخلونها.

﴿فَلَا تَأْسَ﴾: فلا تحزن.

﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: (تا) فلبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين، فإذا أمسوا كانوا في الموضع الذي ارتحلوا عنه، وكانوا ستمائة ألف مقاتل الصحيح أنَّ موسىٰ وهارون كانا في التيه، ولم تكن عقوبة عليهما، بل كان راحة ورحمة كإبراهيم عليْه السّلام حين ألقي في النار، ومات هارون في التيه، والصحيح أنَّ موسىٰ هو الذي فتح أريحاء، ولم يمت في التيه، قالوا: لإجماع العلماء أنَّه هو الذي قتل عوج، قالوا: ولن يدخل القرية أحد من الذين قالوا: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا﴾، فلمَّا انقرضوا ونشأت ذريتهم سار بهم موسىٰ نحو القرية، وجعل علىٰ مقدمته يوشع،فلمَّا وصل إلىٰ القرية بأصحابه نفخوا في القرون وضجوا ضجة واحدة، وحملوا نحوها فسقط سورها، فدخلوها وقتلوا الجبابرة فرأوا خلقًا عظيمًا، حتىٰ إنَّ العصابة من بني إسرائيل كانت تجتمع علىٰ عنق الجبار يضربونها لا يقطعونها، ومكث موسىٰ بعد ذلك مدة، ثم قبضه الله تعالىٰ، زعموا أنَّه كان مقدارها سنة.

﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

ثم أمر تعالىٰ محمدا ﷺ أن يقص علىٰ حاسديه ما جرىٰ بسبب الحسد

ليتركوه ويؤمنوا فقال: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾:أي: خبرهما ملتبسًا بالصدق، وكانت حواء تحمل في كل بطن غلامًا وجارية، قالوا: وجميع أولادها أربعون ولدًا في عشرين بطنًا، وكان آدم يزوج أنثىٰ هذا البطن بغير ذكره، فقال لقابيل: إنَّ الله أمرني أنكح أختك إقليميا بهابيل، وأنكحك أخته فقبل هابيل وأبىٰ قابيل، وقال: لا ينكح أختي غيري لأنَّها كانت جميلة، وقال: إن آدم لم يؤمر في ذلك بشيء، فقال آدم: قربا قربانًا لم يثنه لأنَّه في الأصل مصدر، أو تقديره فليقرب كل واحد منكما قربانًا، فحذف للعلم به، فأيكما قبل قربانه فهو أحق بإقليميا فقربا قربانين.

﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾: هو هابيل، بأن نزلت نار، فأكلت قربانه.

﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ﴾: **وقرئ**: (فتَقَبَّل) بفتح التاء والباء، و(لم يَتقبَّل) بفتح [الياء][(١)] والباء، فازداد قابيل حنقًا وغيظًا علىٰ هابيل، وتهدده بأن ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾: (كا) قال: لِمَ؟! قال:لأنَّ الله قبل قربانك ولم يقبل قرباني، قال: لا ذنب لي.

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: (حس) وأنت غير متقٍّ، وكان هابيل أقوىٰ وأبطش من أخيه، قالوا: ولكن كان في شريعتهم أنَّ الرجل إذا أراد قتله رجل لا يمتنع عليه، أو أنَّه يجوز الاستسلام للقاتل المسلم كفعل عثمان، فلذلك قال: ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ﴾: أي: بماد.

﴿يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: (كا) ولمَّا صمم علىٰ قتل أخيه ومخالفة الله تعالىٰ وأبيه قال له هابيل: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى﴾: أي بإثم قتلي إذا قتلتني.

﴿وَإِثْمِكَ﴾: أي: بإثم معاصيك.

﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾: (كا) بقتلي.

---

(١) في ب: التاء بالمثناة الفوقية، والمثبت بالمثناة التحتية من أ، ج.

﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (كا).

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿فَطَوَّعَتْ﴾: فزينت وسهلت.

﴿لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾: وقرئ: (فطاوعت) لغتان، أو المعنىٰ أنَّه دعا نفسه إلىٰ الإقدام علىٰ قتل أخيه فطاوعته، روي أنَّه جاءه اغتيالًا.

﴿فَقَتَلَهُۥ﴾:عند عقبة حراء والمقتول ابن عشرين سنة.

﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: (كا) ولمَّا قتله ولم يدر ما يصنع به.

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا﴾: أي غرابين، فقتل أحدهما الآخر فجعل ﴿يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: حفيرة فوارىٰ فيها الغراب المقتول ليري قابيل.

﴿كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾: (كا) أي جيفته، أو عورته؛ لأنَّه كان قد سلبه ثيابه، ومحل (كيف) نصب حال من ضمير ﴿يُوَٰرِى﴾، ومحل الجملة نصب بيرىٰ، فثَمَّ ﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ﴾: نصب عطف علىٰ ﴿أَنْ أَكُونَ﴾، ولا ينتصب جوابًا للاستفهام؛ إذ ليس المعنىٰ أيكون مني عجز فمواراة؛ لأنَّ معنىٰ أين بيتك فأزورك نصبًا لو عرفت لزرت، وليس المعنىٰ: لو عجزت لواريت.

وقرئ: بسكون الياء، أي: فأنا أواري.

﴿سَوْءَةَ أَخِى ۖ﴾: وبعد أن قتله حمله سبعة أيام[ق/ ٧٨جـ] حتىٰ أروح لم يدر ما

يصنع به، حتىٰ رأىٰ صنع الغراب.

﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾: (تا) علىٰ حمله لا علىٰ قتله.

ابن عباس(١): لما قتل ولد آدم عليه السلام وهو بمكة اشتاك الشجر، وحمضت الفواكه، وقال: قد حدث في الأرض حدث، فكان قتل ولده.

ابن عباس(٢): من قال :إن آدم قال شعرًا فقد كذب،إنَّ محمدًا والأنبياء في النهي عن الشعر سواء، بل رثىٰ ولده بالسريانية، فأخذها يعرب بن قحطان ورتبها فوزنها شعرًا وهي:

تغيرَّتِ البلادُ ومَن عليها　　　فوجهُ الأرضِ مُغْبَرٌّ قبيح

تغيَّر كُلُّ ذي طَعمٍ ولونٍ　　　وقَلَّ بشاشةُ الوجهِ الصبيح

وتم الوقف هنا لأنَّ قوله: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ﴾: متعلق بقوله: ﴿كَتَبۡنَا﴾: أي: بسبب ذلك القتل كتبنا.

﴿عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: ومن لابتداء الغاية، أي ابتدأ ذلك الكتب ونشأ من أجل ذلك القتل، وبعضهم يقف علىٰ ﴿ذَٰلِكَ﴾، فيجعل ﴿مِنۡ أَجۡلِ﴾ متعلقًا بنادمين، وأباه بعضهم لقبح الابتداء بكتبنا.

وقرئ: بكسر همزة أجل لغة فيه [ق/ ١١٦ب]، أو بمعنىٰ الجناية، فكل أجل جناية، وليس كل جناية أجلاً، فالمعنىٰ من أن جنىٰ ذلك القتل، وخبره كتبنا، والهاء في أنَّه ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا﴾:للشأن ومن شرط.

ومحل ﴿بِغَيۡرِ نَفۡسٍ﴾: أي بغير قتل نفس، أي: لم يقتلها قصاصًا نصب حال من[الضمير في](٣) ﴿قَتَلَ﴾، أي من قتل نفسًا ظلمًا.

(١) انظر «الكشف والبيان» للثعلبي(٤/ ٥١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤١).
(٢) انظر «الكشف والبيان» للثعلبي(٤/ ٥١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤١).
(٣) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.

﴿أَوۡ فَسَادٖ﴾: عطف علىٰ (نفس)،أي بغير فساد.

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: والفساد الشرك، أو القتل والزنا وقطع الطريق والغصب وشبهه، وجواب الشرط ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾: (كا)، ابن عباس[(١)]: من قتل نبيًّا أو إمام عدل، فكأنَّما قتل الناس جميعًا، ومن شد علىٰ عضد نبي أو إمام عدل ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ﴾: (حس)، أو من استحل قتل مسلم بغير حق، فكأنَّما قتل جميع الناس، ومن تورع عن قتلها فكأنما أحيا جميع الناس.

مجاهد[(٢)]: قاتل النفس جزاؤه جهنم، وغضب الله، والعذاب العظيم، [وإن][(٣)] قتل جميع الناس لم يزد علىٰ ذلك.

وشبَّه قتله الواحد بقتل الجمع، وكذلك الإحياء؛ ترهيبًا وترغيبًا؛ لأنَّه إذا علم أنَّ حكمه بإحياء نفس واحدة حكمه بإحياء جميع الناس رغب في إحيائها، وإذا علم أنَّ حكمه في قتل الواحد حكمه بقتل الجميع رهب ذلك.

﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾: المكتوب عليهم.

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ﴾: بالقتل وانتهاك المحارم.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾

ونزل فيمن نقض العهد مع النبي ﷺ هلال بن عويمر، أو عرينة، وعكل حين أسلموا ثم ارتدوا وقتلوا الراعي واستاقوا الإبل: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٣٢).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٣٣).

(٣) في جـ: ولو، والمثبت من أ، ب.

﴿ٱللَّهَ﴾[1] : أي: أولياءه.

﴿وَرَسُولَهُۥ﴾: ومحاربة المسلمين في حكم محاربة رسوله.

﴿وَيَسۡعَوۡنَ﴾: أي وسعوا.

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا﴾: مفعول ﴿يَسۡعَوۡنَ﴾ وخبر ﴿جَزَٰٓؤُاْ﴾: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ﴾: والمعطوف عليه، وهو ﴿أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾: (كا).

وقرئ: بتخفيف هذه الأفعال الثلاثة، عند قوم الإمام مخير في المحاربين بين القتل والصلب والقطع والنفي، وعند الأكثرين هي مرتبة علىٰ ترتيب الجرائم في قُطَّاع الطريق، والنفي عند أبي حنيفة الحبس، وعند الشافعي من بلد إلىٰ بلد[2]، فحيث أُدرِكَ أقيم عليه الحد، والصلب أن يقتل ثم يصلب عند الشافعي، وأن يصلب حيًا ثم يطعن حتىٰ يموت عند أبي حنيفة ومحمد، وأن يصلب ثلاثًا حيًا ثم ينزل فيقتل عند الليث بن سعد.

﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ.

﴿لَهُمۡ خِزۡيٞ﴾: ذل وفضيحة وحدٌّ: خبر، وهما خبر ﴿ذَٰلِكَ﴾.

﴿فِي ٱلدُّنۡيَاۖ﴾: (كا) صفة خزي.

تلخيصه: لهم الذل في الدنيا.

﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: لا وقف هنا لأنَّ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ﴾: استثناء من ﴿ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ﴾ فإن جاءوا قبل القدرة عليهم تائبين قبلت توبتهم للآية،ولما روي أنَّ الحارث بن بدر جاء عليًّا تائبًا بعدما كان يقطع الطريق، فقبل توبته.

(١) انظر «أسباب النزول» (ص/ ١٩٤).

(٢) في حاشية ب: وقيل: من بلاد الإسلام إلىٰ بلاد الكفر.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: (كا)، ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾: أصل الوسيلة: التوصل إلىٰ الشيء رغبة فيه؛ ولذلك كانت أخص من الوصيلة، المعنىٰ: اطلبوا مراعاة سبيل الله تعالىٰ بالعلم والعبادة وتحري مكاسب الشريعة.

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: (تا) **تلخيصه**: امتثلوا أمر الله تنجوا.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

﴿لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ﴾: أي: بذلك، المعنىٰ: ليجعلوه فدية لهم.

﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: (حس).

﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ﴾: أي: يتمنون الخروج.

﴿مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ﴾: (كا).

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: (تا).

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾: مبتدأ خبره محذوف، تقديره: مما فرض عليكم السارق والسارقة أي: حكمها، أو خبره ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾: ودخلت الفاء لتضمن الكلام معنىٰ الشرط، تقديره الذي سرق والتي سرقت؛ لأنَّ الاسم الموصول يتضمن معنىٰ الشرط.

وقرئ: (والسارقَ والسارقةَ) نصبًا بإضمار فعل، وفضلها سيبويه علىٰ الرفع لأجل الأمر؛ لأنَّ «زيدًا فاضربه» «عنده» أحسن من «زيدٌ فاضربه».

وقرئ: (أيمانهما)، وهو الحكم، والمراد بأيديهما، وضع الجمع موضع الاثنين؛ لئلا يجمع في كلمة واحدة بين تثنيتين نحو ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ﴾

[التحريم:٤]، وربما جمع[(١)].

وقرئ: (والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهم) إذا سرق من حرز نصابًا لا شبهة له فيه تقطع يده اليمنىٰ من الكوع، وعند الخوارج من المنكب، ولا يقطع بسرقة [دون][(٢)] النصاب عند الأكثرين، وهو ربع دينار أو قيمته عند الشافعي، وعشرة دراهم عند أبي حنيفة، فإن سرق مرة قطعت يده اليمنىٰ وحسمت بالنار، فإن عاد قطعت رجله اليسرىٰ من مفصل الكعب، فإن عاد قطعت يده اليسرىٰ [وحسمت بالنار][(٣)]، فإن عاد قطعت رجله اليمنىٰ، فإن عاد عزر وحبس حتىٰ تظهر توبته عند الشافعي، وأبو حنيفة لا يقطعه بعد الثالثة والرابعة بل يحبسه.

﴿جَزَآءَۢ﴾: مفعول له، أو مصدر جزاءهما ﴿بِمَا كَسَبَا﴾:ومثله ﴿نَكَٰلٗا﴾: عقوبة.

﴿مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾: (كا).

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾: (كا).

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ﴾: رجع عن [ق/ ٦٧أ] سرقته بعد ارتكابها.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ﴾: (كا) القطع لا تسقطه التوبة عند أبي حنيفة، وتسقطه في أحد قولي الشافعي.

﴿غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾:(حس).

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٤٠ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ

---

(١) في حاشية ب: أي: بين تثنيتين.

(٢) في جـ: ما دون، والمثبت من أ، ب.

(٣) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

شَيْـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾

وقدم التعذيب علىٰ المغفرة في ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾: (كا) علىٰ الصغيرة.

﴿وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾: (كا) علىٰ الكبيرة؛ لتقديمه السرقة علىٰ التوبة، ويجوز أن يقال؛ تغليظًا للسرقة وتهويلًا لشأنها.

﴿قَدِيرٌ﴾: (تا).

ونزل تسلية للنبي ﷺ ﴿لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ﴾: أي: يبادرون إلىٰ موالاة الكفار، من أسرع فيه الشيب والفساد وقعا فيه سريعًا؛ لأنَّهم أسرع شيء وقوعًا في الكفر إذا وجدوا فرصة.

تلخيصه: لا تهتم بمسارعة المنافقين في موالاة الكفار، فإني ناصرك عليهم.

ومحل ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾: نصب حال من ضمير ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾.

ومحل ﴿ءَامَنَّا﴾: نصب مفعول ﴿قَالُوٓاْ﴾، وقوله: ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: متعلق بقالوا،أي قالوا بأفواههم: آمنا.

﴿وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْۛ﴾:(حس) إن جعلت ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ﴾: خبرا مبتدؤه ﴿سَمَّٰعُونَ﴾: وإن عطفت ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ﴾ علىٰ ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ لم تقف علىٰ (قلوبهم)، ووقفت علىٰ ﴿هَادُواْۛ﴾، وتضمر مبتدأ، أي هم سماعون [ق/ ١١٧ب] ﴿لِلْكَذِبِ﴾: أي: قائلون لما تختلقه أحبارهم من الكذب علىٰ الله ورسوله، كقوله: (سمع الله لمن حمده) أي قبل، أو المعنىٰ: يسمعون منك ليكذبوا عليك، فيزيدون فيما يسمعون، ويبدلون لأنَّهم إذا جالسوك صدقوا في ذلك.

﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ﴾: أي لأجل قوم﴿ءَاخَرِينَ﴾.

ومحل ﴿لَمْ يَأْتُوكَۖ﴾: (تا) جر صفة (قوم)، المعنىٰ: هؤلاء الجماعة الذين

جاؤوك من اليهود هم جواسيس لطائفة أخرىٰ منهم لـم تجئك؛ لأنَّـه كـان قـد زنـا يهودي بيهودية وكانا محصنين شريفين عند أهل خيبر، وكـان أحدهما الـرجم، فكرهوا رجمهما، فأرسلوا بهما مع جماعة من قريظة والنضير ليسألوا النبي ﷺ عن حدهما عنده، وقالوا: إن أمركم محمد بالجلد فاقبلوا، وإن أمركم بـالرجم فاحذروا، فعلىٰ هذا ﴿سَمَّٰعُونَ﴾ الأولىٰ أهل خيبر، والثانية قريظة والنضير، فحكم ﷺ بالرجم، فرجما عند باب المسجد بعد إنكارهم ذلك، وبعد أن أراهـم عبد الله ابن سلام ذلك الحكم في التوراة، فكان الزاني بالمرأة حالة الرجم [يجنـأ][1] عليهـا يقيها الحجارة، وقال ﷺ: «**إني أول من أحيا أمرك؛ إذ أماتوه**»[2].

وإذا وقفت علىٰ ﴿يَـأۡتُوكَۖ﴾ ابتـدأت مقـدرًا هـم ﴿يُحَرِّفُـونَ ٱلۡكَلِـمَ مِـنۢ بَعۡـدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾: أي: يميلونه عن مواضعه التي وضع عليهـا مـن الـصحة، وإن جعلـت ﴿يُحَرِّفُـونَ﴾ صـفة ﴿سَـمَّٰعُونَ﴾، أي: سـماعون محرفـون، أو حـالًا مـن ضـمير ﴿سَمَّٰعُونَ﴾ لم تقف علىٰ ﴿يَأۡتُوكَۖ﴾ ويقولون بعد في الإعراب كتقدير يحرفـون أي هم.

---

(١) في جـ: يجنأه، والمثبت من أ، ب.
قال الزبيدي: جنأ الرجل عليه كجعل وفرح جنوءًا وجنًا كقعـود وجبـل، وفي اللسان يقـال: أرادوا ضربه فجنأت عليه أقيه بنفسي، وإذا أكب علىٰ الرجل يقيه شيئًا قيل: أجنأ، وفي التهذيب: جنأ في عدوه إذا ألح وأكبَّ.
وفي الحديث: «أن يهوديًا زنىٰ بامرأة فأمر برجمهـا، فجعـل الرجـل يجنـأ عليهـا أي يكـب ويميل عليها؛ ليقيها أحجارة، وجنأت المرأة علىٰ الولد: أكبت عليه، وقال ثعلب: جنأ: أكب يكلمه.
«تاج العروس» (ص/ ٩٣).
وقال ابن منظور: وفي حديث رجم اليهودي: «فرأيته يحني عليها يقيها الحجارة».
قال الخطابي: الذي جاء في السنن: «يجنىٰ» بالجيم، والمحفوظ إنما هو بالحاء، أي يكـب عليها. «لسان العرب» (١٤/ ٢٠٢).
(٢) أخرجه مسلم(١٧٠٠) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا﴾: أي: الحكم المغير وهو الجلد.

﴿فَخُذُوهُ﴾: فاقبلوه.

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾: (حس) محمدًا وحكمه.

﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾:إضلاله وعذابه.

﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: (كا) لن تقدر على دفعه عنه.

﴿قُلُوبَهُمْ﴾: (كا).

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: (حس)[ق/ ٧٩جـ].

﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾

ونزل في ابن الأشرف، وفيمن كان مثله يقبل شهادة الزور ويحكم ويرتشي ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾: أي: الحرام الذي يلزم صاحبه العار، وكل حرام سحت، ومنه الحديث: «**كل لحم نبت من السحت، فالنار أولىٰ به**» (١)، وأصله إزالة الشيء وقشره، فكأن الحرام يسحت المروءة والدين، أي يزيلها، وأما الحديث: «**كسب الحجام سحت**» (٢)، فالمراد أنَّه يسحت المروءة لا الدين، وسميت الرشوة سحتًا لسحتها المروءة، والدين لعن ﷺ الراشي والمرتشي.

القراءة: بضم الحاء وإسكانها مع ضم السين لغتان.

وقرئ: بفتح السين وسكون الحاء مصدر سحته، وبكسر السين وسكون الحاء وبفتحهما، واختلف في الحكم في أهل الكتاب إذا تحاكموا إلينا، فأكثرهم هو

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٣١٩)، والدارمي (٢٧٧٦)، وابن حبان(١٧٢٣)، والحاكم(٧١٦٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٣٩٩) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الدارقطني (٣/ ٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بالخيار لقوله: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ﴾: (كا) أي: عن الحكم بينهم.

﴿فَلَن يَضُرُّوكَ﴾: شيئًا نصب لقيامه مقام المصدر، أي ضررًا، وبعضهم يقول بوجوب هذا الحكم، ويجعلها منسوخة بقوله ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة:٤٩] بعد أما إذا تحاكم إلينا مسلم وذمي فيجب الحكم إجماعًا؛ لأنَّه لا يجوز انقياد المسلم بحكم الكافر.

﴿بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾: (كا) بالعدل والاحتياط في الحكم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾: (حس).

ثم عجب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون بكتابه، وهذا الحكم منصوص في كتابهم فقال: ﴿وَكَيۡفَ﴾: في محل النصب حال من ضمير فاعل في ﴿يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ﴾: خبر ومبتدأ، ومحلهما نصب حال.

ومحل ﴿فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ﴾: حال العامل فيها ما في عند من معنىٰ الفعل، ثم تعطف علىٰ ﴿يُحَكِّمُونَكَ﴾ ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ﴾: (كا) الحكم.

﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: (تا) بالمصدقين لك في الحكم.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾

ومحل ﴿فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ﴾: المراد نعت النبي ﷺ والأحكام حال من التوراة.

ومحل ﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾: حال من هاء في ﴿فِيهَا﴾.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾:وصف للنبيين.

واللام في ﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾: متعلق بـ«يحكم».

﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾: الزهاد[١].

﴿وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾: العلماء واحدهم حبر بكسر الحاء وفتحها عطف علىٰ (النبيون)، أو تقديره ويحكم الربانيون.

﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ﴾: أي بسبب الذي استودعه [الأنبياء][٢] بني إسرائيل وسألوهم حفظه من التبديل والتغيير من كتاب الله؛ لأنَّه تعالىٰ أخبر أنهم استحفظوا كتابهم وضمن لنا حفظ كتابنا بقوله : ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

و«من» في ﴿مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: للتبيين.

﴿وَكَانُواْ عَلَيۡهِ﴾: أي علىٰ ما فيه من الأحكام الرجم وغيره.

﴿شُهَدَآءَۚ﴾: (كا) رقباء لئلا يبدل، المعنىٰ: يحكم النبيون بأحكام التوراة لليهود بأن كلفوهم العمل بأحكامها، المراد بالنبيون محمد ﷺ، المعنىٰ:يحكم محمد بأحكام التوراة [لليهود][٣] جاؤوه بسبب الزانيين، أي ألزمهم بحكم التوراة فرجم الزانيين.

تلخيصه: بسبب استحفاظهم الكتاب، وبسبب كونهم عليه رقباء حكم عليهم، أو الضمير في ﴿ٱسۡتُحۡفِظُواْ﴾ للنبين والربانيين والأحبار جميعًا، فيكون الاستحفاظ من الله تعالىٰ إن كلفهم حفظه، وأن يكونوا عليه شهداء.

ثم نهىٰ الحكام عن خشية غيره بقوله: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ﴾: في إظهار نعت محمد ﷺ وآية الرجم، والحكم بالحق خوف الظلمة.

---

(١) سقط من ب، والمثبت من أ، ج.

(٢) في ج: أنبياء، والمثبت من أ، ب.

(٣) في ج: لليهوديين، والمثبت من أ، ب.

﴿وَٱخۡشَوۡنِ﴾: في ترك أحكامي، أو هو خطاب للمسلمين لا تفعلوا مثل فعلهم.

﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي﴾: لا تستبدلوا بأحكامي.

﴿ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ﴾: (كا) عرضًا يسيرًا من حطام الدنيا من الرشوة ومداراة الظلمة، ابن مسعود[(١)]: الرشوة في كل شيء من شفع شفاعة ليرد بها حقًا، أو يدفع بها ظلمًا، فأهدى له فقيل: فهو سحت، فقيل له: يا أبا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك إلا الأخذ على الحكم؟! فقال: الأخذ على الحكم كفر لقوله: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾: (حس).

ابن عباس[(٢)]: ليس بكفر ينقل عن الملة، بل إذا فعل ذلك فهو به كافر، وليس كمن [يكفر][(٣)] بالله واليوم الآخر، أو من لم يحكم بما أنزل الله جاحدًا له، فقد كفر، وعنه الكافرون والظالمون والفاسقون في أهل الكتاب.

ابن مسعود[(٤)]: هو عام في اليهود وغيرهم.

ومحل ﴿بِٱلنَّفۡسِ﴾: رفع خبر إنَّ.

القراءة: ﴿وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ﴾: (كا) رفعًا عطفًا على محل بالنفس، أو على الضمير في (بالنفس) [ق/ ١١٨ب]، وجاز عطفه من غير توكيد كقوله: ﴿مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام:١٤٨]، فالمجرورات على هذا أحوال مبينة، أو على محل ﴿أَنَّ ٱلنَّفۡسَ﴾، وتجعل ﴿كَتَبۡنَا﴾ بمعنى قلنا، فيكون الكلام جملة محكية نحو كتبت ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة:٢]، وقرأت ﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا﴾ [النور:١]، وإن لم تجعل ﴿كَتَبۡنَا﴾ بمعنى القول لم يجز العطف على أنَّ ومعمولها؛ لأنَّ محلها نصب، أو العين مبتدأ

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٢).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٥٥).

(٣) في جـ: كفر، والمثبت من أ، ب.

(٤) انظر «تفسير الطبري » (١٠/ ٣٥٥).

خبره ﴿بِٱلۡعَيۡنِ﴾، وكذلك باقيها، فتكون جملة معطوفة علىٰ جملة، فتقف علىٰ ﴿بِٱلنَّفۡسِ﴾، ونصبًا عطفًا علىٰ معمول أنَّ، فمن نصب الأسماء الأربعة ورفع ﴿وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٌۚ﴾ مبتدأ وخبرًا وقف علىٰ ﴿بِٱلسِّنِّ﴾، ومن نصب الأسماء الخمسة جعل خبر أنَّ ﴿قِصَاصٌۚ﴾ ولا يقف علىٰ (بالسن)، والمعنىٰ أنَّه تقتل النفس بالنفس إذا قتلتها ظلمًا، وتفقأ العين بالعين، ويجدع الأنف بالأنف، والأذن بالأذن، وكذلك القصاص في الجراح إن أمكن، وإن لم يمكن كجرح لحم أو كسر عظم فلا قصاص، بل حكومة.

﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾: بالقصاص.

﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ﴾: (حس) للمتصدق بأن يكفر الله عنه من سيآته، قال ﷺ: **«من تصدق بجسده بشيء كفر الله عنه بقدره من ذنوبه»** (١)، أو الهاء للجاني، أي إذا عفي المجني عليه عن الجاني، فعفوه كفارة لذنب الجاني، لا يؤاخذ به في الآخرة، وأجر العافي علىٰ الله لقوله: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورىٰ: ٤٠].

﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: (حس).

﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَقَفَّيۡنَا﴾: أي: واتبعنا.

---

(١) أخرجه النسائي في «السنن الكبرىٰ» (١١١٤٦)، وأحمد (٢٢٨٤٦) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾: أي: آثار النبيين المتقدمي الذكر.

﴿بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا﴾: حال من عيسىٰ.

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: لما تقدمه من الكتب والرسل.

ومحل ﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾: (كا) نصب حال من ما قبل.

ومحل ﴿فِيهِ هُدًى﴾: حال من الإنجيل.

﴿وَمُصَدِّقًا﴾: عطف علىٰ محل (فيه هدىٰ)، وتنصب ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾: (حس) حالين، أو مفعولين لهما، تحسن الوقف هنا علىٰ **القراءة**: بإسكان اللام والميم من ﴿وَلْيَحْكُمْ﴾: لأنَّه أمر مستأنف إلزام بالحكم،أي [وقلناه][(١)] ليحكم.

﴿أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾:(كا) من الأحكام، لا يجوز الوقف علىٰ للمتقين علىٰ القراءة أيضًا بكسر لام (ليحكم)، ونصب الميم؛ لأنَّها لام «كي».

تلخيصه: وآتيناه الإنجيل؛ لكي يحكم أهل الإنجيل، والمراد عيسىٰ عليه السلام.

وقرئ: و«أن ليحكم» بزيادة أن مع اللام، فيكون «أن» موصولة بالأمر نحو أمرته بأن قم إليه، وتقديره: وآتيناه الإنجيل، وأمرنا بأن يحكم أهل الإنجيل.

وروي أنَّ عيسىٰ كان متعبدًا بأحكام التوراة، قالوا: لأنَّ الإنجيل مواعظ، والأحكام فيه قليلة، وجوَّز بعضهم أن يكون المعنىٰ ليحكموا بما نزل فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة وتأولوا حكم الإنجيل.

﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: (تا).

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾: يا محمد.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي القرآن.

---

(١) في جـ: وقلنا، والمثبت من أ، ب.

ومحل ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: حال من الكتاب، وقوله: ﴿مُصَدِّقًا﴾: حال من ضمير (بالحق)، والمعنىٰ أن القرآن مصدق.

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: أي قبله.

﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أي الكتب، وتنصب ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾: أي: شاهدًا ورقيبًا علىٰ الكتاب حالًا، وأصله «مويمن»؛ لأنَّه من الأمانة، المعنىٰ: القرآن شاهد علىٰ جميع الكتب؛ لأنَّه يشهد لها بالصحة.

وقرئ: (مهيمَنًا) بفتح الميم الثانية من هومن فهو مهيمن،أي: حفظ عن التبديل والتغيير.

﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم﴾: أي من أهل الكتاب إذا تحاكموا [الحاكمون][1] إليك بالحق ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾.

وقوله: ﴿عَمَّا جَآءَكَ﴾: في موضع الحال، أي: عادلًا عما جاءك.

ومحل ﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: (كا) حال من ضمير (جاءك)، أو تتبع هنا بمعنىٰ تعرض؛ لأنَّه إذا اتبع شيئًا، فقد أعرض عن غيره، ولذلك عدىٰ بـ«عن»، وفي الكلام تقديم وتأخير، تقديره: ولا تعرض عما جاءك من الحق؛ متبعًا أهواءهم.

ثم جاء بما فيه دليل أنهم لا يجب علىٰ أحد التعبد بشريعة غيره فقال: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً﴾:أي: شريعة، وكل ما أشرعت فيه فهو شرعة وشريعة.

وقرئ: بفتح الشين، ﴿وَمِنْهَاجًا﴾: (كا) سبيلًا واضحًا، وأصل شرع ونهج الوضوح والكشف.

ثم أومأ تعالىٰ إلىٰ قدرته وحكمته بقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [ق/ ٦٨أ]: علىٰ دين واحد.

﴿وَلَٰكِن﴾: فرقكم فرقًا.

---

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

﴿لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ﴾: من الكتب والشرائع المختلفة؛ ليظهر لكم منكم الطائع من العاصي.

﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾: (حس) فابتدروا وتسابقوا إلىٰ العمل بالطاعات، وأصل السبق التقدم في السير، حسن الوقف هنا لاستئنافك بما فيه معنىٰ التعليل وهو: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا﴾: حال من كم العامل فيه المصدر المضاف، وكم قائم مقام الفاعل في المعنىٰ[ق/ ٨٠جـ]؛ لأنَّ تقديره إليه ترجعون جميعًا.

﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾: لا أحب الوقف هنا؛ لأنَّ ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم﴾: مصدرية محلها نصب عطف علىٰ الكتاب، أي: وأنزلنا إليك الكتاب والحكم، أو جر عطف علىٰ بالحق،أي أنزلنا إليك الكتاب بالحق وبالحكم.

﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

﴿بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: (كا).

ومحل ﴿أَن يَفۡتِنُوكَ﴾:نصب مفعول له،أي: مخافة أن يفتنوك، أو بدل اشتمال من هم في(واحذرهم) أي واحذر فتنتهم.

﴿عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ﴾: (كا) بأن يعجل لهم العقوبة في الدنيا ببعض عملهم.

﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾: (حس) هذا عام في جميع الناس، أو خاص في أهل الكتاب.

ونزل إنكارًا علىٰ طالبي غير حكم الإسلام ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ﴾: (حس) **القراءة**: بالتاء والياء خطابًا وغيبة، سئل طاووس عن الرجل يفضل بعض ولده علىٰ بعض فقرأ هذه الآية.

القراءة: (أفحكم) نصبًا واحد الأحكام.

وقرئ: (أفحكم) بفتح الجميع، بمعنىٰ: الحاكم واحد الحكام، وانتصابهما مفعول ﴿تبغون﴾.

وقرئ: (أفحكم) رفعًا مبتدأ خبره ﴿تبغون﴾، والعائد محذوف،أي تبغونه كقوله[1]:

قد أصبحَتْ أمُّ الخيارِ تدَّعي   عليَّ ذنبًا كلُّه لم أَصنعِ

برفع كله.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ﴾:مبتدأ وخبر بمعنىٰ النفي.

﴿مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا﴾: تمييز، واللام في ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: (تا) تبيين كهي في ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف:٢٣]، وهذا خطاب للموقنين، فإنَّهم الذين يتبينون أن لا أحد أحسن حكمًا من الله، أو «اللام» بمعنىٰ «عند»، أو المعني أنَّ الله يحكم للموقنين علىٰ الكافرين عن موالاة أعداء الدين [ق/ ١١٩ب].

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾: (تا) عند أبي حاتم، وفيه نظر لكون ما بعد تعليل للنهي، ولعود الضمير إلىٰ ما قبل من قوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾:(تا) في النصرة والموالاة، ونحوه الكلام في تمام الوقف هنا لأنَّ بعده ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾: فيعينهم.

﴿فإنَّه مِنْهُمْ﴾: (كا) من جملتهم، وحكمه حكمهم، وهذا تشديد علىٰ مُوالي أعداء الدين.

(١) القائل هو أبو النجم، انظر: «خزانة الأدب» (١/ ٣٥٩).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (كا) أنفسهم بموالاة الكافرين إن جعلت ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شك ونفاق من رؤية العين نصبت ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ﴾:أي: معاونتهم حالًا، وإن جعلتها بالقلب نصبتها مفعولًا ثانيًا.

﴿يَقُولُونَ﴾: اعتذارًا.

﴿نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞ﴾: بأن يدور الدهر علينا من جدب وغلبة وغيرهما، ولا يتم أمر محمد، فنزل توبيخًا لهم وإيماءً إلىٰ تتمة أمره ﷺ ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ﴾: بنصر محمد ﷺ وإظهار دينه.

﴿أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾: هو إجلاء اليهود من ديارهم.

ومحل (أن يأتي) نصب خبر (عسىٰ)، أو رفع بدل من اسم الله، وتعطف علىٰ (أن يأتي): ﴿فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾:من موالاة الكفار.

﴿نَٰدِمِينَ﴾: (حس) علىٰ **القراءة:** ﴿وَيَقُولُ﴾:رفعًا بإثبات الواو وحذفها؛ لأنَّه استئناف، وكذلك إن جعلت الواو عاطفة جملة علىٰ جملة، ولا أحب الوقف علىٰ (نادمين) علىٰ القراءة ويقول نصبًا عطفًا علىٰ ﴿أَن يَأۡتِيَ﴾، أو علىٰ (بالفتح)،أي: فعسىٰ أن يأتي الله بالفتح وبأن يقول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾:بينهم وقت ظهور نفاق المنافقين، أو يقولون لليهود ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ﴾:أي: أغلظ.

﴿أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ﴾: مؤمنين مثلكم.

ثم قال المؤمنون داعين ومتعجبين من [صنع][(١)] المنافقين: ﴿حَبِطَتۡ﴾: بطلت، ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾: الصالحة.

﴿فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾: (تا) في الدارين، أو هذا من قول الله تعالىٰ.

---

(١) في جـ: صنيع، والمثبت من أ، ب.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) ﴾

القراءة: ﴿مَن يَرْتَدَّ﴾: بدالين مظهرتين على الأصل، الثانية مجزومة بمن وبدال واحدة مشددة مفتوحة لالتقاء الساكنين، والمعنى من يرجع.

﴿مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾: كافرًا بعد موت النبي ﷺ.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾: غيرهم مكانهم.

ومحل ﴿يُحِبُّهُمْ﴾: جر صفة ﴿قَوْمٍ﴾.

﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾: عطف عليه، والمراد بقوم الذين قاتلوا أهل الردة ومانعي الزكاة، وهم أبو بكر وأصحابه.

وروي أنَّه لمَّا نزل ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ﴾ قيل: يا رسول الله من هؤلاء؟ قال: «**قوم هذا**»، وأشار إلى أبي موسى الأشعري، أو هم أحياء من اليمن جاهدوا يوم القادسية أيام عمر[1]، ولا وقف هنا لجرك ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: صفة قوم جمع ذليل، أو ذلول بمعنى الحنو والعطف، لا بمعنى ضد الصعوبة، ولهذا قيل للمؤمنين.

تلخيصه: هم لينون متواضعون لهم وكذلك ﴿أَعِزَّةٍ﴾: أي: أشداء.

﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: (حس) فهم مع المؤمنين كالولد مع والده، والعبد مع سيده، وعلى الكافرين كالسبع على فريسته.

وقرئ: (أذلةً أعزةً) نصبًا حالًا، والمؤمنون ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾: (حس) كالمنافقين؛ لأنَّهم كانوا يخافون الكفار، وتنكير ﴿لَوْمَةَ﴾

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٦٢).

يؤذن أنَّهم كانوا لا يخافون لومة ما من أحد ما، بل يجاهدون لمن كان علىٰ أيّ حالٍ كان.

ابن الصامت: بايعنا رسول الله ﷺ علىٰ السمع والطاعة وأن نقوم أو نقول الحق حيث ما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم(١).

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي: ما وصف به القوم من لين جانبهم للمؤمنين، وشدتهم علىٰ الكافرين وعدم خوفهم.

﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾: (كا).

﴿وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾: (تا) بأحوالهم، فبعد نهيه عمن يجب معاداتهم ذكر من يجب موالاتهم، وهم من نزل فيهم لمَّا تبرأ ابن الصامت من اليهود، أو لمَّا قال ابن سلام للنبي ﷺ: إخواننا بنو قريظة والنضير قد أقسموا أنهم لا يجالسوننا ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: الآية، فقال ابن سلام: رضينا بالله وبرسوله والمؤمنين أولياء(٢).

وقرئ: (إنما تولاكم الله ورسوله).

ومحل ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: رفع صفة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، أو بدل من ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ، أو نصب مدح.

الواو في ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾: (حس) حال، أي: يفعلون الأفعال المذكورة في حال الركوع، أو يؤتون الزكاة في حال ركوعهم؛ لأنَّ عليًّا تصدق بخاتمه وهو في الصلاة فنزلت هذه الآية(٣)، وجيء بلفظ الجمع وإن كانت نازلة في [واحد](٤)؛ ترغيبًا في مثل حاله وإيماءً إلىٰ عظم قدره.

---

(١) أخرجه مسلم(١٧٠٩) .

(٢) انظر «أسباب النزول» (ص/ ١٩٩).

(٣) انظر «أسباب النزول» (ص/ ١٩٩).

(٤) في جـ: الواحد، والمثبت من أ، ب.

الباقر: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ...﴾ الآية إنما نزلت في المؤمنين، فقيل له: إنَّ ناسا يقولون: إنَّها في عليّ، فقال: هو من المؤمنين.

ولم يتم الوقف هنا لأجل الواو في ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ﴾: أي أنصاره وأتباع دينه، وضع ﴿حِزْبَ ٱللَّهِ﴾ موضع المضمر تنبيهًا علىٰ قدرهم؛ لأنَّ حزب الله هم من في المعنىٰ، والغالبون خبر مبتدأ.

تلخيصه فإنَّهم ﴿هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾: (تا) لأنَّه تعالىٰ ناصرهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

ونزل نهيًا عن مودة غير المؤمنين: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: هم اليهود؛ لأنَّهم كانوا يستهزئون بالدين حال من ضمير ﴿لَا تَتَّخِذُواْ﴾، أو من ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الأولىٰ.

القراءة: ﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾: نصبًا عطفًا علىٰ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الأولىٰ.

تلخيصه: لا تتخذوا المستهزئين والكفار ﴿أَوْلِيَآءَ﴾: (كا) وجرًّا عطفًا علىٰ (الذين) الثانية.

وقرئ: (ومن الكفار).

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: ولا توالوهم.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: (حس) حقًا؛ فإنَّ الإيمان حقًا يوجب معاداة أعداء الدين.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا﴾: أي: الصلاة، أو المناداة.

﴿هُزُوًا وَلَعِبًا﴾: لأنَّ اليهود كانوا يقولون للمسلمين عند قيامهم إلىٰ الصلاة:

قاموا لا قاموا، صلوا لا صلوا؛ نصبًا ،استهزاءً.

وقال رجل من نصارىٰ نجران لمَّا سمع المؤذن يقول: «أشهد أنَّ محمدًا رسول الله»: حرق الكاذب فدخل خادمه [عليه ليلًا][1] بنار، فطارت منه شرارة فأحرقته مع بيته وأهله.

﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ وخبره، ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾: (تا) **تلخيصه**: ذلك بسبب جهلهم.

القراءة: ﴿هَلْ تَنقِمُونَ﴾: بكسر القاف من نقم ينقم.

وقرئ: بفتحها [ق/ ١٢٠ب] من نقم ينقم، ومفعول تنقمون الأول ﴿مِنَّآ﴾، والثاني ﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا﴾: المعنىٰ: هل تنكرون منا إلا إيماننا ﴿بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾، ومحل ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾: (تا) نصب عطف علىٰ أن ﴿ءَامَنَّا﴾، أي وما تنكرون إلا إيماننا وفسقكم.

تلخيصه: وما تنكرون إلا مخالفتنا إياكم، أو جر عطف علىٰ ما، أي: وما تنكرون إلا إيماننا بالله وبما أنزل، وبأنَّ أكثركم فاسقون.

وجوَّز بعضهم أن تكون الواو بمعنىٰ «مع» أي: وما تنقمون إلا إيماننا مع فسقكم؛ لأنَّكم أقمتم علىٰ دينكم ولم تسلموا مع علمكم أنَّكم علىٰ الباطل حبًّا للأموال والرئاسة، تلخيص المعاني: أنتم معتدون.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾

والإشارة في ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾: إلىٰ المنقوم، وفي الكلام حذف تقديره: هل

(١) تقديم وتأخير.

أنبئكم بشر من أهل ذلك المنقوم.

﴿مَثُوبَةً﴾: ثوابًا نصب تمييز، ووضعت المثوبة وهي من الإحسان موضع العقوبة توسعًا نحو تحية بينهم ضرب وجيع.

ومحل ﴿عِندَ ٱللَّهِۚ﴾: نصب صفة مثوبة.

ومحل ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾: جر بدل من (بشر)، أو نصب بمضمر دل عليه (أنبئكم)، أي أعرفكم من لعنه الله، أو رفع أي هو من لعنه الله.

﴿وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ﴾: وتعطف على صلة من ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾: (حس) [ق/ ٨١جـ]على **القراءة**: بفتح الياء ونصب التاء تجعل عبد فعلًا، والطاغوت مفعوله، تقديره: من لعنه الله ومن عبد الطاغوت.

القراءة أيضًا: عبد بضم الباء وجر الطاغوت إضافة؛ لأنَّ عبد اسم يدل على الجمع، وليس بجمع كعضد ويقظ، فتنصب عبد بجعل لأنَّه معطوف على (القردة).

وقرئ: (وعابد وعبيد وعبده وعبد) كجمل جمع عابد كخادم وخدم، (وعبدوا الطاغوت) (وعُبِدَ الطاغوت) مجهولًا، أي بينهم وعبد الطاغوت صار معبودًا كأمر الرجل صار أميرًا ، والمراد بالطاغوت الكهنة بدليل ما قرئ: الطواغيت، أو الطاغوت الشيطان، والمراد تسويله، وكل من أطاع أحداً في معصيته فقد عبده.

تلخيصه: من لعنه الله شر عقوبة من غيرهم في الآخرة .

﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾: (كا) وأجوز عن وسط [طريق][1] الحق في الدنيا.
ونزل فيمن كان يدخل على النبي ﷺ ويظهر الإيمان نفاقًا: ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلۡكُفۡرِ وَهُمۡ قَدۡ خَرَجُواْ بِهِۦۚ﴾: (كا)، ومحل ﴿قَدۡ دخلوا﴾ و﴿قَدۡ خَرَجُواْ﴾ حالان من فاعل ﴿قالوا آمنا﴾ ودخلت قد لتقرب الماضي من الحال، أي: قالوا ذلك وهذه

(١) في جـ: الطريق، والمثبت من أ، ب.

حالهم، ومحل (بالكفر) و(به) حالان أيضًا، أي: دخلوا كافرين وخرجوا كافرين، أي: ملتبسين بالكفر.

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكۡتُمُونَ﴾: (كا) من النفاق.

﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ﴾: أي: الشرك، أو المعاصي.

﴿وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾: الظلم، أو الإثم: ما اختص بهم، والعدوان: ما تعداهم إلىٰ غيرهم.

تلخيصه: أكثرهم يبادر إلىٰ ما لا يجوز.

﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾: (حس) [ق/ ٦٩أ] .

﴿ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

ولمَّا تمكن علماء بني إسرائيل من ترك الإنكار علىٰ سفهائهم تمكن [الصانع][1] من صنعته ولم ينكروا قيل: ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾: (تا) .

ولمَّا ضيَّق تعالىٰ علىٰ اليهود، وقلَّت أرزاقهم قال فنحاص: يد الله مغلولة، ولمَّا لم ينكر اليهود علىٰ فنحاص مقالته أشركوا معه فقيل: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾: أي: محبوسة عن إدرار الرزق علينا، نسبوه إلىٰ البخل؛ لأنَّ الغل يستعمل بمعنىٰ البخل، وأصله المنع والدخول من الغل القيد والغلل وهو تدرع الشيء وتوسطه، ومنه انغل بين الشجر: دخل.

ولمَّا كان البخل مستقذرًا وهو من مذام الأخلاق ويدعىٰ به كقوله: بقيت وفري قال داعيًا عليهم: ﴿غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾: أمسكت ومنعت عن فعل الخيرات والكرم وغيره، وأجابهم تعالىٰ أنا الجواد وهم البخلاء، وأيديهم هي المغلولة.

---

(١) في جـ: صانع، والمثبت من أ، ب.

﴿وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾: **وقرئ**: بسكون العين تخفيفًا، أي: أبعدوا وعذبوا بسبب قولهم، أو غلت أيديهم حقيقة بأن يوسروا في الدنيا تخفيفًا، ويدخلوا في الآخرة جهنم مغلولين، ثم ضرب عنهم ردًّا عليهم مبينًا أنَّه ليس ببخيل وأنَّه في غاية الكرم فقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾:

وقرئ: (بسطان) تثنية يد بسط إذا كانت كريمة كناقة سرح[1] ، وليس المراد حقيقة الجارحة المتركبة المتعلقة لغة؛ لأنَّه تعالىٰ منزه عن التركيب، ولا أحب الوقف هنا وإن كانت ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾: (كا) علىٰ مقتضىٰ الحكمة من التوسع والتضييق لا اعتراض عليه جملة استئنافية؛ لأنَّها تأكيد للوصف بالسخاء في المعنىٰ.

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم﴾: أي اليهود.

﴿مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾: أي القرآن.

﴿طُغْيَٰنًا وَكُفْرًاۚ﴾: بالقرآن لحسدهم.

﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾: أي بين اليهود والنصارىٰ.

﴿ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ﴾: (كا).

﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ﴾: أي لحرب النبي ﷺ بإفساد أمره.

﴿أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾: بقهرهم ونصر نبيه، وإيقاد النار مجاز أو تشبيه، أو المراد اليهود أرسل عليهم بخت نصَّر ثم فطرس الرومي، أو هو سابور ذو الأكتاف ثم المسلمون، أو هو عام في اليهود لأنَّهم أذلاء.

تلخيصه: كلما حاربوا غُلِبوا.

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ﴾: (كا) بكفرهم وإضلال غيرهم.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: (حس).

---

(١) ناقة سُرح، ومنسرحة، أي: سريعة.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾

ثم أومأ تعالىٰ إلىٰ سعة رحمته وكثرة ذنوب اليهود وأنَّ الإيمان لا ينفع إلا مقرونًا بالتقوىٰ فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾: (حس)، والمراد: ﴿أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾: العمل بأحكامهما.

﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾: أي: القرآن وجميع الكتب، ومفعول ﴿لَأَكَلُوا۟﴾: محذوف.

﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾: نعته، أي رزقًا مأخوذًا من فوقهم.

﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمۚ﴾: (حس) معطوف عليه، والمراد سعة الرزق، كقولهم فلان في الخير من قرنه إلىٰ قدمه.

تلخيصه: لو عمل اليهود بما في كتب الله تعالىٰ لوسَّعنا عليهم.

ثم فصلهم بقوله: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌۖ﴾: عادلة مؤمنة غير المقصرة في الدين كعبد الله بن سلام وأصحابه، وأصل الاقتصاد: الاعتدال في الشيء.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾: كعب بن الأشرف وأصحابه.

﴿سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾: (تا) بئس شيئًا عملهم.

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًاۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾

ونزل في [العمل][1] الأحكام أو في الحث على الجهاد، أو تعريف اليهود أنهم ليسوا على شيء، أو في رفع صوته؛ لأنَّه ﷺ كان يخافت بالتلاوة بمكة [ق/ ١٢١ب] خوف المشركين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾: ولا تخف إلا الله.

﴿وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ﴾: أي لم تبلغ مجموعه.

﴿فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾: (كا) **القراءة**: رسالته مفردًا وجمعًا إرادة الجنس وأنواعه، المعنىٰ ذنبك بترك تبليغ بعض الرسالة كذنبك بترك تبليغ الكل، وهذا غاية التهديد؛ لأنَّه إذا لم يبلغ الرسالة فقد استحق ذنب من كتم الوحي.

ثم قال مشجعًا له: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ﴾: أي يحفظك ويتكلف بعصمتك.

﴿مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾: (كا) فلا يصلون إليك بقتل ولا غيره.

ونزلت بعد ما شج وجهه، وكسرت رباعيته، والمراد [بالناس][2] الكفار لقوله بعد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: (تا) وكان ﷺ يُحرَس حتىٰ نزلت هذه الآية فقال: «**انصرفوا فقد عصمني الله**»[3].

﴿لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ﴾: من الدين وما أنتم عليه، لا اعتداد به فهو كلا ﴿شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ﴾: (كا).

تلخيصه: لا اعتداد بدينكم وما أنتم عليه حتىٰ تعملوا بجميع أحكام الكتب.

ثم سلىٰ نبيه ﷺ بقوله: ﴿فَلَا تَأۡسَ﴾: فلا تحزن، ﴿عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: (تا) ففي المؤمنين كفاية عنهم.

﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾: رفع مبتدأ وخبر عند سيبويه، وفي الكلام تقديم وتأخير، تقديره

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) في ج:من الناس، والمثبت من أ، ب.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٠٤٦) ، والحاكم(٣٢٢١)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٧٥٠٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: إلىٰ ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: (حس)، والصابئون كذلك كقوله[1]:

وإلا فاعلموا أنا وأنتم   بغاة ما بقينا في شقاق

أي: إنَّا بغاة وأنتم كذلك، والصابئون وخبره عطف علىٰ الجملة قبلها، وهي ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾ إلىٰ ﴿يَحْزَنُونَ﴾، ولا محل لها من الإعراب كما لا محل للجملة المعطوفة عليها، وفائدة التأخير التنبيه أنَّه يتوب علىٰ الصابئين إن تابوا واتقوا مع كثرة ذنوبهم فغيرهم أولىٰ.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًاۖ﴾: (كا)، وجواب ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ﴾: محذوف أي كذبوه يدل عليه.

﴿فَرِيقًا كَذَّبُواْ﴾: بمحمد وعيسىٰ.

﴿وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾: (حس) كيحيىٰ وزكريا، ويقتلون بمعنىٰ قتلوا، وتنصب فريقًا بكذبوا ويقتلون.

القراءة: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: أي: بلية واختبار بنصب «يكون» بـ«أن»

---

(١) القائل هو: بشر بن أبي خازم، ويكنىٰ أبا نوفل، وهو أحد بني أسد بن خزيمة، أحد فحول الشعراء، وشجعان الفرسان، هجا أوس بن حارثة الطائي بخمس قصائد وحدث أن أسره بنو نبهان، ففكَّ أوس أسره، وأنعم عليه، فمدحه بخمس قصائد، مات مقتولًا في إحدىٰ غزواته، وذلك سنة ٢٢ قبل الهجرة، وقيل : سنة ٣٢.
انظر:«ديوان بشر بن أبي خازم» (ص/ ١٦٥).

فتكون حسب بمعنىٰ الشك، وبرفعها علىٰ أن مخففة من الثقيلة، فيكون حسب بمعنىٰ العلم، تقديره علىٰ أنه لا تكون، والساد مسد مفعولي حسب أن والمتصل بها.

تلخيصه: وحسب بنو إسرائيل أنهم لا يفتنون.

﴿فَعَمُواْ﴾: عن الحق فلم يبصروه.

﴿وَصَمُّواْ﴾: عنه فلم يسمعوه بعد موسىٰ.

﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾: ببعث عيسىٰ وأتباعه.

﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾: لكفرهم بمحمد ﷺ.

وقرئ: (عموا وصموا) ضمًّا من عمي وأعماه الله، وصم وأصمه الله وصمَّه نحو زكم وأزكمه الله، قالوا: ولا يقال عميته ولا صممته من الصمم.

والمعنىٰ: رماهم الله بالعمىٰ والصمم.

﴿كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ﴾: (كا) رفع بدل من الضمير قبل، أو خبر مبتدأ، أي أولئك كثير منهم، أو العمىٰ والصمم كثير منهم.

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾: (تا).

﴿رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ﴾: (كا).

﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾: (كا).

﴿مِنۡ أَنصَارٖ﴾: (تا).

﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾: أي أحد ثلاثة، ولا يجوز في مثل هذا إلا الجر، ومن قال: إن الله ثالث ثلاثة ولم يرد الآلهة لم يكفر؛ لقوله تعالىٰ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ

رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:٧]، ولقوله ﷺ: «**ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»[(١)].

﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ﴾: (كا) ومن هنا لاستغراق الجنس، المعنىٰ: وما إله قط إلا واحد وهو الله، وسد مسد جواب الشرط في ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ﴾: وجواب القسم المحذوف.

﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: (حس)[ق/ ٨٢جـ].

قال: ﴿مِنْهُمْ﴾ لأنَّ منهم من لم يكفر، ثم استفهم موبخًا فقال: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ﴾: (كا).

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: (حس)، ثم نفىٰ عن عيسىٰ الألوهية، وأثبت له ولأمَّه البشرية بقوله: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾، ومحل ﴿قَدْ خَلَتْ﴾: أي: مضت.

﴿مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾: فهو يموت ويمضىٰ كما مضوا، ولو كان إلهًا لكان دائمًا رفع صفة رسول.

تلخيصه: ما هو إلا رسول من جنس الرسل الماضين، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ﴾: مبالغة في الصدق، ثم أكد ذلك ثبوت البشرية لهما بقوله: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾: (حس) يعني: يعيشان بالغذاء كالآدميين، ومن لا يقيمه إلا الغذاء لا يجوز أن يكون إلهًا لتركيبه وعجزه وضعفه، أو الأكل كناية عن الحدث؛ لأنَّ من أكل لابد له منه، ثم عجب من كفرهم مع قيام البرهان علىٰ بشريتهما فقال: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْأَيَٰتِ﴾: أي الدلالات علىٰ ذلك، ثم عجب ثانيًا من تركهم الإيمان مع وضوح الدليل فجاء بـ«ثم» للتراخي بين [العجبين][(٢)] فقال: ﴿ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: (حس) كيف يصرفون عن الحق، و﴿أَنَّىٰ﴾ في محل نصب حال العامل فيه ﴿يُؤْفَكُونَ﴾.

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

(٢) في جـ: العجيبين، والمثبت من أ، ب.

﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ
﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ
ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾
كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًاۚ﴾: (كا) هو عيسىٰ وكل معبود غير الله.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: (كا).

﴿لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ﴾: لا تجاوزوا وتنصب ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾: (كا) صفة محذوف، أي غلوا غير الحق، أو حالًا أي: لا تغلوا مجاوزين الحق.

ثم نهىٰ المؤمنين عن اتباع أسلافهم ورؤسائهم من اليهود والنصارىٰ فقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ﴾: باتباعهم الشيطان.

﴿وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾: من أصحابهم.

﴿وَضَلُّواْ﴾: ثانيًا لما بعث النبي ﷺ.

﴿عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾: (تا) بأن كذبوه حسدًا وبغيًا فلعن الكفار.

﴿عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾: والمراد أصحاب أيلة، لعنهم داود فمسخوا قردة وخنازير، ولمَّا شارك عيسىٰ داود في الرسالة عطف عليه فقيل: ﴿وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ﴾: (كا) والمراد أصحاب المائدة، لعنهم عيسىٰ فمسخوا خنازير.

﴿ذَٰلِكَ﴾: المسخ.

﴿بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾: (حس) ولم يتم الوقف هنا؛ لأنَّ ما بعد تفسير للمعصية وهو: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن﴾: معاودة منكر، أو إرادة ﴿مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ﴾: (كا) يقال: تناهىٰ عن الشيء وانتهىٰ عنه: تركه، وتنكيره منكرًا يؤذن أنَّهم لم يوجد منهم إنكار ما علىٰ ذنب ما [ق/ ١٢٢ب].

﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾: (حس) وهذا نهاية التوبيخ علىٰ ترك الإنكار، أيدك

الله تعالىٰ وإيانا بروح منه، قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن علىٰ يد السفيه ولتأطرنه علىٰ الحق أطرًا، أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض، ويلعنكم كما لعنهم**»(١).

﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾: من اليهود كعب بن الأشرف وأتباعه.

﴿يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ﴾: مشركي مكة يستمدونهم علىٰ النبي ﷺ، أو المراد: المنافقون يتولون اليهود.

﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾: من العمل لمعادهم.

ومحل ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: رفع مبتدأ، أي هو أن سخط، أو أنَّ سخط الله مخصوص بالذم وتقديره: لبئس زادهم إلىٰ الآخرة سخط الله عليهم.

﴿وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾: (كا).

ثم وبخهم علىٰ اتخاذ غير المسلمين فقال: ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ﴾: محمد وموسىٰ عليهما السلام حقيقة.

﴿مَا ٱتَّخَذُوهُمْ﴾: أي أعداء الدين.

﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾: (تا) خارجون عن الإسلام.

﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٣٦)، وأبو يعلىٰ (٥٠٣٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٢٦٨)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٩٩٨٣) من حديث ابن مسعود ؓ.

ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا
جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً﴾: تمييز العامل فيها [ق/ ١٧٠أ] ﴿أَشَدَّ﴾.

واللام في ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: متعلقة بعداوة.

وتنصب ﴿ٱلۡيَهُودَ﴾: مفعولًا ثانيًا لتجد الأول أشد.

و لمَّا كان اليهود قريظة والنضير وأصحابهم في عداوة النبي ﷺ والمؤمنين كمشركي مكة عطفوا عليهم فقيل: ﴿وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾: أو المراد جنس اليهود، وجنس المشركين، ولعدم موافقة النصارىٰ المؤمنين واليهود والمشركين صلح الوقف علىٰ (أشركوا)، ولولا عود الضمير المجرور في ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾: إلىٰ الناس لكفىٰ.

واللام في ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ﴾: (كا) متعلقة بمودة، ويدل علىٰ ثبوت مودتهم للمؤمنين أن وصفوا بالعلم والعبادة ورقة القلب وهطلان الدمع في قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي: قرب المودة مبتدأ خبره ﴿بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ﴾: علماء.

﴿وَرُهۡبَانٗا﴾: عبادًا.

﴿وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾: (حس) إن استأنفت ما بعد، أي: لا يتعظمون عن الإيمان، ولا يحسن إن نصبت ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ﴾: بقوله: ﴿تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ﴾: وترفع محل إذا وجوابها عطف علىٰ خبر أنَّ الثانية.

ومحل ﴿تَفِيضُ﴾: حال لأنَّها من رؤية العين.

ومحل ﴿مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾: حال، أي: تفيض مملوءة من الدمع، أو من في﴿من الدمع﴾ ابتدائية، أي: فيضها من كثرة الدمع.

ومن في ﴿مِمَّا عَرَفُواْ﴾: ابتدائية، أي ابتداء الفيض من أجل الذي عرفوه، والمراد وفد النجاشي إلى النبي ﷺ؛ لأنَّهم لما سمعوا القرآن رقت قلوبهم وفاضت عيونهم بالدمع.

وقرئ: (تُرى أعينُهم) مجهولًا، ولا وقف هنا، لأنَّ ﴿يَقُولُونَ﴾: حال من ضمير فاعل ﴿عرفوا﴾ أي: قائلين.

﴿ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: (حس) المقرين بنبوة محمد ﷺ، ولم يتم الوقف هنا؛ لأنَّ اليهود عيروهم بالإيمان، فقالوا منكرين على أنفسهم ترك الإيمان بعد قيام البرهان: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ﴾: وحده، ومحله نصب حال، أي غير مؤمنين نحو ما لك قائمًا، العامل فيها ما في (لنا) من معنى الفعل.

﴿وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾: إلى ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: (كا).

القراءة: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ﴾ وقرئ: (فآتاهم).

﴿ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ﴾ إلى ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: (حس)، والكافرون ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾: (تا).

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

ونزل نهيًا لجماعة من الصحابة رضي الله عنهم حين حلفوا أن يترهبوا ويلبسوا المسوح، ويقوموا الليل، ويصوموا النهار، ويجبوا مذاكيرهم، أو لمن حلف ألاَّ يأكل لحمًا ﴿لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾[1]: (كا) لا تجاوزوا الحلال إلى الحرام.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾: (حس).

قال ﷺ: «**إنَّ خِصاء أمتي الصيام، وإنَّ سِياحَتَهُم الجِهَادُ في سبيلِ اللهِ، وإنَّ**

(١) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٢٠٥).

رهبانيتَهم الجلوسُ في المساجِدِ، وانتظارُ الصلاةِ بعدَ الصلاةِ»[١].

ثم حث علىٰ استعمال الحلال بقوله: ﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾: وتنصب ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾: (كا) مفعول ﴿كُلُواْ﴾، أو حال من ما؛ لأنَّها بمعنىٰ الذي، المعنىٰ: لا تمنعوا عن الحلال الطيب استنانًا بنبيكم، فإنَّه ﷺ أكل الدجاج [والفالوذ][٢] والعسل واللحم وكان يأتي النساء.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾: (تا).

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِىٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِى ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾

ومحل ﴿فِىٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ حال من ﴿ٱللَّغۡوِ﴾ أي ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ﴾: كائنًا.

﴿فِىٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾: واللغو: مالا يعقد عليه القلب، وعند أبي حنيفة هو أن يحلف علىٰ شيء يرىٰ أنه كذلك وليس كما رأىٰ.

القراءة: ﴿عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَ﴾: بألف قبل القاف وعقدتم مخففًا بلا ألف، حلفتم وعقدتم مشددًا مبالغة في اليمين نحو والله الذي لا إله إلا هو، أو شدد لكثرة الحالفين، وليس لتكرير اليمين، فإنَّها تنعقد بمرة واحدة، وعقد اليمين توثيقها باللفظ مع العزم عليها.

---

(١) أخرجه أحمد (٦٦١٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٢) سقط من جـ والمثبت من أ، ب، والفالوذ: من الحلواء هو الذي يؤكل يسوىٰ من لب الحنطة فارسي معرب. «لسان العرب» (٣/ ٥٠٢).

المعنىٰ: إنما يؤاخذكم بيمينكم إذا حنثتم فيها، فحذف إذا حنثتم، الفرزدق:

ولست بمأخوذ بلغو تقوله إذا لم تعد عاقدات العزائم

لدلالة ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾: أي: ستر الحنث، أو العقد، أو اليمين؛ لأنَّ الحلف واليمين واحد؛ لأنَّ الكفارة تدل علىٰ الحنث، ولأنَّ الفاء في (فكفارته) جواب إذا المحذوفة، و(كفارته) مبتدأ وخبره ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾: لكل مسكين مد من غالب قوت بلده، وهو رطل وثلث بالعراقي عند الشافعي، وعند أبي حنيفة نصف صاع بر لكل مسكين، أو صاع من غيره، أو يغديهم ويعشيهم، والشافعي لا يغديهم ويجيز صرف الكل إلىٰ مسكين واحد في عشرة أيام، ولم يجز ذلك الشافعي ولم يجز صرفه إلا إلىٰ حر مسلم، وأجاز أبو حنيفة صرفه إلىٰ العبد وأهل الذمة، ومنعا من صرف الزكاة إلىٰ أهل الذمة.

ولمَّا كان في الناس من يسرف في النفقة علىٰ أهله قال: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ﴾: أي: أقصد الذي تطعمون منه أو تطعمونه ﴿أَهْلِيكُمْ﴾: ومحل ﴿مِنْ أَوْسَطِ﴾ نصب صفة محذوف.

تلخيصه ومعناه: فسترة الحنث أن يطعموا عشرة طعامًا متوسطًا.

وقرئ: (أهاليكم) بسكون الياء تخفيفًا نحو رأيت معدي كرب سكونًا.

﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾: لكل مسكين ثوب واحد سراويل أو قميص أو وقاية ونحوها عند الشافعي، وعند مالك ما تجوز فيه الصلاة.

وقرئ: (كاسوتهم)، فالكاف مرفوعة [ق/ ١٢٣ب] المحل، أي: مثل طعامهم.

﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾: عطف علىٰ إطعام، فالشافعي يشترط الإيمان في عتق الرقبة قياسًا علىٰ كفارة القتل، وأبو حنيفة وأصحابه جوزوا عتق الرقبة الكافرة في جميع الكفارات إلا كفارة القتل، فالحانث مخير بين الإطعام والكسوة والتحرير إن وجد ما يفضل عن قوته وقوت عياله.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾: متتابعات عند أبي حنيفة؛ لأنَّه قرئ كذلك، والشافعي يخير بين ذلك، والتتابع أفضل عنده في أحد قوليه.

مجاهد(١): كل صوم متتابع إلا قضاء رمضان، ولا يجب إلا بعد الحنث.

وجوَّز الشافعي الكفارة قبل الحنث إلا كفارة الصوم؛ لأنَّه بدني، ولم يجز أبو حنيفة الكفارة قبل الحنث.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي المذكور.

﴿كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ﴾[ق/ ٨٣جـ]: والعامل في ﴿إِذَا حَلَفْتُمْ﴾: وحنثتم كفارة؛ لأنَّ المعنىٰ يكفر أيمانكم وقت حلفكم.

﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾: (كا) فلا تنكثوها إن لم تكن علىٰ ترك مندوب أو فعل مكروه فأولىٰ الحنث هنا، والكاف صفة محذوف في كذلك، أي بيانًا مثل ذلك البيان.

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: أي أحكام شرعه.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: (تا).

ولمَّا كان مخالفة الشرع والإقدام علىٰ الإيمان يكون بتسويل الشيطان بيَّن تعالىٰ طرقه علىٰ بني آدم فقال محذرًا منه: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ﴾: الأوثان لنصبهم إياها للعبادة جمع نصب بضم النون وفتحها وسكون الصاد، أو جمع نصب وهىٰ حجارة تصب عليها الدماء.

﴿وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾: هىٰ المستقسم بها.

﴿رِجْسٌ﴾: خبيث مستقذر.

﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: من تزيينه.

﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾: أي: المذكور، أو الرجس.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: (حس).

---

(١) انظر: «الكشاف» (١/ ٦٧٣).

﴿فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ﴾: يتعلق بيوقع، أي ويريد أن يوقع العدواة والبغضاء بينكم بسببهما.

﴿وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ ﴾: **تلخيصه**: إنما يريد إهلاككم.

﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾: (حس) والاستفهام هنا بمعنىٰ الأمر وأبلغ منه؛ لأنَّ الاستفهام عقيب ذكر المعايب أبلغ من الأمر بتركها، كأنَّه قيل: قد بينت لكم المعايب فهل تنتهون عنها مع هذا، أم أنتم مقيمون عليها كأن لم توعظوا؟

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾﴾

﴿وَٱحۡذَرُواْۚ﴾: (كا) المحارم.

﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾: عن الطاعة.

﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾: (حس) ليس عليه غيره، كقوله: ﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ [الشورىٰ:٤٨]، قال ﷺ: «**كل مسكر خمر، إن حتمًا علىٰ الله ألاَّ يشربه عبدٌ في الدنيا إلا سقاه الله طينةَ الخَبالِ يوم القيامة، هل تدرون ما طينةُ الخبالِ؟ قال: عَرَقُ أهلِ النار**»[(١)].

ونزل فيمن استعمل شيئًا من الخمر والميسر من المؤمنين قبل التحريم: ﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾: أكلوا من مال القمار وشربوا الخمر قبل التحريم.

﴿إِذَا مَا ٱتَّقَواْ﴾: الشرك، ﴿وَّءَامَنُواْ﴾: ثبتوا علىٰ الإيمان.

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ﴾: الخمر والميسر بعد التحريم.

---

(١) أخرجه مسلم(٢٠٠٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

﴿وَءَامَنُواْ﴾: ازدادوا إيمانًا.

﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ﴾ محارم الله تعالىٰ ﴿وَّأَحۡسَنُواْۚ﴾: (كا) طاعة الله تعالىٰ.

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: (تا).

﴿لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ﴾، و﴿مِّنَ﴾ في ﴿مِّنَ ٱلصَّيۡدِ﴾: جنسية، أو تبعيض؛ إذ لا يحرم كل صيد، بل صيد البر، ومحلها ومعمولها جر صفة بشيء، والصيد بمعنىٰ المصيد وإن كان في الأصل مصدرًا، المعنىٰ: لتختبرن بصيد.

﴿تَنَالُهُۥٓ﴾: أي: تنال صغاره وبيضه.

﴿أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ﴾: تنال كباره.

وقرئ: (يناله) مذكرًا.

ثم قال معللًا البلوىٰ: ﴿لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ﴾: علم الظهور.

﴿مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾: (كا) فيجتنب الصيد.

﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ﴾: بصيده بعد التحريم.

﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: (تا) قال ابن عباس[1]: يوسّع بطنه وظهره جلدًا، ويسلب ثيابه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾

ونزل في أبي اليَسَر؛ إذ قتل حمارًا وحشيًا وهو محرم ﴿لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ﴾:، ومحل، ﴿وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ﴾: (كا) جمع حرام كردح جمع رداح[2]، رجل حرام وامرأة

(١) انظر «زاد المسير» (١/ ٥٨٤).

(٢) الرداح: المرأة ثقيلة الأوراك والجفنة العظيمة، وكتيبته رداح ثقيلة السير لكثرتها.

حرام عقد الإحرام، أو دخل الحرم، حال من فاعل ﴿تَقْتُلُواْ﴾.

ومحل ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾: حال من الفاعل في قتله، بعضهم: التعمد أن يكون ذاكرًا القتل ناسيًا الإحرام، فلو قتل ذاكرًا القتل والإحرام فلا كفارة له عنده؛ لأنَّ ذنبه أعظم من أن يكون له كفارة، والأكثر أنَّ التعمد أن يكون ذاكر القتل والإحرام، وإن قتله حرام ففيه الكفارة، وكذلك الخطأ تجب فيه الكفارة، وخص المتعمد بالذكر؛ لأنَّه الأصل، ولأنَّ الخطأ تابع للعهد، ولأنها نزلت فيمن قتل صيدًا محرمًا متعمدًا عالمًا، وابن جبير لا يوجب الكفارة بقتل الخطأ لظاهر الآية.

القراءة: ﴿فَجَزَآءٌ﴾: رفع منون مبتدأ.

﴿مِّثْلُ﴾: رفع بدل منه، أو صفة منه، أي فعليه جزاء يماثل المقتول من الصيد، فمحل ﴿مَا قَتَلَ﴾: نصب بمثل، ومحل ﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾: حال من ضمير قتل؛ لأنَّ المقتول من النعم، أو رفع صفة جزاء، أي جزاء كائن من النعم، وبرفع ﴿جَزَآءُ﴾ وجر مثل إضافة فمثل زايد؛ لأنَّه لا يجب إلا جزاء المقتول لا جزاء مثله.

وقرئ: (فجزاءٌ) رفعًا منونًا، ونصب مثل بجزاء.

وقرئ: (فجزاء مثل) بنصبهما، أي فليجز جزاء مثل.

وقرئ: (النعْم) بسكون العين، بعضهم: (النَّعَم): الإبل خاصة، فإذا جمعت فقيل: الأنعام دخل فيها الإبل والبقر والغنم، وبعضهم: (النعْمَ) واحد الأنعام وأكثر ما يقع على الإبل، وبعضهم: النعم والأنعام لفظان يدخل فيهما الإبل والبقر والغنم، وهذا أصح. والمعنى: فعلى قاتل الصيد جزاء من النعم يماثل المقتول من الصيد من حيث الخلقة لا من حيث القيمة.

﴿يَحْكُمُ بِهِۦ﴾: أي الجزاء.

﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾: أي: عدلان من المسلمين، فينظران أشبه الأشياء إلى

المقتول، فيحكمان به عند الشافعي ومحمد، فإن لم يوجد له شبه قالا بقول أبي حنيفة، وهو أنَّه يعتبر قيمة الصيد حيث صيد لا قيمة المثل.

﴿هَدْيًا﴾: حال من الهاء في ﴿بِهِۦ﴾، أو من ﴿جَزَآءٌ﴾ إذا قرئ ﴿مِّثْلُ﴾ مرفوعًا، وجازت عنه الحال لأنَّه قد وصف، أو مصدر، وجاز وصف (هَدْيًا) بقوله: ﴿بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾: لأنَّ إضافته غير حقيقية، والتنوين فيه مقدر، أي بالغًا الكعبة [ق/ ٧١أ]، والمعنىٰ يبلغ بالهدي الحرم فينحر فيه، فالشافعي: يتصدق به في الحرم علىٰ مساكينه، وأبو حنيفة: حيث شاء.

القراءة: أو كفارة طعام رفعًا وجر طعام إضافة تبيين كخاتم حديد، وبرفع كفارة منونًا، ورفع طعام عطف بيان لكفارة، وكفارة عطف علىٰ جزاء، ومن نصب جزاء رفع [ق/ ١٢٤ب] كفارة خبر مبتدأ.

القراءة: ﴿مَسَٰكِينَ﴾: جمعًا.

وقرئ: (مسكين) موحدًا.

﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ﴾: أي الطعام.

﴿صِيَامًا﴾: تمييز نحو لي مثله رجلًا.

القراءة: عدل بفتح العين، وهو مثل الشيء من غير جنسه كالصوم والإطعام.

وقرئ: بكسر العين، وهو مثل الشيء من جنسه، ومنه عِدْلًا الحمل، فكان الفتح تسمية بالمصدر والمكسور بالمفعول به كالذَبْح والذِبْح، والخيار في ذلك إلىٰ الجاني عند الشافعي وأبي حنيفة، وعند محمد إلىٰ الحكمين.

واللام في ﴿لِّيَذُوقَ﴾: متعلقة بالاستقرار في عليه، أي: فعليه الجزاء ليذوق.

﴿وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾: جزاء معصيته، وأصل الوبال الثقل.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾: (حس) قبل تحريم الصيد، أو في الجاهلية.

﴿وَمَنْ عَادَ﴾: إلىٰ ما نهي عنه.

﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ﴾: (كا) جواب الشرط، وارتفع؛ لأنَّه خبر مبتدأ، أي: فهو ينتقم.

ابن عباس[(١)]: لا يحكم على العائد في قتل الصيد، بل يملأ صدره وظهره ضربًا وجيعًا، ونقول له: اذهب فينتقم الله منك، عملًا بظاهر الآية، والفقهاء يحكمون عليه بالكفارة.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾: (تا).

﴿صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ﴾: كل ما صيد منه، والمراد بالبحر جميع المياه.

﴿وَطَعَامُهُۥ﴾: أي: طعام البحر، والمراد المأكول منه، أو صيده طريه وطعامه مالحه، أو صيده ما اصطيد، وطعامه ما رمى به.

وتنصب ﴿مَتَٰعٗا﴾: مفعول له، أو مصدر، أي: تمتيعًا.

﴿لَّكُمۡ﴾: بأن تأكلوه طريًا.

﴿وَلِلسَّيَّارَةِۖ﴾: (حس) المارة بأن يتزودوه لأسفارهم، المعنى: لكم أخذ جميع حيوان البحر، فبعض للانتفاع وبعض للإطعام.

﴿وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ﴾: (كا) **وقرئ**: (حَرَّمَ) معلومًا أي الله.

وقرئ: بكسر الدال من دام يدام، والمحرم على المحرم صيد البر، وهو كل حيوان يحل أكله عند الشافعي، فإنَّه لا يوجب الجزاء فيما لا يؤكل إلا واحدًا، وهو حمار نشأ من وحشي وأهلي، وأبو حنيفة يوجب الجزاء فيما لا يؤكل إلا الحية والعقرب والحدأة والفارة والكلب العقور والذئب.

﴿تُحۡشَرُونَ﴾: (تا).

﴿۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٩٧ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ

---

(١) انظر: «الكشاف» (١/ ٦٨٠).

ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ﴾: سميت كعبة لارتفاعها وانفرادها عن البيوت.

وتنصب ﴿ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾: لأنَّ الله حرم [حرمه و][1] عظم حرمته بدلًا من (الكعبة)، أو عطف [لها][2] علىٰ المدح لا علىٰ التوضيح كمجيء الصفات توضيحًا [للموصوف][3].

القراءة: ﴿قِيَمًا لِّلنَّاسِ﴾: بألف مصدر قام أيضًا، أو مختصر من قيام كخيم من خيام، وجعل هنا بمعنىٰ صير فتنصب (قيامًا)، والمعنىٰ: جعل حج الكعبة وقصدها قيامًا لا من الناس في دنياهم وأخراهم ومعاشهم؛ لأنَّه كان لا يتعرض إلىٰ قاصد البيت.

﴿وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾: أي شهر ذي الحجة لقيام الحج فيه، أو المراد جنس الأشهر الحرم: رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم.

﴿وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ﴾: (كا)؛ لأنهم كانوا يأمنون بتقليد الهدي.

ومحل ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي: جعل الكعبة قيامًا للناس، وما ذكر من تحريم الإحرام والصيد رفع خبر مبتدأ، أي الحكم ذلك، أو نصب أي شرعنا ذلك.

﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ﴾: إلىٰ ﴿بِكُلِّ شَيۡءٍ﴾: من مصالحكم وجميع الوجود.

﴿عَلِيمٌ﴾: (تا) فتتقونه.

﴿شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾: لمن عصاه.

﴿غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾: (تا) لمن أطاعه.

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) في ج: بيان، والمثبت من أ، ب.

(٣) في ج: بالموصوف، والمثبت من أ، ب.

﴿ٱلْبَلَٰغُ﴾: (كا).

﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾: (حس).

﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

ثم أومأ تعالىٰ إلىٰ أن لا مساواة بين [الحلال والحرام][1] ولا نسبة، وتزهيدًا [ق/ ٨٤جـ] في الدنيا بما نزل نهيًا للمسلمين عن الإيقاع بحجاج المشركين، وذكرت قصتهم أول السورة وبقوله: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾: (كا) إلىٰ ﴿تُفْلِحُونَ﴾: (تا).

ولمَّا كثر المؤمنون علىٰ النبي ﷺ السؤال نزل؛ تأديبًا لهم: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾: لم ينصرف أشياء لأجل همزة التأنيث في آخرها كحمراء؛ لأنَّ أصلها عند الخليل وسيبويه شيئاء بهمزتين بينهما ألف، الأولىٰ لام الفعل كالفاء من طرفاء، الثانية منقلبة عن ألف، والتأنيث كهمزة طرفاء فاستثقلوا اجتماع همزتين، وإن وجدت الألف بينهما فلا حكم لها لسكونها، ولأنَّها من جنس الهمزة، فجعلوا اللام وهي الهمزة الأولىٰ قبل الفاء وهي الشين، فصارت أشياء وزن لفعاء، ومما يدل علىٰ أنَّ أصله فعلاء أن جمعوه أشاوىٰ كصحارىٰ، وأصله صحارىٰ بياءين الأولىٰ منقلبة عن الألف الواقعة بعد الراء في صحراء، والثانية منقلبة عن ألف التأنيث التي قلبت همزة في صحراء لاجتماع ألفين؛ لأنَّك إذا كسرت الراء من صحراء في الجمع انقلبت الألف بعد الراء ياء، ووجب زوال الهمزة لزوال جالبها وهو اجتماع ألفين، وإذا كان كذلك فالياء الثانية منقلبة عن ألف لا عن همزة مثل حبلىٰ، ثم خفف فصار صحارىٰ، ثم أبدلت من الكسرة فتحة، ومن الياء ألف، فصار صحارىٰ كمدارىٰ، والأصل مدارىٰ كمساجد، فأصل أشاوىٰ أشايا، وأصل

---

(١) في ب: تقديم وتأخير.

أشايا أشايي بثلاث ياءات الأولىٰ عين الكلمة المتأخرة إلىٰ موضع اللام، والأخريان كاليائين في صحارىٰ، ففعل به كما فعل بصحارىٰ، فصار أشايا، ثم أبدلوا من الياء واوًا فقالوا: أشاوىٰ كقولهم جباوة في جباية، وإذا جاز إبدال بعض الحروف الصحيحة من بعض مع عدم الاستثقال نحو أصيلال وأصيلان، فمع غيرها أولىٰ، وأصلها عند الأخفش أفعلاء؛ لأنَّ مفردها عنده شيّ كهي، ثم خفف فقيل: شيء كهين، ثم جمع فقيل: أشياء وكان أصله أشيئاء كهين وأهوناء، ثم حذفت الهمزة التي هي لام الكلمة، فوزنها الآن عنده أفعاء، وعن غيره أفعال، ولو كان كذلك لا نصرف كأسماء، والصحيح أنَّ أشياء اسم مفرد يدل علىٰ الجمع، وليس بجمع كقصباء وطرفاء.

ومحل ﴿إِن تُبۡدَ لَكُمۡ﴾: أي هذه الأشياء.

﴿تَسُؤۡكُمۡ﴾: الجملة والجملة المعطوفة وهي ﴿وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾: والنبي ﷺ فيكم.

﴿تُبۡدَ لَكُمۡ﴾: جر صفة أشياء، المعنىٰ: لا تكثروا السؤال عن التكاليف الشاقة والأمور الغائبة، فإنَّ ظهورها يشق عليكم، وإن أبيتم إلا السؤال فإنَّها تبد لكم عند نزول القرآن، فتعجزوا عن القيام بها.

تلخيصه: اسكتوا حتىٰ تؤمروا.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ﴾: (كا) عن مسألتكم السالفة، فلا تعودوا لمثلها، قال ﷺ: **«اتركوني ما تركتكم، فإنَّما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالِهم، واختلافِهم علىٰ أنبيائِهم، فإذا أمرتُكم بأمرٍ فخذوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتُكم عن شيء فاجتنبوه»**(١).

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾: (كا) (٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٥٨)، ومسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) جاء في حاشية ب: روي أنه لمَّا نزلت ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ﴾ [آل عمران:٩٧] قال سراقة بن مالك: كل عام؟ فأعرض عنه رسول الله ﷺ حتىٰ أعاد ثلاثًا، فقال: «لا، وإن=

ثم أنذرهم بما جرىٰ لمن تقدمهم فقال: ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾: ليست الهاء براجعة [ق/ ١٢٥ب] إلىٰ (أشياء) لعدم التعدي إليها بعن، بل يرجع إلىٰ ما دل عليه (لا تسألوا)، المعنىٰ: قد سأل هذه المسألة أنبياءهم ﴿قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا﴾: أي صاروا بأحكامها.

﴿كَٰفِرِينَ﴾: لأنَّ بني إسرائيل سألوا أنبياءهم عن أشياء، فأمروا بها فتركوها فهلكوا، بعضهم يرىٰ الوقف هنا صالحًا، وبعضهم كافيًا، وأراه حسنًا.

كانوا جاهلية إذا ولدت الناقة خمسة أبطن بحروا أذنها، أي: شقوها شقًا واسعًا مشبه بالبحر، وتركوها لا ترد عن كلأ، ولا تجز ولا تركب، وهي البحيرة، فإن كان خامس ولدها ذكرًا نُحر، وأكله الرجال والنساء، وإن كان أنثىٰ بحروا أذنها وتركت مع أمها، وحرمت منافعها علىٰ الرجال والنساء، فإن ماتت اشتركوا في أكلها وهي السائبة، أو البحيرة هي أن تتابع الناقة بين ثنتي عشرة أنثىٰ، فتبحر أذنها، وتترك لا تركب ولا تجز ولا ترد عن ماء وكلأ، ولا يشرب لبنها إلا ضيف، فإن أتت بعد ذلك بأنثىٰ بحرت أذنها وتركت مع أمها وهي السائبة، أو السائبة ما ينذرون تسييبه، أو العبد يسيب لا ولاء عليه، وإذا ولدت الشاه سبعة أبطن، فإن كان السابع ذكرًا أكله الرجال والنساء، وإن كانت أنثىٰ تركت في الغنم، وإن كان ذكرًا وأنثىٰ تركت الذكر بسبب الأنثىٰ، وقالوا: وصلت أخاها، وهي الوصيلة، وإذا ركب ولد ولد الفحل أو نتج منه عشرة أبطن قالوا: حمىٰ ظهره فلم يركب، ولم يحمل عليه، ولم يمنع من كلأ وماء وهو الحامي، وأول من سن هذه الأشياء وغيَّر شريعة إسماعيل عمرو بن لحي، فبيَّن تعالىٰ أن لا أصل لهذا في الشرع بقوله:

= قلت: نعم لوجبت، ولو وجبت لما استطعتم، فاتركوني ما تركتكم فنزلت ﴿عَفَا ٱللَّهُ عنها﴾.
وعن ابن عباس أنه عليه السلام كان يخطب ذات يوم غضبان من كبر ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال: لا أُسأل عن شيء إلا أجبت، فقال رجل: أين أنا؟ فقال: «في النار»، وقال آخر: من أبي؟ قال: «حذافة»، وكان يدعي لغيره، فنزلت ﴿قَد سَأَلَهَا﴾.

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝١٠٣ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ۝١٠٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٠٥﴾

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ﴾: أحد مفعولي ﴿جَعَلَ﴾.

﴿مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾: لأنَّ ﴿مِنۢ﴾ زائدة والآخر محذوف، أي: ما جعل الله حيوانًا بحيرة.

﴿وَلَا سَآئِبَةٍ﴾: فاعلة من ساب يسيب جرىٰ، أو فاعلة بمعنىٰ مفعولة.

﴿وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ﴾: الكافرين يكذبون علىٰ الله.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: (حس) تحريم الله وتحليله، فينسبون ذلك إليه.

﴿حَسْبُنَا﴾: مبتدأ خبره ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾: (حس) المعنىٰ: إذا دعي الكفار إلىٰ الإيمان قالوا: كافينا دين آبائنا، لا يحسن الوقف هنا إن جعلت الواو في ﴿أَوَلَوْ﴾: واو الحال دخلت عليها همزة الإنكار، تقديره: أحسبهم دين آبائهم، ولو ﴿كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾: من التوحيد.

﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: (تا) إليه، **تلخيصه:** لا يجوز الاقتداء إلا بالعالم بالمهتدي.

﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: (كا) نصب بعليكم؛ لأنَّها من أسماء الأفعال وقرئ (عليكم أنفسكم) رفعًا خبر أومبتدأ، وسمي الفعل بجميع عليكم بخلاف رويدك، فاسم الفعل رويد وحدها، والكاف للخطاب لا محل لها من الإعراب؛ لأنَّه قد سمع رويد بلا كاف اسمًا للفعل، والمعنىٰ: الزموا صلاح أنفسكم.

﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾: (حس) وليست هذه الآية نازلة في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما ورد أن أبا بكر الصديق قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إنَّ الناسَ إذا رأوا منكرًا فلم يغيِّروه يوشِكُ أن يعمَّهم اللهُ بعذابِه**»(١)،

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢١٦٨)، وابن ماجة (٤٠٠٥)، وأحمد (١٦)،=

وعنه أيضًا: إنكم تعدونها رخصة، والله ما نزلت آية أشد منها.

مجاهد وابن جبير[(١)]: هي في اليهود والنصارىٰ خذوا منهم الجزية واتركوهم.

ابن مسعود[(٢)]: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما قبل منكم، فإن رُدَّ عليكم فعليكم أنفسكم.

وقال ﷺ: **«ائتمروا بالمعروف، وتناهَوا عن المنكر، حتىٰ إذا رأيت شُحًا مطاعًا، وهوىٰ متبعًا، ودنيا مُؤثَرَة، وإعجاب كلِّ ذي رأيٍ برأيِهِ، فعليك نَفْسَك، ودعْ أمرَ العوامِ، فإنَّ وراءكم أيامًا الصبرُ فيهن كقبضٍ علىٰ الجمرِ، للعاملِ فيهن مثل أجر خمسين رجلًا منكم يعملون مثل عمله»** [(٣)].

وروي أنه قيل له ﷺ: خمسين منهم؟ قال: **«خمسين منكم»**، وعن ابن مسعود أنَّه لم يأت زمانها بعد، قيل: فمتىٰ زمانها؟ قال: إذا جعل دونها السيف والسوط والسجن، ويجوز أن يقال: هذا زمانها، وبالجملة فلا يدع الإنسان الإنكار ما استطاع.

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: (تا).

لمَّا سافر تميم بن أوس الداري وعديّ بن بدَّاء[(٤)] إلىٰ الشام ومعهما بديل بن

= وابن حبان(٣٠٥)، والبزار (٦٥)، وأبو يعلىٰ (١٢٨)، والطبراني في «الأوسط» (٢٥١١)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٩٩٧٦) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٩٦).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٩٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، وابن ماجة (٤٠١٤)، وابن حبان(٣٨٥)، والحاكم(٧٩١٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٢٢٠) حديث (٥٨٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٥٥٣)، وفي «السنن الكبرىٰ» (١٩٩٨٠) من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه.

(٤) عدي بن بدّاء: بتشديد الدال قبلها موحدة مفتوحة.

له ذكر في قصة تميم الدّاريّ في نزول قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ﴾ [المائدة: ١٠٦]، وقد تقدم ذلك في ترجمة بديل بن أبي مريم، وفيه قول تميم:=

مارية، أو ابن أبي مريم مولىٰ عمرو بن العاص ومعه متاع في خرج، فلمَّا ثقل في مرضه دفع إليهما الخرج ليوصلاه إلىٰ مواليه، وكتب كتابًا بتسمية متاعه، وألقاه في الخرج ففتشاه، وأخذ منه إناء يساوىٰ ثلاثمائة مثقال، فلمَّا أوصل الوديعة فتش أصحابها الخرج وقرؤوا الكتاب، [ففقدوا][1] الإناء [وطالبوهما][2] به، فقالا: ما رأينا شيئًا واختصموا [ق/ ٧٢أ] فنزل:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ

=

يرىٰ الناس منها غيري وغير عدي بن بدّاء، وكانا نصرانيين يختلفان بالتجارة.
وأما عديّ، فقال ابن حبان: له صحبة.
وأخرجه ابن منده، فأنكر عليه ذلك أبو نعيم، وقال: لا يعرف له إسلام.
قال ابن عطيّة: لا يصح لعدي عندي صحبة. وقد وضعه بعضهم في الصحابة، ولا وجه لذكره عندي فيهم.
وقوّىٰ ذلك ابن الأثير بأن السياق عند ابن إسحاق: فأمرهم رسول الله ﷺ أن يستحلفوا عديّا بما يعظم علىٰ أهل دينه.
قلت: وإنما أخرجته في هذا القسم، لقول ابن حبان، فقد يجوز أن يكون أطلع علىٰ أنه أسلم بعد ذلك، ثم وجدت
في تفسير مقاتل بعد أن ساق القصة بطولها: فقال النبيّ ﷺ لتميم: ويحك يا تميم، أسلم يتجاوز الله عنك فأسلم وحسن إسلامه.
ومات عدي بن بدّاء نصرانياً.
تنبيه: والّذي عندي أن بداء، بفتح الموحدة وتشديد الدال مقصور، وقيل: ممدود.
ورأيته بخط الخطيب في سياق القصة عن تفسير مقاتل عديّ بن بندا، بنون بين الموحدة والدال. والله أعلم.
«الإصابة في تمييز الصحابة» (٤/ ٣٨٧).

(١) في ب: فقدوا، والمثبت من أ، جـ.
(٢) في جـ: فطالبوهما، والمثبت من أ، ب.

ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ الآية[1]: **القراءة**: برفع (شهادة)، وإضافتها إلىٰ (بينكم) مبتدأ خبره ﴿ٱثْنَانِ﴾: أو اثنان رفع بشهادة، رفع الفاعل بفعله، تقديره: فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان، والمراد باثنان الشاهدان علىٰ الوصية، أو المراد الوصيان؛ لأنَّ الآية فيهما نزلت، ولأنَّ الشاهد لا يلزمه يمين، والوصية لواحد تصح، وجاء باثنين توكيدًا، فالشهادة بمعنىٰ الحضور نحو وليشهد عذابهما.

وقرئ: (شهادة) رفعًا منونًا، ونصب (بينكم) ظرفًا و(شهادة) نصب، ونصب (بينكم)، أي: ليقم شهادة اثنان.

﴿إِذَا حَضَرَ﴾: ظرف للشهادة.

﴿حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ﴾: بدل من ﴿إِذَا حَضَرَ﴾.

وقوله: ﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾: أي: أمانة ودين صفة (اثنان)، وكذلك ﴿مِّنكُمْ﴾: أي: من أقارب الميت؛ لأنَّهم أعرف بأحوال الميت وأنصح له، أو المراد بمنكم أي من المسلمين، ويعطف علىٰ اثنان ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ﴾: أي أجانب.

﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾: أي من غير ملتكم، وشهادة أهل الذمة منسوخة عند أكثرهم بقوله: ﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[2] [الطلاق:٢]، وجازت في أول الإسلام لقلة

---

(١) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٢١٣).

(٢) قال القاضي البيضاوي في «تفسيره» (٢/ ١٤٨) : أراد الوصية ينبغي أن يشهد عدلين من ذوي نسبه أو دينه علىٰ وصيته، أو يوصي إليهما، احتياطًا فإن لم يجدهما بأن كان في سفر فآخرين من غيرهم، ثم إن وقع نزاع وارتياب أقسما علىٰ صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت، فإن اطلع علىٰ أنهما كذبا بأمارة أو مظنة حلف آخران من أولياء الميت، والحكم منسوخ إن كان الاثنان شاهدين، فإنَّه لا يخلف الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت إن كانا وصيين ورد اليمين إلىٰ الورثة إما لظهور خيانة الوصيين فإن تصديق الوصي=

المسلمين وتعذر الشهود، والمعنىٰ: ليشهد الميت عند مشارفة الموت عدلين، ثم اعترض بين آخران وصفته بقوله: ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ﴾[ق/ ٨٥جـ]: أي: سافرتم(١).

﴿فِي ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾: أي: أسبابه وشدائده، ولا محل للشرط وجوابه من الإعراب؛ لأنَّه اعتراض وجوابه محذوف، وهو (فأشهدوا اثنين) وصفته آخران.

﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾: أي: آخران محبوسان.

﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾: أي صلاة العصر، وخصت بالعصر؛ لأنَّ العادة أن يُحْلَف بعدها لشرف ذلك الوقت، أو تحبسونهما [ق/ ١٢٦ب] جملة استئنافية، فيحسن الوقف علىٰ ﴿ٱلْمَوْتِ﴾، كأنه قيل: كيف نصنع إن ارتبنا فيهما؟ فقيل: تحبسونهما، وتعطف علىٰ ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾ ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾: ثم اعترض بين (يقسمان)

= باليمين لأمانته أو لتغيير الدعوىٰ.

(١) قال الطحاوي : قَالَ أَصْحَابنَا وَالشَّافِعِيّ وَمَالك: لَا تجوز شَهَادَتهم علىٰ ذَلِك فِي سفر وَلَا حضر

وَقَالَ ابْن أبي ليلىٰ والأوزاعي: تجوز فِي السّفر.

وروىٰ عَن ابْن عَبَّاس فِي قَوْله تَعَالَىٰ : ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة:١٠٦] من غير الْمُسلمين من أهل الْكتاب.

وَعَن أبي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيّ وَشُرَيْح أَن ذَلِك جَائِز فِي السّفر.

وَعَن ابْن سِيرِين وَسَعِيد بن جُبَير ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ من أهل دينكُمْ.

وَقَالَ الْحسن: عَن غير قومكم وَهُوَ خلاف قَول جَمِيع من تقدم.

فَإِن قيل: لما قَالَ ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أَرَادَ الْمُسلمين؛ لِأَن الْكفَّار لَيْسُوا من أهل الصَّلَاة.

قيل لَهُ:إِن أهل الْكِتَابَيْنِ يعظمون ذَلِك الْوَقْت فِي النَّهَار علىٰ غَيره يَعْنِي من بعد الْعَصْر.

وروىٰ عَن إِبْرَاهِيم ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ من غير دينكُمْ ،وَهِي مَنْسُوخَة، وَعَن الزُّهْرِيّ مثله.

«مختصر اختلاف العلماء» (٣/ ٣٤٠).

وجوابه ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾: وجواب ﴿إن ارتبتم﴾ محذوف، تقديره: إن شككتم فيهما فحلفوهما، وبعضهم يقف علىٰ ﴿يُقۡسِمَانِ﴾ ويبتدئ بالله قسمًا، ولا أحبه، وجواب ﴿يُقۡسِمَانِ﴾ : ﴿لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ﴾: أي: بالله، أو بالقسم، أو بتحريف الشهادة.

﴿ثَمَنًا﴾: أي: شيئًا من حطام الدنيا.

﴿وَلَوۡ كَانَ﴾: المشهود له.

﴿ذَا قُرۡبَىٰ﴾: صاحب قرابة، وتعطف علىٰ ﴿لَا نَشۡتَرِي﴾: ﴿وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾: وأضيفت الشهادة إلىٰ الله تعالىٰ لأمره بها.

وقرئ: (شهادة) نصبًا منونًا وقطع الهمزة من الله وجر الهاء بحرف القسم المقدر من غير مد؛ لأنَّه لم يعوض من حرف القسم همزة، ووقف بعضهم علىٰ شهادة ثم ابتدأ الله مدًّا وجرًّا علىٰ تعويض حرف الاستفهام من حرف القسم.

تلخيصه: عليكم أن توصوا وتشهدوا، فإن اتهم الورثة الشاهدين أو الوصيين حلفوهما، قالوا: وتحليف الشاهدين مع التهمة منسوخ، وتحليف الوصيين غير منسوخ.

﴿إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ﴾: إنا حلفنا كاذبين، لا أحب الوقف هنا لاتصال الكلام فاستحلفهما النبي ﷺ عند المنبر بالذي لا إله إلا هو أنهما لم يختانا شيئًا مما دفع إليهما، فحلفا فخلَّىٰ سبيلهما، ثم ظهر أنهما باعا الإناء فرفعا إلىٰ النبي ﷺ فنزل ﴿فَإِنۡ عُثِرَ﴾[1]: أي: اطلع، وأصل العثور: الوقوع في الشيء.

ومحل ﴿عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا﴾: أي الوصيين.

﴿ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا﴾: والمراد الوصيان اللذان سرقا الإناء، والمعنىٰ: فعلا فعلًا يوجب لهما الإثم، وهو خيانتهما وكذبهما، رفع مفعول ﴿عُثِرَ﴾ المجهول.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١١/ ١٦٨).

﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾: خبر مبتدأ، تقديره: فالشاهدان آخران من أولياء الميت.

﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾: أي: مقام الوصيين اللذين خانا.

القراءة: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُحِقَّ﴾: بضم التاء وكسر الحاء وضم الهمزة في الابتداء مجهولًا، الفاعل ضمير يرجع إلىٰ (إثمًا)، تقديره: استحق.

﴿عَلَيْهِمُ﴾: الإثم فيرفع ﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾: (كا) بدلًا من الضمير في ﴿يَقُومَـانِ﴾، أو خبر مبتدأ، أي هما الأوليان، أو القائم مقام الفاعل ﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾، وفي الكلام حذف تقديره: عليهم إثم الأوليين؛ لأنَّ الأوليان لا يستحقان أنفسهما، إنما يستحق الإثم، والمعنىٰ من الذين جنىٰ عليهم فاستحق الوصيان بسببهم الإثم، أو تكون علىٰ بمعنىٰ في، أو من كقوله: ﴿إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [المطففين:٢] أي منهم، وبفتح التاء والحاء معلومًا أسند الفعل إلىٰ الأوليان، فرفعا به، أي: من الذين استحق عليهما الأوليان بالميت وصيته التي أوصىٰ بها إلىٰ غير أهل دينه.

القراءة: الأوليان تثنية أولىٰ، أي: أحق بالوصية علىٰ الميت، أو أحق بالشهادة عليه من غيره، والأولين جمع أول، وقيل لهم: أوليان لتقدم ذكرهم في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾، وهو مجرور صفة الذين استحق، أو نصب مدح.

وقرئ: (أولين) جمع أولىٰ، وتعطف علىٰ (يقومان): ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾: وجواب يقسمان ﴿لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا﴾: مبتدأ وخبر، المعنىٰ: إذا ظهرت خيانة الحالفين يقوم اثنان آخران من قرابة الميت، فيحلفان بالله أنَّ يميننا أحق من يمينهما كقوله: ﴿فَشَهَـٰدَةُ أَحَدِهِمْ﴾ أي يمينه.

﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾: في قولنا: إنَّ شهادتنا أحق من شهادتهما؛ لأنَّ المراد بالشهادة هنا اليمين.

تلخيصه: ليقم الأوليان بالميت حالفين مقام هذين الخائنين، ويقولان: ﴿إِنَّـآ

إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (حس) إن حلفنا كاذبين، فقام عمرو بن العاص والمطلب بن وداعة السهميان وحلفا بعد صلاة العصر، فدفع الإناء إليهما وإلىٰ أولياء الميت، وانتقلت اليمين إلىٰ أولياء الميت؛ لأنَّ الوصيين ادعيا أنهما اتباعاه، والوصي إذا أخذ شيئًا من مال الميت وادعىٰ أنَّه أوصىٰ به له حلف الوارث إن اتهمه، كما لو ادعىٰ رجل سلعة في يد رجل، فاعترف الرجل ثم ادعىٰ أنه اشتراها من المدعي حلف المدعي أنَّه لم يبعها منه، وأبو حنيفة وأصحابه لا يرون رد اليمين علىٰ المدعي، فكأنَّهم يحملون هذا علىٰ النسخ.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي: المحكوم به من رد الشهادة علىٰ الخائنين.

﴿أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟﴾: أي: الأوصياء، أو الشهود ﴿بِٱلشَّهَٰدَةِ﴾.

ومحل ﴿عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾: نصب حال من ﴿بِٱلشَّهَٰدَةِ﴾، أي: يأتوا بها محققة، وتعطف علىٰ ﴿أَن يَأْتُوا۟﴾: ﴿أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾: (كا)، تقديره: أقرب أن يخافوا رد اليمين بعد يمينهم علىٰ المدعين، فيحلفون علىٰ خيانتهم وكذبهم فيفتضحون ويغرمون، فلا يحلفون كاذبين.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟﴾: (كا) سماع قبول.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: لا وقف هنا إن نصبت.

﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾: هو يوم القيامة ظرفًا ليهدي، أي: لا يهديهم إلىٰ الجنة

يومئذ أو لاتقوْا، أو مفعول «اسمعوا»، أي: اسمعوا خبر يومئذ، ويحسن إن نصبته بمضمر، أي اذكروا يوم يقول تعالىٰ للرسل توبيخًا لمكذبيهم: ﴿مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ﴾: وتنصب ماذا بأجبتم نصب المصدر بمعنىٰ أيَّ إجابة أجبتم؟.

ولمَّا علم الرسل أن سؤالهم توبيخ للكفار كقوله: ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ﴾ [التكوير:٨:٩]، ﴿قَالُواْ﴾: أي [ق/ ١٢٥ جـ] يقولون ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآۖ﴾: (كا) إثباتًا للحجة علىٰ المكذبين.

ابن عباس(١): لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منَّا.

وقرئ: بها، أو لا علم لنا مع علمك، ويجوز أن يقال: لا علم لنا يماثل علمك، أو أن أفهامهم تعزب عنهم ثَمَّ لهوله وشدته.

مجاهد(٢): إنَّ للقيامة أهوالًا وزلازل تزول فيها القلوب عن مواضعها، فيفزعون من هول ذلك اليوم، ويذهلون عن الجواب، ثم بعد ما ثابت إليهم عقولهم يشهدون علىٰ أممهم، ثم يقولون: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾: تعلم ما غاب.

وقرئ: (علام) نصبًا؛ اختصاصًا، كأنَّه وقف علىٰ ﴿إِنَّكَ أَنتَ﴾، ثم ابتدأ ﴿عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾، أو نداء، أو صفة لاسم إنَّ يتم الوقف هنا إن لم تبدل من ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ﴾: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ﴾.

ومحل ﴿إِذۡ أَيَّدتُّكَ﴾: **وقرئ**: (آيدتك) [ق/ ١٢٧ب] مدًّا: قويتك حال من ﴿نِعۡمَتِي﴾.

ومحل ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ﴾: حال من الكاف في أيدتك.

﴿وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ﴾: أي: مثل صورته.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢١١).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١٠٠).

﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾: الهاء يرجع إلىٰ الكاف، وهي اسم نصب مفعول ﴿تخلق﴾ في ﴿كَهَيْـَٔةِ﴾؛ لأَنَّها صفة الهيئة التي خلقها عيسىٰ ونفخ فيها، ولا يرجع إلىٰ الهيئة المضاف إليها؛ لأَنَّها ليست من خلق عيسىٰ، ولا من نفخه بشيء، ومثله الضمير في ﴿فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى﴾: بتسهيلي وإرادتي.

﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾: عطف علىٰ ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ﴾.

﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: أحياء.

﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾: إذ هموا بقتلك، كلها عطف علىٰ ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾.

القراءة: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: بألف اسم فاعل وبغير ألف، وصف بالسحر؛ لكثرة ملابسته له هنا وهود والصف، فالإشارة هنا والصف لعيسىٰ، وفي هود لمحمد ﷺ، ولا وقف هنا لعطفك ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾: أي: ألهمت، لا أحب الوقف علىٰ ﴿بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾: إن نصبت ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾: ظرفًا لـ﴿مسلمون﴾، ويحسن إن نصبته بمضمر تقديره: واذكر وقت قول الحواريين.

﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾: «عيسىٰ» نصب تقديره إتباع لحركته حركة ﴿ابن﴾، نحو: يا زيد بن عمرو، هذا الأشهر، ويجوز ضمه بناءًا نحو: يا زيد بن عمرو.

ولمَّا شكوا ولم يخلص إيمانهم قالوا: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: (كا) أو أنهم لم يشكوا، وإنما طلبوا نفس الفعل، كقولك لصاحبك:

هل يستطيع القيام معي وأنت تعلم أنَّه قادر علىٰ القيام، وإنما تريد قيامه، أو يستطيع بمعنىٰ يطيع كاستجاب بمعنىٰ أجاب، أي هل يطيعك ربك.

القراءة: هل يستطيع ربك بإظهار اللام ورفع الباء أي هل يقدر، أو هل يفعل؟ وبإدغام اللام ونصب الباء، أي: هل تستطيع سؤال ربك؟ فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.

والمائدة: الخوان عليه الطعام من ماد يميد تحرك لتحركها، أو من ماده يميده: أعطاه، فكأنها تعطي الآكلين الطعام، ويسمىٰ الطعام مائدة مجازًا؛ لكونه عليها، ومما يؤكد أنهم كانوا شاكين قول عيسىٰ لهم: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: (كا).

﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾: بأنَّك رسوله وتعلم.

وقرئ: (ويُعلم) مجهولًا، وتعلم أي قلوبنا.

﴿أَن﴾: هي المخففة من الثقيلة، واسمها محذوف عوضوا منه.

﴿قَدۡ صَدَقۡتَنَا﴾: أو مصدرية.

﴿وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[ق/ ٨٦جـ] : (حس) لله بالوحدانية والقدرة ولك بالنبوية والرسالة، أو من الشاهدين لك عند بني إسرائيل فثَمَّ :

﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾

﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: صفة مائدة.

﴿تَكُونُ﴾: خبر تكون ﴿لَنَا عِيدٗا﴾: حال من ضمير ﴿تَكُونُ﴾ عند من ينصب الحال بكان، أو خبر تكون عيدًا، فمحل ﴿لَنَا﴾ حال من ضمير ﴿تَكُونُ﴾، وإن

جعلت ﴿لَنَا﴾ خبرًا أو حالًا من ضمير تكون نصبت .

﴿لِّأَوَّلِنَا﴾: لمن في زماننا.

﴿وَءَاخِرِنَا﴾: لمن يأتي بعدنا صفة ﴿عِيدًا﴾ من عاد يعود رجع، أي: أنها تعود إلينا مرة بعد مرة، أو المعنىٰ: نتخذ ذلك اليوم عيدًا، قالوا: نزلت يوم الأحد، فلذلك اتخذوه النصارىٰ عيدًا، وإن جعلت لنا صفة عيدًا مقدمة عليه جعلت ﴿لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ وقرئ: (لأولانا وأخرانا) إرادة الطائفة، والميم في ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ عوض من حرف النداء، ومجيئه باللهم وبربنا نداء بعد نداء، إيذان بشدة حرصه علىٰ نزول المائدة.

ثم أكد ذلك بقوله: ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: (حس) فأجيبوا إلىٰ ذلك [ق/ ٧٣أ]، إكرامًا لعيسىٰ وإثباتًا للحجة عليهم.

القراءة: ﴿مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾: مخففًا ومشددًا تكثيرًا؛ لأنَّها نزلت مرات.

﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ﴾: نزولها.

﴿فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا﴾: مصدر لوقوعه موقع تعذيب، والهاء في ﴿لَّآ أُعَذِّبُهُۥ﴾ للمصدر الواقع موقع تعذيب، والمعنىٰ: لا أعذب مثل تعذيب الكافر بالله، وبعيسىٰ بعد نزول المائدة.

﴿أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: (حس) عالمي زمانهم، ويجوز أن يراد جميع العالم ليكون أزجر لهم عن الكفر.

زعم بعضهم أنَّ المائدة لم تنزل(١)، والصحيح أنَّها نزلت، روي أنَّ عيسىٰ لمَّا

---

(١) قال البغوي : اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْمَائِدَةِ هَلْ نَزَلَتْ أَمْ لَا، فَقَالَ مُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ: لَمْ تَنْزِلْ فإن اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا أَوْعَدَهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بَعْدَ نُزُولِ الْمَائِدَةِ، خَافُوا أَنْ يَكْفُرَ بَعْضُهُمْ فَاسْتَعْفُوا، وَقَالُوا: لَا نُرِيدُهَا، فَلَمْ تَنْزِلْ، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾، يَعْنِي: إِنْ سَأَلْتُمْ، وَالصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ الْأَكْثَرُونَ أَنَّهَا نَزَلَتْ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾، وَلَا خُلْفَ في خبره ولِتَوَاتُرِ الْأَخْبَارِ فِيهِ عَن رسُولِ اللهِ ﷺ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِين.
«تفسير البغوي» (٢/ ١٠٣).

سألوه نزول المائدة لبس صوفًا وتضرع وبكىٰ، وقال: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين من فوقها [ومن تحتها][1]، وهم ينظرون وهي تهوي منقضة، حتىٰ سقطت بين أيديهم، فبكىٰ عيسىٰ وقال: اللهم اجعلني من الشاكرين، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة، فقال عيسىٰ: ليقم أحسنكم عملًا فيكشف عنها ويذكر اسم الله تعالىٰ، فقال شمعون: أنت أولىٰ بذلك، فقام عيسىٰ فصلىٰ وبكىٰ طويلًا، ثم كشف المنديل عنها وقال: بسم الله خير الرازقين، فإذا هو بسمكة ليس عليها قلوسها تسيل دسمًا، وعند رأسها ملح، وعند ذنبها خل، وحولها من جميع ألوان البقول ما خلا الكراث، وخمسة أرغفة علىٰ واحد زيتون وواحد عسل وواحد سمن وواحد جبن وواحد قديد، فقال شمعون: أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة؟ فقال عيسىٰ: ليس منهما، ولكنَّه شيء افتعله الله بالقدرة الغالبة، كلوا مما سألتم يمددكم ربكم، فقالوا: كن أول آكل منها، فقال: معاذ الله أن آكل، لكن يأكل منها من سألها، فخافوا، فلم يأكلوا فأطعمها القافلة، وكانوا أكثر من ألف فيهم المرضىٰ والفقراء، فأكلوا حتىٰ شبعوا، وإذا هي كهيئتها يوم نزلت، ثم طارت وما أكل منها فقير إلا استغنىٰ، ولا مريض إلا عوفي، فكانت تنزل ضحىٰ، فيأكل منها الأغنياء والفقراء، فإذا فاء الفيء طارت، فأوحىٰ تعالىٰ إليه أن اجعل رزقي في الفقراء دون الأغنياء، ففعل فعظم علىٰ الأغنياء، فشكوا وشككوا فيها فمسخوا خنازير، وروي قردة وخنازير ثم هلكوا أجمعون.

قالوا: ولمَّا رفع عيسىٰ إلىٰ السماء قال الله تعالىٰ له: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى﴾: أي؛ صيروني.

﴿وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: (كا)، والصحيح أنَّ هذا القول إنما يقال له يوم القيامة؛ لأنَّ هذا استفهام توبيخ وإثبات للحجة علىٰ قوم عيسىٰ؛ لأنَّه تعالىٰ عالم

---

(١) في ب: وتحتها، والمثبت من أ، ج.

أنَّ عيسىٰ لـم يقل ذلك، قالـوا: فإذا سمع عيسىٰ هـذا الخطاب [ارتعدت][(١)] مفاصله، وانفجرت من أصل كل شعره عين دم، ثم ﴿قَالَ﴾: منزهًا مبرهنًا عن نفسه: ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾: تنزيهك عن الشريك.

﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ﴾: اسم ليس مضمر فيها و﴿لِي﴾ خبرها، و(بِحَقٍّ) حال من الضمير في الظرف، أو ﴿بِحَقٍّ﴾ خبرها و﴿لِي﴾ تبيين نحو: سقيا له، المعنىٰ: ما ينبغي لىٰ قول ما لم يثبت لي قوله، وزعم بعضهم أنَّ ﴿حَقٍّ﴾ اسم الله تعالىٰ، فيقف علىٰ ﴿لِي﴾ ويبتدئ مقسمًا ﴿بِحَقٍّ﴾.

﴿إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ﴾: وهذا ماضٍ لفظًا مستقبل معنىٰ؛ لأنَّ حق الشرط الاستقبال، وجواب القسم ﴿فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ﴾: (حس) إن استأنفت ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي﴾: أي: غيبتي.

﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾: (كا) غيبك، ويجوز أن يقال: كنىٰ بالنفس عن الغيب؛ لأنَّ حقيقة النفس لا تشاهد كالغيب.

تلخيصه: تعلم معلومي، ولا أعلم معلومك.

﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾: (كا).

﴿ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١١٧ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١١٨ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ١٢٠ ﴾

﴿مَا قُلۡتُ﴾: ما ذكرت.

﴿لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ﴾: المعنىٰ: ما أمرتهم إلا بما أمرتني به.

---

(١) في ب: أرعدت، والمثبت من أ، ج.

ثم فسر ما أمر به فقال: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ﴾: و«أن» مصدرية محلها جر عطف بيان للهاء في ﴿بِهِۦٓ﴾، أو رفع بإضمار هو، أو نصب بـ«أعني».

﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا﴾: رقيبًا أمنعهم من الكفر.

﴿مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ﴾: (كا).

﴿فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾: (كا). ﴿شَهِيدٌ﴾: (تا).

﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ﴾: أحقاء بالتعذيب؛ لأنَّك المالك المتصرف[1].

﴿وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾: للمؤمنين منهم.

تلخيصه: إن تعذب فعدل، وإن تغفر ففضل.

﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾: (تا).

القراءة: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ﴾: رفعًا خبر هذا، ولم يبن لإضافة إلىٰ معرب ونصبًا ظرفًا لخبر هذا، وهو محذوف تقديره ومعناه: هذا المذكور من كلام عيسىٰ يقع يوم ﴿يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ﴾: (كا)، والكوفي يجعل ﴿يَوۡمِ﴾ مرفوعًا لكنَّه بني

---

(١) **قال الواحدي**: وقال ابن الأنباري: هذا علىٰ التبعيض، أي: إن تعذب بعضهم الذين أقاموا علىٰ الكفر فهم عبادك، وإن تغفر لبعضهم الذين انتقلوا عن الكفر إلىٰ الإسلام فأنت في ذلك قاهر غالب عادل لا يعترض عليك معترض.

وهذا اختيار الزجاج لأنه قال: والذي عندي: أنَّ عيسىٰ عليه السلام قد علم أنَّ منهم من آمن ومنهم من أقام علىٰ الكفر، فقال عيسىٰ في جميعهم: إن تعذب من كفر بك فإنهم عبادك، أنت العادل فيهم، وإن تغفر لهم لمن أقلع منهم وآمن فأنت في مغفرتك لهم عزيز لا يمتنع عليك ما تريد، حكيم في ذلك. انتهىٰ كلام الواحدي، وعزا صاحب الكشاف الضمير في «لهم» للكفار، وتبعه أكثر المفسرين، قال القاضي: أي إن تعذبهم فإنك تعذب عبادك ولا اعتراض علىٰ المالك المطلق فيما يفعل بملكه، وفيه تنبيه علىٰ أنهم استحقوا ذلك لأنهم عبادك وقد عبدوا غيرك ﴿وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ فلا عجز ولا استقباح فإنك القادر القوي علىٰ الثواب والعقاب، الذي لا يثيب ولا يعاقب إلا عن حكمة وصواب فإنَّ المغفرة مستحسنة لكل مجرم، فإن عذبت فعدل وإن غفرت ففضل.

«التفسير الوسيط» (٢/ ٢٤٨).

لإضافته إلىٰ الفعل، وإن [كان الفعل][(١)] معربًا ولم يجزه البصري.

وقرئ: (يومٌ ينفع) برفع الميم منونًا نحو ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِى﴾ [البقرة :٤٨].

وقرئ: ﴿صدقهم﴾ نصبًا مفعول له، أو علىٰ تقديره حذف حرف الجر، أي لصدقهم، أو بصدقهم فيكون في ﴿يَنفَعُ﴾ ضمير فاعل يرجع إلىٰ الله.

المعنىٰ: انتفعوا بصدقهم في الدنيا المستمر إلىٰ ذلك اليوم.

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾: (تا).

﴿قَدِيرُۢ﴾: (تا).

---

(١) في جـ: فعل، والمثبت من أ، ب.

سورة (الأنعام)

مكية إلا ست آيات وهي: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ...﴾ الثلاث، وقوله: ﴿۞قُلْ تَعَالَوْاْ﴾ إلىٰ ﴿تَتَّقُونَ﴾، نزلت ومعها سبعون ألف ملك يسبحون ويحمدون، وهي مائة وستون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾﴾

فبعد ختم المائدة بذكر القيامة وجمع الرسل، وقولهم وقوله، دل علىٰ قدرته علىٰ ذلك بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: خصا بالذكر لأنَّهما أعظم المخلوقات ومحلها ﴿وَجَعَلَ﴾: أي أوجد.

﴿ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾: وإيجادها بعد السموات والأرض يؤكد ذلك أنَّ الخلق التقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء، والجعل هو إنشاء شيء من شيء أو تصييره شيئًا آخر، زعموا أنَّ النور من النار، والظلمة ظل الأجسام الكثيفة، أو [أوجدا][1] قبل السموات والأرض، ولم يجمع النور في القرآن لأنَّه جنس، أو لقلة النور وكثرة الظلمات؛ لأنَّ لكل كثيف ظلًا، والظل ظلمة، والمراد بهما كل ظلمة ونور، ويدخل فيهما ظلمة الجهل والعلم، والكفر والإيمان، وغير ذلك.

---

(١) في ب: أوجد، والمثبت من أ، جـ.

﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: الجملة عطف علىٰ خلق، وفي ﴿ثُمَّ﴾ معنىٰ استبعاد الإيمان بعد قيام البرهان عليه.

تلخيصه: خلق ما يوجب توحيده، ثم الكافرون ﴿بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾: (تا) يشركون، وأصل العدل المساواة، أي ساووا بين الله وبين أصنامهم في الإشراك، فالمفعول محذوف تقديره: يعدلون بربهم غيره، فالذين مبتدأ خبره ﴿يَعۡدِلُونَ﴾، أو من العدول، فالباء بمعنىٰ عن، ينحرفون عن عبادة الله إلىٰ عبادة الأصنام.

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم﴾: أي خلق أصلكم.

ومحل ﴿مِّن طِينٍ﴾: حال أي كائنًا من طين، والمراد آدم؛ لأنَّه أخذ تراب من وجه الأرض أحمرها وأبيضها وغيرهما، فاختلفت خلقكم، ثم عجن بالماء العذب والملح وغيرهما، فاختلفت أخلاقكم، ثم جعل طينًا، ثم صور منه آدم، ثم نفخ فيه الروح.

﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ﴾: (حس) يعنىٰ عاش مدة إلىٰ الموت.

﴿وَأَجَلٞ مُّسَمًّى﴾: مبتدأ خبره.

﴿عِندَهُۥۖ﴾: وقدم أجل وإن كان نكره لأنَّه وصف بمسمىٰ، وتعظيمًا لهذا الأجل، وحق المبتدأ النكرة التأخير، والمراد بهذا الأجل من الموت إلىٰ البعث وهو البرزخ، أو الأجل الأول الدنيا، والثاني الآخرة.

وثم في ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ﴾: (حس) تشكون في البعث لاستبعاد الإيمان بعد نصب الدلائل.

تلخيصه: خلقكم من تراب وعشتم مدة، ثم تموتون، ثم تبعثون، ومع ذلك تشكون.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾: مبتدأ وخبر، أي هو إله معبود.

﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾: (حس) أو هو المتفرد بالتدبير فيهما، وهذا كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾، ويحسن الوقف هنا إن استأنفت ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾: لأنَّ السر والعلانية عنده سواء، ولا يجوز إن جعلت ﴿ٱللَّهُ﴾ بدلًا من ﴿هُوَ﴾، وجعلت ﴿يَعْلَمُ﴾ الخبر [ق/ ١٢٧ جـ]، وبعضهم يقف على ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ويبتدئ (وفي الأرض يعلم) ولا أحبه؛ لأنَّه تعالىٰ لا اختصاص لعلمه بمكان دون مكان، وبعضهم يقف بعد ﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾، ويعلق ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بيعلم، فلا وقف على ﴿ٱلْأَرْضِ﴾، ولا على ﴿جَهْرَكُمْ﴾ لأجل الواو في ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾: (حس)، ﴿وَمَا تَأْتِيهِم﴾: أي أهل مكة.

ومحل ﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾: كانشقاق القمر وآي القرآن رفع فاعل ﴿تَأْتِيهِم﴾.

ومحل ﴿مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾: جر صفة آية.

﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾: (كا) لها تاركين، وبها مكذبين، ومن في ﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾ لاستغراق الجنس، وفي من آيات تبعيض، وأرى الوقف هنا حسنًا؛ لأنَّ

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾: أي بمحمد والقرآن مردود على محذوف، تقديره إن كذبوا بالآيات فقد كذبوا بما هو أعظم منها وهو محمد ﷺ والقرآن واستهزؤوا بهما.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: (تا) المعنى: سيظهر لهم وبال استهزائهم عند نزول العذاب بهم.

﴿مِّن قَرْنٍ﴾: أي جماعة مقترنون في زمان واحد.

﴿مَّكَّنَّٰهُمۡ﴾: أعطيناهم مكانًا.

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: ثم رجع من الغيبة في ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا﴾ العامل في كم إلىٰ الخطاب وهو ﴿مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ﴾: أو مكنته ومكنت له فتمكن ثبت لضرب من الإذهاب.

﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ﴾: أي المطر؛ لأنَّه نازل منها، وتنصب ﴿مِّدۡرَارٗا﴾: متتابعًا كثيرًا عند الحاجة حالًا من ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾، والمفعول الثاني لقوله: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي﴾: ويتعلق بتجري.

﴿مِن تَحۡتِهِمۡ﴾: أي تحت بساتينهم.

تلخيصه: طوائف كثيرة أعطيناهم ما لم نعطكم فكفروا [ق/ ١٢٩ب] ﴿فَأَهۡلَكۡنَٰهُم﴾.

وتنصب ﴿قَرۡنًا ءَاخَرِينَ﴾: (تا) مفعول أنشأنا.

لمَّا قيل للنبي ﷺ: أنزل علينا كتابًا مع ملائكة يشهدون بصدقك حتىٰ نؤمن بكل ما نزل ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا﴾[(١)]: أي مكتوبًا، ﴿فِي قِرۡطَاسٖ﴾: رق، أو ورق.

وقرئ: بضم القاف، ﴿فَلَمَسُوهُ﴾: أي القرطاس، أو الكتاب.

﴿بِأَيۡدِيهِمۡ﴾: لئلا يشكوا؛ لأنَّ اللمس باليد أنفىٰ الشك، المعنىٰ: لو فعلت ذلك لقال الكافرون: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾: (حس).

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ٨ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ٩ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١١﴾

﴿وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ﴾: لوجب.

---

(١) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٢١٤).

﴿ٱلۡأَمۡرُ﴾: بهلاكهم عند وجود مقترحهم.

﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾: (تا) لا يمهلون.

﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ﴾: أي المرسل إليهم.

﴿مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ﴾: لا أي الملك المرسل.

﴿رَجُلٗا﴾: أي علىٰ صورة البشر ليتمكنوا من رؤيته؛ لأنَّ البشر يضعفون عن مشاهدة الملائكة.

القراءة: ﴿وَلَلَبَسۡنَا﴾.

وقرئ: بلام واحدة، أي لخلطنا.

﴿عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ﴾: (كا) **وقرئ:** (للبّسنا ويلبّسون) مشددًا، وأصل اللبس الخلط، المعنىٰ: لو جعلناه في صورة رجل وادعىٰ الملكية كذبوه، وكان أمرهم ملتبسًا عليهم.

قتادة: ما لبس قوم إلا لبس الله عليهم والتلبيس من الله تعالىٰ مجاز؛ لأنَّه قد أرسل الرسل وأوضح السبل.

ثم قال مسليًا نبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ﴾: فنزل وأحاط بالمستهزئين.

﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾: (تا) جزاء استهزائهم من العذاب [ق/ ٧٤أ].

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: معتبرين(١).

---

(١) قال صاحب الكشاف: وأما قوله سيروا في الأرض ثم انظروا فمعناه إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع وإيجاب النظر في آثار الهالكين. ونبه علىٰ ذلك بثم، لتباعد ما بين الواجب والمباح.
قال صاحب «التقريب»: «إنما لم يحمل علىٰ التراخي، وعدل إلىٰ المجاز، إذ واجب النظر في آثار الهالكين حقه ألا يتراخي عنه السير».
قال شارح الكشاف: مكن أن يأمرهم بالسير أولا، وبالنظر ثانيا علىٰ الوجوب، ويكون الثاني أعلىٰ رتبة، لأن الكلام مع المنكرين، كما تقول: «توضأ ثم صل».

﴿ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ﴾: خبر.

﴿كَانَ﴾: اسمها.

﴿عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾: (تا) الهالكين قبلكم، وثم للتراخي بين السير والنظر.

﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾﴾

﴿قُل﴾: يا محمد توبيخًا للكفار.

﴿لِّمَن مَّا﴾: أي الذي.

﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾: فإن سكتوا فأنت تقريرًا لهم ﴿قُل لِّلَّهِۚ﴾: (كا) أي ثم قل استعطافًا لهم ليؤمنوا.

﴿كَتَبَ﴾: أي أوجب.

﴿عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ﴾: (كا) فلا يعاجلهم بالعقوبة، في الحديث: «إنَّ رحمتي سبقت غضبي»[1]، وكفي الوقف هنا؛ لأنَّ اللام في ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾: في قبوركم.

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾: جواب قسم محذوف وقع موقعه كتب، أو إلىٰ بمعنىٰ في.

﴿لَا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾: (تا) إن نصبت ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾: أي باعوها بما أعد لهم من النعيم ذمًا، أو رفعته خبر مبتدأ، أو مبتدأ خبره ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾: (حس) لأنَّهم محكوم عليهم بالعذاب، وغير جائز إن نصبت ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ﴾ عند الأخفش بدلًا من (كم) في ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾، والواو عاطفة علىٰ اسم الله.

﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ﴾: حل، أي لله الحال.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٨٦)، ومسلم (٢٧٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾: فلا يتم الوقف بينهما ولا يحسن، وأكثرهم أنَّ الوقف كما رسمت فلا يكون الواو عاطفة.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾: (تا) فلا يخفىٰ عليه شيء، ولمَّا طلب منه ﷺ اتخاذ غير الله تعالىٰ ناصرًا أدخل الاستفهام علىٰ غير إنكارًا لقولهم وتجهيلًا لهم فقيل:

﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ﴾: نصب مفعول أول.

لقوله: ﴿أَتَّخِذُ﴾: الثاني ﴿وَلِيّٗا﴾.

القراءة: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: جرا صفة لله.

وقرئ: نصبًا بدلًا من «وليًّا»، والمعنىٰ: أأجعل فاطر السموات غير الله، ورفعًا مدحًا (وفطر) ﴿وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ﴾: أي يَرْزُق ولا يُرْزَق.

وقرئ: (ولا يطعم) بفتح الياء معلومًا، أي لا يأكل.

وقرئ: (يُطعم ولا يُطعم) معلومًا فيهما، أي يطعم تارة ولا يطعم أخرىٰ، نحو يعطي ويمنع.

﴿أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾: (حس).

﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾: (حس).

﴿مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾

القراءة: ﴿مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ﴾: مجهولًا القائم مقام الفاعل العذاب ليقدم ذكره فيكون ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾: ظرفًا ليصرف، ومعلومًا الفاعل مضمر لله، يدل عليه ما قرئ: من يصرف الله عنه، فمن شرط مبتدأ العائد عليه الهاء في عنه، والمصروف محذوف لتقدم ما يدل عليه وهو العذاب.

تلخيصه: من يصرف اللهُ عنه العذاب يوم القيامة.

﴿فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾: (كا).

﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾: (حس) النجاة الظاهرة.

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: (حس).

﴿وَهُوَ﴾: مبتدأ.

﴿ٱلْقَاهِرُ﴾: أي الغالب خبره.

﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾: حال من الضمير في القاهر، أي القاهر مستعليًا والمراد بفوق علو القدرة والشأن، كقوله: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف/ ١٢٧]، المعنىٰ: هو الغالب علىٰ عباده والمنفرد بتدبيرهم، والعباد عند الإطلاق [المملوكون][1].

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾: (حس).

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾

ولمَّا قيل ﷺ: أرنا من يشهد بصدقك نزل ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ﴾: مبتدأ خبره: ﴿أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾: تمييز وحكم، أي أن يكون بعض ما يضاف إليه، فإن كانت استفهامًا كان جوابها مسمىٰ [ق/ ١٢٨ جـ] باسم ما أضيف إليه، فيجب أن يكون الله تعالىٰ شيئًا، ولكن لا كالأشياء، كأنه قيل موجود لا كالموجودات؛ لأنَّ جواب أي شيء ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾: فالله مبتدأ خبره محذوف، تقديره: أكبر شهادة ليكون الجواب وفق السؤال، أو أراد أي شهيد، فوضع شيئًا موضع شهيد، فيقف هنا لأنَّ

(١) في جـ: المملوكات، والمثبت من أ، ب.

شهيد خبر مبتدأ أي هو ﴿شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ﴾: (كا) يشهد بصدقي، ولا تقف إن جعلت ﴿ٱللَّهُۖ﴾ مبتدأ خبره ﴿شَهِيدُۢ﴾، والجملة دلت على جواب، أي من جهة المعنىٰ؛ لأنَّه تعالىٰ إذا كان شهيدًا بينه وبينهم، فأكبر شيء شهادة شهيد له.

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾: يا أهل مكة، وتعطف علىٰ (كم) ﴿وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾: (حس) والعائد علىٰ ﴿مَنۢ﴾ محذوف، أي لأنذركم وأنذر من بلغه القرآن إلىٰ يوم القيامة في الحديث «بلغوا عني ولو آية»(١)، ومن بلغه القرآن فهو نذير له.

ابن جبير(٢): من بلغ القرآن فكأنما رأىٰ محمدًا ﷺ.

ثم استفهم موبخًا فقال: ﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ﴾: فإن شهدوا فأنت ﴿قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ﴾: (حس) مثل شهادتكم.

﴿وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾: (تا) به.

﴿ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ﴾: أي محمدًا ﷺ، الكتاب ﴿كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ﴾: (حس) ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾: (تا).

﴿أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ﴾: (كا).

والعامل في، ﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا﴾: من عبد وما عبد محذوف، أي يكون كيت وكيت يوم نحشرهم.

القراءة: نحشرهم، ﴿ثُمَّ نَقُولُ﴾: بالنون فيهما.

وقرئ: بالياء فيهما [ق/ ١٣٠ب].

﴿لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾: أي آلهتكم الذين أشركتموهم مع الله.

﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾: (كا) أنهم شركاء الله فيشفعوا لكم.

القراءة: ﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن﴾: مذكرًا أو مؤمنًا، ورفع ﴿فِتۡنَتُهُمۡ﴾: مع التأنيث لتأنيث

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٧٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٩٢).

لفظ الفتنة، ومع التذكير؛ لأنَّ الفتنة بمعنىٰ القول، وبالنصب مع التذكير والتأنيث، والعلة كما تقدم فالرفع علىٰ جعل الفتنة اسم كان وخبرها.

﴿أَن قَالُواْ﴾: والنصب علىٰ جعل الفتنة خبرها، وأن قالوا: اسمها عكس الأول، والمراد بفتنتهم معذرتهم ونفاقهم.

تلخيصه: لم تكن فتنتهم إلا قولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا﴾: القراءة: بجر الباء صفة والله، وبنصبها نداء وجواب القسم ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾: (حس) تخرصًا منهم لشدة ما هم فيه، فثم يختم علىٰ أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾

ثم عجب تعالىٰ منهم فقال: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ﴾: أي وغاب.

﴿عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾: (حس) يختلقون من الألوهية لأصنامهم وشفاعتها لهم.

لمَّا قال النضر: والله ما أدري ما يقول محمد، إلا أنَّه يحرك لسانه، فقال أبو سفيان: أرىٰ بعض ما يقول حقًا نزل: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ﴾(١): حين تقرأ وحَّدَ الضمير في ﴿يَسْتَمِعُ﴾ ردًا إلىٰ لفظ ﴿مَّن﴾.

﴿أَكِنَّةً﴾: أي أغطية.

ومحل ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾: نصب مفعول له، أي جعلنا علىٰ قلوبهم أغطية لئلا يفهموا القرآن.

---

(١) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٢١٤).

﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ﴾: (كا) صممًا وثقلًا، وقرأ عطف علىٰ ﴿أَكِنَّةً﴾ وإن حال بينهما الظرف.

وقرئ: بكسر الواو: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ﴾: أي دلالة علىٰ صدقك.

﴿لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۖ﴾: (كا) الناصب لإذا في ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ﴾: جوابها وليس لحتىٰ هنا عمل؛ لأنَّها لا تعمل في الجمل وجوابها.

﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ﴾: أي ما القرآن.

﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ﴾ أكاذيب ﴿ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: (حس) جمع إسطارة وأسطورة وهي ما سطر.

﴿وَهُمۡ﴾: أي المشركون.

﴿يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾: عن اتباع النبي ﷺ والقرآن.

﴿وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ﴾: أي يبعدون فَيَضِلُّون ويُضِلُّون.

ابن عباس(١): نزلت في أبي طالب كان ينهىٰ الناس عن [أذىٰ](٢) النبىٰ ﷺ وينأىٰ عن الإيمان به.

وروي(٣) أنَّه ﷺ لمَّا عرض عليه الإسلام قال: لولا أن تعيرني قريش لأقررت بها عينك، ولكن أذبّ عنك ما حييت، وقال في ذلك أبياتًا منها:

واللهِ لن يَصلُوا إليك بجمعِهم ... حتىٰ أُوسَّدَ في التُّرابِ دفينًا

لولا الملامةُ أو [حذار مسبة](٤) ... لوجدتني سمحًا بذاك مبينًا

﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾: (حس) وجواب ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ﴾: أي عرضوا، ﴿عَلَى ٱلنَّارِ﴾: أو وقفوا عليها ليروا منازلهم فيها.

---

(١) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٢١٥).

(٢) سقط من ب، والمثبت من أ، ج.

(٣) انظر «تفسير البغوي» (٢/ ١١٨).

(٤) في ج: حذارىٰ سبة، والمثبت من أ، ب.

وقرئ: (وقفوا) معلومًا محذوف، أي لرأيت أمرًا عظيمًا.

القراءة: ﴿يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ﴾: إلىٰ الدنيا.

﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: (كا) برفع الباء والنون خبر مبتدأ، أي فنحن لا نكذب نحو دعني ولا أعود أنا لا أعود، فتقف علىٰ ﴿نُرَدُّ﴾ وقف بيان، أو عطف علىٰ ﴿نُرَدُّ﴾، فيكونوا قد تمنوا عدم التكذيب والكون من المؤمنين مع تمنّي الرد، أو حال أي ﴿نُرَدُّ﴾ غير مكذبين وكائنين من المؤمنين، وبنصبهما بإضمار أن علىٰ جواب التمني، وبرفع الباء إخبارًا ونصب النون تمنيًا، المعنىٰ: إن رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين.

﴿بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝٢٨ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ۝٢٩ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ۝٣٠ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ۝٣١﴾

ثم أضرب عن تمنيهم ردًا عليهم فقال: ﴿بَلۡ بَدَا﴾: أي ظهر لهم.

﴿مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ﴾: من الناس من قبائحهم ونفاقهم.

﴿مِن قَبۡلُۖ﴾: (كا) في الدنيا.

تلخيصه: ظهر قبح فعلهم في الدنيا ثَمَّ بشهادة جوارحهم عليهم، أو بدا لهم جزاء ما كانوا يخفون من القبائح.

﴿وَلَوۡ رُدُّواْ﴾: إلىٰ الدنيا فرضًا.

﴿لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾: من الكفر والمعاصي.

﴿وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾: (حس) أنهم لا يعودون، فحسن الوقف هنا إن استأنفت ما بعد، ولم يجز إن عطفت ما بعد علىٰ (الكاذبين)، أي أنهم قوم كاذبون وهم الذين ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا﴾: أو علىٰ ﴿لَعَادُواْ﴾، أي لوردوا لكفروا ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ

إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾: (حس).

ومعنىٰ ﴿وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: للحساب والجزاء، فثَمَّ قال تعالىٰ أو الملائكة: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا﴾: أي البعث والحساب ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: (كا).

﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾: (كا) أنَّه حق، فيقال لهم: ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: (تا) بكفركم بربكم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾: فجاءة حال، أو مصدر لمحذوف، أي تبغتهم بغتة، فثَمَّ يندمون عن تفريطهم في الدنيا، وينادون حسرتهم تنبيهًا لأنفسهم علىٰ تذكر أسباب الحسرة، وهي شدة الندم قائلين: ﴿يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾: في الحياة الدنيا، أو في أعمال الساعة، وحتىٰ غاية لكذبوا لا لخسروا [ق/ ١٢٩ جـ]؛ لأنَّ حسراتهم لا غاية له، المعنىٰ: استمر تكذيبهم إلىٰ وقت تحسرهم عند مجيء الساعة.

﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾: آثامهم، ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾: (حس) قيد بالظهر لأنَّ الحمل غالبًا يكون عليه كقوله: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي﴾ [الروم/ ٤١]، في الحديث: «إنَّ الكافرَ يستقبلُه أقبحُ شيءٍ صورةً وأنتنُه ريحًا، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا، فيقول: أنا عملُك الخبيثُ، طال ما ركبتني في الدنيا فأنا أركبك الآن»[(١)].

﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾: (حس) يكسبون و﴿مَا﴾ مصدرية، أو موصولة، أو نكرة، وكيف ما قدرت فهي فاعلة ساء.

ابن عباس[(٢)]: بئس الحمل حملوا.

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٣٢) قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٥٥٧)، والحاكم(١٠٧)، والطيالسي (٧٥٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٩٥) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٢/ ١٢٠).

رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾

﴿إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾: (حس) باطل وغرور.

القراءة: ﴿وَلَلدَّارُ﴾: بلامين مبتدأ.

﴿ٱلْـَٔاخِرَةُ﴾: صفتها، وبلام واحدة وجر الآخرة إضافة، أي دار الساعة الآخرة، وسمّيت آخرة لتأخرها عن الدنيا، وخبر المبتدأ على القراءتين ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: (كا) **القراءة:** ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: (تا) أنَّ الآخرة أفضل من الدنيا بالياء والتاء هنا والأعراف ويوسف.

لمَّا قال أبو جهل: إنَّا لا نكذبك يا محمد، بل نكذب ما جئت به نزل [ق/ ٧٥أ] تسلية له ووعدًا ووعيدًا لهم ﴿قَدْ نَعْلَمُ﴾: وقد هنا للتكثير كقوله[1]:

.... ولكنه قد يهلك المال نائله

ونعلم بمعنى علمنا، والهاء ضمير الشأن في ﴿إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾: فيك وفيما جئت به من التكذيب؛ لأنَّهم إذا كذبوا ما جاء به فقد كذبوه.

القراءة: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾: مشددًا لا ينسبونك إلى الكذب، أو لا يكذبونك سرًا لمعرفتهم [ق/ ١٣١ب] صدقك؛ لأنَّه كان يدعى بالصادق الأمين قبل النبوة، ومخففًا بمعنى المشدد، أو المعنى لا يجدونك كاذبًا من أكذبت الرجل وجدته كاذبًا، كأحمدته وجدته محمودًا.

تلخيصه: بواطنهم تصدقك.

﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾: الدالة على صدقك.

---

(١) القائل هو زهير بن أبي سلمى، والبيت بتمامه:

أخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله

انظر «خزانة الأدب» (١/ ١٤٧).

﴿يَجۡحَدُونَ﴾: (تا) وجيء بالباء في ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وإن كان جحد متعديًا [لمقابلة][1] التكذيب، ومما يدل أن قوله: ﴿فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ ليس بنفي التكذيب، وإنَّما هو تهديد، كقول الرجل لغلامه: ما أهانوك إنَّما أهانوني .

قوله: ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ﴾: الذي كنا وعدناهم به في قولنا: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر:٥١]، وهذا تسلية له ﷺ.

﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾: (كا) والفاعل في ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكَ﴾: مضمر أي بنأ ﴿مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾: (كا) المعنىٰ بلغك خبر من أخبارهم تسكن به نفسك، وإن جعلت من زائدة عند الأخفش فالفاعل نبأ، أي جاءك خبرهم لا بعضه.

كان ﷺ يكره كفرهم، ويحب مجيء الآيات ليسلموا فنزل: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ﴾: عن الإسلام.

﴿فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: أي سُرَبًا، وأصله الطريق النافذ.

﴿أَوۡ سُلَّمٗا﴾: مصعدًا.

﴿فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ﴾: (حس) فافعل لأنَّه جواب فإن استطعت، و﴿فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ﴾ وجوابها جواب ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ﴾، والفاء في ﴿فَتَأۡتِيَهُم﴾ عاطفة علىٰ ﴿تَبۡتَغِيَ﴾.

ثم عرفه الله تعالىٰ أنَّه ليس بيده شيء من أمرهم فقال: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ﴾: مشيئة قدرة وقهر لجمعهم علىٰ الهدىٰ كقوله: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ﴾ [يونس:٩٩].

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾: (حس) بقدرتي علىٰ ذلك.

﴿۞إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٣٦ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ

(١) في جـ: لمقابلته، والمثبت من أ، ب.

مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٩﴾ ﴾

ثم أخبره أنَّ حرصه علىٰ هدايتهم لا ينفع لعدم سمعهم كالموتىٰ بقوله: ﴿إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَ﴾: (تا) ومما يؤكد أنَّ المراد من المشيئة القهرية أن قال بعد:

﴿وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾: (تا) لأنَّ القادر علىٰ إحياء الموتىٰ قادر علىٰ الهداية.

﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾: (تا) فيجازيهم بأعمالهم.

وقرئ: (يَرجعون) بفتح الياء.

ولمَّا كان الكفار لا يعتدون بالآيات النازلة علىٰ النبي ﷺ تحيروا ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾: (كا).

﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾: تلجئهم إلىٰ الإيمان كنتق الجبل لبني إسرائيل.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: (تا) ما عليهم في ذلك لأنَّها لو نزلت ولم يؤمنوا لأهلكوا، أو تعطف ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ﴾: علىٰ ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾.

وقرئ: برفع (طائر) عطفًا علىٰ موضع من دابة.

وقوله: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾: تأكيد لنفي المجاز؛ لأنَّه يقال لغير الطائر طار إذا أسرع.

﴿إِلَّآ أُمَمٌ﴾: أي أصناف.

﴿أَمۡثَالُكُمۚ﴾: (حس) في الخلق والموت والحياة والغذاء وطلب الرزق، أو في المعرفة والتوحيد، أو أنها تعرف بأسمائها وصفاتها كبني آدم.

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ﴾: أي اللوح المحفوظ؛ لأنَّ جميع الأشياء مكتوبة فيه.

ومحل ﴿مِن شَيْءٍ﴾: نصب لوقوعه موقع المصدر، أي ما فرطنا تفريطًا.

تلخيصه: جميع المخلوقات سواء في علمنا وتدبيرنا.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾: (تا) ابن عباس(١): حشرها: موتها.

أبو هريرة(٢): تحشر جميع الخلائق يوم القيامة فيؤخذ للجمَّاء من القرناء، ثم يقال: كوني ترابًا، فحينئذٍ يتمنىٰ الكافر أن لو كان ترابًا.

ولمَّا ذكر ما يدل علىٰ ثبوت ربوبيته ووجوب الإيمان به ولم يؤمنوا بيَّن أن لا سبيل إلىٰ إيمانهم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: مبتدأ خبره.

﴿صُمٌّ وَبُكْمٌ﴾: لا يسمعون خيرًا ولا يقولونه.

﴿فِي ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾: (كا) في الضلالات، كفىٰ الوقف هنا لأنَّ ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ﴾: مبتدأ خبره ﴿يُضْلِلْهُ﴾: بخذلانه.

﴿وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: (تا) بلطفه.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

القراءة: ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾: وأرأيتم وأرأيت حيث وقع بتخفيف الهمزة الثانية، وجعلها بين الهمزة والألف تخفيفًا لئلا تجتمع همزتان في فعل مع اتصال الضمير به، وبتحقيق الثانية علىٰ الأصل، والتاء مفتوحة مع الكاف والهاء في الواحد والاثنين وجمع المذكر والمؤنث نحو أرأيتك أرأيتكما أرأيتكم أرأيتكن، ولا

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٦).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٤٦)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٦).

محل للكاف من الإعراب، فلا يجوز أن يكون مرفوعًا وإن زعمه الفراء لعدم رافعه، ولأنَّ الكاف ليست من ضمائر المرفوع، ولا مجرورًا لعدم جاره، ولا منصوبًا لأنَّ رأىٰ يتعدىٰ إلىٰ مفعولين، فلو نصبته به لعدىٰ إلىٰ ثلاثة، ولو نصبته مفعولًا لكان هو الفاعل في المعنىٰ، فيكون تقديره أرأيتم أنفسكم، وليس الغرض أن يروا أنفسهم، إنَّما الغرض أن يروا غيرهم، ومعنىٰ أرأيتكم أخبروني، ومفعوله محذوف تقديره: أرأيتكم عبادتكم الأصنام هل تنفعكم.

﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾: عند الموت [ق/ ١٣٠ جـ].

﴿أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾: أي القيامة، لا أحب الوقف هنا لأنَّ جواب الشرط هو ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ﴾ ما دل عليه استفهام التوبيخ في ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾: نصب بقوله: ﴿تَدْعُونَ﴾: (حس) قالوا، وأراه كافيًا.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: (كا) أنَّ الأصنام تنفعكم فادعوه، تقديره: إن أتاكم العذاب أو الساعة دعوتموه.

ثم أخبر أنَّهم لا يدعون سواه في الشدائد فقال: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾: في كشفه عنكم.

﴿إِن شَآءَ﴾: والمراد كشف العذاب؛ لأنَّ مصائب القيامة لا تكشف عن الكفار.

ثم أوضح أنهم لا يدعون غيره بقوله: ﴿وَتَنسَوْنَ﴾: من النسيان، أو بمعنىٰ الترك.

﴿مَا تُشْرِكُونَ﴾: (تا) لعلمكم أنها لا تنفعكم.

تلخيصه: أخبروني إذا نزل بكم نازلة هل ينفعكم غيره تعالىٰ فلم تؤمنوا.

﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ﴾: الشدة.

﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: الجوع.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾: (كا) يتوبون، وأصل التضرع السؤال والذل.

وإذ في ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا﴾: أي عذابنا ظرف لقوله: ﴿تَضَرَّعُواْ﴾: ومعناه نفي التضرع.

تلخيصه: لم يتضرعوا إذ جاءهم بأسنا.

﴿وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾: فلم يؤمنوا، قالوا: جئ بلولا لتفيد أنهم لم يكن لهم عذر في ترك التضرع إلا العناد والقسوة، وتزيين.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾: (كا) من المعاصي.

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغۡتَةً أَوۡ جَهۡرَةً هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿فَلَمَّا نَسُواْ﴾: تركوا.

﴿مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾: من المواعظ والإنذار.

القراءة: ﴿فَتَحۡنَا﴾: هنا والأعراف لفتحنا، والأنبياء فتحت، وفتحت في الزمر موضعان والنبأ والقمر فتحنا مشددًا مبالغة ومخففًا [ق/ ١٣٢ب].

﴿عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾: (كا) من نعم الدنيا، وهذا فتح ابتلاء.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ﴾: من النعم وبطروا فلم يتوبوا.

﴿أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم﴾: إذا للمفاجاة، قالوا: وهي هنا ظرف مكان، والعامل فيها ﴿مُّبۡلِسُونَ﴾: (كا) آيسون، والإبلاس: الحزن المعترض من شدة اليأس، وأصله الإطراق من الحزن والندم.

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ﴾: تلخيصه: استؤصلوا فلم يبق [لهم][1] باقية.

(١) في جـ: منهم، والمثبت من أ، ب.

﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: (تا) على إهلاك الظالمين.

ثم دل على قدرته وتوحيده بقوله: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾: أيها المشركون.

﴿إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾: أي أصمكم.

﴿وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾: أعماكم.

﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾: فلا تفقهون شيئًا.

﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾: (حس) بما أخذ منكم.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: الدالة على صدقك.

﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾: (تا) يعرضون عنك تكذيبًا لك بعد مجيء الدلالات.

القراءة: ﴿بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾: بسكون عينهما.

وقرئ: بفتحها، وبغتة فجأة فكأنَّها لسرعة وقوعها لم تعاين، ولذلك قال: ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ معاينة.

ابن مسعود: ليلًا ونهارًا.

ثم استفهم مقررًا فقال: ﴿هَلْ يُهْلَكُ﴾: وقرئ: بفتح الياء.

﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: (تا).

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾: حال.

﴿وَمُنذِرِينَ﴾: (كا) عطف عليه.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: (حس).

﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾: (تا) بفسقهم.

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾: فأرزقكم منها.

ومحل ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾: فأخبر بما كان وما يكون، نصب عطف على ﴿عِندِى خَزَآئِنُ﴾؛ لأنَّه معمول القول، كأنَّه قيل: لا أقول لكم هذا ولا هذا، ولا أدعي الملكية فأقدر على ما لا يقدر عليه البشر.

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾: (كا).

﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ﴾: الجاهل أو الكافر.

﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾: (كا) العالم أو المؤمن.

﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾: (تا) في عدم استوائهما فتؤمنون، يتم الوقف هنا إن جعلت الهاء في ﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾: للقرآن لدلالة ما يوحي عليه، المعنى: خَوِّف بالقرآن.

﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: وهؤلاء قوم مفرطون في دينهم مع علمهم بالبعث، أو هم من أهل الكتاب يخافون الحشر لعلمهم أنهم يكذبونك.

ومحل ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾: أي دون الله تعالى.

﴿وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾: حال، أي يخافون أن يحشروا غير منصورين ولا مشفوعًا لهم؛ لأنَّ كلًّا محشور، والمخوف: الحشر، والولي: القريب، والشفيع: الشافع.

تلخيصه: خَوِّفهم بالقرآن.

﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: (كا) الله فينزجرون.

لمَّا أمر رسول الله ﷺ بإنذار غير المتقين ليتقوا، أمر بعد ذلك بتقريب المتقين، ونهى عن طردهم تكريمًا لهم، وذلك أنَّه ﷺ كان قد عزم على إزالة بلال وأصحابه الفقراء من مجلسه، ومجالسة الأقرع بن حابس وأصحابه رجاء حسن إسلامهم، قالوا: وكتب لابن حابس بذلك كتابًا فنزل

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن

شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾: أي يعبدونه ويتضرعون إليه[1].

﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾: المراد الدوام على ذلك، أو المراد صلاة الصبح والعصر، أو الصلوات الخمس.

القراءة: بالغداة أصلها غدوة قلبت الواو ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها، وبالغدوة عرفت بالألف واللام.

ثم وصفهم بالإخلاص في العمل فقال: ﴿يُرِيدُونَ﴾: حال بعملهم ﴿وَجْهَهُۥ﴾: (كا)، المعنى: يخلصون عملهم لله تعالى.

ولمَّا طعن في هؤلاء وتكلم فيهم عند النبي ﷺ نزل ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾: إن حسابهم إلا على الله، فمن شيء رفع مبتدأ؛ لأنَّ من زائدة خبره ﴿عَلَيْكَ﴾، و﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾ صفة شيء قدم عليه فنصب حالًا، وكذلك ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾: **تلخيصه**: لا تكلف أمرهم ولا يكلفون أمرك.

﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾: نصب جواب النفي، وتنصب ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (كا) إن فعلت ذلك جواب النهي [وهو ﴿وَلَا تَطْرُدِ﴾][2]، أو عطف على ﴿تَطْرُدَهُمْ﴾، فدعاهم ﷺ [ق/ ٧٦أ] فأتوه وهو يقول: سلام عليكم كتب على نفسه الرحمة، ولا أحب الوقف بين النهي والنفي وجوابها، [ورآه][3] بعضهم لقصر النفس.

---

(١) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٢١٧).
(٢) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.
(٣) في جـ: ورأوه، والمثبت من أ، ب.

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم﴾: أي ومثل ذلك للاختيار اختبرنا بعض الناس.

﴿بِبَعۡضٍ﴾: فابتلينا الغني بالفقير، والشريف بالوضيع، فإذا رأىٰ الشرفاء والأغنياء الوضعاء والفقراء سبقوهم إلىٰ الإيمان امتنعوا منه تكبرًا.

تلخيصه: اختبرناهم .

﴿لِّيَقُولُوٓاْ﴾: أي المشركون احتقارًا وكفرًا، ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾: مبتدأ خبره.

﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾: ومحلهما نصب بالقول.

ومن في ﴿مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ﴾: (حس) متعلقة بمنَّ، المعنىٰ: أهؤلاء الذين أنعم الله عليهم بالإسلام دوننا، وخصوا به من بيننا.

تلخيصه: ميزوا به علينا لو كان خيرًا ما سبقونا إليه فاستفهموا تقريرًا.

﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾: (حس) بمن [يشكره][(١)]، وأعلم العامل في (بالشاكرين)؛ لأنَّه ظرف ولا يعمل أفعل في المفعول الصريح.

ثم أمر ﷺ بالسلام عليهم إكرامًا لهم فقيل: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ﴾: (كا).

ثم قال لهم: ﴿كَتَبَ﴾ أي أوجب.

﴿رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾: (حس) علىٰ القراءة والاستئناف بكسر ﴿أَنَّهُۥ﴾: فإنَّه ﴿مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾: حال أي جاهلًا بتحريمه، أو جعل جاهلًا لإيثاره المعصية علىٰ الطاعة.

﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾: بعد عمله المعصية.

﴿وَأَصۡلَحَ﴾: أخلص توبته وغير جائز علىٰ القراءة بفتح أنَّه فإنَّه؛ لأنَّ أنَّه بدل من الرحمة بدل الشيء من الشيء، فهو معمول كتب، أي كتب أنَّه من عمل وفتح فأنَّه علىٰ إضمار خبر تقديره: فله أنَّه والهاء في أنَّه فإنَّه ضمير الشأن، ولا يوقف علىٰ

---

(١) في جـ: شكره، والمثبت من أ، ب.

﴿وَأَصۡلَحَ﴾ بحال؛ لأنَّ من عمل شرطية أو موصولة فلابد لها من جواب وجوابها.

﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾: (حس).

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾: **القراءة:** ﴿وَلِتَسۡتَبِينَ﴾: استبان الشيء وتبين واستبنته وتبينته واحد بمعنىٰ الظهور بالتاء والياء.

ورفع ﴿سَبِيلُ﴾: فاعلًا لأنَّه يذكر ويؤنث، وبالتاء خطابًا للنبي ﷺ ونصب سبيل.

﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾: (حس) واللام في ﴿وَلِتَسۡتَبِينَ﴾ متعلقة بمحذوف، تقديره الكلام ومعناه مثل ذلك التفصيل المتقدم نفصل آيات القرآن، ونبينها ليعمل بها، وليستوضح طريق العامين فصلناه، أو متعلقة بما قبل.

تلخيصه: نفصل الآيات لهذا، ولهذا فلا يوقف علىٰ [الآيات علىٰ التقديرين][1].

﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦ قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ ٥٧ قُل لَّوۡ أَنَّ عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٥٨﴾

﴿نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ﴾: أي تعبدون [ق/ ١٣٣ب].

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾: (كا).

﴿لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ﴾: في طردهم وعبادة الأوثان.

﴿قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا﴾: أي إن اتبعت أهواءكم.

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾: (تا) إن فعلت ذلك.

﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٖ﴾: يقين وحجة واضحة.

---

(١) في جـ: تقديرين، والمثبت من أ، ب.

﴿مِّن رَّبِّي﴾: لا وقف هنا لأنَّ ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾: (حس) بربي حيث أشركتم، أو بما جئت به حال، وقد معه مقدرة، وكانوا قد استعجلوا العذاب فقال ﷺ:

﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾: (حس) من العذاب.

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾: لا لي.

القراءة: ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾: من القضاء الحكم، وتنصب الحق صفة محذوف، أي يقضي القضاء الحق، وسقطت الياء في الخط إتباعًا الخطُ اللفظَ، وسقطت في اللفظ لالتقاء الساكنين، وبالصاد من القصص.

وقرئ: (يقضي بالحق).

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾: (تا) الحاكمين.

﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾: (كا) المعنىٰ لو كان ما استعجلتم من العذاب عندي لأنزلته بكم وتخلصت منكم.

﴿بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (حس).

﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾: جمع مِفْتَح.

وقرئ: (مفاتيح) جمع مفتاح، وزعم بعضهم أنَّه جمع مفتح بفتح الميم، وهو المخزن، ومفاتح الغيب: الطرق الموصلة إلىٰ علمه تشبيهًا بمفتاح الدار؛ لأنَّه به يفتح الباب فيتوصل إلىٰ ما فيها، والمراد علم كل ما غاب كغيض الأرحام، وما في غد، والموت، وقيام الساعة، ومجيء المطر.

﴿لَا يَعۡلَمُهَآ﴾: حال من ﴿مَفَـاتِحُ﴾، العامل في الحال الظرف؛ لأنَّ ﴿مَفَـاتِحُ﴾ مرتفعة به.

تلخيصه: لا يعلم الطرق الموصلة إلىٰ علم الغيب.

﴿إِلَّا هُوَۚ﴾: (حس) ثم أوضح ذلك بقوله: ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ﴾: من المفاوز.

﴿وَٱلۡبَحۡرِۚ﴾: (حس) من القرىٰ.

﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾: ما بمعنىٰ الجحد، ومن زائدة للعموم، فيعلم عددها وأحوالها قبل السقوط وبعده، ولا وقف هنا لأنَّ ﴿وَلَا حَبَّةٍ﴾: من الحبات المعروفة.

﴿فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ﴾: في أسفل السفل.

﴿وَلَا رَطۡبٍ﴾: حي، ﴿وَلَا يَابِسٍ﴾: ميت عطف علىٰ ﴿وَرَقَةٍ﴾، الاستثناء في ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: (حس) بدل من ﴿إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾ إن فسر كتاب باللوح، وتكرير إن فسر يعلم الله؛ لأنَّ معنىٰ ﴿لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ و﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ واحد علىٰ هذا، والتفسيران منقولان، فلا يجوز أن يعمل ﴿إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾ في ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾؛ لأنَّه يصير وما تسقط من ورقة إلا يعلمها إلا في كتاب، فيكون معناه لا يعلمها في كتاب، أو لا يعلمها إلا في كتاب لتقديرك الاستثناء متصلًا ومنفصلًا، وكلاهما غير جائز في حقه تعالىٰ علاؤه وشأنه.

تلخيصه: ما من شيء من الأشياء إلا وهو يعلمه حيث ما كان.

وقرئ: (ولا حبةٌ ولا رطبٌ ولا يابسٌ) رفعًا فيها عطفًا علىٰ محل ﴿وَرَقَةٍ﴾؛ لأنَّها فاعل في المعنىٰ، أو مبتدأ خبره ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ نحو: لا رجل منهم ولا امرأة إلا في الدار.

والباء في ﴿يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾: بمعنىٰ في بأن يقبض أرواحكم إذا نمتم.

﴿جَرَحۡتُم﴾: كسبتم من الآثام وغيرها.

﴿بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ﴾: أي يوقظكم في النهار.

﴿لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ﴾: هو مدة الحياة.

﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ﴾: بعد الممات.

﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾: (تا) إن استأنفت ولم تعطف.

﴿وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً﴾: ملائكة لكل إنسان ملكين بالليل وملكين بالنهار علىٰ يتوفاكم وما بعد من الأفعال المضارعة.

القراءة: ﴿تَوَفَّتۡهُ﴾: واستهواه بالألف ممالة مذكرًا كتذكير الجمع بعد، وبالتاء مؤنثًا لتأنيث الجماعة.

وقرئ: (تتوفاه).

﴿رُسُلُنَا﴾: هو ملك الموت وأعوانه، روي أنَّ الدنيا بين يدي الملك الموت كالمائدة الصغيرة يقبض من هنا وهنا، فإذا كثرت عليه الأرواح يدعوها فتجيب.

﴿وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾: لا يقصرون فيما يؤمرون.

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴿٦٦﴾﴾

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ﴾: أي الملائكة، أو المؤمنون، أو جميع العباد.

﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: للحساب والجزاء.

وقرئ: بكسر الراء نقلت كسرت الدال الأولىٰ إليها.

القراءة: ﴿مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ﴾: جرًا صفتان لله، أي مالكهم ومتولي أمورهم حقيقة.

وقرئ: (الحقَّ) نصبًا مدحًا.

﴿وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾: (تا) لأنَّه تعالىٰ لا يحتاج إلىٰ فكرة وعدّ ﴿مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾: شدائدهما، والظلمات تكون عبارة عن الشدائد والمخاوف وإن كان نهارًا.

القراءة: ﴿تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعًا﴾: علانية.

﴿وَخُفۡيَةً﴾: سرًا إذا وقعتم في الشدائد هنا والأعراف، بكسر الخاء وضمها لغتان، وتضرعًا وخفية نصب مصدر في موضع الحال.

وقرئ: (وخيفة) من الخوف.

القراءة: ﴿لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا﴾: بألف من غير تاء وبإمالة الألف وتفخيمها وبالتاء خطابًا دعاءً وابتهالًا، المعنىٰ يقولون: لئن خلصتنا ﴿مِنۡ هَٰذِهِۦ﴾: الشدائد التي نحن فيها.

﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: (حس) لله تعالىٰ.

القراءة: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ﴾: غم مخففًا ومثقلًا، ثم وبخهم بقوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ﴾: (حس) الأصنام به وهي لا تضر ولا تنفع.

﴿يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾: الصيحة والريح والحجارة كثمود وعاد وقوم لوط وأصحاب الفيل.

﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾: الخسف كقارون.

ابن عباس[1]: من فوقكم السلاطين، ومن تحت أرجلكم العبيد السوء، أو هما حبس المطر والنبات.

القراءة: ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ﴾: يخلطكم.

﴿شِيَعٗا﴾: جمع شيعة نصب حال بفتح الياء.

وقرئ: بضمها أي يعمكم، والمعنىٰ يخلطكم فرقًا مختلفة ببث الأهواء فيكم.

﴿وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ﴾: (حس) يقتل بعض بعضًا.

---

(١) انظر «الكشف والبيان للثعلبي(٤/ ١٥٦)، وتفسير البغوي» (٢/ ١٣١).

﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾: (كا).

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ﴾: بالقرآن، أو [بالعذاب][1].

﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾: (كا) الصدق لأنَّه لابد منه.

﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: (حس) بمسلط ألجئكم إلىٰ الإيمان إنما أنا منذر.

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾: (كا) مكان استقرار خبر ومبتدأ، أي لكل خبر منتهي فيتبين الصدق من الكذب، والحق من الباطل.

﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: (حس) تهديد نهىٰ ﷺ عن مجالسة المشركين لمَّا كانوا ﴿يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾: أي القرآن استهزاء فقيل: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: لا تجالسهم.

﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾: (كا) غير الاستهزاء.

القراءة: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ﴾: بتشديد السين وفتح النون وبسكون النون، وتخفيف السين من نسي وأنسي، والمفعول محذوف، أي ينسينك الذكر، المعنىٰ: أن يشغلك [ق/ ١٣٤ب].

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: بوسوسة عن النهي عن مجالستهم فجلست معهم.

﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾: التذكر.

﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (حس) ولمَّا تحرج المسلمون من مجالسة المشركين بعد النهي نزل ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: الخوض.

﴿مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾: من زائدة للعموم، المعنىٰ: ما يلزمهم بمجالستهم

---

(١) في جـ: العذاب، والمثبت من أ، ب.

إثم يحاسبون عليه، و﴿ذِكۡرَىٰ﴾ نصب في ﴿وَلَٰكِن ذِكۡرَىٰ﴾: أي عليهم أن يذكروهم ذكرىٰ إذا خاضوا بالقيام من مجالستهم وإظهار الكراهة.

﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾: (كا) الخوض، أو رفع أي ولكن عليهم ذكرىٰ.

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ﴾: الذي كان يجب عليهم أن يتخذوه، وهو دين الإسلام والقرآن.

﴿لَعِبٗا وَلَهۡوٗا﴾: لأنَّهم كانوا إذا سمعوا القرآن تلاعبوا استهزاء ولهوًا عنه، أو جعل لكل قوم عيد فاتخذوا عيدهم لعبًا ولهوًا إلا المسلمين، فعيدهم الصلاة والتكبير والصدقة والنحر، وفعل الخيرات.

المعنىٰ: أعرض عن المشركين ولا تلتفت إليهم.

﴿وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ﴾: أي عظ بالقرآن.

ومحل ﴿أَن تُبۡسَلَ﴾: نصب مفعول له، أي مخافة أن تهلك.

﴿نَفۡسُۢ﴾: أي تسلم إلىٰ الهلاك.

﴿بِمَا كَسَبَتۡ﴾: بسبب كسبها، وأصل الإبسال: المنع، لا أحب الوقف هنا لأنَّ محل ﴿لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ﴾: (كا) الجملة رفع صفة ﴿نَفۡسُۢ﴾، أو حال من الضمير في ﴿كَسَبَتۡ﴾.

﴿وَإِن تَعۡدِلۡ﴾: تفد.

﴿كُلَّ عَدۡلٍ﴾: فداء والعدل: الفداء؛ لأنَّ الفادي يعدل المفدىٰ بمثله، و(كل) نصب مصدر؛ لأنَّ لكل حكم ما يضاف إليه.

﴿مِنۡهَآۗ﴾: فاعل يؤخذ لا ضمير العدل؛ لأنَّ العدل مصدر، فلا يسند إليه الأخذ، وصح إسناد الفعل إلىٰ العدل في قوله: ﴿لَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٌ﴾ [البقرة/ ٤٨]؛لأنَّه بمعنىٰ المفدىٰ به، فصح إسناد الأخذ إليه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ إشارة إلىٰ المتخذين دينهم لعبًا ولهوًا، خبره ﴿ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ﴾: أهلكوا.

﴿بِمَا كَسَبُواْۖ﴾: (كا) إن استأنفت ما بعد، وغير جائز إن نصبت محل ﴿لَهُمۡ شَرَابٌ مِّنۡ حَمِيمٍ﴾: حالًا من ضمير ﴿أُبۡسِلُواْ﴾ [ق/ ١٧٧أ].

﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾: (تا) قالوا: ونزل لمَّا دعىٰ أبا بكر ابنه عبد الرحمن إلىٰ عبادة الأصنام: ﴿قُلۡ أَنَدۡعُواْ﴾: نعبد، ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: الضار النافع ما لا يضر ولا ينفع، ويعطف علىٰ ﴿أَنَدۡعُواْ﴾: ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا﴾: حال من ضمير ﴿نُرَدُّ﴾ راجعين إلىٰ الشرك.

ومحل الكاف من ﴿كَٱلَّذِي﴾: نصب حال أيضًا من ضمير ﴿نُرَدُّ﴾، أو بدل من ﴿عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا﴾.

تلخيصه ومعناه: أننكص مشبهين الذي ﴿ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾: طلبت هويه وضلالته.

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: في المهامه منها.

﴿حَيۡرَانَ﴾: (حس) حال من الهاء، أو من الظرف أي متردد فلا يدرىٰ أين يذهب تحيرًا، يحسن الوقف هنا إن استأنفت ﴿لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٌ﴾: رفقة.

﴿يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى﴾: أي طريق هدايته يقولون له، وقد دخل البرية: ﴿ٱئۡتِنَاۗ﴾: (حس) ارجع إلينا فلا يلتفت إليهم، ويتم في ضلالته، وغير جايز إن

نصبت ﴿لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٌ﴾ الجملة حالًا من ضمير ﴿حَيۡرَانَ﴾، وهذا مثل لمن يدعىٰ إلىٰ عبادة الرحمن من عبادة الأصنام، فلا يلتفت ولا يرعوي.

﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ﴾: (كا) إن لم ترفع محل ﴿وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ﴾: عطفًا علىٰ محل (إنَّ هدىٰ الله)، أي قل: إنَّ هدىٰ الله، وقل أمرنا لأجل أن نسلم، أو اللام بمعنىٰ الباء، أي بأن نسلم، وبعضهم علقها بائتنا، فما بينهما اعتراض أي ائتنا لنسلم.

﴿لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: ولا وقف هنا لأنَّ ﴿وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ﴾: أي الله عطف علىٰ محل (لنسلم)، أي وأمرنا أن نسلم وأن أقيموا.

﴿تُحۡشَرُونَ﴾: (كا).

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٧٣ ۞ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٧٤ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥﴾

﴿بِٱلۡحَقِّۖ﴾: (كا).

﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ﴾: (حس) إن عطفت ﴿وَيَوۡمَ﴾ علىٰ الهاء في ﴿وَٱتَّقُوهُۚ﴾، أي واتقوا عذاب يوم يقول، فلا وقف علىٰ ﴿تُحۡشَرُونَ﴾، أو علىٰ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ قبل أي وخلق يوم يقول، فلا وقف بين المعطوف والمعطوف عليه، وغير جايز إن رفع ﴿قَوۡلُهُ﴾ مبتدأ صفته، ﴿ٱلۡحَقُّۚ﴾: أي الواقع لا محالة خبره ﴿يَوۡمَ يَقُولُ﴾ مقدم عليه، فانتصاب يوم ظرف للاستقرار نحو يوم الجمعة القتال، واليوم هنا بمعنىٰ الوقت، أي في ذلك الوقت يقول للخلائق: موتوا فيموتون، قوموا فيقومون.

تلخيصه: لم يخلق شيئًا عبثًا وحكمه نافذ فيه.

وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾: مظروف لقوله: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾: وهذا كقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر:١٦]، والصور: قرن ينفخ فيه كهيئة البوق.

القراءة: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: (كا) رفعًا مدحًا.

وقرئ: جرًّا بدلًا من (رب العالمين)، أو من الهاء في (له) فلا وقف بينهما.

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾: (كا) لنصبك ﴿وَإِذْ﴾: بمحذوف، أي واذكروا إذ.

﴿قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾: واسمه تارخ، وهو بدل من أبيه، وآزرلقب ولم ينصرف لعجمته وتعريفه، وإن قيل باشتقاقه من الوزر الإثم فلزنته أفعل وتعريفه.

وقرئ: (آزرُ) ضمًّا نداء.

وقرئ: (أإزرًا) بهمزتين الأولىٰ مفتوحة والثانية مكسورة، والزاء ساكنة والراء مفتوحة اسم صنم، أي أتعبد إزرا.

ثم قال موكدًا إنكاره عليه: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا﴾: نصب صفة.

﴿ءَالِهَةً﴾: تقدمت عليها فنصبت حالًا، أي أصنامًا ملعونة، أو أصنامًا مفعول أول، لا تتخذوا آلهة ثان.

﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: (حس) لرفع ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: خبر مبتدأ، أي والأمر كذلك، أو نصب بقوله: ﴿نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾: وفي الكلام حذف تقديره نريه ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: رؤية [كرؤية][(١)] ضلال أبيه.

روي أنَّه رأىٰ جميع ما في السموات والأرض وما فيهما حتىٰ العرش وأسفل السفلىٰ فرأىٰ عاصيًا فدعا عليه فهلك، ثم آخر فدعا عليه فهلك، ثم آخر فأراد أن يدعو عليه فقال تعالىٰ: (إنك مستجاب الدعوة، فلا تدعون علىٰ عبادي) [(٢)]، والمرادُ بملكوتهما خلقهما وخلق ما فيهما الدال علىٰ الربوبية والوحدانية والقدرة.

---

(١) في جـ: كرؤيته، والمثبت من أ، ب.

(٢) انظر «الكشف والبيان للثعلبي(٤/ ١٦١)، وتفسير البغوي» (٢/ ١٣٦).

وقرئ: (تري إبراهيم)بالتاء (ملكوت) رفعًا، أي تبصره دلائل القدرة.

تلخيصه: أريناه ذلك ليستدل.

﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾: (كا) ومن وكذلك إلىٰ ههنا اعتراض لأنَّ .

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾: أي دخل فيه وستره بظلمته عطف علىٰ ﴿۞وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾، يقال: [جنَّه][1] الليل وأجنه وجن عليه: غطاه بظلمته، وجنون الليل: سواده، وأصل الجن: الستر، وكان قومه يعبدون الكواكب، فلمَّا أظلم عليه الليل ﴿رَءَا كَوْكَبًا ۖ﴾ [ق/ ١٣٥ب]: قالوا: كانت الزهرة، فلمَّا أراد هدايتهم وبطلان معتقدهم ليؤمنوا.

﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ﴾: مستدرجًا لقومه في الدليل علىٰ عدم ربوبية [الكوكب][2]؛ لأنَّهم إذا نظروا النظر الصحيح علموا أن الرب لا يجوز عليه التغيير والانتقال، ولا يدخله النقص بحال فيؤمنوا، يوضح أنَّ مراده ذلك قوله: ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾: غاب، ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ﴾: (كا) لأنَّه كان قد علم أنَّه يغيب. **تلخيصه**: لا أحب ربًا لا يدوم.

القراءة: رأي كوكبًا ونحوه بفتح الراء وإمالة الهمزة، وبإمالتهما وبفتحهما، ويجعل الهمزة والراءين بين لغات كلها.

القراءة: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾: طالعًا أول طلوعه حال ونحوه بإمالة الراء وصلًا، فإن انفصل فخلافه كخلاف ﴿رَءَا كَوْكَبًا ۖ﴾، وبإمالة الراء والهمزة وإذا

---

(١) في جـ: جن، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: الكواكب، والمثبت من أ، ب.

وقعت الراء والهمزة وبعدها ساكن في كلمة فالفتح لا غير نحو رآه ورأته [ورأيته][1].

ثم أومأ إلىٰ أنَّ من اتخذ القمر إلها وهو نظير الكوكب في الأفول ضال بقوله: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾: (كا) ونسب الضلال إليه ليكون أقرب إلىٰ هدايتهم.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا﴾: أي هذا الطالع.

﴿رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾: من الكواكب والقمر، فلمَّا رآهم ولا يؤثر فيهم الدليل ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾: (حس).

﴿حَنِيفًا﴾: (كا).

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾

القراءة: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾: مشددًا لأنَّها نونان أدغمت النون التي هي علامة الرفع في نون الوقاية مخففًا علىٰ حذف نون الوقاية تخفيفًا، لئلا يجتمع مشددان في كلمة، وهىٰ الجيم والنون، فكان حذف نون الوقاية أولىٰ لزيادتها، ولأنَّ بها حصل الثقل، وللتنبيه علىٰ أنَّ الفعل كان يكسر لولا نون الوقاية، وأيضًا فقد حذفوا غير زائد من قوله:

بنعمة الله نقليكم وتقلونا.

أراد تقلوننا، فحذف النون الثانية، وليست للوقاية ولا زائدة، فحذف ما هو

(١) في جـ: وأرأيته، والمثبت من أ، ب.

زائد أولىٰ، والمعنىٰ: أتجادلوننىٰ في توحيد الله.

﴿وَقَدْ هَدَىٰنِۚ﴾: إلىٰ توحيده، وكانوا قد حذروه أن تصيبه أصنامهم بسوء فقال: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا﴾: أي الذي ﴿تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾: الله في العبادة.

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ﴾: استثناء من الأول، المعنىٰ: لا أخاف معبودكم قط إلا في حال مشيئة ﴿رَبِّي شَيْـًٔاۚ﴾: (حس) ينزله بي من جهتها.

تلخيصه: لا أخافهم إلا في هذا الحال، أو منقطع، أي لكن إن يشاء ربي خفتكم.

﴿وَسِعَ﴾: علم.

﴿رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۚ﴾: (كا) تمييز.

تلخيصه: أحاط علمه بجميع الأشياء.

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾: فتعرفون الحق من الباطل.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾: وهي لا تضر ولا تنفع.

تلخيصه: لم تنكرون عليَّ الأمن في محله، ولا تنكرون علىٰ أنفسكم الأمن في محل العطب، وماذاك إلا لأنَّكم تشركون.

﴿بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ﴾: برهانًا.

وقرئ: بضم اللام لغتان.

﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾: أي فريق المشركين وفريق الموحدين.

﴿أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ﴾: قالوا: ولم يقل أنا وأنتم خوفًا من تزكية النفس.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: (تا) صدق القول.

ابن زيد: جرىٰ علىٰ ألسنتهم ما كان حجة عليهم، فقالوا: من عرف الله وحده وأخلص له العبادة أحق بالأمن ممن أشرك معه غيره.

ثم عرف أهل الأمن فقيل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾: أي شرك

وكذلك جاء في الحديث عطف على المبتدأ وخبر المبتدأ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾: (تا) وإن جعلت تقديره أي الفريقين أحق بالأمن الذين آمنوا أم غيرهم وهو منقول لم تقف على ﴿تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٤ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٥ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٦ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٨٧﴾

﴿وَتِلۡكَ﴾: أي محاجة إبراهيم قومه، وهي من ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ...﴾ إلى ﴿مُّهۡتَدُونَ﴾، أو محاجته نمرود، وقد تقدمت آخر البقرة.

﴿حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ﴾: حجة ﴿عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ﴾.

القراءة: ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ﴾: هنا ويوسف منونًا، فمحل ﴿مَّن نَّشَآءُۗ﴾: نصب مفعول نرفع، فدرجات ظرف نرفع وغير منون، فمحل من جر بإضافة درجات إليها، فدرجات مفعول نرفع.

﴿حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾: (كا).

﴿وَيَعۡقُوبَۚ﴾: (كا) لأنَّ ﴿كُلًّا﴾: نصب بقوله: ﴿هَدَيۡنَاۚ﴾: وكذلك ﴿وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ﴾: (كا) ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾: أي ومن ذرية نوح؛ لأنَّ يونس ولوطًا مذكوران معهم، وليسا من ذرية إبراهيم.

وتنصب ﴿دَاوُۥدَ﴾: عطفًا على ﴿نُوحًا﴾، أي وهدينا داود.

تلخيصه: ومن ذرية نوح هدينا جميع المذكورين بعد.

﴿وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ﴾: أي وكجزائنا لهؤلاء المذكورين.

﴿نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: (كا).

و﴿وَإِلۡيَاسَ﴾: (كا) القراءة: هنا وصاد ﴿وَٱلۡيَسَعَ﴾: بتشديد اللام وسكون الياء، ومخففًا بفتح الياء وسكون اللام لغتان.

﴿وَلُوطٗاۚ﴾: (كا) ﴿وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: (كا) إن نصبت محل ﴿وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ﴾: (كا) عطفًا على ﴿كُلّٗا﴾، أي وفضلنا بعض آبائهم كانت هذه الوقوف كافية مع العطف تسامحًا لطول الكلام.

﴿مُّسۡتَقِيمٖ﴾: (كا).

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١﴾

﴿مِنۡ عِبَادِهِۦۚ﴾: (كا).

﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ﴾: أي المذكورون مع جلالة قدرهم.

﴿لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾: (حس) لبطل عملهم نحو: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥].

﴿ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: أي الكتب.

﴿وَٱلۡحُكۡمَ﴾: الفقه والعلم.

﴿وَٱلنُّبُوَّةَۚ﴾: (كا).

﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا﴾: بالأشياء المذكورة.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: أهل مكة.

﴿فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا﴾: هم الأنبياء المذكورون قبل، أو الصحابة، أو جميع مؤمني بني آدم.

والباء في ﴿لَّيۡسُواْ بِهَا﴾: متعلقة، ﴿بِكَٰفِرِينَ﴾: والباء في بكافرين زائدة لتأكيد النفي، والمعنىٰ جميع من ذكر وفقناه الإيمان بهذه الأشياء وليسوا كافرين بها، بل يحفظونها كحفظ الإنسان ما يؤكل عليه.

ثم أمر تعالىٰ باتباعهم في التوحيد والصبر علىٰ المشاق دون الشرائع لأَنَّها مختلفة فقال: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾: (كا) اقتديت به وعليه، واقتديته اتبعته وعملت مثل عمله، والهاء في ﴿ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ للسكت.

القراءة: بحذفها وصلًا استغناء به عنها، وبإثباتها لثبوتها في المصحف وكتبت فيه علىٰ نية الوقف، وبإسكانها وصلًا لأَنَّها للسكت وبكسرها وبصلتها بياء تشبيهًا لها بما هو أصل، أو جعلت كناية عن المصدر، حكىٰ ذلك ابن الأنباري نحو:

هذا سراقة للقرآن يدرسه.

أي يدرس الدرس لأنَّ مفعول [ق/ ١٣٦ب] يدرس القرآن مقدم عليه، وكلهم [ق/ ٧٨أ] وقف بالهاء ساكنة.

تلخيصه: لا تقتد إلا بهم، وأفاد الحصر تقديم المفعول.

﴿أَجۡرًاۖ﴾: (كا).

﴿لِلۡعَٰلَمِينَ﴾: (تا).

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾: ما عرفوه حق معرفته، ولا عظموه حق تعظيمه؛ لأَنَّهم لو عرفوه وعظموه لآمنوا، وحق نصب مصدر ولا وقف هنا لأنَّ ﴿إِذۡ قَالُواْ﴾: ظرف لقدروا، المعنىٰ: أنَّ اليهود ما قدروا الله حق قدره وقت قولهم ومجادلتهم النبي ﷺ كفرًا وإنكارًا للقرآن.

﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ﴾: (حس) تقريرًا لهم.

﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا﴾: حال من الكتاب.

﴿وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ﴾: (كا) لاستئنافك ما بعد.

القراءة: ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾: دفاتر مبددة.

﴿تُبْدُونَهَا﴾: تظهرون بعض ما فيها.

﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ﴾: مما فيها من نعت محمد ﷺ بالتاء في ثلاثتها خطابًا، وبالياء غيبة.

﴿وَعُلِّمْتُم﴾: يا يهود على لسان محمد ﷺ في القرآن.

﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ﴾: (كا) أو وعلمتم ما تعلموا خطاب للمسلمين يعرفهم منته عليهم، فإن لم تجبْ عن قولك من إنزال الكتاب [فأنت][1] ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ﴾: (حس) أنزله.

﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ﴾: باطلهم وجهلهم.

﴿يَلْعَبُونَ﴾: (حس) حال من ﴿ذَرْهُمْ﴾، أو من ﴿خَوْضِهِمْ﴾، ويجوز جعل ﴿فِى خَوْضِهِمْ﴾ حالًا من ﴿يَلْعَبُونَ﴾.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

القراءة: ﴿وَلِتُنذِرَ﴾: يا محمد بالتاء خطابًا له، وبالياء غيبة إخبارًا عنه ﷺ.

﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾: مكة، ومحل ﴿وَمَنْ حَوْلَهَاۚ﴾: (حس) هم أهل شرق الأرض وغربها نصب عطف على ﴿أُمَّ﴾.

---

(١) سقط من ب، والمثبت من أ، ج.

﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ﴾: (تا) أي بالكتاب.

﴿وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ﴾: الخمس.

﴿يُحَافِظُونَ﴾: (تا).

ونزل في مسيلمة حين زعم أنَّه نبي يوحىٰ إليه، أو في المستهزئين حين قالوا: لو نشاء لقلنا مثل هذا، أو في عبد الله بن سعد بن أبي السرح حين قال: إن كان محمد صادقًا فلقد أوحي إليَّ كما أوحي إليه، ولحق بالمشركين مرتدًا، ثم أسلم قبل الفتح والنبي ﷺ بمرِّ الظهران ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾[(١)]: مفعول ﴿ٱفۡتَرَىٰ﴾، أو مفعول له.

﴿أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾: عطف علىٰ ﴿ٱفۡتَرَىٰ﴾.

ومحل ﴿وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٌ﴾: حال من ضمير الفاعل في ﴿قَالَ﴾.

﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ﴾: (حس) ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ﴾: مظروف إذ بعد، وفيه حذف تقديره: ولو ترىٰ الكفار.

﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: مبتدأ خبره.

﴿فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ﴾: أي شدائده وأصله ما يغمر الشيء.

﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾: مبتدأ خبره ﴿بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ﴾: أي يبسطونها لقبض الأرواح، يقولون للمشركين تهويلًا لعذابهم وإزعاجًا لهم: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ﴾: (حس) لنقبضها وجواب لو محذوف، أي لرأيت أمرًا عظيمًا، أو المعنىٰ: باسطوا أيديهم بالعذاب يقولون للمشركين: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ﴾، أي خلصوها من العذاب إن استطعتم

إن جعلت ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾: ظرفًا لأخرجوا وقفت هنا، واستأنفت ما بعد فيقال لهم هذا القول عند الموت، وإن جعلته ظرف ﴿تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ﴾: الهوان

(١) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٢٢٠).

وقفت على أنفسكم، فيقال لهم هذا القول بعد البعث.

﴿غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾: (كا) نصب بتقولون.

﴿تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾: (حس) فلا تؤمنون.

﴿فُرَٰدَىٰ﴾: وحدانًا بلا مال ولا شافع، جمع فردان كسكران.

وقرئ: (فردىٰ) كسكرىٰ وفرادًا منونًا جعلوه اسمًا صحيحًا نحو تُوام وفُراد كثلاث

ومحل ﴿كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾: نصب صفة مصدر ﴿جِئۡتُمُونَا﴾، أي مجيئًا مثل، أو بدل من (فرادىٰ)، أو حال منها أي مشبهين ابتداء خلقكم

وتنصب ﴿أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾: حفاة عراة غرلًا ظرفًا لخلقناكم.

﴿وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ﴾: أعطيناكم من النعم.

﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ﴾: (كا) في الدنيا بغير اختياركم.

﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ﴾: أي الأصنام.

﴿ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ﴾: (حس) لله في العبادة والعبودية.

القراءة: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ﴾: نصبًا ظرفًا، أي نقطع وصلكم بينكم، ورفعًا فاعل تقطع، والبين يكون وصلًا وهجرًا من الأضداد.

وقرئ: (لقد تقطع ما بينكم).

﴿تَزۡعُمُونَ﴾: (تا).

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ
تُؤۡفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ
﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ
يَعۡلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ
يَفۡقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾

﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰٓ﴾: أي شاقهما عن الورق الأخضر بعد يبسهما، والمراد الحب والنوىٰ المعروفان، أو فالقهما خالقهما.

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ﴾: أي الحيوان والنامي؛ لأنَّ النامي من جنس الحيوان.

﴿مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾: من النطف والبيض والحب والنوىٰ، ولا وقف هنا لأنَّ ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ﴾: هو غير الحيوان، والنامي عطف علىٰ ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ﴾، وهي جملة مبينة لفالق الحب والنوىٰ؛ لأنَّ فلق الحب والنوىٰ كإخراج الميت.

﴿مِنَ ٱلْحَيِّۚ﴾: (كا).

﴿ذَٰلِكُمُ﴾: أي المحيي والمميت.

﴿ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: (حس) فكيف تصرفون عن الحق إلىٰ ضده.

القراءة: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾: (حس) بكسر الهمزة مصدر سمىٰ به الصبح، وقرئ بفتحها جمعٌ كقفل وإقفال، والمعنىٰ شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل، أو فالق ظلمة الإصباح، وهي الغبش آخر الليل عن الفجر، أو فالقه خالقه.

﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾: مسكونًا فيه، وكل ما يسكن إليه وفيه ويستأنس به سكن.

القراءة: وجاعل وزن فاعل، ورفع اللام وجر ﴿ٱلَّيْلَ﴾ إضافة، [وتنصب][1] ﴿سَكَنًا﴾ بمحذوف، أي وجعله سكنًا، ﴿وَجَعَلَ﴾ فعلًا، ونصب ﴿ٱلَّيْلَ﴾ مفعولًا.

وقرئ: (فالق الحب وجاعل الليل) نصبًا مدحًا.

وتنصب ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾: بمضمر أي وجعل الشمس، **وقرئ:** بالجر عطفًا علىٰ لفظ (الليل)، ورفعًا ابتداء خبرهما محذوف، أي الشمس والقمر مجعولان.

﴿حُسْبَانًاۚ﴾: (كا) المعنىٰ: جعل لهما منازل لا يتجاوزانها بحساب معلوم، تعرف بذلك الأوقات، والحسبان بضم الحاء مصدر حسب بفتح السين وبكسرها مصدر حسب مكسورًا.

---

(١) في ب: ونصب، والمثبت من أ، جـ.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي سيرهما بالحساب المعلوم.

﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾: (حس).

﴿فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾: (كا).

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: (حس).

القراءة: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾: بفتح القاف اسم مكان، أو مصدر بمعنىٰ استقرار، ورفعه ابتداء، أي فلكم مستقر.

القراءة: ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾: (كا) بفتح الدال لا غير اسم مكان، أو مصدر أيضًا وبكسر القاف اسم مكان، فمستودع اسم مفعول أو مكان، المعنىٰ: فلكم مستقر في الرحم إلىٰ الولادة، ومستودع في القبور إلىٰ البعث [ق/ ١٣٧ب]، أو مستقر فوق الأرض ومستودع تحتها.

﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾: (حس).

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾: أي بالماء.

﴿نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾: مما ينبت أي الماء سبب إنباته.

﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾: من النبات.

﴿خَضِرًا﴾: شيئًا أخضر، ومحل ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾: (حس) يركب [بعضه][1] بعضا كالحنطة والشعير، نصب صفة ﴿خَضِرًا﴾.

---

(١) في جـ: بعضها، والمثبت من أ، ب.

﴿وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ﴾: خبر ﴿مِن طَلۡعِهَا﴾: بدل منه مبتدؤه ﴿قِنۡوَانٌ دَانِيَةٌ﴾: (كا) أو الخبر محذوف تقديره، ومخرجة من طلع النخل قنوان.

وقرئ: (يخرج منه حب متراكب)، فـ«قنوان» بدل من «حب»، فلا وقف على متراكب، وقنوان جمع قنو، وهذا العذق كصنوان.

وقرئ: بفتح القاف وضمها اسم للجمع كالباقر؛ لأنَّ فعلان ليس من زنات التكسير، ومعنىٰ ﴿دَانِيَةٌ﴾: قريبة ينالها القائم والقاعد والنائم.

المعنىٰ: ومن قنوانها ما هو قريب التناول، ومنها ما هو بعيدة، فاكتفىٰ بذكر القريب عن البعيد؛ لأنَّ الامتنان بالقرب أتم.

القراءة: ﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنۡ أَعۡنَابٍ﴾: نصبًا عطفًا علىٰ ﴿نَبَاتَ﴾، فلا يحسن الوقف علىٰ ﴿مُّتَرَاكِبًا﴾، ولا يكفي علىٰ ﴿دَانِيَةٌ﴾ إلا أن تجعلها جملة معطوفة علىٰ جملة، أي وأخرجنا جنات.

وقرئ: (جنات) رفعًا مبتدأ محذوف الخبر، أي ومن الكرم جنات.

﴿وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾: نصب اختصاص لفضلهما، أو عطف علىٰ نبات، أي وأخرجنا شجرها.

﴿مُشۡتَبِهًا﴾: حال من الجميع.

﴿وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ﴾: (حس) عطف عليه.

وقرئ: (متشابهًا وغير متشابه)، يقال: اشتبه الشيئان وتشابها، المعنىٰ: مشتبها ورقهما مختلفًا ثمرهما؛ لأنَّ ورق الزيتون يشبه ورق الرمان، أو مشتبه المطعم مختلف المنظر.

القراءة: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾: هنا ويس بضم الثاء والميم جمع ثمرة كبدنة وبدن، وبفتحهما جمع ثمرة كبقرة وبقر، والظاهر أنَّه اسم جنس وانظروا مظروف لقوله:

﴿إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ﴾: (حس) إدراكه.

وقرئ: (ينعه) ضمًّا لغتان ينع الثمر يينع يَنْعًا ويُنْعًا ويُنوعًا: نضج، وكذلك أينع.

وقرئ: (يانعة) اسم فاعل، والمعنىٰ انظروا إلىٰ هذه الأشياء نظر استدلال علىٰ قدرة صانعها وإيمان به تسعدوا.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ﴾: المذكور.

﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾: (حس).

قالوا: ونزل في الزنادقة أو في الكافرين ﴿وَجَعَلُواْ﴾: أي صيروا ﴿لِلَّهِ﴾: مفعول ثان.

﴿شُرَكَآءَ﴾: مفعول أول، ﴿ٱلۡجِنَّ﴾: بدل من ﴿شُرَكَآءَ﴾، وقدم المفعول الثاني استعظامًا لاتخاذ شريك الله تعالىٰ.

وقرئ: (الجنُّ) رفعًا، أي هم الجن، وبجر الجن إضافة تبيين، وأضيف الشركاء إلىٰ الجن؛ لأنَّهم كانوا يدخلون الأصنام فيعبدون بعبادتها فأضيف الأصنام إلىٰ الجن لاشتراكهما في العبادة، وزعمت الزنادقة أنَّ الله خالق الخير وكل نافع، وإبليس خالق الشر وكل ضار.

القراءة: ﴿وَخَلَقَهُمۡۖ﴾: (كا) تحريكًا، أي وخلق الجن، فكيف يكونون لله شركاء، أو وخلق الجاعلين لله شركاء فكيف يعبدون غيره؟

وقرئ: بسكون اللام وفتح القاف، أي إفكهم الذي اختلقوه علىٰ الله تعالىٰ لقولهم: ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ﴾ [الأعراف: ٢٨].

القراءة: ﴿وَخَرَقُواْ﴾: مشددًا مبالغة ومخففًا، يقال: خرق الشيء واختلقه اشتقه وأفكه افتعلوا.

﴿لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ﴾: (حس) بل تخرصًا.

وقرئ: (وحرفوا) من التحريف، فكفار اليهود قالوا: عزير ابن الله، والنصارىٰ:

المسيح ابن الله، [والعرب: الملائكة][1] بنات الله.

﴿سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: (تا) إن لم ترفع ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي مبتدعهما فاعل تعالىٰ، ويتم إن رفعت ﴿بَدِيعُ﴾ خبر مبتدأ، أو مبتدأ خبره ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾: وقرئ: (بديعَ) نصبًا مدحًا وجرًّا ردًّا علىٰ ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ﴾، المعنىٰ: كيف يوجد له ولد؟

﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾: أي مجانسة لأنَّه تعالىٰ منزه عن المجانسة والشبه، فممتنع الولد في حقه؛ لأنَّ الولد يكون من جنس الوالد، ولا حاجة به، وإنما يطلب الولد من هو محتاج إليه.

وقرئ: (ولم يكن) مذكرًا للفصل بين الفعل وفاعله، أو اسم كان ضمير لله، والجملة خبر عنه، أي ولم يكن الله له صاحبة.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾: (كا) من المخلوقات مع عدم حاجته إليها.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: (حس).

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
وَكِيلٌ (١٠٢) لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ (١٠٣) قَدْ جَآءَكُم
بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (١٠٤) وَكَذَٰلِكَ
نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١٠٥) ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ
إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٠٦)﴾

﴿ذَٰلِكُمُ﴾: مبتدأ خبره ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾: خبر ثان، الخبر الثالث ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: (حس) إن جعل ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: خبر مبتدأ محذوف، وإن جعل خبرًا رابعًا لم يحسن، أو الله بدل من ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ والخبر ما بعد، قال قبل: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، وهنا ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ليجمع بين الماضي والمستقبل.

---

(١) في ب: والملائكة، والمثبت من أ، ج.

تلخيصه: ذلكم الله المنعوت بهذه النعوت، لا يجوز أن يعبد غيره [ق/ ٧٩أ].

﴿فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾: (كا).

ثم أكد وجوب عبادته بقوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾: (كا) قيم بمصالحهم.

ثم أومأ إلىٰ قدمه وعدم شبهه بقوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾: ولا محيط به، وهذا إجماع.

﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾: لا يفوته منها شيء لقدمه فيبصر ما لا يبصر خلقُه وخلقه لا يبصرون ما يبصر؛ لأنَّه يبصر أبصارهم، وهم لا يبصرون أبصارهم، والخلاف بين العقلاء في بصره تعالىٰ بالجارحة إنَّما هو في الآخرة لا في الدنيا، وإن قال بذلك من لا يلتفت إليه لضعف عقله ونقله، ولقد صح أنَّه ﷺ قال: «إنَّكم لن تروا ربَّكم حتىٰ تموتوا»[(١)].

وقالت عائشة[(٢)]: من زعم أن محمدًا رأىٰ ربه فقد أعظم علىٰ الله الفرية.

﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾: الرفيق الموصل إليهم الخير برفق وسهولة.

﴿ٱلۡخَبِيرُ﴾: (تا) أصل اللطف دقة النظر في الأشياء، لَطِفَ الشيء ولَطُفَ الله ولَطَفَ لغتان.

﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ﴾: حجج علىٰ صدقي.

﴿مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ﴾: أي عرفها وآمن بها.

﴿فَلِنَفۡسِهِۦۖ﴾: عمل.

﴿وَمَنۡ عَمِيَ﴾: عنها فلم يعرفها ولم يصدقها.

﴿فَعَلَيۡهَاۚ﴾: (كا) فعلىٰ نفسه عمي، ولها ضرّ.

---

(١) أخرجه ابن ماجة (٤٠٧٧)، والحاكم(٨٦٢٠)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٢٤٩) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٢٥١)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٦).

﴿وَمَآ أَنَاْ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾: (كا) أحفظ عليكم أعمالكم، إن عليّ إلا البلاغ.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾: أي نبينها.

وجواب ﴿وَلِيَقُولُواْ﴾: محذوف دل عليه ﴿نُصَرِّفُ﴾، أي ليقولوا.

﴿دَرَسۡتَ﴾: نصرفها.

القراءة: دارست بألف، أي قارأت أهل الكتاب بأن أعنتهم وأعانوك نحو: ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ﴾ [الفرقان:٤]، ودرست بفتح التاء وسكون السين، أي قرأت كتب الأولين وجئت بالقرآن [منها][1]، وبفتح السين وسكون التاء، أي انمحت وهي من درس الأثر عفا، المعنىٰ: هذه الأخبار قديمة لا اعتداد بها.

وقرئ: (درُست) بضم الراء مبالغة عظم دروسها، و(دُرست) مجهولًا أي قرئت ودارست أي الآيات، والمراد أهلها اليهود، أي دارست اليهود النبي ﷺ، ودرس أي محمد ﷺ، ودارسات أي هي قديمات.

تلخيصه: ومثل ذلك التصريف نصرف الآيات ليعتبروا وليقولوا: دارست [ق/ ١٣٨ب].

﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾: أي القرآن الدلالة الآيات عليه، أو [تصريف][2] الآيات.

﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾: (تا) الحق من الباطل، فيسعد قوم ويشقىٰ آخرون، والفرق بين اللام الأولىٰ والثانية أنَّ التصريف لم يكن حقيقة لأجل القول، وإنما كان لأجل التبيين، ولكن لمَّا كان عاقبة أمرهم القول حسن عطف ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾ علىٰ ﴿لِيَقُولُواْ﴾.

ثم أمر ﷺ باتباع القرآن فقيل: ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ﴾.

ومحل ﴿مِن رَّبِّكَۖ﴾: (كا) نصب حال من الضمير المرفوع في ﴿أُوحِيَ﴾.

---

(١) سقط من ب، والمثبت من أ، ج.

(٢) في ج: نصرف، والمثبت من أ، ب.

ومحل ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: حال ﴿مِن رَّبِّكَ﴾، أي منفردًا، أو لا محل له ؛لأنَّه اعتراض أكدَّ به اتباع الوحي.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: (حس) لا تجادلهم.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾: (حس).

لمَّا نزل ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء/ ٩٨] قال المشركون: لتنتهين يا محمد عن سب آلهتنا أو لنسبن ربك نزل: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: أي المدعوين آلهة(١).

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: والمراد الأوثان.

﴿فَيَسُبُّوا۟﴾: نصب جواب النهي، أي فيسبُّ المشركون.

﴿ٱللَّهَ عَدْوًۢا﴾: مفعول له، أو مصدر في موضع الحال، أي ظلمًا واعتداءً.

وقرئ: بضم العين وتشديد الواو مصدر أيضًا، عَدَا عَدْوًا وعُدوًّا وعدوانًا وعداءً.

وقرئ: (عَدُوًا) بفتح العين بمعنىٰ أعداء.

ومحل ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: (كا) بجهل حال مؤكدة، ولمَّا كان سبّ الآلهة سببًا لسب الله قال ﷺ [عند نزولها](٢): «لا تسبوا ربكم» (٣)، ونهوا عن سب الآلهة وإن

---

(١) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٢٢١).

(٢) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٣) انظر «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ٥٨٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٥٠).

كان طاعة لإفضائه إلىٰ مفسدة أعظم منه، ولا ينبغي أن ينهىٰ عن شيء يكون النهي سببًا [لركوب](١) معصية أعظم من النهي عنه.

ومحل الكاف نصب حال من ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا﴾: تقديره ومعناه مثل ذلك التزيين زينا.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾: من الكفار، ﴿عَمَلَهُمْ﴾: زينا لهؤلاء المشركين عبادة الأصنام وغيرها من الشر.

﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: (حس) فيخبرهم بأعمالهم، ويجازيهم عليها.

لمَّا طلبت قريش منه ﷺ نزول الملائكة وإحياء الموتىٰ وحلفوا أنهم يؤمنون عند ذلك، وكان المؤمنون يحبون ذلك ليؤمن المشركون نزل ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾: أوكد ما يقسم به(٢).

﴿لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾: (حس) يا محمد.

﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: لا عندي وهو القادر علىٰ المجيء بها لا أنا.

﴿وَمَا﴾: استفهام مبتدأ، خبره ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾: الوقف هنا تام علىٰ القراءة: باستئناف ما بعد، وكان قراء مكة يستحسنونه، فيكون يشعركم للمؤمنين، فالمفعول محذوف تقديره: وما يدريكم أيها المؤمنون إيمانهم، ثم تبتدئ ﴿أَنَّهَآ﴾ أي الآية المقترحة.

﴿إِذَا جَآءَتْ﴾: الكفار.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: (كا) بها لسبق علمي بعدم إيمانهم، ولا يوقف علىٰ ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾ علىٰ القراءة بفتح أن بمعنىٰ لعل، عن الخليل: ايت السوق أنك تشترىٰ لنا شيئًا، فالمفعول الثاني أيضًا محذوف.

وقرئ: (لعلهم إذا جاءتهم لا يؤمنون)، أو تجعل أنَّ ومعمولها المفعول الثاني،

---

(١) في جـ: لركوبه، والمثبت من أ، ب.

(٢) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٢٢٢).

ويكون الضمير في ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾ للمؤمنين، وفي ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ للكافرين، ولا زائدة، أي وما يدريكم أنهم يؤمنون، أو ليست زائدة، ومثله في زيادة لا [وإثباتها][1] قوله[2]:

أبىٰ جوده لا البخل فاستعجلت به   نعم من فتىٰ لا يمنع الجود قاتله

[ويروىٰ الجوعَ قاتله][3] بنصب البخل وجره، فمن نصب جعل لا زائدة ونصب البخل بأبىٰ، أي أبىٰ جوده البخل، ومن جر أضاف لا إلىٰ البخل.

القراءة: أيضًا لا تؤمنون بالتاء خطابا للكافرين، فيكون الضمير أنَّ للكافرين.

وقرئ: (إذا جاءتكم لا تؤمنون)، وبالياء غيبة.

تلخيصه: إذا جاءتهم الآيات لا يؤمنون، يدل عليه قوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ﴾: بأن تخذلهم وتحول بينهم وبين الإيمان، ونحيل بين بصائرهم.

---

(١) في جـ: وإثباته، والمثبت من أ، ب.

(٢) قائله مجهول، انظر «كتاب الشعر» (ص/ ١١٧).

قال السيوطي: قال الزمخشري في أحاجيه: هذا المبنىٰ غامض المعنىٰ وما رأيت أحدا فسره.

وحكي يونس عن أبي عمرو بن العلاء: أنه جر البخل بإضافة لا إليه. وقال السخاوي: هذا البيت أورده أبو علي بنصب البخل، وزعم أنه مفعول أبي، وإن(لا) زائدة. وحكي ذلك عن أبي الحسن الأخفش قال: وأما بقية البيت فلم يفسره وهو مشكل جدا. وأقول في معناه: أنه مدح لكريم أبي لجوده أن ينطق بلا التي للبخل، أي التي يقولها البخيل، واستعجلت بجوده لا، أي سبقت نعم لا كما قال:

واستعجلونا وكانوا من صحابتنا   كما تعجل فراط لوراد

أي سبقونا وتقدمونا، أي أن نعم استعجلت لا، أي سبقتها، صادرة من فتىٰ لا يمنع. والهاء في قائله تعود علىٰ نعم، أي قائل نعم يمنع الجود، ثم قال:

وقوله:(لا يمنع الجود قاتله) أراد الجود، وإن قتله لا يمنعه، فقاتله منصوب علىٰ الحال، أي لا يمنع الجود في حال قتله إياه لأن الجود يفقره.

«شرح شواهد المغني» (٢/ ٦٣٤).

(٣) سقط من أ، جـ، والمثبت من ب.

﴿وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾: عن مشاهدة طريق الهداية، فلا يؤمنون عند نزول الآيات.

﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ﴾: أي بما جاءهم من الآيات المتقدمة كانشقاق القمر، وما مصدرية والكاف صفة مصدر محذوف، أي تقليبًا مثل كفرهم، أي نعاقبهم عقوبة مساوية لمعصيتهم.

﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: ظرف زمان، أو المعنىٰ كما لم يؤمنوا أول مرة بمعجزات موسىٰ، فكذلك لا يؤمنون بمعجزاتك، أو لو ردوا إلىٰ الدنيا لقلبنا أفئدتهم وأبصارهم عن الإيمان فلم يؤمنوا، كما لم يؤمنوا بالمعجزة قبل الموت.

تلخيصه: لو وجدوا ما طلبوا لم يؤمنوا كما لم يؤمنوا بما عاينوا.

﴿وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: (تا) يترددون عمهة لا يبصرون، ولم يتم الوقف علىٰ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لعطف ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ﴾ عليه، وكذلك ﴿وَنَذَرُهُمْ﴾، وتقديره وما يشعركم أنهم لا يؤمنون وما يشعركم أنا نذرهم.

وقرئ: (ويقلب ويذرهم) بالياء أي الله.

وقرئ: (وتُقلب أفئدتهم) مجهولًا.

وقرئ: (ويذرْهم) بسكون الراء تخفيفًا، أو جزم عطف علىٰ ﴿يُؤْمِنُواْ﴾.

﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: كما طلبوا، ﴿وَحَشَرْنَا﴾: أي جمعنا.

﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ﴾: طلبوه.

القراءة: ﴿قِبُلًا﴾: بكسر القاف وفتح الباء، أي معاينة فنصبه مصدر في موضع الحال، وبضمهما جمع قبيل كرغيف ورغف فوجًا فوجًا، فنصبه حال من كل وإن كان نكرة لمَّا فيه من العموم.

وقرئ: بضم القاف وسكون الباء تخفيفًا ، أو معنىٰ القراءتين واحد.

أبو زيد: لقيته قِبَلًا وقَبَلًا وقُبُلًا ومقابلة بمعنىٰ المواجهة.

تلخيصه لو جئناهم بالملائكة قبيلًا قبيلًا وبما طلبوا ورأوا ذلك معاينة ﴿مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: استثناء منقطع، أو متصل، أي ما كانوا ليؤمنوا إلا في حال مشيئة الله تعالىٰ.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ﴾: أي الكفار، ﴿يَجۡهَلُونَ﴾: (حس) فيحلفون أنَّهم يؤمنون عند نزول الآيات، أو المؤمنون يجهلون أنَّ الكافرين لا يؤمنون، فيطلبون نزول الآيات ليؤمنوا.

ثم سُلي ﷺ فقيل له: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا﴾: المفعول الثاني لجعلنا ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ الأول: ﴿عَدُوًّا﴾: وتبدل من ﴿عَدُوًّا﴾: ﴿شَيَٰطِينَ﴾: (تا) أو عدوًا و﴿شَيَٰطِينَ﴾ مفعولا ﴿جَعَلۡنَا﴾، فلكل نبي نعت عدوًا قدم عليه فنصب حالًا، المعنىٰ: كما جعلنا لك أعداء، فكذلك جعلنا لمن تقدّمك من الأنبياء أعداء من ﴿ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾: فللإنس شياطين كما أنَّ للجن شياطين، وكل عات [شيطان](١)، قال ﷺ لأبي ذر: «**هل تعوذت من شيطان الإنس؟ قال: وللإنس شيطان؟! قال: هم شرّ من شيطان الجن**» (٢).

مجاهد(٣): إذا أعيا المؤمن شيطان الجن ذهب إلىٰ شيطان الإنس فأغراه به.

مالك بن دينار(٤): شيطان الإنس أشد من شيطان الجن [ق/ ١٣٩ب]؛ لأنَّي

---

(١) في جـ: شياطين، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في « مصنفه» (٢٥٧٩).

(٣) أخرجه الطبري في « تفسيره» (١٢/ ٥٢).

(٤) أخرجه الطبري في « تفسيره» (١٢/ ٥٢).

إذا تعوذت بالله ذهب عنى شيطان الجن، وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عيانًا.

ولا وقف هنا لنصبك محل ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: حالًا من ﴿شَيَٰطِينَ﴾، أو صفة لعدوا، المعنى: يوسوس ويلقى شياطين الجن إلى شياطين الإنس وبالعكس.

﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾: مموهه ومزينه.

﴿غُرُورًا﴾: (حس) خدعًا ونصبه مصدر، أو مفعول له.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾: أي الإيحاء من الزخرفة والغرور وعداوة الأنبياء.

﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾: (كا) وهذا منسوخ[1]، لا أحب الوقف على ﴿غُرُورًا﴾ ولا على ﴿يَفْتَرُونَ﴾ إن عطفت ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ﴾: إلى الإيحاء على ﴿غُرُورًا﴾، أي ليغروا ولتصغى.

القراءة: بكسر اللام، وهي لام الصيرورة.

وقرئ: بإسكانها تخفيفًا، وليست بلام أمر.

وقرئ: (ولتُصغى) مجهولًا، المعنى فعلنا ذلك لتميل ﴿أَفْـِٔدَةُ﴾: الكافرين إليه.

﴿وَلِيَقْتَرِفُواْ﴾: أي يكتسبوا من الذنب.

﴿مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾: (حس) فتنصب ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾: مفعول، ﴿أَبْتَغِى حَكَمًا﴾: حال من (غير الله)؛ لأنَّهم كانوا قد طلبوا منه قاضيًا يقضي بينه وبينهم، المعنى: أطلب غير الله حاكمًا بيني وبينكم؟!

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي القرآن، ﴿مُفَصَّلًا﴾: حال أي مبينًا فيه الحق من الباطل.

---

(١) انظر «الناسخ والمنسوخ للمقري» (ص/ ٨٨)، والناسخ والمنسوخ» لابن حزم (ص/ ٣٨)، وقال ابن الجوزي في «المصفى بأكف أهل الرسوخ» (ص/ ٣٣): إن قلنا هذا تهديد فهو محكم وإن قلنا أمر بترك قتالهم فمنسوخ بآية السيف.

القراءة: ﴿مُنَزَّلٌ﴾: مشددًا مبالغة؛ لأنَّه نزل نجومًا، ومخففًا لأنَّه نزل مرة واحدة إلىٰ بيت العزة، المعنىٰ: العالمون يعلمون أنَّ القرآن منزَّل ﴿مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: (حس) الشاكين فيه خطاب له ﷺ والمراد أمته، أو لا تكونن من الشاكين إنَّ العلماء يعلمون ذلك.

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾

القراءة: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: بالوعد والوعيد والتحليل والتحريم مفردًا إرادة الجنس وجمعًا.

﴿صِدْقًا وَعَدْلًاۚ﴾: (كا) حالان من ﴿رَبِّكَ﴾، أو مفعولان له، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: (تا).

لمَّا جادلوا النبيَّ ﷺ في أكل الميتة نزل ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾: (حس) يصرفوك عن دينه؛ لأنَّهم لا يتبعون إلا أهواءهم، يؤكده ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾: أي الكافرون.

﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: لتقليدهم أباءهم.

﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: (تا) [ق/ ٨٠أ] يكذبون في قولهم وفعلهم، ومن استفهام في ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن﴾: وهي مبتدأ خبره ﴿يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾: ومحلهما نصب بيعلم مقدرة، دل عليه أعلم؛ لأنَّ أفعل لا يعمل النصب في اسم ظاهر، أو (مَن) بمعنىٰ الذي، أو نكرة موصوفة، ولا يجوز جر (مَن) بإضافة أفعل إليها؛ لأنَّ أفعل إنما تضاف إلىٰ ما هو بعضه، فلو جر بالإضافة لكان تعالىٰ ضالًا، وهو منزه عن ذلك تعالىٰ علاؤه وشأنه، فإن كان أفعل بمعنىٰ فاعل جازت إضافته إلىٰ ما ليس بعضه نحو ﴿أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ﴾ [المائدة:٦١]؛ لأنَّ التنوين والانفصال مقدران فيه.

وقرئ: (يُضل) من أضللته وجدته ضالًّا كأحمدته، فمن منصوبة أيضًا محلًّا، وجوز بعضهم جرّها على هذا، أي أعلمُ المضلّين، أي الموجدين الضلال، **تلخيصه**: وهو أعلم بالضالين.

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾: (كا).

كان المشركون يحلّون بعض الذبائح، ويأكلون بعض الميتات، فنزل أمرًا للمؤمنين:

﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾: أي ما ذكي على اسم الله خاصة، لا تعدوه إلى الميتة.

﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾: (كا).

ثم وبخهم على ترك الأكل منه فقال:

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُواْ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾

﴿وَمَا لَكُمْ﴾: وأي مانع لكم من ﴿أَلَّا تَأْكُلُواْ﴾ شيئًا ﴿مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ من الذبائح.

القراءة: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾: بكسر الصاد والراء وضم الفاء والحاء مجهولان، أي بيِّن لكم المحرم، وبفتحهما معلومان أي بينه الله.

﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ﴾: (حس) من المحرمات المذكورات في ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ...﴾ [المائدة:٣] الآية، والاستثناء من الجنس؛ لأنهم وُبِّخوا على ترك المباح، وفصل لهم المحرم من المباح عند عدم الضرورة، ثم أبيح لهم المحرم عند الضرورة.

تلخيصه: ما حرم عليكم مباح لكم في حال الضرورة.

القراءة: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ﴾: بضم الياء هنا، و﴿لِيُضِلُّواْ﴾ [يونس:٨٨] في يونس، أي يضلون غيرهم، وبفتحها أي يضلون هم.

﴿بِأَهْوَآئِهِم﴾: ولم يتبعوا الأنبياء، فربك ﴿أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾: (حس).

﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾: (تا) اتركوا جميع الأثام، أو ظاهره مخالة النساء، وباطنه الزنا.

﴿يَقْتَرِفُونَ﴾: (تا) أمروا قبل بالأكل مما ذكر اسم الله عليه، ونهوا هنا عن ضده فقيل: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾: إذا ذبح المسلم ولم يسم الله تعالىٰ علىٰ الذبيحة عامدًا كان أو ناسيًا تحل عند الشافعي وأحمد يحملان الآية علىٰ ما ذبح علىٰ اسم غير الله تعالىٰ وعلىٰ الميتات لقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: أي الأكل منه.

﴿لَفِسْقٌ﴾: (تا) لمعصية لأنَّ الفسق لا يطلق علىٰ ما يُجتهد فيه، والشعبي: لا يأكل لظاهر الآية، وأبو حنيفة: يأكل إن ترك ناسيًا لا عامدًا لقوله ﷺ: «اذكروا أنتم اسم الله وكلوا»(١).

قال المشركون: الشاة إذا ماتت من قتلها؟ فقال النبي ﷺ: «الله»، قالوا: تزعم أنَّ ما قتلته أنت والصقر والبازي والكلب حلال وما قتله الله حرام فنزل: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ﴾(٢): ليوسوسون.

﴿إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾: المشركين.

﴿لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾: (كا) إن علقت ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾: في أكل الميتة ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾: (تا) بما قبل ففيه حجة لمن يحمل ﴿مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ علىٰ الميتة وعلىٰ ما ذبح لغير الله؛ لأنَّه يصير بأكله فاسقًا وبطاعتهم مشركًا، وهذا

---

(١) أخرجه البخاري(٦٩٦٣) من حديث عائشة ﵂.

(٢) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٢٢٣).

لا يوجد فيما يسوغ فيه الاجتهاد، ومن لم يقل بذلك بجعل ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ ابتداء كلام فيحسن الوقف على ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾، فيكون المعنى: وإذا أطعتموهم في استحلال المنهي فإنَّكم مشركون.

الزجاج[1]: فيه دليل أنَّ من أحل شيئًا مما حرم الله، أو حرم شيئًا مما أحل الله فهو مشرك.

ونزل في حمزة وأبي جهل، أو في عمر وأبي جهل، أو في عمار وأبي جهل بإدخال همزة الإنكار على واوا العطف فبقيت مفتوحة ومن بمعنى الذي مرفوعة محلًا مبتدأ

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا﴾: كافرًا.

﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾: فهديناه.

﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا﴾: أي الإيمان، أو القرآن.

﴿يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾: بينهم متبصرًا به، فيعرف الحق من الباطل، والحلال من الحرام، والموالي من المعادي، فإنَّ المؤمن يميِّز بإيمانه، والعالم بعلمه.

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (٢/ ١٥٦).

وخبر من الكاف [من][(١)] ﴿كَمَن﴾.

وقوله: ﴿مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: مبتدأ وخبر و﴿مَّثَلُهُۥ﴾ زائدة، تقديره أو مثل الذي هو كذا مثل من هو في الظلمات، أو ليس بزائد، ويكون مثل بمعنىٰ الصفة، تقديره: هذا المؤمن كمن هو يعني جملة قوله: ﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾.

﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَاۚ﴾: (كا) ونحوه ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَۖ﴾ [محمد:١٥] [ق/ ١٤٠ب] أي صفتها فيها أنهار من ماء، ومحل ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ﴾ حال من الضمير المرفوع في (الظلمات).

﴿زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: (حس).

ابن عباس[(٢)]: زين لهم الشيطان عبادة الأصنام.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كجعلنا فساق مكة أكابرها.

﴿جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ﴾: وقرئ: (أكبر مُجْرِمِيهَا): موحدًا، وخص الأكابر بالذكر لأنَّهم الصادون عن الدين.

ثم قال معللًا: ﴿لِيَمْكُرُواْ فِيهَاۖ﴾: (حس) بالصد عن الإيمان، ورمي النبي ﷺ بالكذب والسحر.

﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾: لأنَّ وبال مكرهم راجع عليهم.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: (حس) بذلك.

لمَّا قال الوليد بن المغيرة: لو كانت النبوءة حقًا لكنت أحق بها لكثرة مالي وكبر سني، أو لمَّا قال أبو جهل: زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتىٰ صرنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي، ولن نؤمن به حتىٰ يأتينا وحي كما يأتيه نزل: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾[(٣)]: دلالة علىٰ صدق محمد ﷺ.

---

(١) في جـ: في، والمثبت من أ، ب.

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٢/ ١٥٦).

(٣) انظر «تفسير الطبري» (١٢/ ٩٥).

﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾: (تا) ثم استفهم منكرًا أنَّهم لا يصلحون للرسالة فقال: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ﴾: **القراءة**: ﴿رِسَالَتَهُۥ﴾: (حس) مفردًا وجمعًا، وحيث مفعول به العامل فيه محذوف تقديره يعلم موضع [رسالاته][(١)]، ولو كان ظرفًا لكان المعنىٰ: الله يعلم في هذا المكان كذا وكذا، وليس بالغرض.

تلخيصه: هو يعلم مكانًا يضعها فيه.

ثم قال متهددًا: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ﴾: من الكفار.

﴿صَغَارٌ﴾: ذل وهوان.

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: في الآخرة .

﴿وَعَذَابٌ شَدِيدُۢ﴾: الأسر والقتل، ثم النار.

﴿بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ﴾: (حس) في الدنيا.

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ﴾: ينور قلبه ويفتحه.

﴿لِلۡإِسۡلَٰمِۖ﴾: (كا).

﴿وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾: لا ينور قلبه ولا يفتحه لقبول الإسلام والدخول فيه.

القراءة: ضيقًا مشددًا لأنَّه الأصل كميت، ومخففًا تخفيفًا و(حرِجًا) بكسر الراء صفة ضيقًا، وبفتح الراء مصدر وصف به كالدنف أو جمع حرجة، وهي الشجرة لا تصل إليها الراعية، المعنىٰ: لا سبيل إلىٰ هدايته.

﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾: (كا) **القراءة**: يصعد مخففًا من الصعود ويصاعده مستقبل تصاعد، أدغمت التاء في الصاد، ويصعد بتشديد الصاد والعين يتفعل.

وقرئ: (يُصعد) من أصعد.

---

(١) في جـ: رسالته، والمثبت من أ، ب.

تلخيصه: ممتنع إيمانه كالصعود إلىٰ السماء كهذا الجعل ﴿يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾: أي الخذلان والعذاب، أو الشيطان يسلط.

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: (كا).

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿وَهَٰذَا﴾: أي الذي أنت عليه يا محمد ﴿صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ﴾: (حس) حال من (ربك) مؤكدة.

﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾: (حس) إن استأنفت ولم تنصب ما بعد حالًا من ضمير ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾، أو تجره صفة (قوم)، وهو ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾: أي الجنة أضيفت إلىٰ الله تشريفا لها، أو لأنّه يسلم علىٰ من دخلها ويسلم من الآفات.

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: (حس) بسبب أعمالهم.

القراءة: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾: هنا والثاني من يونس وفي الفرقان وسبأ بالنون وبالياء غيبة، تقديره: [واذكر][(١)] يوم نحشرهم.

﴿جَمِيعًا﴾: ثم يقال، ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾: أي الشياطين.

﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ﴾: (كا) بإضلالكم إياهم.

﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم﴾: أي أولياء الشياطين.

﴿مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾: الذين أطاعوهم.

﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾: بأن وافق بعضٌ بعضًا [وأطاع][(٢)] بعضٌ بعضًا،

---

(١) في جـ: واذكروا، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: فأطاع، والمثبت من أ، ب.

أو انتفاع الإنس بهم هو ما كانوا يلقونه إلىٰ السحرة والكهان، أو هو قول الرجل: إذا نزل مخوفًا أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، فيبيت في جوارهم، واستمتاع الجن بهم اعترافهم بذلك فيزدادون شرفًا في قومهم، ففي يوم القيامة يقولون اعترافًا بالبعث.

﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَاۚ﴾: (كا).

﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾: (تا) ولم يشأ، أو هو استثناء من الزمان أوالمكان، أو العذاب لدلالة ﴿خَٰلِدِينَ﴾ عليها، أي خالدين في كل زمان إلا قدر ما بين النفختين، أو خالدين في مكان وعذاب مخصوصين إلا أن يشاء الله [نقلهم إلىٰ غيرهما][١]، أو هو في قوم مخصوصين علم الله أنهم يؤمنون فيخرجون من النار، فما بمعنىٰ من.

﴿حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾: (تا).

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾

﴿نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾: بتسلط بعضهم علىٰ بعض.

ابن عباس[٢]: إذا أراد الله بقوم خيرًا ولَّىٰ عليهم خيارهم، وإذا أراد الله بقوم شرًّا ولَّىٰ عليهم شرارهم، أو يجعل بعضهم أولياء بعض يوم القيامة.

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾: (تا) فثم قيل توبيخًا: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾:

---

(١) سقط من ب، والمثبت من أ، ج.

(٢) انظر «الكشف والبيان» للثعلبي (٤/ ١٩١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٦٠).

الضحاك: أرسل إلىٰ الجن منهم لظاهر الآية، أو الرسل من الإنس خاصة، ومن الجن نذر يبلغونهم ما يسمعون، فالخطاب للإنس وإن تناولهما اللفظ كـ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ﴾ [الرحمن:٢٢](١).

﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا﴾: (كا) فثَمَّ جوابًا للاستفهام قبل واعترافا ﴿قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾: (حس) أن قد بلغنا، ففي موطن تعترف ألسنتهم وآخر تخرس وتشهد عليهم جوارحهم.

﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: فلم يؤمنوا.

﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰفِرِينَ﴾: (تا) قالوا: وكررت الشهادة لأنَّ الأولىٰ حكاية لقولهم، والثانية ذم وتخطئة لهم، ويجوز أن تكون الأولىٰ إخبارًا عن التبليغ، والثانية عن الكفر.

---

(١) قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والرسل من الإنس فقط، وليس من الجن رسل، كما قد نص علىٰ ذلك مجاهد، وابن جريج، وغير واحد من الأئمة، من السلف والخلف.
وقال ابن عباس: الرسل من بني آدم، ومن الجن نذر.
وحكىٰ ابن جرير، عن الضحاك بن مزاحم: أنه زعم أن في الجن رسلا واحتج بهذه الآية الكريمة وفي الاستدلال بها علىٰ ذلك نظر؛ لأنها محتملة وليست بصريحة، وهي -والله أعلم -كقوله تعالىٰ ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ إلىٰ أن قال: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمن: ١٩ -٢٢]، ومعلوم أن اللؤلؤ والمرجان إنما يستخرج من الملح لا من الحلو. وهذا واضح، ولله الحمد. وقد نص هذا الجواب بعينه ابن جرير.
والدليل علىٰ أن الرسل إنما هم من الإنس قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ [وَأَوْحَيْنَآ] ﴾ إلىٰ أن قال: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ [بَعْدَ ٱلرُّسُلِ] ﴾ [النساء: ١٦٣ -١٦٥]، وقال تعالىٰ عن إبراهيم: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، فحصر النبوة والكتاب بعد إبراهيم في ذريته، ولم يقل أحد من الناس: إن النبوة كانت في الجن قبل إبراهيم الخليل [عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ] ثم انقطعت عنهم ببعثته.
«تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٤٠).

﴿ذَٰلِكَ﴾: المذكور من بعث الرسل والتعذيب ،وهو خبر مبتدأ، أي الأمر ذلك ثم قال معللًا: ﴿أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ﴾: وأن مصدرية واللام مقدرة معها، أي الأمر ما ذكرنا لانتفاء كون ربك ﴿مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾: أو مخففة من الثقيلة، أي أنَّ الشأن والحديث لم يكن ربك، أو بدل من ذلك نحو ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ﴾ [الحجر:٦٦].

ومحل ﴿بِظُلْمٍ﴾ حال لأنَّه تعالىٰ لا يهلك أحدًا إلا بذنب، والذنب إنَّما يوجد بعد الأمر والنهي، وهما إنما يوجدان بالرسل إثباتًا للحجة.

تلخيصه: لم يهلك قرية.

﴿وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾: (تا).

﴿وَلِكُلٍّ﴾: من العاملين ﴿دَرَجَٰتٌ﴾: جزاء.

﴿مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾: (كا) من الثواب والعقاب.

القراءة: ﴿عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾: بالتاء والياء.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾

﴿ءَاخَرِينَ﴾: (تا).

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾: من البعث والجزاء.

﴿لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: (تا) بفائتين عجزني الشيء، وأعجزني: فاتنيٰ.

القراءة: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾: أي قوَّتكم وحالِكم مفردًا وجمعًا [ق/ ١٨١أ].

﴿إِنِّي عَامِلٞۖ﴾: علىٰ مكانتي أيضًا، والمكانة [ق/ ١٤١ب] مصدر مكن وتكون بمعنىٰ المكان. **تلخيصه:** اثبتوا علىٰ كفركم فإني ثابت علىٰ الإسلام، وهذا تهديد.

﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾: لا وقف هنا إن جعلت من ﴿مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ﴾: (كا) الجنة بمعنىٰ الذي منصوبة بتعلمون، وإن رفعت من مبتدأ بمعنىٰ أي حسن الوقف علىٰ ﴿تَعۡلَمُونَ﴾.

القراءة: تكون بالتاء والياء.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: (حس) كانوا يجعلون نصيبًا من زروعهم وأنعامهم لله، ونصيبًا منها لأصنامهم، فنصيب الله للضيفان وللمساكين، ونصيب آلهتهم لخدمها فما سقط من نصيب الله في نصيب آلهتهم ترك، وما سقط من نصيب آلهتهم في نصيب الله رد، ويوفرون نصيب آلهتهم ويقولون: ﴿هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ﴾: القراءة: بضم الزاء وفتحها لغتان، [وهو][1] القول من غير حقيقة، فحكيت حالهم تهجينًا لهم فقيل: ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾: أي إلىٰ الجهات التي كانوا يصرفون نصيب الله إليها.

﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ﴾: (حس) إلىٰ ما كانوا يصرفون نصيبهم إليهم.

﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾: (حس) **القراءة:**

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ

(١) في ب: وهذا، والمثبت من أ، ج.

يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ ﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾: بفتح الزاء والياء ونصب ﴿قَتْلَ﴾ مفعولًا صريحًا وجر ﴿أَوْلَٰدِهِمْ﴾ إضافة ورفع (شركاء) فاعل ﴿زَيَّنَ﴾، وبكسر الياء مجهولًا، ورفع ﴿قَتْلَ﴾ مفعول ﴿زَيَّنَ﴾ المجهول ونصب ﴿أَوْلَٰدِهِمْ﴾ مفعول ﴿قَتْلَ﴾ وجر (شركائهم) لإضافة القتل إليهم، ففصل بين المصدر والمضاف إليه بالمفعول وهم الأولاد، وترتيبه زيِّن لكثير من المشركين قتلَ شركائهم أولادَهم، ونحو هذا ما روي عن أبي الحسن واحتج به أبو علي علىٰ هذا القراءة:

زج القلوص أبىٰ مزادة[1].

قال أبو علي[2]: وقد جاء في الشعر الفصل علىٰ حد ما قرأه وأنشد للطرماح[3]:

يَطُفْنَ بِحُوزِيِّ المَراتع لم تَرُعْ ... بِوَاديه مِنْ قَرْعِ القِسِيِّ الكَنائِنُ

ثم قال: وهذان البيتان مثل قراءة ابن عامر، ألا ترىٰ أنَّه فصل فيها بين المصدر

---

(١) الرجز بتمامه:

فزججتها بمزجة ... زج القلوص أبي مزاده

وهو من مجزوء الكامل، وهو بلا نسبة في مجالس ثعلب (ص/ ١٥٢) و«خزانة الأدب» (٤/ ٤١٥).

(٢) «الحجة» (٢/ ٢٢٥).

(٣) «ديوانه» (ص/ ٤٨٦)، والبيت في وصف بقر الوحش. وتطفن: أي: تدرن حوله. تقول: طاف الرجل بالقوم

وطاف عليهم، وأطاف أيضا: أي: استدار، وأطاف بالأمر: إذا أحاط به. وأصل الحوزي: المتوحد المتفرد وأراد به فحل البقر الوحشي، الذي يصفه. والمراتع: جمع مرتع، مكان الرتع. يريد أنه منفرد بهذه الأماكن يرتع فيها ما شاء. ولم يرع: لم يخف والقرع: الضرب، والقسي: جمع قوس. والكنائن: جمع كنانة، وهي جراب توضع فيه السهام.

والمضاف إليهما، كما فصل ابن عامر بين المصدر وما حكمه أن يكون مضافًا إليه، هذا مسطور كتاب أبي عليّ، ونحو قراءة ابن عامر ما قرئ (ولا تحسبن الله مخلف وَعْدَه رُسُلِه) بنصب وعده وجر رسله.

وزعم بعضهم أنَّ قراءة ابن عامر لو كانت في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجًا مردودًا كما سمج ورد:

زج القلوص أبىٰ مزادة.

فكيف في الكلام المنثور، فكيف في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته.

ثم قال: والذي حمله علىٰ ذلك أن رأىٰ في بعض المصاحف[1] شركائهم مكتوبًا بالياء، ثم قال: ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء لأنَّ الأولاد شركاؤهم في أموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب.

قلت: هذا لفظ يشعر أنَّ ابن عامر ارتكب محظورًا، وأنَّ قراءته قد بلغت من الرداءة والقبح مبلغًا لم يبلغه شيء من جائز كلام العرب ولا أشعارهم، وأنَّه غير ثقة لأنَّه يأخذ القراءة عن المصحف حسب، ولم يأخذها عن المشايخ، ومع ذلك فيسندها إلىٰ النبي ﷺ؛ لأنَّ إسناده متصل بالنبي ﷺ، وأنَّه جاهل بالعربية، ومن هو كذلك فكيف يجوز أن ينقل عنه شيء من القرآن؟ بل شيء من حديث النبي ﷺ؟ بل شيء من الشعر؟ فكان يجب علىٰ علماء الأمصار رفض هذا الرجل ورفض جميع قراءته بحيث لا يلتفت إليهما، ويصرحوا بذلك في كتبهم كفعل أهل الجرح والتعديل، وليس الطعن في ابن عامر طعنًا فيه وإنما هو طعن في علماء الأمصار الذين جعلوه أحد القراء السبعة المرضية قراءتهم المختارة، وفي الفقهاء الذين يعاصرونهم؛ حيث لم ينكروا عليهم، وناهيك ردعًا لهذا الزاعم ولمن انتظم في سلكه إجماعهم عليه وعلىٰ جعل قراءته إحدىٰ القراءات السبع وأنَّهم يقرأونها في محاريبهم، ويقرئونها والله أكرم من أن يجمعهم علىٰ الخطأ.

---

(١) انظر «المصاحف» لابن أبي داود(ص/ ١٥١).

قال أبو محمد المكي وغيره: لم أر أحدًا يحمل قراءته إلا علىٰ الصحة والسلامة، وكذلك نحن، وأيضًا فالقرآن محكوم بصحته بل بتواتره، فكيف يستدل عليه بما لم يتواتر، بل بما لم يصح نقله بل بمجهول القائل والناقل، وما مثل هذا إلا مثل من يروم تزكية العدل بشهادة غير العدل، هذا هو الداء العضال، وقبيح بذئ حجر أن يستدل بما لم يثبت صحته علىٰ صحة ما ثبتت صحته، بل يستدل علىٰ سبيل الإيناس والإعلام أنَّ هذا مشهور في كلام العرب، فقراءة ابن عامر أصل يستدل به لا له، وكذلك كل ما شابهها في صحة النقل وغرابة العربية لمَّا تقدم، ولأنَّ العلوم الظنية ليست علتها بموجبة لإيجاد الحكم، بل هيٰ تعليل للحكم الموجود وهذا الحكم قد وجد كذا وصح، وليس ما ذكرته بخرق لإجماع النحاة؛ لأنَّهم يعترفون بصحة نقل هذه القراءة، لكنهم يضطربون في تعليلها.

وأيضًا: فهم مجمعون أن القرآن إنما نزل بلغة العرب يعضدهم قوله تعالىٰ: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر:٢٨] فلو كان كما زعم لكان قرآنا غير عربي ذا عوج، فيجب عليهم أنَّهم إذا وجدوا فيه شيئًا لم يجدوه [في كلام العرب][١] أن يجعلوه لغة للعرب لحكمهم بعربيته، ولتعذر وقوفهم علىٰ جميع كلام العرب.

وأيضًا: فطعن الجاهل بعلة الحكم لا يكون طعنًا في صحة ذلك الحكم ولا يجوز.

وقرئ: (زُين) مجهولًا، ورفع قتل مفعول زين، ورفع شركاؤهم، والمعنىٰ أنَّ الشياطين زينوا للمشركين وأد البنات وأضيفوا إليهم لطاعتهم إياهم.

الكلبي: كان الرجل يحلف إن وُلِد له كذا وكذا ولدًا لينحرن أحدهم، فهذا تزيين الشياطين، أو الشركاء سدنة الأصنام؛ لأنَّهم كانوا يحسنون للمشركين ذلك.

﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾: ليهلكوهم بإيقاعهم في الردىٰ وهو الهلاك، ﴿وَلِيَلْبِسُوا﴾: ليخلطوا.

---

(١) في ب: في كلامهم، والمثبت من أ، ج.

﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾: (كا) ويدخلوا عليهم الشك فيه.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾: ما فعل المشركون القتل، ولا الشياطين والسدنة التزيين، وما ذكر قبل ﴿يَفْتَرُونَ﴾: (حس) يختلقون من الكذب.

القراءة: ﴿حِجْرٌ﴾: (كا) بكسر الحاء، أي حرام ويوصف به الواحد والجمع والذكر والأنثىٰ.

وقرئ: بضم الحاء، وخرج بمعناه المعنىٰ أنَّهم كانوا [يعينون][1] أشياء لآلهتهم ويحرمونها ويقولون: ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾: من النساء والرجال.

﴿بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ﴾: أي الحوامي.

﴿حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾: فلا تركب، ﴿وَأَنْعَٰمٌ﴾: تذبح علىٰ اسم أصنامهم.

﴿لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾: فقسموا أنعامهم أقسامًا: قسم حجر، وقسم لا يركب، وقسم يذبح لغير الله تعالىٰ، ونسبوا ذلك إلىٰ الله.

﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾: (كا) مصدر، أو مفعول له، ﴿يَفْتَرُونَ﴾: (حس).

﴿وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: أي البحائر والسوائب، فـ(ما) بمعنىٰ الذي مبتدأ خبره ﴿خَالِصَةٌ﴾: وأنَّث خالصة مبالغة كعلامة، أو حملًا علىٰ المعنىٰ؛ لأنَّ ما في بطون الأنعام أنعام.

وقرئ: (خالصة) نصب مصدر مؤكد، أو حال فخبر المبتدأ ﴿لِّذُكُورِنَا﴾: والعامل في الحال ما في بطون من معنىٰ الاستقرار، وذكر ﴿وَمُحَرَّمٌ﴾:ردًّا إلىٰ لفظ ﴿مَا﴾.

وقرئ: (خالص) علىٰ الأصل وخالصه إضافة.

القراءة: ﴿وَإِن يَكُن﴾: مؤنثًا، ﴿مَّيْتَةً﴾: رفعًا وكان تامة ومؤنثا أيضًا، ونصب ميتة وكان ناقصة، أي وإن تكن الأجنة ميتة، وبتذكير يكن حملًا علىٰ لفظ ما، ونصب ميتة، أي وإن يك ما في البطون ميتة، ومذكرًا ورفع ميتة؛ لأنَّ الميتة

---

(١) في ب: يبينون، والمثبت من أ، ج.

والميت واحد، فكان تامة، المعنىٰ: ما ولد من الأجنة حيًا مختص بالرجال، وما ولد ميتًا ﴿فَهُمْ﴾: أي النساء والرجال فيه في الخارج من البطن، أو الضمير يرجع إلىٰ [لفظ](١) ما.

﴿شُرَكَآءُ﴾: (كا) سواء.

﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾: (كا) جزاء وصفهم الكذب علىٰ الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾: (تا).

﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ﴾

القراءة: ﴿قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ﴾: مخففًا ومثقلًا، نزلت فيمن كان يئد البنات أحياء.

﴿سَفَهًۢا﴾: مصدر، أو مفعول له، ومحل ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: حال أي جهلًا منهم.

﴿ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ﴾: حيث قالوا: الله أمرنا بذلك.

﴿مُهْتَدِينَ﴾: (تا).

﴿أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ﴾: منبسطة علىٰ الأرض كالبطيخ.

﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾: قائمة علىٰ ساق كالنخل، أو المعروش: ما دعم كالكرم، وغير المعروش: ما لم يدعم، أو المعروش: ما [أنبت](٢) الناس، وغير المعروش: ما [نبت](٣) في البراري.

---

(١) في ب: لفظة، والمثبت من أ، ب.
(٢) في ب: أنبتت، والمثبت من أ، جـ.
(٣) في جـ: ينبت، والمثبت من أ، ب.

﴿مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾: أي ثمر النخل والزرع من الطعم والحجم والرائحة، [ونصب][(١)] مختلفًا حال مقدرة؛ لأنَّه وقت الإنشاء لا أكل [منها][(٢)].

﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۚ﴾: (كا).

ثم أباح الأكل من الثمرات أو ما يبدو فقال: ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾: **القراءة**: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾: (كا)بفتح الحاء وكسرها لغتان، والمراد بحقه: الزكاة المفروضة إن جعلت الآية مدنية، وإن جعلت مكية فالمراد بحقه ما يتصدق به علىٰ المساكين وقت الحصاد، والقولان منقولان[(٣)] وكان ذلك واجبًا

---

(١) في جـ: ونصبت، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: فيها، والمثبت من أ، ب.

(٣) قال النحاس : للصحابة والتابعين والفقهاء في هذه الآية خمسة أقوال: منهم من قال: هي منسوخة بالزكاة المفروضة ومنهم من قال: هي منسوخة بالسنة العشر ونصف العشر، ومنهم من قال يعني بهذا الزكاة المفروضة ومنهم من قال: هي محكمة واجبة يراد بها غير الزكاة ومنهم من قال: هي علىٰ الندب فممن قال: إنها منسوخة بالزكاة المفروضة سعيد ابن جبير
حدثنا أبو جعفر قال: كما حدثنا جعفر بن مجاشع، قال: حدثنا إبراهيم بن إسحاق، قال: حدثنا الوليد بن صالح، قال: أخبرنا شريك، عن سالم، عن سعيد بن جبير، في قول الله تعالىٰ: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١] قال: «كان هذا قبل أن تنزل الزكاة كان الرجل يبدأ بعلف الدابة وبالشيء» وهذا قول أبي جعفر محمد بن علي، وعكرمة وقال الضحاك نسخت الزكاة كل صدقة في القرآن وممن قال نسخت الآية بقول النبي ﷺ بالعشر ونصف العشر ابن عباس فيما روي عنه
كما حدثنا أحمد بن محمد الأزدي، قال: حدثنا فهد، قال: حدثنا محمد بن سعيد، قال: حدثنا الحجاج، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس، في قوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١] قال: «نسختها العشر ونصف العشر»
وقرئ علىٰ عبد الله بن أحمد بن عبد السلام، عن أبي الأزهر، قال: حدثنا روح، قال: أخبرنا الثوري، عن مغيرة، عن شباك، عن إبراهيم، ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١] قال: «نسختها العشر ونصف العشر» وهذا قول محمد بن الحنفية، والسدي. =

وممن قال: إنها الزكاة المفروضة أنس بن مالك

كما حدثنا جعفر بن مجاشع، قال: حدثنا إبراهيم بن إسحاق، قال: حدثنا أبو حفص، قال: حدثنا عبد الصمد، قال: حدثنا يزيد بن درهم، عن أنس بن مالك، ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١] قال: «الزكاة»

وقرئ علىٰ عبد الله بن أحمد بن عبد السلام، عن أبي الأزهر، قال: حدثنا روح بن عبادة قال: أخبرنا شعبة، عن أبي رجاء، قال سألت الحسن عن قول الله، تعالىٰ ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١] قال: «الزكاة المفروضة» قال أبو جعفر: وهذا قول سعيد بن المسيب، وجابر بن زيد، وعطاء، وقتادة، وزيد بن أسلم

قال: وحدثنا بكر بن سهل، قال: حدثنا عبد الله بن يوسف، قال: أخبرنا مالك، في قول الله تعالىٰ ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١] : «أن ذلك الزكاة والله تعالىٰ أعلم» وقد سمعت من يقول ذلك.

قال أبو جعفر: وقد قيل إن هذا أيضا قول الشافعي علىٰ التأويل لأنه لا يقول في معنىٰ ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١] لا يخلو من أن يكون ذلك في وقت الحصاد أو بعده وبينت السنة أنه بعده وقد قيل بل يجب علىٰ قول للشافعي أن تكون منسوخة لأنه يقول ليس في الرمان زكاة ولا في شيء من الثمار إلا في النخل، والكرم وفي نص الآية ذكر الرمان والزيتون وقد قال بمصر ليس في الزيتون زكاة لأنه أدم فهذه ثلاثة أقوال والقول الرابع أن في المال حقا سوىٰ الزكاة وإن معنىٰ ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١] أن يعطي منه شيئا سوىٰ الزكاة وأن يخلي بين المساكين وبين ما سقط

كما حدثنا محمد بن جعفر الأنباري، قال: حدثنا الحسن بن عفان، قال: حدثنا يحيىٰ بن اليمان، عن سفيان، قال: «يدع المساكين يتبعون أثر الحصاد فما سقط عن المنجل أخذوه» وهذا قول جماعة من أهل العلم منهم جعفر بن محمد وقد روي وصح عن علي بن الحسين رضي الله عنه أنه أنكر حصاد الليل من أجل هذا

وقرئ علىٰ أحمد بن محمد بن الحجاج، عن يحيىٰ بن سليمان، قال: حدثنا حفص، قال: أخبرنا أشعث، عن نافع، عن ابن عمر، ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١] قال: «كانوا يعطون من اعتر بهم» وهذا أيضا قول مجاهد ومحمد بن كعب وعطية وهو قول أبي عبيد واحتج بحديث النبي ﷺ: «أنه نهىٰ عن حصاد الليل» والقول الخامس: أن يكون معنىٰ، ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١] علىٰ الندب وهذا القول=

لا يعرف أحدٌ من المتقدمين قاله وإذا تكلم أحد من المتأخرين في معنىٰ آية من القرآن قد تقدم كلام المتقدمين فيها فخرج عن قولهم لم يلتفت إلىٰ قوله ولم يعد خلافا فبطل هذا، وأما القول بأنها الصدقة المفروضة فيعارض بأشياء منها أن هذه السورة مكية والزكاة فرضت بالمدينة لا تنازع بين أهل العلم في ذلك، ومنها أن قوله تعالىٰ ﴿ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ ﴾ [الأنعام: ١٤١] لو كان للزكاة المفروضة وجب أن تعطىٰ وقت الحصاد وقد جاءت السنة وصحت أن الزكاة لا تعطىٰ إلا بعد الكيل وأيضا فإن في الآية ﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١ ﴾ [الأنعام: ١٤١] فكيف يكون هذا في الزكاة وهي معلومة وأيضا فلو كان هذا في الزكاة لوجب أن تكون الزكاة في كل الثمر وفي كل ما أنبتت الأرض وهذا لا يقوله أحد نعلمه من الصحابة ولا التابعين ولا الفقهاء إلا بعض المتأخرين ممن خرج عن الإجماع وأكثر ما قيل في هذا من قول من يحتج بقوله قول أبي حنيفة أن في كل هذا الزكاة إلا في الحطب والحشيش والقصب وقد أخرج شيئا مما في الآية ولم يختلف العلماء أن في أربعة أشياء منها الزكاة: الحنطة، والشعير، والتمر، والزبيب فهذا إجماع وجماعة من العلماء يقولون لا تجب الزكاة فيما أخرجت الأرض إلا في أربعة أشياء: الحنطة، والشعير، والتمر والزبيب فممن قال هذا الحسن ومحمد بن سيرين والشعبي وابن أبي ليلىٰ، وسفيان الثوري، والحسن بن صالح، وعبد الله بن المبارك، ويحيىٰ بن آدم وأبو عبيد واحتج أبو عبيد بحديث الثوري عن طلحة بن يحيىٰ عن أبي بردة إن معاذا وأبا موسىٰ لما بعثا ليعلما الناس أمر دينهم لم يأخذا الزكاة فيما أخرجت الأرض إلا من هذه الأربعة واحتج غيره أن أموال المسلمين محظورة، فلما أجمع علىٰ هذه الأشياء وجبت بالإجماع ولما وقع الاختلاف في غيرها لم يجب فيها شيء وزاد ابن عباس علىٰ هذه الأربعة السلت والزيتون وزاد الزهري علىٰ هذه الأربعة الأشياء الزيتون والحبوب كلها وهذا قول عطاء، وعمر بن عبد العزيز، ومكحول، ومالك بن أنس وهو قول الأوزاعي، والليث في الزيتون الزكاة قال أبو جعفر: وهذا القول كان قول الشافعي بالعراق ثم قال بمصر في الزيتون لا أرىٰ أن تجب فيه الزكاة لأنه أدم لا أنه يؤكل بنفسه وقال يعقوب، ومحمد فيما بعد الأربعة كل ما يؤكل ويبقىٰ ففيه الزكاة فهذه الأقوال كلها تدل علىٰ أن الآية منسوخة لأنه ليس أحد منهم أوجب الزكاة في كل ما ذكر في الآية وأكثرهم اعتماده علىٰ الأشياء الأربعة فمن ضم إليها الحبوب وما يقتات به فإنما قاسه عليها ومن ضم إليها الزيتون فإنما قاسه علىٰ النخل والعنب هكذا قول الشافعي بالعراق قال أبو جعفر: وقد احتج من يذهب إلىٰ أن الآية محكمة وأن ذلك حق في المال سوىٰ الزكاة

بما حدثنا أبو علي الحسن بن غليب، قال: حدثنا عمران بن أبي عمران، قال: حدثنا ابن=

فنسخ بالزكاة، أو نسخت الزكاة كل آية نفقة في القرآن، والمعنىٰ وتصدقوا بما أعطيتم.

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾: (كا) في التصدق بإخراج جميع المال أو معظمه.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: (حس) قالوا ولا أحبه؛ لأنَّ ﴿حَمُولَةً﴾: ما يحمل عليه، ﴿وَفَرْشًا﴾: نصب عطف علىٰ ﴿جَنَّٰتٍ﴾، أي وأنشأ من الأنعام ما يحمل عليه وما يفرش للذبح، أو ما يفرش من أصوافها وأوبارها، وإن جعلت (ومن الأنعام) جملة معطوفة علىٰ جملة حسن الوقف علىٰ ﴿ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: (حس) إن نصبت ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ﴾: بمضمر تقديره: كلوا لحم ثمانية، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، ولا يحسن إن نصبت ثمانية بدلًا من ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾، والأزواج: جمع زوج، والمراد الذكر والأنثىٰ، ويقال للواحد زوج إذا كان لا ينفك عن الآخر، أجملها أولًا ثم فصلها ثانيًا فقال:

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ

= لهيعة، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ في قول الله تعالىٰ ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ﴾ [الأنعام: ١٤١] قال: «ما سقط من السنبل».

قال أبو جعفر: وهذا الحديث لو كان مما تقوم به حجة لجاز أن يكون منسوخا كالآية وقد قامت الحجة بأنه لا فرض في المال سوىٰ الزكاة إلا لمن تجب نفقته وثبت ذلك عن رسول الله ﷺ.

«الناسخ والمنسوخ» (ص/ ٤٢٤-٤٢٨).

طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾

﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: بدل من ثمانية، ثم عطف عليهما بقية الثمانية، والمعنىٰ: من الضأن ذكر وأنثىٰ ﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ ذكر وأنثىٰ.

القراءة: بفتح العين وإسسكانها لغتان.

لمَّا كانوا تارة يحرمون ذكور الأنعام وتارة إناثها كما تقدم في السوائب والبحائر نزل أمرًا للنبي ﷺ إنكارًا عليهم: ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ من الضأن والمعز نصب بقوله: ﴿حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ منهما وتنصب أيضًا بحرم ما من ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾: منهما أيضًا، وكذلك الكلام في الإبل والبقر.

﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾: أي فسروا لي ما حرمتم بتحقيق.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: (كا) أنَّ الله حرمها، ولا محل لقوله من: ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ إلىٰ هنا؛ لأنَّه اعتراض بين المعدودات تأكيدًا للتحليل، ومبالغة في نفي التحريم، وكذلك الحكم في كل [اعتراض](١)، وأجمعوا علىٰ مد ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ لأنَّها همزة استفهام دخلت علىٰ همزة الوصل لتفرق بين الاستفهام والخبر [فيمد](٢)، فقال ﷺ: «إنَّكم حرمتم أصنافًا من النعم [ق/ ٨٣أ] علىٰ غير أصل، فمن أين جاءكم التحريم من قبل الذكر أم من قبل الأنثىٰ، فلم يجب ﷺ»(٣)؛ لأنَّهم لو قالوا: بسبب الذكورة لحرم جميع الذكور، أو بسبب الأنوثة لحرم جميع الإناث، أو بسبب اشتمال الرحم لحرم الكل الرحم يشتمل عليه.

تلخيصه: أحرم عليكم ذلك؟

---

(١) في جـ: الاعتراض، والمثبت من أ، ب.

(٢) في ب: فمد، وفي جـ: فمدت، والمثبت من أ، ب.

(٣) انظر «الكشف والبيان» للثعلبي (٤/ ٢٠٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٦٦).

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾: الهمزة للإنكار، وأم بمعنىٰ بل، المعنىٰ: بل أكنتم حضورًا.

﴿إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾: (حس) التحريم، وهذا تجهيل لهم.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: (كا) والمراد عمرو بن لحي بن قمعة ومن تبعه.

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (تا).

القراءة: ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ﴾: بالتاء والياء ﴿مَيْتَةً﴾ نصبًا، وبالياء غيبة ورفع ﴿مَيْتَةٌ﴾، فكان تامة.

تلخيصه: لا أجد فيما أوحي إلىٰ شيئًا محرمًا إلا ميتة.

﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾: مصبوبًا لا كالكبد والطحال، والدم المختلط بالمخ واللحم؛ لأنَّهم كانوا يأكلون دماء ذبائحهم.

عكرمة[(١)]: لولا هذه الآية لتتبع المسلمون من العروق ما تتبع اليهود.

﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾: أي حرام.

﴿أَوْ فِسْقًا﴾: عطف علىٰ ﴿لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾.

ومحل ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾: (حس) بالمذبوح نصب صفة ﴿فِسْقًا﴾، وسمي فسقًا لذبحهم إياه علىٰ اسم غير الله، أكثرهم أنَّ السنة حرمت غير المذكور في الآية.

ابن عباس[(٢)]: نهىٰ رسول الله ﷺ عن كل ذي ناب من السباع ومخلب من [الطير][(٣)].

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾: إلىٰ [أكل][(٤)] شيء من هذه المحرمات فأكل.

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٠٧).
(٢) أخرجه مسلم(١٩٣٤).
(٣) في ب: الطيور، والمثبت من أ، جـ.
(٤) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: (حس) لا يؤاخذه.

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾

القراءة: ﴿كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ﴾: **وقرئ**: بسكون الفاء **وقرئ**: بكسر الظاء وسكون الفاء، والظفر للإنسان وغيره، وهو ما يكون في طرف الأيدي والأرجل، ثم يسمىٰ بعض خفًا، وبعض [ق/ ١٤٣ب] حافرًا، وبعض مخلبًا، وبعض ظفرًا، أو المراد هنا ما ليس بمفرق الأصابع كالبط والإبل والنعام، أو كل ذي مخلب من الطير أو حافر من الدواب وتعطف علىٰ ﴿كُلَّ﴾ ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾: أي حرمنا علىٰ اليهود كل ذي ظفر، وجميع شحوم البقر والغنم، وهي الثروب وشحوم الكلىٰ.

﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾: ما علقت بالظهر والجنب من داخل.

﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾: هي المصارين عطفت علىٰ الظهور، فهي رفع، أي وما حملت من الشحوم، أو علىٰ ما فهي نصب، فالمراد نفسها، أو علىٰ الشحوم فتحرم.

﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ﴾: (كا) هو شحم الإلية لمَّا [فيها][1] من العظم.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي الجزاء، وهو تحريم الطيبات.

﴿جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ﴾: بسبب ظلمهم لأنَّها كانت حلالًا [لهم][2]، فلمَّا عصوا حرمت عليهم.

---

(١) في جـ: فيه، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من ب، والمثبت من أ، جـ.

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾: (حس) فيما أخبرنا به.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾: فيما جئت به، ﴿فَقُل﴾: استعطافًا لهم.

﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾: (كا) حيث لم يعاجلكم بالعقوبة.

﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾: عذابه.

﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: (تا) إذا جاء، ثم أخبر عما هم قائلوه بعد لزوم الحجة لهم فقال: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾: عطف على الضمير المرفوع في ﴿أَشْرَكْنَا﴾، قالوا: وأغنت لا بزيادتها عن التأكيد.

﴿وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾: (كا) من البحائر وغيرها، فكأنَّهم جعلوا إقامتهم على الشرك وتحريمهم ذلك بمشيئة الله، ولم يقولوا هذا القول تعظيمًا، بل سخرية واستهزاء وهم مكذبون، يوضحه قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي كهذا التكذيب الذي كذبوك ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: من الأمم الخالية أنبياءهم.

﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا﴾: (كا) حتى هلكوا.

﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾: حجة أو دليل معلوم على صحة دعواكم.

﴿فَتُخْرِجُوهُ﴾: فتظهروه ﴿لَنَآ﴾: (حس) ليثبت ما تدعون من الشرك والتحريم.

﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾: (تا) تكذبون.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

فلمَّا لم يكن لهم حجة قال: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾: التامة، ﴿فَلَوْ شَآءَ﴾: مشيئة إلجاء.

﴿لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: (تا).

ثـم أمـر ﷺ بـأمرهم [بإحضار][1] شـهودهم وإن كـانوا شـهود باطل لتلزمهم الحجة فقيل لـه: ﴿قُلْ هَلُمَّ﴾: يستعمل بلفظ واحد للواحد، والجمع والذكر والأنثىٰ عند الحجازي، فهو اسم للفعل وبني لوقوعه موقع الأمر، ويفرد ويثنىٰ ويجمع ويذكر ويؤنث عند التميمي، فهو فعل والمعنىٰ أحضروا.

﴿شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ﴾: (كا) الذي حرمتموه.

﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾: كاذبين، ﴿فَلَا تَشْهَدْ﴾: يا محمد، ﴿مَعَهُمْۚ﴾: (حس) لا تصدقهم ولا تسلم إليهم؛ لأنَّه إذا سلم إليهم فكأنَّه قد تشهد معهم، وهذا أمر له ﷺ والمراد غيره.

ثم حذر من اتباع الضالين فقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: (تا) يشركون.

﴿۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾

﴿تَعَالَوْاْ﴾: من العلو وأصلها أن يقولها من هو بمكان عال لمن هو بمكان أخفض منه، ثم عمت الأمكنة.

﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ﴾: وتنصب ما باتل وهىٰ مصدرية أو موصولة، المعنىٰ: جيئوا أتل المحرَّمَ أو الذي حَرَّم ﴿رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ﴾.

وأن من ﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ﴾: مفسرة بمعنىٰ، أي فلا نهي غير زائدة أو

---

(١) في ب: بإحضارهم، والمثبت من أ، ج.

مصدرية، فمحلها نصب بحرم، ولا زائدة، أي حرم عليكم الإشراك أو رفع، أي المحرم الإشراك، وإن نصبتها إغراء فالعامل فيها عليكم، فتقف بعد ﴿رَبُّكُمْ﴾، تقديره: الزموا ترك الإشراك، أي دوموا علىٰ الإسلام، أو ليست بزائدة، والكلام متصل.

تلخيصه: أتل عليكم المحرمات قبل لئلا تشركوا بالله شيئًا؛ لأنَّهم إذا قبلوا ممن حرم ما أحل الله، وبالعكس فقد جعلوا غير الله في القبول منه بمنزلة الله، وذلك شرك، فبعد النهي عن هذه المحرمات أمر بالإحسان إلىٰ الآباء والأولاد والأنفس بترك الفواحش والظلم فقال: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾: أي وأحسنوا بهما ﴿إِحْسَانًا﴾: (حس).

﴿مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾: من أجل فقر.

﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾: (كا).

﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾: (كا) بدلان من الفواحش قبل ومحل ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: كقتل ردة أو قصاص أو رجم حال.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: (حس).

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي﴾: بالخصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾: حسنًا وهي صلاحه.

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾: الحلم، أو يعقل، أو هو ما بين ثماني عشرة إلىٰ ثلاثين سنة، وهو جمع شد كقد واقد، وعن سيبويه أنَّه جمع شدة، أو هو أحد ما جاء علىٰ بناء الجمع كأنَّك.

ومحل ﴿بِالْقِسْطِ﴾: (كا) بالعدل حال، ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾: (كا) **القراءة**: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: (حس) مشددًا، أصله تتذكرون فأدغم، ومخففًا علىٰ حذف إحدىٰ التاءين يحسن الوقف هنا علىٰ القراءة بكسر الهمزة استئنافًا من ﴿وَأَنَّ هَٰذَا﴾: أي الذي وصيتم به.

﴿صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا﴾: حال وغير جائز على القراءة أيضًا بفتح أنَّ إلا تسامحًا لتعلقه بما قبله، تقديره: ولأنَّ هذا صراطي مستقيمًا.

﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾: **تلخيصه**: اتبعوه لاستقامته، أو هو عطف على حرّم، أي وأتل عليكم أنَّ هذا صراطي.

القراءة: بفتح أنَّ وكسرها مشدة، وبفتحها مخففة، أي أنَّه هذا فالهاء ضمير الشأن فهذا ضمير مبتدأ.

وقرئ: (هذا صراطي) والفاء على كسر إنَّ عاطفة جملة على جملة، وعلى فتحها بمنزلة قولك: بزيد فامرر.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾: أي الطرق المختلفة في الدين وجواب النهي ﴿فَتَفَرَّقَ﴾: فتميل، ﴿بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾: (كا) عن سبيل الله تعالى وهو الإسلام.

ابن عباس[1]: هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء.

﴿وَصَّاكُم بِهِ﴾: أي المذكور، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: (كا) لأنَّه رأس آية، ولا أحبه لأنَّ

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا﴾: عطف على ﴿وَصَّاكُم﴾ لأنَّ من تقدم من الأنبياء كان يُوَصَّى على أمته، أي وصينا من تقدم ثم آتينا.

---

(١) انظر «الكشف والبيان للثعلبي (٤/ ٢٠٥)، و«الكشاف» (٢/ ٨٠).

﴿مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا﴾: مفعول له، أي لتمام النعمة.

﴿عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾: أي على المحسنين يوضحه ما قرئ: على الذين أحسنوا وهم الأنبياء والمؤمنون، أو الضمير في أحسن لله، والهاء محذوفة تقديره تمامًا على الذي أحسنه الله تعالى إلى موسى، أو لموسى أي أحسن موسى فيه من العمل [ق/ ١٤٤ب] والشرائع.

وقرئ: برفع أحسن على حذف المبتدأ، أي الذي هو أحسن.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: (حس) لا وقف على: ﴿تُرْحَمُونَ﴾: إلا تسامحًا لتعلق ﴿أَن تَقُولُوٓا۟﴾: بما قبل أي أنزلناه لئلا تقولوا يا أهل مكة: ﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ﴾: اليهود والنصارى.

﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾: وإن مخففة من الثقيلة، والفارق بينها وبين النافية اللام في ﴿لَغَٰفِلِينَ﴾: أي وإنَّه كنا عن قراءتهم غافلين لا نفهمها، والهاء للشأن، فلا وقف هنا لأنَّ ﴿أَوْ تَقُولُوا۟﴾: عطف على أن تقولوا؛ لأنَّ جماعة من أهل مكة كانوا يقولون: ﴿لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾: من اليهود والنصارى.

تلخيصه: أنزلناه قطعًا [لحجتكم][1]، ثم تحداهم بما بعد حاذفًا للشرط تقديره إن كنتم صادقين فيما تدعون.

﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾: (كا) وهو محمد ﷺ فاتبعوه.

وقرئ: (أن يقولوا) أو(يقولوا)غيبة.

ثم وبخهم بقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: بعد ما عرفها، ﴿وَصَدَفَ﴾: أعرض ﴿عَنْهَا﴾: (حس) ثم قال متهددًا: ﴿سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾: (حس) .

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ

(١) في جـ: لحجتهم، والمثبت من أ، ب.

ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾

القراءة: ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: بالياء والتاء.

﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ﴾: (كا) هو الموت، أو طلوع الشمس من مغربها.

القراءة: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾: بنصب يوم ناصبه (ينفع).

وقرئ: برفعه مبتدأ خبره، ﴿لَا يَنفَعُ﴾: والعائد محذوف، أي لا ينفع.

﴿نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾: فيه.

وقرئ: (تنفع) مونثًا لإضافة الإيمان إلىٰ مؤنث، وتنكير نفس [يؤذن][(١)] بشياعها، ومحل: ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾: أي قبل ظهور الإيمان نصب حال من هاء، أو صفة نفس، وتعطف علىٰ آمنت ب﴿أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا﴾: السابق لظهور الآيات، ﴿خَيْرًا ۗ﴾: (حس) توبة أو عملًا صالحًا، تقديره: لا ينفع نفسًا غير مقدمة الإيمان إيمانها عند ظهور الآيات، أو نفسًا قدمت الإيمان غير كاسبة فيه ﴿خَيْرًا ۗ﴾، وهذا لفظ يشعر أنَّ الإيمان السابق العري عن فعل [الخير][(٢)] لا ينفع مطلقًا لوجود في الظرفية، أو بمعنىٰ مع فيه، وليس كذلك لأنَّ الإيمان السابق العري عن فعل الخير ينفع مقيدًا، ولا ينفع مقيدًا لأنه ينفع في عدم التخليد لورود النصوص بذلك، والعقل لا ينافيه، ولا ينفع في دفع العقاب جزاء علىٰ الإثم، والإيمان الواقع عند ظهور الآيات لا ينفع مطلقًا، وهذا يعم الكافر المؤمن عند ظهور الآيات، والمؤمن الفاسق الفاعل الخير عند ظهورها.

---

(١) في جـ: مؤذن، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: الخيرات، والمثبت من أ، ب.

تلخيص المعنىٰ: لا ينفع إيمان كافر ولا توبة فاجر ولا فعل خير.

ثم قال ﷺ: «**ثلاثٌ إذا خَرَجْن لم ينفعْ نفسًا إيمانُها لم تكنْ آمنت مِنْ قَبْلُ الدَّجالُ والدَّابَّةُ وطلوعُ الشَّمسِ من مغربِها**»[١].

﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾: (تا) **القراءة**: ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾: هنا والروم بغير ألف مشددًا، أي جعلوا دين إبراهيم أديانًا مختلفة، فتهوَّد قوم وتنصَّر قوم، ثم افترقا فرقًا، في الحديث: «**تفرَّقت بنو إسرائيل اثنين وسبعين ملة، وتفترقُ أمتي علىٰ ثلاثة وسبعين مِلّة كُلُّهم في النار إلا واحدة، وهي ما أنا عليه وأصحابي**»[٢][ق/ ٨٣أ].

وروي أنَّ اليهود افترقت علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة، والنصارىٰ علىٰ اثنين وسبعين فرقة[٣].

وفارقوا بألف، أي تركوه.

﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾: أي فرقًا كل فرقة تُشايع إمامها، فمن جعلها نازلة في اليهود والنصارىٰ فمعنىٰ ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ﴾: أي من قتالهم، ﴿فِي شَيْءٍ﴾: (كا) فالآية منسوخة بآية القتال[٤]، ومن جعلها في أصحاب الأهواء فمعنىٰ ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي

---

(١) أخرجه مسلم(١٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجة (٣٩٩١)، وأحمد (٨٣٧٧)، وابن حبان(٦٢٤٧)، والحاكم(١٠)، وأبو يعلىٰ (٥٩١٠)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٢٠٦٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) قال النحاس: عن ابن عباس، في قوله جل وعز: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٩] قال: «اليهود والنصارىٰ تركوا الإسلام والدين الذي أمروا به وكانوا شيعا فرقا أحزابا مختلفة ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩] نزلت بمكة ثم نسخها ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩]».
قال أبو جعفر: وقال غيره ليس في هذا نسخ لأنه معروف في اللغة أن يقال لست من فلان ولا هو مني إذا كنت مخالفا له منكرا عليه ما هو فيه وحكىٰ سيبويه أنت مني فرسخا أي مادمت أسير فرسخا علىٰ أنه روىٰ أبو غالب، عن، أبي أمامة، عن النبي ﷺ، في قول الله عز =

شَيْءٍ﴾ إنك برئ منهم، وهم منك براء.

﴿بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾: (تا) **القراءة**: فله، ﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾: جرًا إقامة للصفة مقام الموصوف، أي عشر حسنات أمثالها.

وقرئ: (عشرٌ أمثالها) منونًا بالرفع فيهما على الوصف، أي فله حسنات عشر أمثالها، وحذفت الهاء عن عشر لتأنيث الأمثال في المعنى؛ لأنَّ مثل الحسنة حسنة.

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: (تا) في الحديث: «**إنَّ الحسناتِ تضاعفُ من عشرٍ إلى سبعمائةِ ضِعف**»[1].

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾

﴿هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: لا وقف هنا لأنَّ ﴿دِينًا قِيَمًا﴾: بدل من محل ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾، أو مفعول ثان لهدان، وإن نصبت ﴿دِينًا﴾ بمضمر أي عرفني دينًا وقفت على ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾.

= وجل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ [الأنعام: ١٥٩] قال هم الخوارج وإن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة وتزيد هذه الأمة واحدة كلها في النار إلا فرقة واحدة وهي الجماعة والسواد الأعظم فتبين بهذا الحديث وبظاهر الآية أن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا هم أهل البدع لأنهم إذا ابتدعوا تجادلوا وتخاصموا وتفرقوا فليس النبي ﷺ ولا الفرقة الناجية وهي الجماعة الظاهرة منهم في شيء لأنهم منكرون عليهم ما هم فيه مخالفون لهم فهذا من الناسخ والمنسوخ بمعزل.

«الناسخ والمنسوخ» (ص/ ٤٤٣).

(١) أخرجه البخاري (٤٢)، ومسلم (١٢٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

القراءة: قيما مصدر بمعنىٰ القيام، ووصف به الدين، وقيِّمًا فيعلًا من قام صفة، أي دينا قائمًا في غاية الثبوت.

﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾: بدل من (دينًا)، ﴿حَنِيفًاۚ﴾: (كا) حال من ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: (تا).

﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾: عبادتي، أو ذبحي النسائك بمنىٰ نحو ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر:٢].

﴿وَمَحْيَايَ﴾: حياتي، ﴿وَمَمَاتِي﴾: موتي، المعنىٰ: جميع طاعتي في حياتي وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح خالصًا.

﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾: (كا)، ﴿وَبِذَٰلِكَ﴾: بالإخلاص.

﴿أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: (تا) من أمتي؛ لأنَّ كل نبي إسلامه متقدم علىٰ إسلام أمته، قالوا للنبي ﷺ: ارجع إلىٰ ديننا فقيل له: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾: المعنىٰ لا يجوز لي أن أطلب سواه ربًا.

﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍۚ﴾: فكل [شيء][1] سواه مربوب له.

ونزل لمَّا قال الوليد بن المغيرة: اتبعوني أحمل أوزاركم: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَاۚ﴾: (كا).

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ﴾: لا تحمل حاملة حمل غيرها والهاء في ﴿وَازِرَةٌ﴾ للمبالغة، أو لتأنيث النفس، وأصل الوزر: الثقل.

﴿تَخْتَلِفُونَ﴾: (حس)

﴿جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾: جمع خلافة، وهو النيابة عن الغير والحلول محله؛ لأنَّ النبي ﷺ وأمته خلفوا من تقدمهم في الأرض بأن سكنوها بعدهم، أو بأن يخلف بعضهم بعضًا، أو جمع خليفة لأنَّهم خلفاء الله في أرضه لإقامة دينه.

---

(١) في جـ: موجود، والمثبت من أ، ب

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾: بالخلق والخلق والدين والعلم والمال.

﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾: ليختبركم ﴿فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾: (حس) من المال وغيره، فيظهر لكم منكم المطيع من العاصي.

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾: لأنَّ كل ما هو آتٍ قريب، ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمُۢ﴾: لمن تاب.

سورة الأعراف

مكية إلا من: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ إلىٰ ﴿۞وَإِذْ نَتَقْنَا﴾ وهي مائتان وخمس أو ست آيات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بعد ختم الأنعام بوعيد الكفار ووعد الأبرار [ق/ ١٤٥ب] والامتنان عليهم عقَّب ذلك بما فيه تسلية، ونهي عن اتباع الكفار، وتحذير من مثل حالهم فقيل:

﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝٤﴾

﴿الٓمٓصٓ﴾: (تا) كأول البقرة وخلافه.

﴿كِتَٰبٌ﴾: خبر مبتدأ أي هذا كتاب ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: وصفه، والمراد بالكتاب: القرآن، أو هذه السورة.

﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾: أي ضيق من تبليغ الكتاب، والنهي للحرج في اللفظ وفي المعنىٰ للنبي ﷺ، أي لا تحرج منه، نحو: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ﴾ [النمل:١٨]، أو الحرج: الشك؛ لأنَّ الشاك يضيق صدره، أي لا تشك أنَّه منزل من عند الله، فالخطاب له والمراد أمته.

واللام في ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾: متعلق بالنهي، أي لا يكن في صدرك حرج لأجل الإنذار بالكتاب ليتمكن من ذلك، أو بأنزل، أي أنزاه لتنذر به، أو لتنذر به فلا يكن في صدرك حرج منه، إن عليك إلا البلاغ.

ومحل ﴿وَذِكْرَىٰ﴾: رفع عطف علىٰ (كتاب)، أو خبر مبتدأ، أو نصب حال من

ضمير (أنزل)، وما بينهما اعتراض، أو مصدر، أي لتنذر وتذكِّر تذكيرًا؛ لأنَّ التذكير والذكرىٰ واحد، أو جر عطف علىٰ محل (تنذر)، أي أنزل للإنذار وللذكرىٰ.

﴿لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾: أي القرآن والسنة.

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾: أي دون الله.

﴿أَوْلِيَآءَ﴾: (كا) من الشياطين والأوثان وما يُضل.

تلخيصه: ولا تتولوا غير الله.

وقرئ: (ولا تتبعوا) بغين معجمة، وتنصب ﴿قَلِيلًا مَّا﴾ بقوله: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: (تا) ﴿مَّا﴾ زائدة.

القراءة: بالتاء والياء، وبتخفيف الذال وتشديدها.

﴿وَكَم﴾: مبتدأ، ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾: صفته، ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾: خبره وأنث الضمير لأنَّ كم في معنىٰ القرىٰ، وتقديره: وكثير من القرىٰ أردنا إهلاكها.

﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾: وهذا نحو: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ﴾ [النحل:٩٨].

﴿بَيَٰتًا﴾: مصدر في موضع الحال، أي ليلًا كقوم لوط أهلكوا ليلًا وقت السحر.

ومحل ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾: (كا) كقوم شعيب، المبتدأ والخبر، والقيلولة: [استراحة][(١)] نصف النهار وإن لم يكن نوم حال معطوفة علىٰ (بياتًا)، وحذفت الواو استثقالًا للجمع بين حرفي عطف؛ لأنَّ واو الحال أصلها العطف استعيرت للوصل، وتقديره: جاءها بأسنا بائتين وقائلين، وأو لتفصيل العذاب، فبعض عذب ليلًا، وبعض نهارًا، وخص القيلولة والبيات بالذكر لأنَّهما وقت دعة وغفلة، فحلول العذاب فيهما أصعب وأقرب.

---

(١) في جـ: الاستراحة، والمثبت من أ، ب.

﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩ ﴾

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾: تضرعهم وقولهم: ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾: (كا) بفعلنا اعترفوا حيث لم ينفع الاعتراف، في الحديث [ق/ ٩٨ جـ]: «ما هلك قوم حتىٰ يعذروا من أنفسهم» (١).

﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾: أي نسأل الأمم عما بلغوا توبيخًا.

﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: (كا) الأنبياء عما أجيبوا تقديرًا لذلك، ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم﴾: علىٰ المسئولين ما عملوا يقينًا، ﴿بِعِلْمٍ﴾: حال عالمين بجميع ما صدر منهم.

﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾: عن ذلك فنخبر بما لم يكن.

﴿وَٱلْوَزْنُ﴾: مبتدأ، أي السؤال والقضاء خبره ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: صفة الوزن، ﴿ٱلْحَقُّ﴾: العدل.

وقرئ: (القسط)، والعامل في الظرف محذوف تقديره الوزن كائن يوم القيامة، أو المراد حقيقة الوزن، في الحديث: «أنَّه ينصب ميزان له لسان وكفتان فتوزن فيه صحف الأعمال» (٢)، أو الأعمال، أو الأشخاص إظهارًا للعدل.

﴿فَمَن ثَقُلَتْ﴾: رجحت، ﴿مَوَٰزِينُهُۥ﴾: جمع ميزان لأنَّ لكل عبد ميزانًا، أو لاشتمالها علىٰ كفتين ولسان، فكل جزء منها ميزان، أو هو جمع موزون.

﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: (كا) عن أبي بكر(٣): حق لميزان يوضع فيه الحق أن يكون

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٤٧)، وأحمد (١٨٣١٥)، وابن الجعد في «مسنده» (١٢٨).

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٨١) عن ابن عباس موقوفا عليه.

(٣) انظر «تفسير البغوي» (٢/ ١٨١).

ثقيلًا، وحق لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفًا.

﴿يَظْلِمُونَ﴾: (تا) يجحدون.

تلخيصه: من ثقلت موازينه أفلح، ومن خفت خسر.

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾: ما تعيشون به كالزروع والضروع، ولا تهمز ياؤها لأنَّها أصلية جمع معيشة، وأصلها معيشة مفعلة من العيش فاعلت تبعًا لإعلال فعلها، وهو يعيش لأنَّ الاسم إذا وافق الفعل في الوزن أعل كباب، وصحح باب لومة وعيبة لعدم وزن الفعل، فلمَّا كسرت معيشة زال عنها شبه الفعل بالتكسير؛ لأنَّ الفعل لا يكسر، فثبتت الياء متحركة كأصلها وهمزها تشبيهًا لها بسفائن مردود، وإن نقلت شاذة.

﴿تَشْكُرُونَ﴾: (تا).

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾: أي آدم، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾: في ظهره يوم الميثاق، أو المعنىٰ خلقنا آدم طينه ثم صورناه صورة كاملة وجمع تعظيمًا له يؤكد هذا التأويل ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾: (تا).

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: (تا) لآدم ثم قيل له توبيخًا وإبرازًا لمَّا كان يجنه من الكبر والحسد: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾: (لا) زائدة، ومحل (أن) نصب بمنع، أي أيُّ شيء منعك السجود؟ ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾: (كا) وقت أمري في هذا دليل لمن يقول بوجوب الأمر وأنَّه علىٰ الفور، وكان جواب الخبيث أن يقول: منعني كذا، لكنَّه استأنف منبهًا علىٰ فضله وأصله وأنَّ مثله لا ينبغي أن يؤمر

بالسجود لآدم فقال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾: ثم بيَّن وجه الفضل علىٰ زعمه بقوله: ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾: ومحل (من نار) و(من طين) حال، أخطأ الخبيث لأنَّه قاس ولم يكن له ذلك، ولأنَّه خالف الأمر لا لعذر، ولأنَّه حاج مع المخالفة، يقال: الخطأ إذا احتج له صار عمدًا، ولأنَّه اعتقد أنَّ السجود لآدم حسب لا لامتثال الأمر، ولأنَّه تكبر علىٰ من أمر بالسجود له، ولأنَّه فضل النار علىٰ الطين وليس كذلك، وإنما الفضل لما فضله الله تعالىٰ.

وما حكىٰ عن ابن عباس[1] من قاس الدين بشيء من رأيه قرنه الله مع إبليس، فمحمول علىٰ أنَّه إذا كان جاهلًا بالقياس كإبليس، ويدل علىٰ أنَّ قياسه وقوله في غاية الفساد والوضوح أنَّه لم يجب عنه، ولم يلتفت إليه، بل أبعد وأهين بأن قيل له: ﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾: من الجنة لأنَّها مكان المطيعين.

﴿فَمَا يَكُونُ﴾: فما ينبغي، ﴿لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾: (كا) الذليلين لتكبرك وإبائك عن السجود من صغر يصغر صغرًا: ذل، ولمَّا يئس الخبيث من الآخرة طلب استيفاء حظّه من الدنيا فقال: ﴿أَنظِرۡنِيٓ﴾: أخرني لا تمتني.

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾: (كا) وقت النفخة الآخرة.

ابن عباس[2]: أراد الخبيث أن لا يذوق الموت؛ لأنَّه لا موت بعدها، فلم يجب، وإنما أنظر إلىٰ الوقت المعلوم، وهي النفخة الأولىٰ فيموت مع من يموت [ق/ ١٤٦ب].

﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ١٥ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ

(١) انظر «تفسير البغوي» (٢/ ١٨٢).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٦٤).

لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾: (كا) إلىٰ وقت النفخة الأولىٰ، وأنظر الخبيث فتنة للعباد، ولبيان الطائع والعاصي، وليعظم الأجر والوزر، وللإعلام أنَّ من اتبعه حشر معه، وليست مخاطبة إبليس شرفًا له؛ بل مقتًا لأنَّها علىٰ سبيل [الخصام والجدال][(١)]، وإنما يشرف بالمخاطبة من هو في محل التضرع والابتهال.

ولمَّا هلك الخبيث بسبب آدم أراد الانتقام من ذريته فقال: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾: الغي الضلال والخيبة وأصله الفساد، وما مصدرية، والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف تقديره: فبسبب إغوائك إياي أقسم بالله، ولا يتعلق الباء بـ(لأقعدن) لحجز اللام بينهما، أو أنَّه أقسم بالإغواء، أي بإغوائك إياي لأقعدن، أو ما استفهام، أي بأي شيء أغويتني؟

ثم ابتدأ قائلا: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ﴾: نصب ظرف، ﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: وصفه. الزجاج: نحو ضرب زيد الظهر والبطن أي عليهما، والمعنىٰ ولأجلسن لهم علىٰ طرق الإسلام والخير، وأحول بينهم وبينها.

﴿ثُمَّ لَأَتِيَنَّهُم﴾: بوسوستي، ﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾: من جهة الآخرة فأشككهم فيها، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: من جهة الدنيا فأرغبهم فيها، أو (بين أيديهم): الدنيا، و(من خلفهم): الآخرة.

﴿وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾: طرق الحسنات، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾: جمع شمال طرق السيآت كقوله: ﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة:٢٧]، ﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ [الواقعة:٤١] روي أنَّه يأتي ابن آدم من جميع الجهات إلا من فوق لئلا يحول بين العبد والرحمة.

---

(١) في ب: تقديم وتأخير.

تلخيصه: أسعىٰ في إغوائهم بكل طريق.

﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾: (حس) مؤمنين، قال الخبيث ذلك ظنًا، فأصاب نحو: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ [سبأ:٢٠].

القراءة: ﴿مَذْءُومًا﴾: بالهمزة من [ق/ ٨٤أ] ذأمه ذمَّه.

وقرئ: (مذومًا) مخففًا [تخفيفًا][1].

﴿مَّدْحُورًا﴾: (حس) مقصيًا عن الجنة، وعن كل خير.

القراءة: ﴿لَّمَن﴾: بفتح اللام لأنَّها موطئة لقسم محذوف، ومن شرط مبتدأ، وقوله: (لأملان) والمتصل بها سد مسد جوابي الشرط والقسم، وهي خبر المبتدأ، تقديره: والله لمن ﴿تَبِعَكَ﴾: من بني آدم، ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ﴾: من الجن والإنس.

تلخيصه: من اتبعك ملأت به وبك النار.

﴿أَجْمَعِينَ﴾: (تا) وقرئ: بكسر اللام، فمحل ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿لَّمَن تَبِعَكَ﴾.

تلخيصه: هذا الوعيد لمن تبعك.

القراءة: ﴿هَٰذِهِ﴾: وقرئ: (هذي)، ﴿ٱلشَّجَرَةَ﴾: بالياء لأنَّها الأصل، لقولك في التصغير ذيا، فإذا خاطبت المؤنث قلت: ذي، فالهاء عوض من الياء المحذوفة حين رد.

﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (كا).

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ

---

(١) سقط من ب، والمثبت من أ، ب.

أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: أي ألقىٰ الوسوسة، وهي [تكرر][1] الكلام في خفية إلىٰ آدم وحواء، ومنه وسوسة الحلي لصوته الخفي، أو الوسوسة الخطرة الرديئة، يقال: رجل موسوس بالكسر للذي تلقىٰ إليه الوسوسة، فإذا فتحت الواو فموسوس له أو إليه.

القراءة: ﴿وُۥرِىَ﴾: بواوين الأولىٰ مضمومة، **وقرئ**: (أوري)، المعنىٰ: زين لهما ما نهيا عنه؛ ليكشف لهما ما ستر عنهما ﴿مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾: عوراتهما.

تلخيصه: فعل ذلك بهما ليريهما ما يسوؤهما، ولذلك سميت سوأة، في هذا دليل أنَّ العورة في غاية القبح في كل زمان.

وقرئ: (سوءتهما) موحدًا.

وقرئ: (سّواتهما) مشددًا.

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا﴾: أي إلا مخافة أن تكونا، ﴿مَلَكَيْنِ﴾: **وقرئ**: بكسر اللام كقوله: ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه:١٢٠].

﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾: (كا) الباقين في الجنة لا [تموتان][2]، أو بمعنىٰ الواو.

﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾: مفاعلة من واحد، أو لمَّا كان منه القسم ومنهما التصديق فكأنَّها من اثنين، والمعنىٰ حلف يمينًا موثقة ثم قال: ﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾: بحلفي، وإبليس أول من حلف كاذبًا.

---

(١) في جـ: تكرار، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: تموتون، والمثبت من أ، ب.

﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾: حطهما عن منزلتهما.

﴿بِغُرُورٍۚ﴾: (كا) أصل الغرور إظهار النصح مع إبطان الغش، يقال: دلاه بغرور: خدعه.

تلخيصه: خدعهما بحلفه.

﴿فلمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾: ليتعرفاها، أو ابتدآ في الأكل منها.

﴿بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾: ظهر لكل واحد منهما ما وري عن صاحبه، وكانا لا يريان ذلك من أنفسهما، ولا أحدهما من صاحبه.

عائشة[1]: ما رأيت منه ولا رأىٰ مني.

---

(١) قال الزيلعي : رواه أبو يعلىٰ الموصلي في مسنده ثنا مجاهد بن موسىٰ ثنا محمد بن القاسم الأسدي ثنا أبو كامل بن العلا عن أبي صالح أراه عن ابن عباس قال قالت عائشة ما أتىٰ رسول الله ﷺ أحدا من نسائه إلا مقنعا يرخي الثوب علىٰ رأسه وما رأيته من رسول الله ﷺ ولا رآه مني تعني الفرج انتهىٰ
ومن طريق أبي يعلىٰ رواه ابن الجوزي في كتابه الوفاء
ورواه الدارقطني في كتابه المسمىٰ غرائب مالك حدثنا محمد بن إسماعيل ابن إسحاق الفارسي ثنا محمد بن كامل بن ميمون الزيات ثنا زيد بن الحسن ثنا مالك بن أنس حدثني ابن شهاب الزهري عن عروة عن عائشة قالت ما نظرت إلىٰ فرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ولا نظر إلىٰ فرجي قط انتهىٰ ثم قال محمد ابن كامل وزيد بن حسن ضعيفان ولا يصح هذا عن مالك ولا عن الزهري انتهىٰ
ومن طريق الدارقطني رواه ابن الجوزي في العلل المتناهية ونقل كلامه بحروفه
وبعض الحديث رواه الترمذي في الشمائل في باب حيائه ﷺ وابن ماجة في سننه في الطهارة وفي النكاح من حديث عبد الله بن يزيد عن مولىٰ لعائشة عن عائشة قالت ما رأيت فرج رسول الله ﷺ قط انتهىٰ
ورواه أحمد في مسنده وابن أبي شيبة في مصنفه
ورواه الطبراني في معجمه الصغير من حديث بركة بن محمد الحلبي ثنا يوسف بن أسباط ثنا سفيان الثوري عن محمد بن جحادة عن قتادة عن أنس عن عائشة مثله انتهىٰ.
«تخرج أحاديث الكشاف» (١/ ٤٥٨).

ابن عباس[(١)]: قبل أن ازدردا أخذتهما العقوبة، وكان لباسهما نورًا يسترهما، أو مثل الظفر كلباس بني إسرائيل في التيه فاستحييا.

﴿وَطَفِقَا﴾: أخذا، ﴿يَخْصِفَانِ﴾: يوصلان ورقة بورقة.

﴿عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾: (كا) حتى [صار][(٢)] كالثوب ليسترا به، أو كان ورق التين، وأصل الخصف وصل الشيء بالشيء يسيرًا وغيره.

وقرئ: (طفقًا) فتحًا، ويخصفان من أخصف منقول من خصف، أي يخصفان أنفسهما ويخصّفان من خصَّف مشددًا.

﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ﴾: عتابًا وتوبيخًا.

﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: (حس) ظاهر العداوة بيّنها، فيه دلالة أنَّهما كانا قد عرفا عداوة إبليس لهما وحذرا منه.

﴿قَالَا﴾: معتذرين: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: (تا)، ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾: يا آدم وحواء وإبليس.

ومحل ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: (كا) حال متعادين فيعاديان إبليس ويعاديهما.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: (حس).

القراءة: ﴿وَمِنْهَا﴾: أي الأرض ﴿تُخْرَجُونَ﴾: (تا) للبعث هنا والزخرف بفتح التاء وضم الراء معلومًا، وبضم التاء وفتح الراء مجهولًا.

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (٢/ ١٨٤).

(٢) في ب: صارا، والمثبت من أ، جـ.

يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

ولمَّا كان ستر العورة إنما يكون باللباس، واللباس من النبات، والنبات لابد له من ماء، قال مشيرًا إلىٰ منتِّه عليهم بـه: ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ﴾: ثيابًا تتجملون بها، فهي للأناسي كالريش للطائر.

وقرئ: (ورياشًا) جمع ريشة، أو اسم للجمع كاللباس، المعنىٰ: أنزل لكم لباسين أحدهما ليستر عوراتكم، والآخر لجمالكم.

القراءة: ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: هو خشية الله والتورع، ولا شك أنَّ التقوىٰ عماد الدنيا والدين، نسأل الله أن يرزقناها وإياك نصبًا عطفًا علىٰ ﴿ لِبَاسًا﴾، فلا وقف علىٰ ﴿ وَرِيشًا ۖ﴾، ورفعًا خبر مبتدأ، أو ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ﴾: (حس) مبتدأ وخبر، وهما خبر ﴿لِبَاسُ﴾، فتقف علىٰ ﴿وَرِيشًا ۖ﴾، أو لباس التقوىٰ ما يتقىٰ به في الحرب كالمغفر والساعدين.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: (تا) [فيعرفوا نعم الله عليهم][(١)].

﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: النهيُ للشيطان لفظًا [وللأناسي][(٢)] معنًا أي لا تتبعوه فيضلكم ويخرجكم عن دينكم.

﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾: بفتنته ومحل: ﴿يَنزِعُ﴾: إلىٰ ﴿سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ﴾: (كا) حال من ضمير الفاعل [ق/ ٩٩جـ] في ﴿أَخْرَجَ﴾ أي أخرجهما نازعًا ثيابهما لكونه سبب النزع، وهذه حال محكية؛ لأنَّ نزع اللباس كان قبل الإخراج.

---

(١) في ب: فتعرفوا نعم الله عليكم، والمثبت من أ، جـ.

(٢) في جـ: والأناسي، والمثبت من أ، ب.

ثم قال مبالغًا في [ق/ ١٤٧ب] التحذير منه معللًا: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾: أي جنوده عطف علىٰ فاعل ﴿يَرَىٰكُمۡ﴾.

﴿مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ﴾: (تا) لأنَّ أجسادهم لطفت فتخرقها الأبصار، وإنَّ بمعنىٰ الشأن.

وقرئ: (وقبيله) نصبًا عطفًا علىٰ اسم إنَّ، أو الواو بمعنىٰ مع.

ابن دينار(١): إنَّ عدوًّا يراك ولا تراه لشديد المؤنة إلا من [عصمه](٢) الله.

﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾: (تا).

﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾: هي طوافهم عراة بالبيت، أو الشرك وكل قبيح فَلِيموا علىٰ فعلها.

﴿قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا﴾: ولم يكفهم تقليد الضالين حتىٰ قالوا مفترين: ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ﴾: (حس) وكذبوا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾: (كا) لاستحالتها في حقه لعدم الداعي ووجود الصارف.

﴿تَعۡلَمُونَ﴾: (تا).

﴿أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾: بالتوحيد، و﴿أَقِيمُواْ﴾ بعد عطف علىٰ محل ﴿بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾، أي أقسطوا.

﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾: أي توجهوا إلىٰ الكعبة حيث ما صليتم.

﴿وَٱدۡعُوهُ﴾: واعبدوه، ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ﴾: العبادة نصب بمخلصين، ولا يجوز فتح لام (مخلصين) هنا لظهور مفعولها.

ولمَّا أنكروا البعث قال محتجًا عليهم: ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ﴾: أنشأكم حفاة عراة غرلًا.

---

(١) انظر «الكشف والبيان» للثعلبي (٤/ ٢٢٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٨٦).

(٢) في ب: عصم، والمثبت من أ، ج.

﴿تعُودُونَ﴾: (حس) إن استأنفت:

﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا
تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ
هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا
حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا
وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾: هم المسلمون، وغير جائز إن جعلت محل ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾، ﴿وَفَرِيقًا﴾: نصب بفعل يفسره ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾: (حس) هم الكافرون، الجملة حالًا من ضمير ﴿تَعُودُونَ﴾، وتقديره هدىٰ فريقًا وخذل فريقًا؛ لأنَّ من حقت عليه الضلالة مخذول.

﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾: (تا) كان الشخص يطوف عريانًا ليلًا، فنهوا عن ذلك فقيل لهم: ﴿خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ﴾: أي ما يستر عورتكم.

﴿عِندَ﴾: صلاة، ﴿كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: لأنَّ كل موضع من البيت مسجدًا؛ لأنَّهم كانوا يطوفون عراة ويقولون: لا نطوف في ثياب عصينا فيها، أو كانوا يضعونها تقولًا بوضع الذنوب، وإن طاف بعضهم بها ضرب وانتزعت منه، أو المراد لبس الثياب الحسنة واستعمال المشط والطيب والسواك عند الصلاة، قالوا: وهو السنة.

ثم عطف علىٰ ﴿خُذُوا۟﴾: ﴿وَكُلُوا۟﴾: اللحم والدسم، ﴿وَٱشْرَبُوا۟﴾: اللبن لأنَّ طائفة كانوا في حجهم لا يأكلون لحمًا ولا دسمًا بل قوتًا.

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾: في شيء ما، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: (تا).

ابن عباس[1]: كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطاتك خصلتان سرف ومخيلة.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٩٤).

وعن علي بن الحسين(١): إنَّ الطَّيِّبَ قد جمع في ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾.

ثم استفهم إنكارًا على محرم الحلال فقيل: ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾: هي ما ستر العورة، وكل ما يتجمل به من الثياب وغيرها حلالًا.

﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: أي [الحلالات](٢)، أو المستلذات، ﴿مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾: (تا) من المآكل والمشارب، ﴿قُلْ هِىَ﴾: أي الزينة والطيبات.

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: ولغيرهم، ولم يصرح بذلك إعلامًا أنَّ المؤمنين هم المستحقون لها، وأنَّها خلقت لهم دون الكافرين.

القراءة: ﴿خَالِصَةً﴾: رفعًا خبر بعد خبر، أو خبر لهي قبل، فيوم ﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: (حس) ظرف لخالصة، واللام في ﴿لِلَّذِينَ﴾ تبيين، فلم يضر فصلها بين المبتدأ [وخبره](٣)، ونصبًا حالًا.

تلخيصه: يشترك في الزينة والطيبات المؤمنون والكافرون في الدنيا، ويختص بهما المؤمنون في الأخرى.

﴿يَعْلَمُونَ﴾: (تا).

﴿ٱلْفَوَٰحِشَ﴾: ما قبح فُحْشُه، ويعم كُلَّ فاحشة.

وقوله: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾: هو الزنا سرًا وعلانية، أو الطواف ليلًا ونهارًا عراة، بدلان من ﴿ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ وتعطف عليهما ﴿وَٱلْإِثْمَ﴾: يعم كل ذنب والمراد ما لا حد فيه منه، ﴿وَٱلْبَغْىَ﴾: الظلم والكبر، ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: المعنى: إنَّما حرم جميع الفواحش والشرك وقولكم افتراءً ﴿عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: (تا) من التحريم والتحليل.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٩٥).

(٢) في جـ: حلالات، والمثبت من أ، ب.

(٣) في جـ: والخبر، والمثبت من أ، ب.

رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ
كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى
ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ
مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

القراءة: ﴿جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾: وقرئ: (آجالهم)؛ لأنَّ لكل واحد أجلًا.

﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾: (تا) لا يتأخرون ولا يتقدمون، وقيد بساعة لأنَّها أقل ما يستعمل في الإمهال، وإن في ﴿إِمَّا﴾: شرط، وما لتأكيد معنىٰ الشرط، ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة والخفيفة فقيل: ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾: أحكامي.

وقرئ: (تأتينكم) بالتاء خطابًا، وجواب الشرط ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ﴾: العمل، ﴿يَحْزَنُونَ﴾: (تا) والمكذبون في ﴿ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: (حس).

﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾: (تا) القرآن وحتىٰ غاية لمَّا يصل إلىٰ الكفار في ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾، ومحل ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾: حال تقديره والكافرون يصل إليهم ما كتب لهم من الرزق إلىٰ وقت مجئ ملك الموت متوفيهم.

وما في ﴿أَيْنَ مَا﴾: موصولة بمعنىٰ أين، وحقها أن تكتب مفصولة، لكنها في الإمام موصولة[1]، والمعنىٰ أين آلهتكم الذين ﴿كُنتُمْ تَدْعُونَ﴾: تعبدون، ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: فيذبون عنكم.

﴿قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾: غابوا فلم نرهم.

﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾: عند الموت، ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾: (تا) اعترفوا حين لا ينفع الاعتراف، ففي يوم القيامة يقول الله تعالىٰ لهؤلاء [الكفار][2]:

﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ

---

(١) انظر «المصاحف» (ص/ ٢٦٢).

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ
قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ
فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ
ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن
جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾

﴿ٱدْخُلُواْ﴾: النار، ومحل ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾: حال أي ادخلوها في جملة أمم سبقوكم بالكفر والزمان.

﴿فِى ٱلنَّارِ﴾: (كا).

﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾: لضلالها بها.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ﴾: تلاحقوا، ﴿فِيهَا جَمِيعًا﴾: حال، ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ﴾: وهم الأتباع.

﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾: لأجل القادة، وهم المتبوعون شكاية عليهم.

﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾: أي مضعفًا.

﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: (حس)، ﴿قَالَ لِكُلٍّ﴾: من القادة والأتباع ﴿ضِعْفٌ﴾.

القراءة، ﴿لَّا تَعْلَمُونَ﴾: (حس) ما لكل واحد من العذاب بالتاء والياء يحسن الوقف هنا إن لم تعطف علىٰ (لكل): (ضعف).

﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾: (كا) المعنىٰ: لم تكفروا بسببنا، بل نحن وأنتم متساوون في الكفر، فثم تعالىٰ يقول لهم جميعًا: ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾: (تا) **القراءة:** ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾: أي لا تجاب أدعيتهم ولا يصعد بأرواحهم، بل يهبط بها إلىٰ سجين إهانة، وإنَّما تفتح لأدعية المؤمنين وأرواحهم بالتاء ضمًا مؤنثًا مخففًا ومشددًا، وبالياء مضمومة مذكرًا مخففًا.

وقرئ: بفتح التاء مؤنثًا ونصب الأبواب الفاعل الآيات، وبالياء ونصب الأبواب الفاعل الله تعالىٰ.

تلخيصه: المكذبون يهانون.

﴿وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ﴾: يدخل البعير[1]، ﴿فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾: (كا) ثقب الإبرة: **القراءة**: بفتح السين.

وقرئ: بضمها وكسرها لغات فيه، وكذلك في السم القاتل والمخيط.

وقرئ: (الجُمُل) كالنُصُب، والجَمْل كالحَبْل، والجُمَل كالنُغَر لغات في البعير، والجُمَّل كالقُمَّل: الحبل الغليظ المجمول.

ابن عباس[2]: إنَّ الله أحسن تشبيهًا من أن يشبه بالجمل، يعني أنَّ الحبل مناسب [ق/ ١٤٨ب] للخيط المدخل في الإبرة، فإرادة الحبل عنده أولىٰ، والأولىٰ إرادة البعير؛ لأنَّ المراد التأبيد، وكل ما كان أدل علىٰ التأبيد كان أولىٰ.

تلخيصه: هؤلاء لا تجاب أدعيتهم، ولا يدخلون الجنة أبدًا.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ومثل ذلك الجزاء.

﴿نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾: (حس) المشركين.

﴿مِهَادٌ﴾: فراش.

﴿غَوَاشٍۚ﴾: أغطية جمع غاشية، وتؤنث صرفًا لحذفهم الياء منها، فصارت

---

(١) قال ابن كثير: وقوله: ﴿وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ هكذا قرأه الجمهور، وفسروه بأنه البعير. قال ابن مسعود: هو الجمل ابن الناقة. وفي رواية: زوج الناقة. وقال الحسن البصري: حتىٰ يدخل البعير في خرق الإبرة. وكذا قال أبو العالية، والضحاك. وكذا روىٰ علي بن أبي طلحة، والعوفي عن ابن عباس.
وقال مجاهد، وعكرمة، عن ابن عباس: أنه كان يقرؤها: «حتىٰ يلج الجمل في سم الخياط» بضم الجيم، وتشديد الميم، يعني: الحبل الغليظ في خرم الإبرة.
وهذا اختيار سعيد بن جبير. وفي رواية أنه قرأ: «حتىٰ يلج الجمل» يعني: قلوس السفن، وهي الحبال الغلاظ.
«تفسير ابن كثير» (٣/ ٤١٥).

(٢) انظر «الكشاف» (٢/ ١٠٣).

كسلام، أو التنوين عوض من الياء المحذوفة، أو من حركة الياء، فلمَّا التقىٰ ساكنان الياء والتنوين حذفت الياء لهما.

وقرئ: (غواش) رفعًا كما قرئ ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ [الرحمن: ٢٤]، و﴿غَوَاشٍ﴾ مبتدأ خبره المجرور قبله.

﴿ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: (تا).

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: مبتدأ وقوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾: طاقتها من الخير والعمل الصالح.

وقرئ: (لا تُكلف نفس) مجهولًا اعتراض بين المبتدأ وخبره ليرغب في عمل الخير، والخبر ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾: إلىٰ ﴿خَـٰلِدُونَ﴾: (تا).

عن عليّ أنَّه قال[(١)]: فينا نزل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾: حقد كان بينهم في الدنيا، وإن كانت [نازلة][(٢)] في الصحابة فهي عامة في جميع أهل الجنة؛ لأنَّهم لا يتحاسدون ولا يتباغضون وإن اختلفت مراتبهم، بل يتوادون.

ومحل: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾: (كا) حال من (هم) في ﴿صُدُورِهِم﴾.

﴿هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا﴾: وفقنا لعمل هذا جزاؤه لا وقف هنا إن جعلت الواو بعد للحال، وإن جعلتها استئنافية كفىٰ.

---

(١) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٢٧٦).

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

القراءة: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾: فجواب لولا محذوف، أي فلولا هداية الله تعالىٰ ما كنا نهتدي بواو وبغير واو، فيكون الكلام جملة موضحة للجملة قبلها، فعند معاينة أهل الجنة صِدْقَ إخبار الرسل قالوا سرورًا وتلذُّذًا بذكر ما هم فيه من النعيم: ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾: (حس) فثَمَّ أكرموا.

﴿وَنُودُوٓاْ أَن﴾: هي المخففة من الثقيلة واسمها محذوف وهو ضمير الشأن، والجملة بعدها خبرها وتقديره أنه: ﴿تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ﴾، ومحل أن والمتصل بها نصب بنودوا، أو أن مفسرة.

ومحل: ﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: (حس) بسبب عملكم حال من الجنة العامل فيها ما في [تلكم][1] من معنىٰ الإشارة، فثَمَّ قالوا لأهل النار تغيظًا عليهم واعترافًا بنعم الله تعالىٰ: ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾: من الثواب.

﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَىٰهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

﴿حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾: من العقاب [والشر][2]، ﴿حَقًّا﴾: حال وتقديره وعدكم ربكم فحذف (كم) لدلالة الأول؛ لأنَّ وعد يستعمل في الخير والشر.

﴿قَالُواْ نَعَمْ﴾: (كا) **القراءة**: بفتح العين وكسرها حيث وقع لغتان، وأجاب الكفار بنعم دون بلىٰ؛ لأنَّ نعم جواب استفهام دخل علىٰ إيجاب وهو ﴿وَجَدتُّم﴾، وبلىٰ جواب استفهام دخل علىٰ نفي نحو ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف:١٧٢].

﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾: أسمع الفريقين، ﴿بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: **القراءة**:

---

(١) في جـ: تلك، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

بتشديد (أنَّ) ونصب (لعنة) بها، وبتخفيفها ورفع لعنة، فهي مخففة من الثقيلة، أو مفسرة إن رفعت أو نصبت ما بعد مدحًا وقفت هنا، وإن جررته وصفًا للظالمين فلا وقف إلىٰ ﴿وَبَيْنَهُمَا﴾: أي الجنة والنار.

﴿حِجَابٌ﴾: (تا) مانع وهو السور المعروف بالأعراف، وسمي بذلك لارتفاعه، أو من المعرفة لأنَّ من عليه يعرف أهل الجنة والنار.

﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾: من المسلمين استوت حسناتهم وسيآتهم، أو قوم خرجوا في الغزو بغير إذن آبائهم فقتلوا، أو قوم رضي عنهم أحد أبويهم وقفوا هناك حتىٰ يدخلوا بفضل الله، أو هم من [ماتوا][(١)] في الفترة ولم يبدلوا، أو هم أهل الفضل من المؤمنين، أو هم الشهداء عدول الآخرة ينظرون ما يقضىٰ بين الناس، أو هم [الملائكة][(٢)].

﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا﴾: من أهل الجنة والنار، ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾: (حس) [ق/ ١٠٠ جـ] بعلامتهم وهي بياض الوجوه للمؤمنين، وسوادها للكافرين، فإذا عرفوهم نادوا أهل الجنة أن ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾: (حس) لأنَّ ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾: (حس) في دخولها فيدخلونها بعد استئناف.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾: أبصار أهل الأعراف.

﴿تِلْقَاءَ﴾: ظرف أي ناحية.

﴿أَصْحَابِ ٱلنَّارِ﴾: فعرفوهم، ﴿قَالُوا﴾: مستعيذين داعين: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾: (تا) فثَمَّ يقال للكفار: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾: المال والولد، ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: (تا) وقرئ: (تستكثرون) من الكثرة.

تلخيصه: أي شيء أغنىٰ عنكم عَددكم وعُددكم وتكبركم من العذاب.

﴿أَهَٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ

---

(١) في ب: مات، والمثبت من أ، جـ.

(٢) في جـ: ملائكة، والمثبت من أ، ب.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٥١ وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥٢﴾

ثم يقال للكفار تنبيهًا على الأبرار: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ﴾: المعنىٰ: أقسمتم عليهم بأنَّ الله لا ينالهم.

﴿بِرَحۡمَةٍۚ﴾: (تا) ثم يقال للأبرار: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾: (تا) في نداء الكفار الأبرار.

﴿أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾: (كا) دليل أنَّ الجنة فوق النار، المعنىٰ: وسعوا علينا مما رزقتم من الشراب والطعام.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: إن رفعت أو نصبت ما بعد ذمًا وقفت هنا، ولا تقف إن جررته وصفًا للكافرين.

﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ﴾: نتركهم في النار فعل الناسين.

﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾: لم يُخْطِروا يوم القيامة ببالهم ولم يعملوا له.

﴿يَجۡحَدُونَ﴾: (تا) **القراءة:** ﴿فَصَّلۡنَٰهُ﴾: بصاد مهملة.

وقرئ: بضاد معجمة.

ومحل ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾: حال من مرفوع ﴿فَصَّلۡنَٰهُ﴾، أي فصلناه عالمين، وما أودعناه من الحكم.

وتنصب ﴿هُدٗى وَرَحۡمَةٗ﴾: حال من منصوب ﴿فَصَّلۡنَٰهُ﴾.

﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾: (حس).

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا

كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ﴾: (كا) ما يؤول أمرهم إليه يوم القيامة من الوعيد، فثَمَّ ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾: اعترافًا حين لا ينفع.

﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا﴾: حقيقة.

﴿بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ﴾: نصب [جواب][1] الاستفهام.

القراءة: ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾: رفعًا عطفًا علىٰ محل ﴿مِن شُفَعَآءَ﴾، فيكون ﴿نُرَدُّ﴾ جملة داخلة في الاستفهام، تقديره: هل لنا من شفعاء وهل نرد؟

وقرئ: بنصب (نرد) عطفًا علىٰ (فيشفعوا).

القراءة: بنصب ﴿فَنَعْمَلَ﴾: جواب الاستفهام أيضًا.

﴿غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ﴾: (حس) **وقرئ:** بنصب (نرد) ورفع (فنعمل)، أي ونحن نعمل.

﴿يَفْتَرُونَ﴾: (تا).

﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: أي في مقدارها؛ لأنها لم يكن ثَمَّ شَمْسٌ، وخلقهن فيهن تعليمًا لخلقه التثبت وليشاهدوا قدرته شيئًا فشيئًا

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ﴾: كل ما علا فأظل: عرشٌ، والمُلْكُ والعِزُّ أيضًا عرشٌ، والله تعالىٰ منزه عن الانتقال والحلول، ولابد من حمل هذا وما شاكله علىٰ ما يليق بعظمته وجلاله[2]، ولقد دهش في هذا وأشباهه وتحير من قاس

---

(١) في جـ: بجواب، والمثبت من أ، ب.

(٢) قال ابن كثير : وأما قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ فللناس في هذا المقام مقالات=

الصفات الأزلية على الصفات المخلوقية، فلم ينتظم قياسه لعدم الجامع بينهما [ق/ ١٤٩ب]، لا وقف هنا إن نصبت ما بعد حالًا من ضمير (خلق)، ولا أحبه إن استأنفته.

القراءة: ﴿يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾: هنا والرعد مشددًا ومخففًا من أغشىٰ متعدٍ إلىٰ مفعولين، أي يغطي الله الليل بالنهار وبالعكس، أو يغشىٰ: يلحق أحدهما بالآخر.

وقرئ: (يَغشىٰ) بفتح الياء من غشىٰ ورفع الليل فاعلًا، وبنصب الليل ورفع النهار فاعلًا.

ولمَّا كان أحدهما لا ينفك عن الآخر قال: ﴿يَطْلُبُهُۥ﴾: حال من أحدهما، ﴿حَثِيثًا﴾: سريعًا حال أيضًا.

القراءة: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾: رفعًا، فالشمس مبتدأ والبقية معطوفة عليه، وخبره ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾: (حس) بتصرفه ومشيئته، فتقف علىٰ حثيثًا ونصبًا عطفًا علىٰ المنصوب بخلق، فتنصب مسخرات حالًا.

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾: (حس) بأن يأمرهم ويحكم فيهم بما يشاء لا رادَّ لذلك، ويجوز أن يراد بالأمر ما ذكر في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن

= كثيرة جدا، ليس هذا موضع بسطها، وإنما يسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه وغيرهم، من أئمة المسلمين قديما وحديثا، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. والظاهر المتبادر إلىٰ أذهان المشبهين منفي عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، و ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ] بل الأمر كما قال الأئمة -منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري -: «من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر». وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالىٰ ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة، علىٰ الوجه الذي يليق بجلال الله تعالىٰ، ونفىٰ عن الله تعالىٰ النقائص، فقد سلك سبيل الهدىٰ.
«تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٢٧).

يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

تلخيصه: هو المختص بذلك.

﴿رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: (تا) وتنصب ﴿تَضَرُّعًا﴾: تذللًا.

﴿وَخُفۡيَةًۚ﴾: (كا) سرًا حالا أي ذوي تضرع وخفية، أو مفعولًا له، ولقد أثنىٰ تعالىٰ علىٰ زكريا بقوله ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم:٣].

الحسن(١): إنَّ الله يعلم القلب التقي والدعاء الخفي، إن كان الرجل لقد جمع القرآن وعلم الفقه الكثير، وما يشعر به جاره ولا الناس، وإنَّ الرجل الآن يطيل الصلاة وعنده الزور وما يشعر به، وبين دعوة السر والعلانية سبعون ضعفًا.

﴿لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾: (تا) في الدعاء برفع الصوت، والتشدق في الدعاء، وحسب الرجل أن يقول: اللهم إنِّي أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل، أو بسؤال منازل الأنبياء.

﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفًا وَطَمَعًاۚ﴾: (كا) حالان، ونكرا ليشيعا في كل مخوف منه ومطموع فيه.

وذكر ﴿قَرِيبٌ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: (تا) إرادة المطر والخير، أو صفة محذوف أي شيء قريب، أو الرحمة بمعنىٰ الترحم، أو للفرق بين النسب والمسافة يقال: هذه قريبة منه في النسب، وقريب منه في المسافة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرًۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالًا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٥٧ وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ ٥٨ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩﴾

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٤٢).

عن أبي عمرو **القراءة**: ﴿بُشۡرَۢا﴾: هنا والفرقان والنمل بضم النون والشين جمع نشور كرسول ورسل، أي ناشرة للمطر، وبضم النون وسكون الشين تخفيف نشر، وبفتح النون وسكون الشين مصدر نشر؛ لأنَّ نَشرَ وأَرسل واحد، ونصبه حال، وبياء مضمومة وسكون الشين جمع بشير مخفف؛ لأنَّ الرياح تبشر بالمطر.

وقرئ: (نَشَرًا) بفتح النون [والشين](1) فعل بمعنىٰ مفعول، أي منشورات، وبضم الباء والشين جمع بشير، وبشرًا بفتح الباء وسكون الشين مصدر من بَشَرَه بمعنىٰ بَشَّرَه وبشرىٰ.

﴿بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦ﴾: أي نعمته وهو المطر، ﴿أَقَلَّتۡ﴾: حملت الرياح.

﴿سَحَابٗا﴾: جمع سحابة، ﴿ثِقَالٗا﴾: بالمطر.

﴿سُقۡنَٰهُ﴾: أي السحاب، ﴿لِبَلَدٖ﴾: أي لإحياء بلد.

﴿مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ﴾: بالبلد، أو بالسوق.

﴿ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ﴾: بالسحاب، أو بالبلد.

﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ﴾: (كا) مثل إخراجنا النبات.

﴿نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾: (تا) فتؤمنون بالبعث.

ثم ضرب مثلًا لمن ينتفع بالوعظ ولمن لا ينتفع به بعد ذكر المطر وإخراج النبات والثمرات تشبيهًا له بها فقال: ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾: الأرض العذاة المنبتة.

﴿يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ﴾: **وقرئ**: (يُخۡرِج نباته)، أي يخرج البلد، أو الله.

ومحل ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِۦ﴾: (حس) حال أي يخرج نباته حسنًا.

﴿وَٱلَّذِي خَبُثَ﴾: هي صفة البلد، وهي الأرض لا تنبت، وفي الكلام حذف تقديره: والبلد الخبيث لا يخرج نباته.

---

(١) في جـ: وسكون الشين، والمثبت من أ، ب.

﴿إِلَّا نَكِدًا﴾: (كا) عسرًا بمشقة، فحذف نبات لدلالة المذكور عليه، ونقل الضمير المتصل إلىٰ (يخرج) [فارتفع][1] بيخرج فاعلًا، وأصل النكد الضيق والشدة.

وقرئ: بفتح الكاف مصدر، أي ذا نكد وبإسكانها تخفيفًا.

تلخيصه: الوعظ ينفع المؤمن خاصة.

﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ﴾: نردد، ﴿ٱلْآيَٰتِ﴾: ونوضحها.

وقرئ: (يصرف) بالياء أي الله، ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾: (تا) الله تعالىٰ.

واللام في ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾: بعث، ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾: وهو ابن خمسين سنة، أو مائتين وأبوه لمك أخنوخ وهو إدريس، وهو أول نبي بعث جواب قسم محذوف، وكثر دخول لام القسم علىٰ قد لمَّا فيها من التوقع؛ لأنَّ الجملة القسمية لا يؤتىٰ بها إلا تأكيدًا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها، والجواب متوقع للمخاطب عند سماع القسم فجئ بقد [ق/ ٨٦أ].

القراءة: ﴿مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾: (كا) جرًا صفة لإله، ورفعًا بدلًا من محل إله لأنَّ من زائدة.

وقرئ: بنصب غير استثناء، أي ما لكم إله إلا إياه.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: (كا).

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: (كا) خطأ واضح.

﴿لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ﴾: بمعنىٰ ضلال، وهي أعم، وفي نفيها نفي جميع الضلال

(١) في جـ: فيرتفع، والمثبت من أ، ب.

نحو ألك تمر؟ فتقول: ولا تمرة، فقد نفيت جميع التمر.

ثم استدرك مؤكدًا نفي الضلالة فقال: ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: (حس) إن استأنفت ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾: وجعلتها جملة مبينة أنَّه رسول رب العالمين، وإن جعلتها وصفًا لرسول فلا يجوز، وجاز وصف رسول لأنَّ [رسول][1] هو الضمير في إنِّي في المعنىٰ؛ لأنَّه خبره نحو:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة[2]

القراءة: أبلغكم مخففًا من الإبلاغ ومشددًا من التبليغ، المعنىٰ: أوصل إليكم.

﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾: بالأحكام.

﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾: نصحته ونصحت له أردت له الخير، لكن اللام تدل علىٰ مبالغة في النصح، وحقيقة النصح إرادة الخير لغيرك كما [تريده][3] لنفسك، ثم أكد نصحه بقوله: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: (حس) فعلمه أوجب عليه نصحهم، ثم أدخل همزة الإنكار علىٰ واو العطف علىٰ محذوف فقال: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾: وتقديره أكذبتم وعجبتم؟!

﴿أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ﴾: موعظة.

﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾: أي علىٰ لسانه.

﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾: العذاب إن لم تؤمنوا، ﴿وَلِتَتَّقُوا۟﴾: لتوجد منكم التقوىٰ.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: (حس) بسببها.

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا

---

(١) في جـ: الرسول، والمثبت من أ، ب.

(٢) القائل هو علي بن أبي طالب ﷺ، والبيت بتمامه:

أنا الذي سمتني أمي حيدره ... كليث غابات كريه المنظره

انظر «نهاية الأرب» (١٧/ ٢٥٤).

(٣) في جـ: تريد، والمثبت من أ، ب.

عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾: من الغرق، ﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾: في السفينة، ﴿وَأَغْرَقْنَا﴾: المكذبين.

﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: (كا).

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾: (تا) عن الحق وعن نزول العذاب بهم جمع عمىٰ القلب أي [جاهل](1)، أو غم في القلب وأعمىٰ في البصر، أو هما واحد.

وقرئ: (عامين) والعامي الحادث العمىٰ والعِمَىٰ الثابتة، ولو وسم الوقف هنا بالحسن لكان أحسن؛ لأنَّ ما بعد عطف علىٰ (نوح) تقديره وأرسلنا نوحًا وأرسلنا.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾: وهي عاد الأولىٰ.

﴿أَخَاهُمْ هُودًا﴾: عطف بيان لأخاهم في النسب لا في الدين، وكذلك ما أشبه هذا، وكانوا بالأحقاف رمال بين عمان وحضرموت، وكانوا قد قهروا الناس، وكانوا يعبدون [ق/ ١٥٠ب] الصداء وصمد والهباء أصنامًا لهم، فبعث إليهم بالتوحيد، وترك الظلم حسب وهو هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح.

﴿مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾: (كا).

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: (تا) نقمته بترك الشرك.

﴿فِى سَفَاهَةٍ﴾: جهالة وخفة عقل، أي صرت مظروفًا للسفاهة، وأحاطت بك من كل جانب لترك دينك.

---

(١) في جـ: الجاهل، والمثبت من أ، ب.

﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: (كا) في رسالتك.

﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: (حس).

﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾: (حس) مأمون.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾: (كا).

﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾: قوة وطولًا، كان طول الطويل منهم مائة ذراع [ق/ ١٠١ جـ]، والقصير ستين ذراعًا.

﴿ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾: نعمة جمع إلىٰ بالحركات الثلاث للهمزة.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: (حس).

﴿وَحْدَهُۥ﴾: مصدر في موضع الحال من ﴿ٱللَّهِ﴾، أي لنعبد الله مفردًا موحدًا، فثَمَّ قالوا له استهزاء: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾: من العذاب، ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: (حس). ﴿قَدْ وَقَعَ﴾: وجب ﴿عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ﴾: عذاب، ﴿وَغَضَبٌ﴾: (حس).

﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾: (كا) ذلك، ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾: (حس) فأرسلت الريح العقيم عليهم فدخلوا بيوتهم فأخرجتهم الريح منها، وأمالت عليهم الرمال سبع ليال وثمانية أيام، ثم رمت بهم في البحر.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾: أي هودًا ومؤمنيه بأن جعلوا في حظيرة ما يصل إليهم من الريح إلا مائلين عليهم جلودهم.

﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ﴾: المكذبين ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: أي استأصلناهم ﴿وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾: (تا).

تلخيصه: هلكوا والمؤمنون نجوا.

روي أن نبيًا من الأنبياء كان إذا هلك قومه أقام بصالحيه بمكة يعبدون الله حتىٰ يموتوا.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾﴾

القراءة: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾: بترك صرفه أراد القبيلة.

وقرئ بصرفه أراد الحي، أو الأب وهو ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح، كانت من مساكنهم بالحجر بين الحجاز والشام إلىٰ وادي القرىٰ، وكانوا عربًا بعث إليهم صالح منهم فخوفهم الله تعالىٰ وقال: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾: (كا) وبالغ في الإنذار وادعىٰ النبوة وقال: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾: حجة، ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾: (كا) علىٰ صدقي، فقال سيدهم جندع بن عمرو: تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة[1] وبراء عشراء، فقال: إن فعلت تؤمنوا؟ قالوا: نعم، فأخذ مواثيقهم علىٰ ذلك، فتمخضت الصخرة عن ناقة كما أرادوا، ثم نتجت مثلها في العظم فقال: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾: حال العامل فيها ما في «ها» أو «ذه» من معنىٰ

(١) في حاشية ب: هي ما شاكلت البخت من الإبل.

الفعل، ولكم بيان لمن هي له آية موجبه إيمانه، ومحل نصب لأنَّه كان صفة آية فلمَّا قدم نصب حالًا، تقديره أشير أو أنبه عليها آية لكم والإضافة للتفضيل، فآمن جندع ورهطه.

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ﴾: من المرعىٰ.

وقرئ: برفع (تأكلُ)، ومحله حال، أي آكلة.

﴿ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ﴾: (كا) يقال: فالأرض أرض الله، والناقة ناقته، لا اعتراض لكم عليها.

﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ﴾: بعقر ولا ضرب.

﴿فَيَأۡخُذَكُمۡ﴾: نصب جواب النهي.

وقرئ: برفعه، ومحله حال.

﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: (حس).

ولمَّا هلكت عاد خلفتها ثمود في الأرض وعمروا القصور ونحتوا البيوت في الجبال فقال: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ﴾: **القراءة**: بكسر ﴿وَتَنۡحِتُونَ﴾: **وقرئ**: بفتح الحاء، وتناحتون.

﴿ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ﴾: (كا) حال مقدرة نحو خط هذا الثوب قميصًا، وابْرِ هذه القصبة قلمًا.

﴿مُفۡسِدِينَ﴾: (تا) وكانت الناقة تضيق علىٰ مواشيهم في المأكل والمشرب والمقيل والمسرح لعظم خلقها.

روي أنَّه قيس مصدرها فكان ستين ذراعًا.

القراءة: ﴿قَالَ﴾: المتكبرون ﴿مِن قَوۡمِهِۦ﴾: بواو وبغير واو ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾.

وقوله: ﴿لِمَنۡ ءَامَنَ﴾: بدل من ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾ والضمير في ﴿مِنۡهُمۡ﴾:

للذين استضعفوا، فيكون الاستضعاف شائعًا في المؤمنين والكافرين، أو لقوله: (فمن آمن) مفسر للمستضعفين منهم، فيكون الاستضعاف مخصوصًا بالمؤمنين.

وقوله: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾: (كا) إليكم؟ قالوا: نعم لاشك عندنا فيه، ثم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾: (حس)، قال المتكبرون:

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾: (كا) فلمَّا أضرت الناقة بمواشيهم كَمُنَ لها قدار قالوا ابن سالف بطريقها بجماعة تسعة وكَمُنَ لها مصدع بن مهرج بطريق آخر، فمرت بمصدع فرماها بسهم فانتظم ساقها وشد قدار عليها فعرقبها بالسيف، فخرت ورغت واحدة تحذر سقبها، ثم طعنها في لبتها فنحرها.

﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ﴾: واقتسموا لحمها وجمعوا معه لرضاهم بفعله، فجاء صالح فرآه الفصيل فبكىٰ، ثم رغا ثلاثًا، فانفجرت الصخرة التي خرجت منها أمه فدخلها، أو اقتسموا لحمه كأمه، قالوا: وكان يوم الأربعاء فقال صالح: تعيشون بعده ثلاثة أيام، تصفر وجوهكم أول يوم، وتحمر في الثاني، وتسود في الثالث، ويصبحكم العذاب في الرابع وكان كذلك.

﴿قَالُوٓاْ﴾: استهزاءً.

﴿يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: (كا).

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾: رجفت بهم الأرض وجاءتهم صيحة من السماء فيها صوت كل ذي صوت، فتقطعت قلوبهم فماتوا.

﴿فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾: (حس) ميتين قعودًا من جثم الطائر: قعد، ومنه المجثمة: المصبورة.

ثم ناداهم بعد إعراضه عنهم معجزة له توجعًا علىٰ ما فاته من إسلامهم وتوبيخًا لهم فقال: ﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾: (تا)، ثم خرج بأصحابه إلىٰ حضرموت فمات بها، أو مات بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿لُوطًا﴾: أي وأرسلنا لوطًا وهو ابن هاران بن تارخ بن أخي إبراهيم، فإذ ظرف لأرسلنا المحذوف، أو تقديره واذكر لوطًا فإذ بدل منه، أو ظرف لمحذوف، أي واذكر رسالة لوط وقت ﴿قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾: وكانوا بسدوم في خمس مدائن.

﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾: أي السيئة القبيحة، وهي إتيان الذكور.

ومحل ما ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا﴾: حال من الفاحشة أي مبتدئين، أو استئناف لا محل لها، فكأنَّه بعد إنكار الفاحشة عليهم قال مستأنفًا: أنتم أول من عملها، ومن الأولىٰ زائدة أفادت الاستغراق، والثانية تبعيض في قوله: ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: ابن دينار: ما نزا ذكر علىٰ ذكر حتىٰ كان قوم لوط علمهم ذلك الخبيث إبليس.

القراءة: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾: من أتيت المرأة وطئتها بكسر الهمزة إخبار وفيه معنىٰ التوبيخ والتهديد، فلا أحب الوقف علىٰ ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لأنَّ إنَّكم الجملة تفسير الفاحشة، وبهمزتين [محققتين](1) الأولىٰ استفهام للتوبيخ والتهديد، وبتحقيق الأولىٰ وتسهيل الثانية وإدخال الألف بينهما، وبتحقيقهما وإدخال

---

(١) في ب: مخففتين، والمثبت من أ، ج.

الألف بينهما لغات كلها، فتقف على ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لأنَّ ما بعده جملة مستأنفة وتنصب ﴿شَهْوَةً﴾: مفعولًا له، أي للاشتهاء، أو حال، أي مشتهين[ق/ ١٥١ب]، ومحل: ﴿مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾: نصب صفة رجال، أي منفردين، المعنى: تطأوون الرجال لمجرد الشهوة البهيمية، ولكم عنها بدل، وذلك غاية الجهل، فلمَّا لم [ينزجروا](١) أضرب عنهم قائلًا: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: (تا) مجاوزون الحلال إلى الحرام، أو مسرفون مبالغون في تحصيل اللذات.

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾: بعد موعظته إياهم.

﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم﴾: أي لوطًا وأتباعه ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾.

ثم قالوا استهزاءً: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾: (كا) عن إتيان الفاحشة، وليس ما قالوا بجواب عن إنكاره، ولكن لمَّا قالوه تضجرًا منه عقيب إنكاره فكأنَّه جوابه.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾: المؤمنين.

﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: (كا) الباقين في العذاب لأنَّها كانت موالية لهم، فهلكت معهم.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾: حجارة، أو الكبريت والنار.

أبو عبيد: أمطر في العذاب، ومطر في الرحمة، يقال: مطرتهم السماء أصابتهم بالمطر، وأمطرتهم أصابتهم بالعذاب، أو أمطر ومطر واحد.

تلخيصه: ارتكبوا الفاحشة فأنذروا فأعرضوا وكفروا فأهلكوا.

﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: (تا).

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم

(١) في ب: يزجروا، والمثبت من أ، ج.

مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ
بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَائِفَةٌ لَّمْ
يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾: ابن إبراهيم سميت المدينة باسمه.

﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾: في النسب لا في الدين، أو في المجانسة؛ لأنَّ مدين لم تكن قبيلته، وكان يقال له: خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه، وكانوا يظلمون الناس فقال لهم: اتقوا الله ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾: (كا).

﴿قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾: معجزة علىٰ صدقي ولم تذكر معجزاته في القرآن كما لم تذكر جميع معجزات محمد ﷺ فيه، قالوا: ومن معجزاته محاربة عصا موسىٰ التنين حين نام وترك الغنم ترعىٰ، وولادة غنمه الدُرَّع حين وعد موسىٰ بأولادها، وتغصن العصا وحملها، أي ثمر شاء موسىٰ وحملها متاع موسىٰ في رعاية الغنم، ومحاربة عدو إن عرض له، وأن تصير كالدلو لدلو يسقي بها غنمه إن احتاج، فإنَّ ذلك كان معجزة لشعيب؛ لأنَّ موسىٰ لم يكن بعد نبيًا، وكان الغريب إذا دخل إلىٰ قومه أخذوا دراهمه وقالوا: هي زيوف [ق/ ٨٧أ]، فيقطعونها ثم يشترونها بنقصان، وربما أعطوه بدلها زيوفًا.

﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾: ما يكال به.

﴿وَلَا تَبْخَسُوا﴾: تنقصوا.

﴿النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾: حقوقهم.

﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾: (كا) إصلاح الأرض ببعث الرسل وإقامة الشرائع.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: أي العدل.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: في الدارين.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: (حس) مصدقين قولي وكانوا عشارين، أو يقطعون الطريق، أو يصدون الناس عن الإيمان فقال: ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾: طريق من طرق الحق.

ومحل ﴿تُوعِدُونَ﴾: تخوفون الناس، وما عطف عليه حال من ضمير ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ﴾.

﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: عن دينه.

﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: (كا) تطلبون أن تكون طريق الحق معوجة غير مستقيمة لنهيكم عن الإسلام قطعكم الطريق وأخذكم الأموال ظلمًا.

﴿فَكَثَّرَكُمْ﴾: (كا) بعد قلة العَدد والعُدد؛ لأنَّ مدين تزوج بابنة لوط فكثر نسلها واستغنوا.

﴿وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: (حس) آخر أمر من أفسد قبلكم، في هذا دلالة أنَّ الله تعالىٰ لم يأخذ أمة بكفرها حسب حتىٰ يضيفوا إليه ذنبًا غيره.

﴿فَٱصْبِرُواْ﴾: فانتظروا.

﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا﴾: (تا) بإنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾: (تا) لأنَّه عادل، فثَمَّ قال المتكبرون عن الإيمان لشعيب وأتباعه:

﴿۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩١﴾﴾

﴿لَنُخْرِجَنَّكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾: لترجعن، ﴿فِى مِلَّتِنَا﴾: (كا) ولم يكن

شعيب قط على دينهم، وإنما تناوله الخطاب تغليبًا للجمع على الواحد [ق/ ١٠٢جـ]؛ لأنَّ من تبعه كان منهم، أو معنى لتعودن لتدخلن، ويؤكد تغليب الجمع قول شعيب: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾: (كا) هذه الحالة تعيدوننا، أو لو بمعنى إن لأنَّه للاستقبال، ثم استأنف قائلا: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: وفيه معنى التعجب، كأنَّه قال: ما أكذبنا على الله.

﴿إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾: (كا) أو قسم محذوف اللام، تقديره والله لقد افترينا، ودخلت قد على افترينا وإن لم يوجد الافتراء؛ لأنهم نزلوا الافتراء عند العود منزلة الواقع، فقربوه بقد.

تلخيصه: قد افترينا الآن إن هممنا بالعود.

ثم قال مشيرًا إلى أن لا حكم له: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾: (حس) بأن يخذلنا فنعود، أو إلا أن يشاء الله ولا نشاء.

﴿عِلْمًا﴾: (حس) تمييز.

﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾: (حس).

﴿ٱلْفَٰتِحِينَ﴾: (تا) الحاكمين.

واللام للقسم في ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا﴾: والساد مسد جوابي القسم والشرط.

﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾: (كا).

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾: عند الصيحة وحلول العذاب بهم.

﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾: (حس).

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا﴾: مبتدأ خبره ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا﴾: لم يقيموا.

﴿فِيهَاۚ﴾: (حس) إن جعلت ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبًا﴾: مبتدأ خبره ﴿كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾: (كا) وإن جعل ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الثانية خبرًا عن ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الأولىٰ وجعل ﴿كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ﴾ حالًا من ضمير ﴿كَذَّبُواْ﴾ لم تقف علىٰ ﴿فِيهَاۚ﴾، وكذلك إن جعل ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الثانية بدلا من ضمير ﴿يَغۡنَوۡاْ﴾، وكرر ذكر المكذبين تحذيرًا.

﴿فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ﴾: أحزن بعد إنذاري لهم ومبالغتي في نصحهم.

﴿عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾: (تا) في هذا إشارة إلىٰ أنَّه حزن عليهم حيث ماتوا كافرين.

وقرئ: (إيسىٰ) بكسر الهمزة.

﴿أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا﴾: عاقبناهم بالمصائب.

﴿لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ﴾: (كا) ليتذللوا فيؤمنوا.

﴿ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩٥ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ٩٧ أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٩٨ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩٩﴾

﴿ثُمَّ بَدَّلۡنَا﴾: أعطيناهم.

﴿مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ﴾: ما يسوؤهم.

﴿ٱلۡحَسَنَةَ﴾: الصحة والخصب.

﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾: كثروا عددًا وأموالًا فطغوا.

﴿وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾: المعنىٰ: ليس ما أصابنا بابتلاء، وإنَّما هي عادة الدهر.

﴿فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾: (حس) بنزول العذاب قبل.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾: المكذبين ﴿ءَامَنُواْ﴾: بالله، ﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾: المعاصي.

﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: لجاءهم المطر والخصب وعمهم الخير من كل جهة.

﴿وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾: (حس) من الذنوب، وسموا الوقف على ﴿يَشْعُرُونَ﴾ و﴿يَكْسِبُونَ﴾ بالحسن، وأراه كافيًا لأنَّ ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾ عطف على (عفوا).

وقوله: ﴿أَفَأَمِنَ﴾: عطف على ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾، وما بينهما اعتراض.

تلخيصه: فعلوا وصنعوا فأخذناهم، أفبعد ذلك أَمِنَ ﴿أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾: المكذبون.

﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾: عذابنا.

﴿بَيَٰتًا﴾: ليلًا حال.

﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾: (كا).

روي أنَّ ابنة [الربيع][(١)] بن خثيم قالت: يا أبتاه أرى الناس ينامون وأنت لا تنام، فقال: إنَّ أباك يخاف البيات، أراد: ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا﴾.

القراءة: ﴿أَوَ أَمِنَ﴾: بفتح الواو وعطف دخلت عليها همزة الاستفهام، وبسكون الواو وبالقاء حركة الهمزة عليها، وحركتها بحركتها جعلوها، أو العاطفة تكون لأحد الأشياء.

تلخيصه: أفامنوا أن تأتيهم إحدى هذه العقوبات ليلًا، أو أمنوا أن يأتيهم ﴿ضُحًى﴾: نهارًا.

﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: (كا) لأنَّ ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾: استدراجه إياهم بالنعم، أو أخذهم من حيث لا يشعرون تكرير لقوله: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾.

---

(١) في جـ: ربيع، والمثبت من أ، ب.

﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: (تا)

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ
فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا
وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ
بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

القراءة: ﴿أَوَ لَمْ يَهْدِ﴾: بالياء، فمحل [ق/ ١٥٢ب] ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ﴾: أي يسكنونها.

﴿مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ﴾: الهالكين نصب بيهد.

ومحل ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ﴾: الجملة رفع فاعل يهد وأن مخففة من الثقيلة.

تلخيصه: أو لم يتبين للوارثين أنا لو شئنا.

﴿أَصَبْنَٰهُم﴾: أهلكناهم.

﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾: كمن تقدمهم.

وقرئ: (نهد) بالنون، فمحل ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ﴾ نصب مفعول ﴿يَهْدِ﴾.

﴿وَنَطْبَعُ﴾: منقطع، أو عطف على معنى ﴿أَوَ لَمْ يَهْدِ﴾، تقديره يغفلون عن الهداية ونطبع ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: (تا).

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾: المذكورة.

﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾: (حس).

﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾: عند مجئ الرسل بالمعجزات.

﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن﴾: (كا) من قبل قيام المعجز، المعنى: لم تؤثر فيهم الموعظة واستمروا على الكفر، أو المراد بقبل يوم الميثاق؛ لأنَّهم ثَمَّ أضمروا الكفر وأظهروا الإيمان، أو لم يؤمنوا بما كذب به آباؤهم، أي هم وآباؤهم على الكفر

سواء، أو هو نحو ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

تلخيصه: كفرهم موجود بوجودهم.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثل ختمنا على قلوب الكافرين قبل نختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: (تا) من قومك فلا يؤمنون.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم﴾: أي الناس، أو المذكورين قبل.

﴿مِّنْ عَهْدٍ﴾: (كا) المعنى: لم يفوا [بالعهود][1]، أو المراد بالعهد الإيمان، ومن زائدة أو تبعيض، أي شيئًا من العهد، وإن مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، الفارق بينها وبين النافية اللام في ﴿لَفَٰسِقِينَ﴾: (كا) المعنى: وإنا وجدنا أكثرهم خارجين عن الطاعة، وهي اعتراض.

﴿مِنۢ بَعْدِهِم﴾: بعد الرسل، أو الأمم.

﴿مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: التسع.

﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾: فكفروا بتكذيبها.

﴿كَيْفَ﴾: خبر، ﴿كَانَ﴾: اسمها.

﴿عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: (تا)، ومحل الجملة نصب بانظر.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿قَالَ﴾: لفرعون.

﴿إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: (حس) إليك، قال: كذبت.

القراءة: ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ﴾: مشددًا، فحقيق مبتدأ خبره ﴿أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا

---

(١) في جـ: بالعهد، والمثبت من أ، ب.

ﵟٱلۡحَقَّۚﵞ: (حس) المعنىٰ واجب علىٰ قول الحق والقيام به فكيف أكذب؟! ومخففًا فعلىٰ بمعنىٰ الباء، يعضده ما قرئ: حقيق بأن لا أقول، فحقيق علىٰ هذا صفة رسول، فلا [وقف][1] علىٰ ﵟٱلۡعَٰلَمِينَﵞ، وإن رفعت ﵟحَقِيقٌﵞ خبر مبتدأ، أي أنا حقيق وقفت علىٰ ﵟٱلۡعَٰلَمِينَﵞ.

ﵟفَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَﵞ: (كا) إلىٰ الأرض المقدسة؛ لأنَّ فرعون كان قد استعبدهم بعد موت يوسف.

ﵟقَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖﵞ: علىٰ دعواك.

ﵟفَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَﵞ: (كا).

ﵟفَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞﵞ: حية عظيمة صفراء فاغرة فاها ما بين لحييها ثمانون ذراعًا، واضعة أسفل فيها تحت قصر فرعون، وأعلاه أعلاه، فوثب هاربًا وأحدث، قالوا: ولم يكن أحدث قبل، وقال: يا موسىٰ خذها وأنا أؤمن وأرسل معك بني إسرائيل، فعادت عصا، وكان بين دخول يوسف مصر وبين دخول موسىٰ أربعمائة سنة.

واللام في ﵟلِلنَّٰظِرِينَﵞ: (حس) متعلقة ببيضاء؛ لأنَّه لمَّا أخرج يده من جبته الصوف قهر بياضها شعاع الشمس، فتعجب منه النظارة، فثَمَّ قيل:

ﵟقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ١٠٩ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ١١٠ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ١١٢ﵞ

ﵟإِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞﵞ: بالسحر.

ﵟيُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖﵞ: (كا) إن جعل ﵟفَمَاذَا تَأۡمُرُونَﵞ: (كا) تشيرون من قول فرعون، وما قيل من قول الملأ، وإن جعل [كله][2] من قول الملأ

(١) في ب: نقف، والمثبت من أ، جـ.

(٢) في ب: كل، والمثبت من أ، جـ.

فلا وقف على ﴿أَرْضِكُم﴾ ولا على ﴿تَأْمُرُونَ﴾؛ لأنَّ ما بعد من تمام الحكاية.

القراءة: ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ﴾: بهمزة ساكنة، ووصل الهاء بواو، وبوصلها بضمة وسكون الهمزة، وبكسرها وسكون الهمزة، وبوصلها بياء [كذلك][1]، وبإسكانها من غير همز كذلك هنا والشعراء لغات كلها، والهمز وتركه واحد، أرجأته وأرجيته: أخرته، المعنى: أخرهما عنك واحبسهما.

﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ﴾: مدائنك.

﴿حَٰشِرِينَ﴾: يجمعون لك الناس، ولا وقف هنا لأنَّ ﴿يَأْتُوكَ﴾: جواب ﴿أَرْسِلْ﴾.

القراءة: ﴿بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾: (حس) وزن فعال مبالغة هنا ويونس، ومخففًا وزن فاعل، وفي الشعراء مشددًا لا غير، فالسحار: العالم المعلم السحر، أو الدائم السحر، والساحر من يعلم ولا يُعلّم، أو من لا يدوم سحره، فأتى بهم كلهم قالوا: بلغوا ثمانين ألفًا متقدمهم شمعون، أو يوحنة.

﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾

القراءة: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾: بهمزتين [محققتين][2]، وبتحقيقهما وإدخال ألف بينهما، وبتحقيق الأولى وتسهيل الثانية وألف بينهما، نحو ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ [العنكبوت:٢٨] استفهام كله أي تجعل لنا جعلًا.

﴿إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾: (كا) لموسى، وبهمزة واحدة إخبار أخبروا أنَّهم يستحقون على غلبتهم موسى جعلًا.

---

(١) في ب: لذلك، والمثبت من أ، جـ.

(٢) في ب: مخففتين، والمثبت من أ، جـ.

﴿قَالَ نَعَمْ﴾: لكم عليَّ جعل وتستحقونه.

﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾: (كا) عندي في المجلس، وأول من يدخل عليَّ، وآخر من يخرج مع ذلك فعند اجتماعهم بالأسكندرية.

﴿قَالُواْ﴾: تأدبًا لموسىٰ.

﴿إِمَّآ أَن تُلْقِيَ﴾: عصاك.

﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾: (كا) آلاتنا، فقابلهم بمثله فقال: ﴿أَلْقُواْ فلمَّآ أَلْقَوْاْ﴾: آلاتهم.

﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾: صرفوها عن إدراك حقيقة سحرهم.

﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾: أرهبوهم لمَّا رأوا من الحيات أمثال الجمال، أو الجبال يركب بعضها بعضًا، وكان الملقىٰ فيه ميل في ميل.

﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾: (كا)

﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾: (كا) فألقاها فصارت حية سدت الأفق، وفتحت فاها ثمانين ذراعًا.

﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾: **القراءة**: بسكون اللام وتخفيف القاف، وبفتح اللام وتشديد القاف، المعنىٰ: تبتلع.

﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾: (كا) [ق/ ١٠٣جـ] يزورون، و(ما) مصدرية أو موصولة، فابتلعت جميع ما ألقوا، وقصدت القوم، فهلك في الزحام منهم خمسة وعشرون ألفًا، فأخذها فعادت عصًا.

﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ﴾: فثبت أنَّه مع موسىٰ.

﴿وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: (كا) من السحر، وقالوا: لو كان موسىٰ ساحرًا [بقيت](١) عِصِيُّنا فثَمَّ غُلبوا.

﴿وَٱنقَلَبُواْ﴾: صاروا، ﴿صَٰغِرِينَ﴾: (كا) ذليلين [ق/ ٨٨أ]، ثم سجدوا مسرعين قائلين: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾: (تا)

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾

القراءة: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾: هنا وطه والشعراء بهمزتين [محققتين](٢) وبعدهما مدة بتقدير ألف، وبهمزة بعدها همزة مسهلة، وبعد المسهلة ألف مبدلة عن همزة، وبهمزتين بينهما ألف استفهام كله، وبهمزة بعدها مدة بتقدير ألف خبر بمعنىٰ الاستفهام، وفرعون وأمنتم بواو بعدها ألف مسهلة استفهام أيضًا، قلبت الهمزة الأولىٰ واوًا لانضمام ما قبلها، وسهلت الثانية تخفيفًا، ومعنىٰ الكل إنكار، وكان موسىٰ قد قال لعظيمهم: إن غلبتك تؤمن؟ فقال: لآتين بسحر لا يغلبه سحر، ولئن غلبتني لأومنن بمرأىٰ من فرعون، والمعنىٰ: أصدقتم موسىٰ وآمنتم بربه؟

﴿قَبْلَ﴾: إذني.

﴿لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا﴾: الذىٰ صنعتموه أنتم وموسىٰ.

﴿لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ﴾: لحيلة صنعتموها.

﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾: من كل شق طرفًا، وهو أول من قطع من خلاف وصلب.

---

(١) في ب: لقيت باللام، وفي جـ: لبقيت، والمثبت من أ.

(٢) في ب: مخففتين، والمثبت من أ، جـ.

﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: (كا) لأعلقنكم بعد القطع، فكأنَّه من شد الصلب الظهر إلىٰ الخشب، أو من صلب الودك، وهو استخراجه من العظم، فكان المصلوب يخرج دهنه.

وقرئ: بتخفيف الفعلين في جميع القرآن [ق/ ١٥٧ب].

﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾: (كا) في الآخرة فيرحمنا ويثيبنا فلا نبالي بعذابك، ولابد من الموت، ثم قالوا توبيخًا: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا﴾: تلخيصه: ما تكره إلا إيماننا، وبه الفخر وهو المحبوب، ثم قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾: أي ارزقنا صبراً كثيرًا واسعًا يفيض علينا عند القطع والصلب.

﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾: (تا) ثابتين علىٰ الإسلام، فقطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم، أو أنَّه لم يقدر عليهم لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ [القصص:٣٥].

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾

القراءة: ﴿وَيَذَرَكَ﴾: نصبًا عطفًا علىٰ ﴿لِيُفْسِدُوا۟﴾، أو جواب الاستفهام بالواو في (أنذر) قبل لأنَّه يجاب بالواو كما يجاب بالفاء، ومنه[1]:

ألم أك جارَكم ويكونُ بيني وبينكم المودةُ والإخاءُ

والمعنىٰ: أيكون منك ترك موسىٰ، ويكون تركه إياك ﴿وَءَالِهَتَكَ﴾: (حس) نصب مفعول.

---

(١) القائل هو الحطيئة، والبيت في «ديوانه» (ص/ ٦٥٤).

وقرئ: (ويذرُك) رفعًا استئناف أو حال، أي أتذره وهو يذرك، وبسكون الراء تخفيفًا ونذرك بالنون والنصب إخبارًا عن أنفسهم؛ لأنَّه كان قد أسلم منهم ستمائة ألف، فخافوا أن يغلبوا، ومعنىٰ وآلهتك لأنَّه كان قد أمر قومه بعبادة الأصنام، وقال: هذه آلهتكم وأنا ربها وربكم، ولذلك قال: أنا ربكم الأعلىٰ، أو كان له بقرة يعبدها، ويجوز أن يراد بآلهته هواه، لقوله ﷺ: «الهوىٰ إله معبود»[1]، وجمع لكثرة أهويته.

تلخيصه: [تترك][2] وإرادتك لا يلتفت إليكما.

القراءة: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ﴾: مخففًا ومثقلًا.

﴿وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾: كفعلنا بهم قبل.

﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ﴾: هم عبيدنا وتحت أمرنا.

﴿قَٰهِرُونَ﴾: (تا) لهم، فأعيد عليهم القتل.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْۖ﴾: (حس)، ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ﴾: تقف هنا إن أستأنفت ﴿يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ﴾: (كا)، وإن جعلت ﴿يُورِثُهَا﴾ حالًا من (الله) لم تقف قبلها.

﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: (حس) وقرئ: (والعاقبةَ) نصبًا عطفًا علىٰ (الأرض).

﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾: بقتل الأبناء.

﴿وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَاۚ﴾: (كا) بإعادة القتل، فبشرهم أنَّ العاقبة لهم بقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾: فرعون وقومه.

﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أرض مصر بعدهم.

﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾: (تا) فأغرق فرعون، واستخلفهم فيها فعبدوا العجل.

---

(١) ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» (٧/ ١٣٩) عن ابن عباس من قوله.

(٢) في جـ: يتركك، والمثبت من أ، ب.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾

﴿بِٱلسِّنِينَ﴾: جمع سنة وأصلها سنهة أو سنوة، وكسرت سينها للإيذان أنَّها جمعت علىٰ غير قياس، والمراد: القحط سنةً بعد سنة، وأسنت القوم قحطوا.

ابن عباس[1]: السنون كانت لباديتهم.

﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: لأمصارهم.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: (كا) يتعظون فيؤمنون؛ لأنَّ البلاء يرقق القلوب ويرغب في الآخرة.

روي أنَّ فرعون عاش أكثر من ستمائة سنة، وملك أربعمائة سنة، لا يرىٰ مكروهًا فيها، أو في ثلثمائة وعشرين سنة منها، ولو رأىٰ مكروهًا لمَّا ادعىٰ الربوبية.

﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾: الخصب والسعادة.

﴿قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾: مختصة بنا ونستحقها، ولم يشكروا الله تعالىٰ.

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: قحط وغلاء.

﴿يَطَّيَّرُوا۟﴾: يقولوا: هذا بشؤم موسىٰ.

﴿وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾: (تا) من المؤمنين.

﴿إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ﴾: أي ما يصيبهم من الخير والشر.

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: وبإرادته يكون.

---

(١) انظر «الكشاف» (٢/ ١٤٤).

وقرئ: (طيركم) جمع طائر غير مكسر كركب وتجر، أو هو مكسر.

تلخيصه: كل من عند الله ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: (تا).

﴿وَقَالُواْ مَهْمَا﴾: هي ما الجزائية ضمت إليها ما زائدة مؤكدة معنىٰ الجزاء، نحو: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء:٧٨]، فصارت ما ما فقلبت الألف هاء تخفيفًا لاجتماع [مثلين][(١)]، فصارت مهما، أو هي مه اكفف ضمت إليها ما الشرطيّة، أو هي بكمالها اسم، ومحلها نصب علىٰ الأقوال بقوله: ﴿تَأْتِنَا بِهِۦ﴾: أي أيّما شيء تحضرنا تأتنا به، أو رفع أي أيما شيء تأتنا به، والهاء في ﴿بِهِۦ﴾ يرجع إلىٰ لفظ ﴿مَهْمَا﴾.

وقوله: ﴿مِنْ ءَايَةٍ﴾: بيان لمهما لأنَّها هي هي في المعنىٰ، ومما يوضح أنَّها هي هي أن جئ بآية متصلة بعد وسموها آية استهزاء بموسىٰ.

والهاء في ﴿لِّتَسْحَرَنَا بِهَا﴾: ترجع إلىٰ معنىٰ ﴿مَهْمَا﴾؛ لأنها بمعنىٰ الآية، وعود الضمير إليها دليل علىٰ اسميتها؛ لأنَّ الضمير إنَّما يعود إلىٰ الأسماء، وجواب الجزاء ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾: (تا)، المعنىٰ أنَّ القبط قالوا لموسىٰ: نحن لا ننخدع لك بدليل ما فلا نؤمن أبدًا فبعث تعالىٰ ﴿عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾: وهو ماء دخل بيوتهم حتىٰ بلغ تراقيهم سبعة أيام، فمن جلس منهم غرق، ولم يدخل بيت إسرائيلي مع اشتباكها ببيوتهم، أو الموت، أو الطاعون، أو الجدري، فقالوا لموسىٰ: ادع ربك يكشف عنا ونؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا فرفع فأخصبت بلادهم، فلم يؤمنوا، وقالوا: ما كان هذا الماء إلا نعمة، فبعث تعالىٰ المقت.

﴿وَٱلْجَرَادَ﴾: المعروف فأكل جميع نباتهم وثيابهم وشقوق بيوتهم وأبوابها، ولم يضر [بإسرائيلي][(٢)]، فقالوا له: اكشف عنا نؤمن، فأشار بعصاهْ شرقًا وغربًا فذهب

---

(١) في جـ: المثلين، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: بني إسرائيل، والمثبت من أ، ب.

الجراد من حيث جاء، فبعث عليهم المقت.

﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾: وهو السوس يخرج من الحنطة، أو من جميع الحبوب، أو هو الذباب، أو البراغيث، أو القمل بفتح القاف وسكون الميم [مخففًا][١].

وقرئ: بها، أو الحمنان لضرب من القراد واحدة حمنانة، فأكل جميع ما ترك الجراد وأشعارهم وأبشارهم، وآلمهم قرصًا وأكلًا، وخبث عليهم أطعمتهم لوقوعه فيها وفي أفواههم، ولم يضر بإسرائيلي.

﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾: فملأت بيوتهم وأطعمتهم وخبثتها عليهم، وكان الرجل يجلس فيها إلىٰ رقبته، وإن فتح فاه دخله الضفدع، فاستغاثوا بموسىٰ، فدعا فرفع عنهم.

﴿وَٱلدَّمَ﴾: بأن صارت جميع مياههم دمًا أحمر عبيطا[٢]، فكان فرعون يجلس القبطي والإسرائيلي علىٰ إناء، فما يلي القبطي دم، والإسرائيلي ماء عذب، وتأخذ الإسرائيلية الماء في فيها فتلقيه في فيّ القبطية، فيصير دمًا، وجعل فرعون يمضغ الأشجار الرطبة، فيصير ماؤها دمًا في فيه، أو الدم الرعاف وتنصب ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾: (كا) حالًا من هذه المذكورات، وتفصيلها إن كان كل عذاب أسبوعًا، وبين كل عذابين شهر.

روي أنَّ موسىٰ عليْه السلام بقي بعد ما غَلَبَ السحرة عشرين سنة يريهم الآيات.

﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾: (حس) وما في ﴿بِمَا عَهِدَ﴾: مصدرية، والباء للقسم، تلخيصه: أقسمنا بعهد الله.

---

(١) في ب: تخفيفا، والمثبت من أ، ب.

(٢) عبطت الشاة: (عبطا) من باب ضرب ذبحتها صحيحة من غير علة بها ولحم (عبيط) أي صحيح طري ودم (عبيط) طري خالص لا خلط فيه قال في التهذيب (العبيط) من اللحم ما كان سليما من الآفات إلا الكسر ولا يقال (عبيط) إذا كان الذبح من آفة ولا يقال للشاة (عبيطه) و(معتبطة) إذا ذبحت من آفة غير الكسر.

انظر «المصباح المنير» (٢/ ٣٩٠).

﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَـٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾

﴿عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾: أي العذاب النازل بنا ﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

وجواب ﴿فلَمَّا كَشَفْنَا ... إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾: (كا) المعنىٰ وقت كشف العذاب، فأجاؤا ترك العهد ونقضوه.

﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟﴾: أي بسبب تكذيبهم.

﴿بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا﴾: عن النقمة قبل حلولها.

﴿غَـٰفِلِينَ﴾: (كا).

﴿ٱلْقَوْمَ﴾: المفعول الأول لأورثنا.

﴿ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾: هم بنو إسرائيل كان [يستضعفهم فرعون][1] نعت للقوم، المفعول الثاني ﴿مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا﴾: واللام في الأرض، للعهد، والمراد: أرض مصر [ق/ ١٥٤ب] أو الشام، المعنىٰ: ورثوا جميع تلك الأرض.

ومحل ﴿ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾: (كا) بالخصب والماء والشجر نصب صفة ﴿مَشَـٰرِقَ﴾ و(مغارب).

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[ق/ ١٠٤جـ]: تأنيث الأحسن صفة لكلمة، المعنىٰ: كملت ومضت عاداته الجميلة.

---

(١) في جـ: فرعون يستضعفهم، والمثبت من أ، ب.

﴿عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: بنصره إياهم.

﴿بِمَا صَبَرُواْۖ﴾: (كا) بسبب صبرهم، ومن قابل البلاء بالصبر ضمن تعالىٰ [له][1] الفرج.

القراءة: ﴿يَعۡرِشُونَ﴾: (كا) يبنون مرتفعًا بضم الراء وكسرها هنا والنحل لغتان.

تلخيصه: أورثنا المستضعفين منازل المستضعفين، وأهلكنا القبط وما صنعوه أجمعين.

﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٤٠ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ١٤١﴾

فبعد فراغه من ذكر ما جرىٰ للقبط أتبعه بذكر ما جرىٰ لبني إسرائيل؛ لأنَّهم شابهوهم في عبادة غير الله تعالىٰ فقال: ﴿وَجَٰوَزۡنَا﴾: **وقرئ**: (وجوّزنا)، جاوز وجوّز واحد، وأجزت المكان أنفذته والمعنىٰ عبرنا.

﴿بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ﴾: وكان ذلك يوم عاشوراء.

﴿فَأَتَوۡاْ﴾: فمرّوا، ﴿عَلَىٰ قَوۡمٖ﴾: من لخم.

﴿يَعۡكُفُونَ﴾: **القراءة**: بكسر الكاف وضمها لغتان، أي يقيمون علىٰ عبادة ﴿أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ﴾: (كا) كانت علىٰ [صور][2] البقر يعبدونها فقالوا لموسىٰ: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾: صنمًا نعظمه.

﴿كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾: و(ما) كافة للكاف عن العمل؛ لأنَّها دخلت هنا علىٰ الجملة

---

(١) في جـ: إياه، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: صورة، والمثبت من أ، ب.

فقال: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾: (تا) المعبود.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: أي عبدة الأصنام.

﴿مُتَبَّرٌ﴾: مكسر مهلك.

﴿مَّا هُمْ فِيهِ﴾: من الشرك، فما مبتدأ خبره (متبر)، والجملة خبر إنَّ.

﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: (حس)، المعنىٰ: شركهم يزول ويهلكون إن لم يؤمنوا، وعبادتهم الأصنام لا ينتفعون بها.

ثم قال موبخًا: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا﴾: تمييز وغير مفعول، تقديره: أأطلب غير الله معبودًا.

﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: (حس) في زمانكم بإنعامه عليكم.

ثم أومأ إلىٰ أنعمه بقوله: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم﴾: إلىٰ ﴿ٱلْعَذَابِ﴾: (كا).

﴿نِسَآءَكُمْۚ﴾: (كا).

القراءة: أنجيناكم جمعًا، وأنجاكم مفردًا، ويقتلون مخففًا ومثقلًا.

تلخيصه: اذكروا إنقاذنا لكم من عذاب فرعون أنَّه ﴿عَظِيمٌ﴾: (حس) ، أجمل الأربعين في البقرة وفصلها هنا فقال:

﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةًۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾

﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾: فثلاثين مفعول ثان لوعد وفيه حذف، أي تمام أو مكث ثلاثين لأنَّ موسىٰ وعد قومه بالتوراة، فأمر بصيام جميع

ذي القعدة فصامها، فأنكر خلوف فمه، فاستاك بعود خروب [ق/ ٨٩أ]، فقالت الملأ: كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك، وأوحىٰ تعالىٰ إليه: أما علمت أنَّ خلوف فم الصائم عندي أطيب من رائحة المسك، فأمر بصيام عشر أيام أول ذي الحجة.

﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾: أي الوقت الذي وعده أن يخاطبه بعده.

﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾: (كا) تمييز، و﴿أَرْبَعِينَ﴾ حال، أي بالغًا هذا العدد.

ولمَّا ذهب إلىٰ المناجاة ﴿وَقَالَ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ﴾: عطف بيان.

وقرئ: بضم النون نداء، أو خبر مبتدأ.

﴿ٱخْلُفْنِى﴾: كن خليفتي.

﴿فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ﴾: ومرهم بالإصلاح.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: (كا) لا توافقهم علىٰ المعصية وصدهم عنها.

﴿ولمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾: للوقت الذي وعدناه أن نكلمه فيه تطهر وطهر ثيابه.

﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾: من غير واسطة كما يشاء، وجبريل معه لم يسمع ما كلمه به.

روي أنَّ موسىٰ سمع ذلك الكلام من كل جهة، أو كلمه من الشجرة.

ابن عباس(١): كلمه أربعين يومًا وأربعين ليلة.

أو إنَّما كلمه علىٰ رأس الأربعين، وكان في الأربعين في العبادة، فثَمَّ ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾: (كا) المفعول الثاني لأرني محذوف، أي أرني نفسك لأتمكن من رؤيتك، وطلب الرؤية لأجل الذين كانوا معه الذين قالوا: أرنا الله جهرة؛ ليعلموا أن لا سبيل إلىٰ ذلك، فيكفوا عن السؤال لأنَّه إذا منع مع قربه واستحالته في حقه فغيره أولىٰ بالمنع، ولم يقل أرهم لأنَّ الخطاب كان معه، ولمَّا كان المطلوب من

(١) انظر «الكشاف» (٢/ ١٥٢).

النظر المشاهدة والإدراك ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾: فقائل بتأبيد عدم الرؤية مطلقًا؛ لأنَّ لن لتأكيد ما تنفيه لا في المستقبل، يقول: لا أفعل غدًا، فإذا أكدته قلت: لن أفعل غدًا، وقائل بتأبيدها في الدنيا؛ لأنَّ السؤال كان فيها، ونحوه ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة:٩٥]، يعني في الدنيا، يدل عليه قولهم: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا﴾ [الزخرف:٧٧]، أو المعنىٰ: عرفني نفسك معرفة جلية كالمشاهدة بالعين، فقيل: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾: لن تقدر علىٰ ذلك، **تلخيصه**: لا سبيل إلىٰ النظر إليّ.

﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾: لم يتزلزل.

﴿فَسَوْفَ﴾: (كا) سوف تثبت لرؤيتي وتطيقها، وقد علم تعالىٰ أنَّ الجبل لا يثبت عند التخلي، فلذلك علق الرؤية علىٰ ثبوته، وخص الجبل لأنَّ زواله أعظم وأكف للذين قالوا: أرنا الله جهرة عن سؤالهم.

﴿فلمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ﴾: ظهر أمر ربه.

﴿لِلْجَبَلِ﴾: جبل زبير كقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف/ ٨٢]، أو ظهر من نور عرشه، أو نور حُجُبِه كسم الخياط، أو كقدر ما بين الخنصر والإبهام إذا وضعت الإبهام علىٰ المفصل الأعلىٰ من الخنصر، فجعله ﴿دَكًّا﴾: **القراءة**: دكاء مدًا، أي كأرض دكاء أو ناقة دكاء غير [مصرف][(١)] كحمراء، ودكًا قصرًا مصروفًا مصدر دكه دكا، أي جعله مستويًا بالأرض، والدق والدك واحد، وإذا حل بالجبل ما حل مع عظم خلقه فما ظنك يا ابن آدم الضعيف، فثَمَّ ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾: (كا) حال مقارنة سقط مغشيًا عليه لهول ما رأىٰ.

﴿فلمَّآ أَفَاقَ﴾: من غشوته، ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾: أي تنزيهك عن الإدراك.

﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾: عن طلب الرؤية وإن كانت لغيري.

﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: (تا) من بني إسرائيل.

---

(١) في جـ: منصرف، والمثبت من أ، ب.

﴿ ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: في زمانك.

﴿بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾: بتكليمي، وإن كان هارون شريكه في الرسالة، فهو تابع له.

القراءة: برسالتي مفردًا وجمعًا.

﴿مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: (كا).

﴿ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾

﴿فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ﴾: [ألواح][1] التوراة كانت من سدر الجنة، أو من زبرجد، أو زمرد وكانت في لوحين، أو سبعة، أو وقر سبعين بعير كل لوح كطول موسىٰ.

ومحل ﴿مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾: من الأحكام والمواعظ نصب مفعول ﴿كَتَبۡنَا﴾، وتبدل منه ﴿مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾: من الفضائل والفرائض.

تلخيصه: كتبنا لهم فيها ما يحتاجون في دينهم إليه، وتعطف علىٰ ﴿كَتَبۡنَا﴾.

﴿فَخُذۡهَا﴾: أي الألواح.

﴿بِقُوَّةٖ﴾: بجد واجتهاد.

﴿وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ﴾: (كا) بالأحسن منها وهو الجمع بين فضائلها وفرائضها، أو العفو دون القصاص.

﴿سَأُوْرِيكُمۡ﴾: من الإرادة.

(١) في جـ: الألواح، والمثبت من أ، ب.

﴿دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: (حس) فرعون وأتباعه وهي مصر، أو جهنم، أو منازل الهالكين لتتعظوا.

وقرئ: (سأوريكم) بواو وإشباع من الضمة، أو من ورىٰ الزند يري وسأورثكم من الميراث.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ﴾: عن فهمها والإيمان بها بأن أخذلهم وأعمىٰ بصائرهم.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾: علىٰ الناس [ق/ ١٥٥ب].

﴿فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: (كا) أو سأصرفهم عن إبطالها والطعن فيها والسخرية بها بإهلاكهم، ومحل ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ حال، أي يتكبرون غير محقين؛ لأنَّ التكبر لله تعالىٰ وحده، أو هي صلة فعل التكبر، أي يتكبرون بباطل، وهو ما هم عليه من الكفر.

﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ﴾: دالة علىٰ التوحيد.

وقرئ: (يُروا) مجهولًا في الثلاثة ﴿لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾.

القراءة: ﴿ٱلرُّشْدِ﴾: بفتح الراء والشين، وبضم الراء والشين.

وقرئ: (الرشاد) لغات بمعنىٰ الفلاح، المعنىٰ: لا يؤمنون بالآيات وطريق الفلاح يجتنبونه، وطريق الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾: (كا).

تلخيصه: هم ضالون.

ومحل ﴿ذَٰلِكَ﴾: رفع، أي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم.

﴿بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾: (تا) وأراه حسنا؛ لأنَّ ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: مبتدأ خبره ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾: (حس) إن لم تجعل الخبر ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ﴾: فتنصب (حبطت) حالًا، المعنىٰ: لا يجزون في الآخرة إلا جزاء ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: (حس) في الدنيا.

﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا

يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ
ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ
مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ
وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ
ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: من بعد ذهابه إلىٰ المناجاة.

﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾: المستعارة من القبط بعلة عرس كان لهم، ونسب [الاتخاذ إليهم][1] وإن اتخذه السامري وحده لأنَّهم رضوا بفعله، واتخذوا العجل معبودًا.

القراءة: حليهم بضم الحاء مشددًا جمع حلىٰ كثدىٰ وثديّ، وبكسر الحاء اتباع.

وقرئ: بكسر الحاء وسكون اللام تخفيفًا.

﴿عِجْلًا﴾: مفعول اتخذ.

﴿جَسَدًا﴾: بدلًا منه، أي جسمًا ذا لحم ودم.

﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾: صوت البقر.

وقرئ: (جؤار) بجيم مهموزًا من جار صاح، أو كان يمشي ويخور، ثم عجب من عقولهم السخيفة فقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾: (حس) طريقًا من طرق الفلاح مع دعواهم فيه الألوهية ومن هو عاجز فكيف يعبد؟! ولمَّا أقدموا علىٰ عبادته قال: ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾: إلها.

﴿وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾: (حس) بذلك.

﴿ولمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾: أي ندموا علىٰ عبادة العجل، وأصله أنَّ النادم يعض يده ندمًا، فتصير يده مسقوطًا فيها؛ لأنَّ فاه قد وقع فيها، فأسند سقط إلىٰ أيديهم مجازًا.

---

(١) في جـ: تقديم وتأخير.

وقرئ: (سقَط) بفتح القاف، أي سقط العض أو الندم.

الزجاج[١]: سقط الندم في أيديهم أي قلوبهم، فكنىٰ باليد عن القلب.

﴿وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ﴾: بعبادة العجل.

﴿قَالُواْ﴾: تائبين.

﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾: **القراءة**: بالياء فيهما غيبة ورفع ﴿رَبُّنَا﴾ فاعلًا، وبالتاء خطابًا فيها، ونصب (ربنا) منادىٰ [ق/ ١٠٥ جـ].

تلخيصه: أنهم قالوا لئن لم يتب الله علينا.

﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: (حس).

﴿غَضْبَٰنَ﴾: حال.

﴿أَسِفًا﴾: شديد الغضب حال أيضًا بدل من الحال قبلها، وفاعل ﴿بِئْسَمَا﴾: مضمر، يدل عليه ﴿خَلَفْتُمُونِى﴾: بإشراككم.

﴿مِنۢ بَعْدِىٓ﴾: (كا) حيث ذهبت عنكم، والمخصوص بالذم محذوف خلفه بالخير والشر في أهله أولاهم إياه بعد شخوصه.

تلخيصه: بئس خلافة خلفتمونيا منها خلافتكم.

﴿أَعَجِلْتُمْ﴾: أسبقتم بعبادة العجل.

﴿أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾: (كا) وهو إتياني لكم بالتوراة بعد أربعين ليلة، أصل العجلة: طلب الشيء قبل حينه.

﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾: غضبًا لدينه فتكسرت، فرفع ستة أسباع التوراة وبقي سبعها.

﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾: بذؤابته ولحيته.

﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾: (كا) غضبًا كيف مكَّنهم من عبادة العجل، وكان هارون أكبر من موسىٰ بثلاث سنين، وأحب إلىٰ بني إسرائيل لرقته لهم، وزعم بعضهم أنَّ في جره

---

(١) انظر: «الكشاف» (٢/ ١٦٠).

إليه دليلًا علىٰ أنَّه لم يكن [إهانة][1] لأنَّه يدنيه ويقربه، وجوز أن يكون أخذه برأسه من عادتهم.

القراءة: ﴿ٱبۡنَ أُمَّ﴾: هنا وطه بفتح الميم، جعل الاسمان اسمًا واحدًا فبُنِي كخمسة عشر، وبكسر الميم أراد أمي وقرئ بها، فحُذِفت الياءُ لدلالة الكسرة عليها.

وقرئ: (إم) بكسر الهمزة، وذكره الأم لأنَّها قاست المخاوف فيه، فكان أعطف لقلبه، ولأنَّها كانت مؤمنة، أو كان أخاه لأمه.

تلخيصه: يا أخي لم آل جهدًا في كفهم، لكنهم ﴿ٱسۡتَضۡعَفُونِي﴾: وهموا بقتلي.

﴿فَلَا تُشۡمِتۡ﴾: لا تفرح.

﴿بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ﴾: بإهانتك إياي، وأصل الشماتة: الفرح ببلية من تعاديه.

وقرئ: (تشمَت) بفتح التاء والميم، وبالياء مفتوحة وفتح الميم ورفع (الأعداء)، فاعلًا، نهي للأعداء عن الشماتة، وفي الحقيقة هو لموسىٰ.

تلخيصه: لا تُهِني فيشمت بي الأعداء.

﴿وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (تا) أنفسهم بعبادة العجل، فلمَّا اتضح عذر أخيه ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي﴾: ما صنعت.

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾

﴿ وَلِأَخِي ﴾: إن كان منه تقصير ليرضي أخاه، ويسوء الشامتين.

---

(١) في جـ: بإهانة، والمثبت من أ، ب.

﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: (تا) ومن كفر ﴿سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٌ﴾: هو قتلهم أنفسهم توبة.

﴿وَذِلَّةٌ﴾: غربة.

﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾: (كا) لأنَّ في الغربة ذلة، أو المراد أبناء أولئك هم قريظة والنضير، والغضب قتلهم وأجلاؤهم، والذلة ضرب الجزية عليهم، فعلىٰ هذا يجوز أن ينالهم غضب في الآخرة، [وذلة][1] في الدنيا.

﴿ٱلۡمُفۡتَرِينَ﴾: (تا) المتكذبين علىٰ الله تعالىٰ، عظَّم الجناية أولًا، ثم أردفها ثانيًا [بعظيم][2] الرحمة ليعلم أنَّ الذنوب وإن عظمت فالرحمة أعظم فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: من معصية وكفر.

﴿ثُمَّ تَابُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا﴾: السيآت، أو التوبة.

﴿لَغَفُورٌ﴾: لجميع الذنوب مع التوبة في وقتها.

﴿رَّحِيمٌ﴾: (تا) لمن تاب.

ولمَّا كان الغضب لشدته كأنَّه الأمر لموسىٰ بما فعل قيل: ﴿ولمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ﴾: وقرئ (سكن وسكت وأسكت)، أي سكنه الله، أو أخوه باعتذاره. **تلخيصه**: لمَّا زال غضبه.

﴿أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ﴾: (كا) بعد إلقائها.

﴿وَفِي نُسۡخَتِهَا﴾: خبر، أي فيما نسخ منها بعد أن كسرت، فالنسخة فعلة بمعنىٰ مفعولة، كالخطبة مبتدؤه ﴿هُدًى﴾: من الضلالة، ﴿وَرَحۡمَةٌ﴾: عطف عليه، ومحلها حال من (الألواح).

---

(١) في جـ: والذلة، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: بعظم، والمثبت من أ، ب.

ابن عباس(١): لمَّا تكسرت الألواح صام موسىٰ أربعين يومًا، فردت عليه في لوحين.

واللام في ﴿لِرَبِّهِمْ﴾: متعلقة بمحذوف يدل عليه ﴿يَرْهَبُونَ﴾: (حس) أي الذين يخشعون لربهم، أو زائدة لأجل تقدم المفعول علىٰ فعله؛ لأنَّ تقدم المفعول يكسبه ضعفًا.

﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾: أي من قومه، فحذف الجار، فتعدىٰ الفعل فنصب (قومه)، ونحوه في حذف الجار ونصب ما بعده قوله ﷺ: «أيما امرأة نكحت نفسها»(٢) أي بنفسها، وتنصب مفعولًا به صريحًا.

﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾: تمييز.

﴿لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ﴾: للوقت الذي وعدناه أن يأتينا فيه سبعين رجلًا من خيار قومه يعتذرون إلينا من عبادة العجل، فخرج بهم موسىٰ إلىٰ طور سيناء، فسمعوا أمر الله تعالىٰ له ونهيه، فقالوا: أرنا الله جهرة فزجرهم موسىٰ فلم ينزجروا فـ﴿أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾: وهب: لم تكن تلك الرجفة صوتًا، ولكن لمَّا رأوا تلك الهيئة العظيمة كادت تبين منهم مفاصلهم، فرحمهم موسىٰ، و﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ﴾ [ق/ ١٥٦ب]: عند عبادة العجل.

---

(١) انظر «الكشف والبيان» للثعلبي (٤/ ٢٨٧).

(٢) أخرجه البغوي في «تفسيره» (٣/ ٤١٠) من حديث عائشة ﵂.

﴿وَإِيَّٰيَۖ﴾: (حس) بقتل القبطي.

﴿أَتُهۡلِكُنَا﴾: أتعمنا بالهلاك.

﴿بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ﴾: (حس) وهو استعطاف [ق/ ٩٠أ] ومعناه نفي، تقديره: ما تعذبنا بذنب غيرنا.

﴿إِنۡ هِيَ﴾: أي الفتنة.

﴿إِلَّا فِتۡنَتُكَ﴾: أي محنتك واختبارك؛ لأنَّك لمَّا كلمتني جوزوا الرؤية عليك فسألوها.

﴿تُضِلُّ بِهَا﴾: أي بالامتحانة.

﴿مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ﴾: (حس).

﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ﴾: (كا).

﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾: (كا).

﴿إِنَّا هُدۡنَآ﴾: تُبنَا، ﴿إِلَيۡكَۚ﴾: من هاد يهود: تاب.

وقرئ: بكسر الهاء من هاده يهيده: حركه، أي حركنا نفوسنا إليك بالتوبة.

﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ﴾: لأني القادر المتصرف.

وقرئ: (من أشا) فعلًا ماضيًا.

﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ﴾: عمَّت، ﴿كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾: (كا) فلمَّا نزل قال الخبيث: أنا شيء، فأخرج منها بقوله: ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: إلى ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾: (حس) إن نصبت أو رفعت ما بعد مدحًا أو مبتدأ، ولا يحسن إن جررته صفة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، فقال أهل الكتاب: نحن نتقي ونزكي ونؤمن، فأخرجوا منها بقوله:

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ

وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾: محمدًا ﷺ، نسب إلىٰ أم القرىٰ مكة، أو إلىٰ [أمه][1].

وقرئ: بفتح الهمزة نسبة إلىٰ الأَمّ: القصد.

﴿يَجِدُونَهُ﴾: أي يجدون وصفه ونبوته.

﴿فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾: وإن رفعت ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ﴾ مبتدأ فخبره ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالإيمان ومكارم الأخلاق.

﴿وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾: الشرك ومساوئ الأخلاق.

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾: الحلالات، أو المستلذات التي كانت محرمة عليهم كالشحوم.

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾: المحرمات، أو ما يستخبث كالميتة.

القراءة: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾: مفردًا وجمعًا كقتل النفس في التوبة، وقطع الأعضاء الخاطئة وتعين القصاص في القتل، وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب، وكانت أغلالًا.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: (حس) لشدتها.

﴿وَعَزَّرُوهُ﴾: ووقروه.

وقرئ: مخففًا، وأصل العزر: المنع، ومنه التعزيز.

﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ﴾: أي القرآن.

(١) في ب، جـ: أمته، والمثبت من أ.

﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾: أي مع نبوته؛ لأنَّ إنزال القرآن كان مصحوبًا بنبوته، أو (معه) بمعنىٰ عليه، أو المعنىٰ اتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي، أو اتبعوا مع محمد القرآن المنزل، ويجوز أن يراد بالنور الهداية، فالإنزال بمعنىٰ الإيجاد نحو ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ [الحديد:٢٥]، والنبي ﷺ لم يفارق الهداية، والمعنىٰ: اتبعوا الموجود [بوجوده][(١)].

ويجوز أن يكون ضمير (معه) لجبريل؛ لأنه علم أنَّه نزل بالقرآن.

تلخيصه: المسلمون ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: (تا) بعث كل نبي خاصة إلىٰ أمته، وبعث ﷺ إلىٰ جميع الإنس والجن، فلذلك قال: ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾: حال، تقف هنا إن نصبت ﴿ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ﴾: (تا) مدحًا.

﴿وَيُمِيتُ ۖ﴾: (كا).

﴿بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾: (كا) وقرئ: (وكلمته) موحدًا إرادة الجنس، أو عيسىٰ.

وقرئ: (وكلمته ألقاها إلىٰ مريم)، وسمي كلمة لأنَّه لم يكن لإيجاده سبب سوىٰ كن فكان.

﴿تَهْتَدُونَ﴾: (حس).

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ﴾: الناس.

---

(١) في جـ: مع وجوده، والمثبت من أ، ب.

﴿بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ﴾: بالحق.

﴿يَعْدِلُونَ﴾: (كا) يحكمون.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾: صيرناهم فتنصب ﴿ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ﴾: مفعولًا ثانيًا، وإن جعلت (قطعنا) بمعنىٰ فرقنا نصبت (اثنتي عشرة) حالًا وأنثت إرادة القبيلة، أي اثنتي عشرة قبيلة، وتنصب ﴿أَسْبَاطًا﴾: بدلًا من ﴿ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ﴾، أو تميزًا وميز بالجمع وضعًا لأسباط موضع قبيلة، أي اثنتي عشرة قبيلة، كل قبيلة أسباط، وتنصب ﴿أُمَمًاۚ﴾: نعتًا لأسباطًا، أو بدلًا من اثنتي عشرة، أي قطعناهم أممًا لأنَّ كل سبط كان أمة عظيمة.

وقرئ: (قطَعناهم) مخففًا، وبكسر الشين وفتحها.

وأن مصدرية في ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾: (كا).

﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾: انفجرت.

﴿عَيْنًا﴾: (كا).

﴿مَّشْرَبَهُمْۚ﴾: (كا).

﴿رَزَقْنَٰكُمْۚ﴾: (كا).

﴿يَظْلِمُونَ﴾: (كا).

القراءة: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ﴾: بالتاء مضمومة وبالنون مفتوحة.

والقراءة: أيضا ﴿خَطِيٓـَٰٔتِكُمْۚ﴾: جمعًا مسلمًا ومفردًا مع ضم التاء، وخطاياكم كقضاياكم، وجمعا مسلمًا وكسر التاء.

﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: (حس).

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا

تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾

﴿يَظۡلِمُونَ﴾: (كا) يفسقون.

حرم الله تعالىٰ الصيد علىٰ أهل أيلة، أو مدين، أو طبرية يوم السبت ليتفرغوا للعبادة، وكان يأتيهم فيه دون بقية الأيام، فوسوس إليهم الشيطان أنَّه إنما نهوا عن أخذ الصيد فيه دون صيده، فاتخذ ثلثهم مصائد يقع فيها الصيد فيأخذونه يوم الأحد، وثلث نهي وثلث لم يصد ولم ينه، فأمر ﷺ بسؤال مجاوريه من اليهود عن أولئك توبيخًا فقيل: ﴿وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ﴾: ملاصقته.

﴿إِذۡ يَعۡدُونَ﴾: يتجاوزون ما نهوا عنه.

وقرئ: (يعدون) أي يعتدون، فأدغمت التاء في الدال ونقلت حركتها إلىٰ العين، و(يُعِدّون) من إعداد آلات الصيد، وإذ مجرورة بدل اشتمال من القرية، أي واسألهم عن خبر أهل القرية وقت عدوانهم ﴿ فِي ٱلسَّبۡتِ ﴾، أو نصب بحاضرة.

وتنصب [ق/ ١٠٦ جـ] ﴿إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ﴾: هو جميع السمك بـ«يعدون».

﴿شُرَّعٗا﴾: ظاهرة حالًا من الحيتان.

﴿وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ﴾: (تا) وقرئ: (لا يسبتون) من أسبت دخل في السبت ويوم إسباتهم.

﴿يَفۡسُقُونَ﴾: (تا) وتعطف علىٰ ﴿إِذۡ يَعۡدُونَ﴾.

﴿وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ﴾: صالحة بعد يأسهم من توبة العادين.

﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ﴾: أو هذا قول من لم يصد ولم ينه، المعنىٰ: لم تعظون قومًا مهلكين، وقد علمتم أنهم يعذبون ﴿عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ﴾: (كا).

تلخيصه: وجب عذابهم فلا ينفعهم الوعظ.

القراءة: ﴿مَعۡذِرَةً﴾: رفعًا خبر مبتدأ، أي موعظتنا إبلاء عذر ووضوحه لئلا

نسب إلىٰ تقصير ما في النهي عن المنكر، ونصبًا مفعول له، أي وعظناهم معذرة، أو مصدر أي اعتذرنا معذرة إلىٰ ﴿رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: (حس) لطمعنا في تقواهم.

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾

﴿فلمَّا نَسُواْ﴾: أي ترك أهل القرية.

﴿مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾: من الوعظ عن الصيد.

﴿أَنجَيْنَا﴾: الناهين.

﴿عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾: وهو أخذ الحيتان وأخذنا الظالمين بأخذها.

﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾: **القراءة**: بكسر الباء وسكون الياء علىٰ قلب الهمزة ياء كذيب، وبهمزة ساكنة قبلها ياء مكسورة اتباع، وبفتح الباء وسكون الياء وهمزة مفتوحة كقيقب، وبفتح الباء وهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة كرغيف مصدر بئس بئيسًا.

وقرئ: بفتح الباء وكسر الهمزة كحذر، وبيّس كريس، وبيس كهيْن [مخفف][(١)] هيّن وبائس لغات كلها.

ابن عباس[(٢)]: ما أدري ما فعل بالفرقة الساكتة.

عكرمة: فقلت ألا تراهم قد أنكروا بقولهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ [ق/ ١٥٧ب]، وإن لم يقل: أنجيتهم فلم يقل: أهلكتهم؟ فأعجبه قولي، وقال:

---

(١) في جـ: تخفف، والمثبت من أ، ب.

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٢/ ٢٤٣).

نجت الساكتة، وإنما هلكت الآخذة.

تلخيصه: نجت الساكتة والناهية، وعذبت الصائدة عذابًا شديدًا بما كانوا ﴿يَفۡسُقُونَ﴾: (كا).

إن لم تجعل ﴿فلمَّا عَتَوۡاْ﴾: تكبروا عن امتثال ﴿مَّا نُهُواْ عَنۡهُ﴾: من الصيد تكريرًا لقوله: ﴿فلمَّا نَسُواْ﴾، أو أنَّهم عذبوا أولًا بعذاب شديد فعتوا بعد فمسخوا.

﴿قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾: (كا).

وتُجْرِي ﴿تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾: أي أعلم مجرىٰ فعل القسم ولذلك جيء باللام في ﴿لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ﴾.

وقوله: ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾: متعلق ب﴿لَيَبۡعَثَنَّ﴾، والمعنىٰ وإذا وجب وحكم ربك ليرسلن علىٰ اليهود ﴿مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ﴾: (حس) [وكانوا][1] يؤدون الجزية إلىٰ المجوس إلىٰ بعث محمد ﷺ، [فضربها][2] عليهم إلىٰ يوم القيامة.

﴿رَّحِيمٌ﴾: (حس).

﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗاۖ مِّنۡهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنۡهُمۡ دُونَ ذَٰلِكَۖ وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾

﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗاۖ﴾: فرقًا حال، ولا أحب الوقف هنا لأنَّ ﴿مِّنۡهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾: هم المؤمنون بمحمد ﷺ صفة أمم، أو بدلًا منه، ومحل ﴿دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾: رفع صفة محذوف، تقديره ومعناه: منهم ناس منحطون عن رتبة

---

(١) في جـ: فكان، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: فضرب ما، والمثبت من أ، ب.

الصالحين، [وهم][(١)] الكفرة.

﴿وَبَلَوْنَاهُم بِٱلْحَسَنَاتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: بالنعم والنقم.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: (كا) عن كفرهم.

الخلف: من يجئ بعد من تقدم.

أبو حاتم: بسكون اللام الأولاد وبفتحها البدل وإن كان غريبًا، أو بالفتح الصالح وبالسكون الطالح.

ابن شميل: التحريك والإسكان لخلف السوء، وللصالح التحريك لا غير.

قلت: وأكثر مجيئه فتحًا مدحًا وسكونًا ذمًا، وقد سكن مدحًا وفتح ذمًا، والمعنىٰ: فخلف بعد المذكورين جماعة وهم من عاصر النبي ﷺ من اليهود.

﴿وَرِثُواْ ٱلْكِتَابَ﴾: أي التوراة.

﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾: أي الشيء الدني من حطام، أو من الدنو، أي العاجل من حطامها؛ لأنَّ العرض بالفتح متاع الدنيا جلّ أو قل، وبالإسكان ما عدا النقدين، والمعنىٰ أنهم يأخذون الرشوة لتغيير بعض ما في التوراة من الأحكام وصفة محمد ﷺ تسهيلًا علىٰ عوامهم وإضلالهم، أو كانوا يقضون ويرتشون.

﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾: لا نؤاخذ بذلك، ولنا فاعل سيغفر، والواو للحال في ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾: (حس) أي يرجون المغفرة وهم عائدون إلىٰ مثل فعلهم غير تائبين، والمغفرة إنما تحصل للتائب.

ثم وبخوا بقوله: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ﴾: إلىٰ ﴿إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾: (كا).

تلخيصه: إنما أخذ عليهم في التوراة قول الحق، وسم الوقف علىٰ ﴿يَأْخُذُوهُ﴾ بالحسن، وعلىٰ ﴿إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ بالكافي، وفيه نظر إن عطفت ﴿وَدَرَسُواْ﴾ علىٰ ﴿وَرِثُواْ﴾ وما بينهما اعتراض، وإن عطفته علىٰ ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ﴾ تقديره: أخذ عليهم

---

(١) في جـ: ومنهم، والمثبت من أ، ب.

ميثاق الكتاب.

﴿وَدَرَسُواْ﴾: أي قرأوا وعلموا.

﴿مَا فِيهِۗ﴾: (حس).

عن مالك بن دينار[1]: يأتي علىٰ الناس زمان إن قصروا عما أمروا قالوا: سيغفر لنا، كل أمرهم إلىٰ الطمع، خيارهم فيه المداهنة، فهؤلاء أشباه أولئك.

وقرأ مِن ﴿فَخَلَفَ﴾ إلىٰ ﴿يَتَّقُونَۚ﴾: (كا) ﴿تَعۡقِلُونَ﴾: (تا) لرفعك، ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ﴾: مبتدأ خبره ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾: (كا) .

وضع المظهر موضع المضمر، أي لا نضيع أجرهم؛ لأنَّ المتمسكين بالكتاب هم المصلحون، وهم ابن سلام وأصحابه، ومن لم يبدل ولا أحبه إن جر ﴿ٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾ عطفًا علىٰ ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾.

القراءة: يمسكون مخففًا من أمسك، ومشددًا من مَسَّك، وكذلك ﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ﴾ [الممتحنة:١٠] في الممتحنة.

وقرئ: (والذين مَسَّكوا)، (والذين استمسكوا)، المعنىٰ: عملوا بما في التوراة، وخصت الصلاة بالذكر تفضيلًا لها.

﴿۞ وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾

لمَّا أبىٰ اليهود تحمل أحكام التوراة لمشاقها أنذر هؤلاء ما صنع بأولئك فقيل: ﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ﴾: قلعناه ورفعناه.

---

(١) انظر «الكشاف» (٢/ ١٧٤).

﴿فَوۡقَهُمۡ﴾: ظرف لنتقنا، فرفع علىٰ رؤسهم.

﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ﴾: هو كل ما ظل من سحاب وغيره.

وقرئ: بإهمال الطاء من أطل أشرف علىٰ الشيء.

﴿وَظَنُّوٓاْ﴾: أيقنوا.

﴿أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ﴾: فلمَّا تيقنوا الهلاك قبلوها فقلنا لهم: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾: وعزم وإن شق عليكم.

﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ﴾: من الأحكام واعملوا بها.

﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾: (تا)، وتبدل ﴿مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾: بدل اشتمال بإعادة الجار ﴿مِن ظُهُورِهِمۡ﴾.

القراءة: ﴿ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾: مفردًا نصبًا مفعول (أخذ)؛ لأنَّها جنس تعم القليل والكثير، وذرياتهم جمعًا بكسر [التاء][(١)] مفعولًا أيضًا لكثرة الذرية؛ لأنَّهم استُلُّوا من ظهر آدم، ثم استُلُّوا نسلًا من نسل كما يتوالد الأبناء من الآباء، ولم يقل [ق/ ١٩١أ] من آدم للعلم أنَّهم كلهم بنوه، المعنىٰ: واذكر وقت أخذ الله الميثاق علىٰ بني آدم حين استُلُّوا من ظهره، واستُلَّ أولادُهم من ظهورهم.

﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾: أي أشهدَ بعضَهم علىٰ بعض حين قال: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾: فثبت إيمانهم بجوابهم ببلىٰ، ولو أجابوا بنعم لكفروا؛ لأنَّ نعم تصديق لمَّا سبقها أو إثبات، وبلىٰ إثبات لمَّا بعد النفي، وليس [بنفي][(٢)] واستفهام التقرير أكد معنىٰ النفي، والباء في خبر ليس زادته تأكيدًا، تقديره: بلىٰ أنت ربنا، يكفي الوقف هنا إن جعلت ﴿شَهِدۡنَآۚ﴾: محكيًا عن الملائكة؛ لأنَّه تعالىٰ أشهدهم علىٰ الذرية، فشهدوا فعلىٰ هذا ﴿أَن تَقُولُواْ﴾: متعلق بشهدنا، وهو العامل في ﴿أَن

---

(١) في جـ: الهاء، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: نفي، والمثبت من أ، ب.

تَقُولُواْ﴾ النصب، وإن جعلت شهدنا محكيًا عن الذرية تقديره: قالت الذرية: بلىٰ أنت ربنا شهدنا علىٰ أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك كفىٰ علىٰ ﴿شَهِدْنَآۚ﴾، ولم يجز علىٰ ﴿بَلَىٰ﴾، فعلىٰ هذا [تنصب][1] ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ بمضمر، تقديره: فعلنا ذلك بهم لئلا يقولوا أي قررناهم حتىٰ اعترفوا لئلا يقولوا: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا﴾: الإقرار.

﴿غَٰفِلِينَ﴾: لم نشعر فلم تبق لهم حجة علينا، ولا وقف هنا لأنَّ ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ﴾: عطف علىٰ ﴿أَن تَقُولُواْ﴾، وإنما لزمهم الميثاق المأخوذ عليهم وهم في الأصلاب مع نسيانهم إياه لظهور الدلالة علىٰ الوحدانية.

القراءة: أن تقولوا أو تقولوا بالتاء والياء، المعنىٰ فعلنا ذلك لنفي اعتذارهم بالنسيان، وبإشراك آبائهم وكونهم ﴿مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ﴾: (حس) لأنَّهم لا يمكنهم ذلك مع هذا الإقرار.

تلخيصه: لا عذر لهم.

﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾: (حس).

﴿يَرْجِعُونَ﴾: (تا).

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِىۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴾

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾: أي اليهود.

﴿نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾: وهو بلعم بن باعوراء من علماء بني إسرائيل، أو

---

(١) في جـ: ينتصب، والمثبت من أ، ب.

من الكنعانيين، وهو الذي دعا علىٰ موسىٰ فانقلب دعاؤه عليه، واندلع لسانه علىٰ صدره، أو أميّة بن الصلت كان قد قرأ الكتب، وعلم ما فيها وله أشعار موحدة.

﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾: فخرج من الآيات بكفره كما تخرج الحية من جلدها، والمراد بها علمه [لم][1] ينتفع به [ق/ ١٥٨ب].

﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: فصار قرينه.

وقرئ: (فاتَّبعه) بمعنىٰ أتبعه.

﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾: (تا) وهذه أشد آية علىٰ العلماء، وأي مصيبةٍ أعظمُ من أن يؤتىٰ العالم علمًا فيكون وبالًا عليه.

﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا﴾: هذا إيماء إلىٰ معنىٰ علة وضعه، المعنىٰ: لو لزم العمل بالإيمان لرفعنا درجته وأثبناه بسببها، يدل عليه ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ﴾: سكن.

﴿إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾: الدنيا؛ لأنَّ ما فيها من الأرض، ولو لم يكن إيماء إلىٰ المعنىٰ لقال: ولكنا لم نشأ مكان ولكنه، وأصل الإخلاد: المقام والدوام.

﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ﴾: فصفته كصفة ﴿ٱلۡكَلۡبِ﴾.

ومحل ﴿إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ﴾: يدلع لسانه.

﴿أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ﴾: (كا) حال أي يشبه الكلب لاهثًا ذليلًا في كل حال، وشبه بالكلب حطًّا لقدره، المعنىٰ: هو ضال وعظته أو لم تعظه، كالكلب يلهث بكل حال.

تلخيصه: لو عمل بعلمه لرفعناه، ولكنَّه خالفه فخفضناه، وهذا تمثيل لمن يكذب.

﴿بِـَٔايَٰتِنَاۚ﴾: (كا) أو للكفار، وتمنيهم هاديًا، فلمَّا جاءهم كذبوه.

﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾: (تا).

---

(١) في جـ: لا، والمثبت من أ، ب.

﴿سَآءَ﴾: بئس ﴿مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾: تفسير لفاعل ﴿سَآءَ﴾ المضمر، تقديره: ساء مثل القوم.

وقرئ بها فحذف مثل وأقيم القوم مقامه، فلا وقف [ق/ ١٠٧ جـ] علىٰ ﴿مَثَلًا﴾، وربما وقفه بعضهم بجعل الفاعل محذوفًا، ثم يبتدئ علىٰ تقدير هؤلاء القوم المكذبون.

﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: تقف هنا إن لم تعطف ﴿وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾: (تا) علىٰ ﴿كَذَّبُواْ﴾، أي جمعوا بين التكذيب وظلم أنفسهم، أجمعوا علىٰ إثبات الياء هنا في ﴿ٱلْمُهْتَدِى﴾.

﴿ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾: (تا).

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾

﴿ذَرَأْنَا﴾: خلقنا.

﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ﴾: (كا) وهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية بالشقاوة، فلا يفقهون الحق ولا يبصرون طريق الهداية، وآذانهم ﴿لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ﴾: (كا) مواعظ القرآن فلا يؤمنون.

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ﴾: في الفهم وترك الاعتبار ونيل الشهوات.

﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ﴾: (كا) لأنَّ الأنعام تطلب منافعها، وتهرب من مضارها، وهم ﴿ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾: (تا) يقدمون علىٰ النار.

لمَّا قال مشركوا مكة: إنَّ محمداً يدعو إلهين نزل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ﴾: الصفات،

﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: العليا الدالة علىٰ معان حسنة.

﴿فَٱدْعُوهُ﴾: سموه، ﴿بِهَا﴾: (حس) قال ﷺ: «**إنَّ لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدة من أحصاها دخل الجنة إن الله وتر يحب الوتر، وهي هو الله الذىٰ لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغنىٰ، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور**»[1].

القراءة: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾: بفتح الياء والحاء، وبضم الياء وكسر الحاء حيث حلَّ لغتان لحد وألحد: مال.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٠٧)، وابن حبان(٨٠٨)، والحاكم (٤١)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٩٦٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الترمذي: هذا حديث غريب، حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح، وهو ثقة عند أهل الحديث

وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ ولا نعلم في كثير شيء من الروايات، له إسناد صحيح ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث

وقد روىٰ آدم بن أبي إياس هذا الحديث بإسناد غير هذا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ وذكر فيه الأسماء، وليس له إسناد صحيح.

ابن السكيت: أصل الإلحاد: الميل عن الحق، وإدخال ما ليس منه فيه. والمراد: كذبهم وإشراكهم أو إلحادهم.

﴿فِيٓ أَسۡمَـٰٓئِهِۦۚ﴾: (حس) تسميتهم أصنامهم بالآلهة، وتسميتهم الله تعالىٰ بما لم يتسم، فإن أسماء الله تعالىٰ توقيفية، فيقال: جواد، ولا يقال: سخي وإن كان بمعناه.

﴿يَعۡمَلُونَ﴾: (حس) وهذه الآية منسوخة بآية السيف[(١)].

والمراد بالذين ﴿يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾: (تا) المسلمون، قال ﷺ: «**هذه أمتي بالحق يأخذون ويعطون**»[(٢)]، أو هم من آمن من أهل الكتاب، أو هم العلماء والدعاة إلىٰ الدين.

﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾: سنمكر بهم بتزيين أعمالهم، فكلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة، وننسيهم الشكر، وأصل الاستدراج أخذ الشيء قليلًا قليلًا كما يترقىٰ في الدرجة درجة درجة.

تلخيصه: سنأخذهم.

﴿مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: (حس) إن جعلت ﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ﴾: (حس) أطيل أعمارهم ليتمادوا في المعصية خبر مبتدأ، أي أنا أملي لهم أو مستأنفًا، وإن عطفت ﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ﴾ علىٰ ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾ لم تقف علىٰ ﴿يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿إِنَّ كَيۡدِي﴾: أي استدراجي وأخذي.

﴿مَتِينٌ﴾: (تا) قويّ.

قام رسول الله ﷺ يومًا [وليلًا][(٣)] علىٰ الصفا يدعو قريشًا فخذًا فخذًا ليحذرهم وقائع الله تعالىٰ، فقال قائلهم: إنَّه لمجنون، بات يصوت إلىٰ الصباح

---

(١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لابن حزم (ص/ ٣٨).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٨٦) عن ابن جريج مرسلا.

(٣) في جـ: يوما وليلة، والمثبت من أ، ب.

فنزل

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ﴾: (تا) أبصاحبهم جنون أم لا؟

ثم نفىٰ عنه الجنون بقوله: ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾: (حس) جنون، ثم نفىٰ واستثنىٰ لتأكيد كذبهم فقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: (تا).

ثم وبخهم علىٰ ترك النظر المؤدِّي إلىٰ العلم، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي ما فيهما من الصنع، وفيما ﴿خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾: فيعلموا صدقه.

ومحل ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ﴾: جر عطف علىٰ ﴿مَلَكُوتِ﴾، وهي مخففة من الثقيلة، أي وأنَّه عسىٰ.

ومحل ﴿أَن يَكُونَ﴾: رفع فاعل ﴿عَسَىٰٓ﴾، واسم يكون مضمر فيه، وهو ضمير الشأن خبرها ﴿قَدِ اقْتَرَبَ﴾: أي قرب.

﴿أَجَلُهُمْ﴾: فيموتوا.

تلخيصه ومعناه: ألم ينظروا استدلالًا في أنَّ الشأن عسىٰ أن يكون قد قَرُب آخر عمرهم فيؤمنوا بالقرآن.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ﴾: أي القرآن.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: (تا) إن لم يؤمنوا به، ثم أومأ تعالىٰ إلىٰ أن لا هادي إلا هو بقوله: ﴿مَن يُضْلِلِ﴾: أي يضلله.

﴿اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾: (حس) علىٰ القراءة ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾: بالياء والنون رفعًا استئنافًا، أي الله يذرهم أو نحن، وغير جائز علىٰ القراءة بالياء وجزم الراء عطفًا

علىٰ موضع الفاء؛ لأنَّ موضعها جزم بمن ﴿يَعْمَهُونَ﴾: (تا) يترددون متحيرين أفرد ثم جمع لاستعمال من له للإفراد والجمع.

تلخيصه: لا هادي لمن أضله الله تعالىٰ.

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾

سألت اليهود، أو قريش النبي ﷺ متىٰ الساعة؟ فنزل ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾(١): التي يموت فيها الخلق، قالوا: وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة، أو لسرعة حسابها، أو لأنَّها عند الله كساعة علىٰ طولها علىٰ الخلق.

﴿أَيَّانَ﴾: بمعنىٰ متىٰ.

وقرئ: بكسر الهمزة، وهو خبره مبتدؤه ﴿مُرْسَىٰهَا﴾: إرساؤها، أي وقت مجيئها وثبوتها من رست السفينة [ق/ ١٥٩ب] ترسو ثبتت وأرسيتها أنا.

ابن جني: أيان فعلان من أي؛ لأنَّ معناه أي وقت، وأصل أي أوي، فعل من أويت إليه؛ لأنَّ البعض آوٍ إلىٰ الكل متساند إليه، فقلبت الواو ياءً، وأدغمت في الياء، وليست من أين؛ لأن أين ظرف مكان، وأيان ظرف زمان، ولزيادة الألف والنون.

والمعنىٰ: متىٰ يرسيها الله.

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾: متىٰ تكون، ﴿عِندَ رَبِّى﴾: مختص به لا يعلمه أحد سواه.

﴿لَا يُجَلِّيهَا﴾: لا يبينها.

﴿لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾: (حس) لاختصاصه به، ﴿ثَقُلَتْ﴾: عظمت وخفيت معرفتها

---

(١) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ٢٢٨).

علىٰ أهل ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾: (كا) أو ثقلت عند وقوعها علىٰ الخلائق.

﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾: (تا) فجأة، قال ﷺ: «**إنَّ الساعة لتجيء وإن الرجل ليُصلح حوضه، والرجل يسقي ماشيته، والرجل يقوم سلعته، والرجل قد رفع أكلته إلىٰ فيه لم يطعمها**»(١).

﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾: عالم بها مبالغ في السؤال ﴿عَنْهَا﴾: وأصل الإخفاء المبالغة والاستقصاء، ومنه الحفاوة بالفتح المبالغة في السؤال عن الشيء والعناية به.

وقرئ: (حفي بها)، فمحل كأنَّك حال من المفعول، أو تقديره يسألونك عنها كأنَّك حفي بها، وكرر يسألونك تأكيدًا.

تلخيصه: لا يعلم وقت مجيئها ولا يأتي بها فيه بغتة إلا الله تعالىٰ.

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾: (حس) ذلك فيؤمنون.

ثم أمر ﷺ بالاعتراف بأنَّه عبد محكوم عليه بما نزل جوابًا عن قول المشركين للنبي ﷺ: هلا تشتري الطعام [وترحل](٢) إلىٰ المكان الخصب قبل الغلاء وهو ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: بل هو الله تعالىٰ المالك لهما.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: (حس) أن يوصله إليَّ من الضر والنفع، فإنِّي أملكه

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٩٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٦٤) عن قتادة مرسلا.

قال الزيلعي: والحديث في الصحيحين بغير هذا اللفظ، أخرجاه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة هو يلط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلىٰ فيه فلا يطعمها.. انتهىٰ.

ولم يخرجه البغوي في تفسيره إلا بلفظ الصحيح.

«تخريج أحاديث الكشاف» (١/ ٤٧٦).

(٢) في جـ: وترتحل، والمثبت من أ، ب.

لاختصاصه بي.

﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾: النافع، ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾: (تا) المضار.

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: (تا) يتعلق ببشير، ونذير متعلق بمحذوف.

تلخيصه ومعناه: ما أنا إلا بشير للمؤمنين بالجنة، ونذير للكافرين بالنار.

﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ ﴾

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: من آدم، ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: حواء، وذكر الضمير في ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾: (كا) ليأنس بها، فإن الجنس آنس بجنسه سيما إذا كان بعضه ردًّا له إلىٰ معنىٰ نفس وهو آدم.

﴿فلمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾: جامعها.

﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾: لم يثقل عليها؛ لأنَّ أول ما تحمل النطفة وهي خفيفة.

﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾: ذهبت وجاءت بالحمل.

وقرئ: (فمرت) مخففًا، و(فاستمرت)، و(فمارت) من المور الذهاب.

﴿فلمَّآ أَثْقَلَت﴾: كبر الولد وقاربت الوضع [ق/ ٩٢أ].

وقرئ: (أثقلت) مجهولًا.

روي أنَّه لمَّا دنت ولادة حواء جاءها إبليس فقال: ما الذي في بطنك؟ فقالت: ما أدري، فقال: أخشىٰ أن يكون كلبًا أو خنزيرًا أو نحو ذلك، فقالت ذلك لآدم فدعوا:

﴿ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾: بشرًا سويًا.

﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: (تا) روي أنَّ الخبيث جاءها فقال: إن ولدته سويًا تسميه عبد الحارث، وكان اسمه في الملائكة الحارث.

﴿فلمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾: كما طلبا.

﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾: (كا) بتسميته عبد الحارث من غير اعتقاد لذلك، في الحديث: «**خدعهما إبليس مرتين: مرة في الجنة، ومرة في الأرض**»[1]، أو الضمير في ﴿ءَاتَيْتَنَا﴾ و﴿لَّنَكُونَنَّ﴾ لهما ولأولادهما وفي آتاهما وجعلا لأولادهما، وفيه حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، تقديره: فلمَّا آتىٰ أولادهما صالحًا جعل أولادهما شركاء بأن سمُّوا عبد شمس وعبد العزىٰ وعبد يغوث وغير ذلك، وهذا التأويل أوجه، يعضده قوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: (كا) لأنَّ آدم وحواء لم يكونا مشركين بإجماع، ولجمعه الضمير في يشركون.

القراءة: بكسر الشين منونًا، أي ذوي شرك وهم الشركاء، وشركاء جمع شريك، والمراد بهم ﴿يُخْلَقُونَ﴾: (كا) الأصنام، وجمعوا بالواو والنون لاعتقادهم فيهم أنهم آلهة، أو إبليس معهم، المعنىٰ: يجعلون خلق الله شريكًا له وخلقه مخلوقون.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾: أي الأصنام لعبدتهم.

﴿نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾: (حس) من كسر وغيره، بل عبدتهم يدفعون عنهم، فالمعبود أذل من العابد.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾: أي تدعوا أيها المسلمون المشركين إلىٰ الإيمان [ق/ ١٠٨ جـ].

﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْۚ﴾: (حس) لا يؤمنون، أو هو خطاب للمشركين، أي وإن تدعوا (يا) مشركون الأصنام لمهامكم وصلاح دينكم لا يتبعوكم في مرادكم ولا

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٢/ ٢٥٨) دون إسناد.

يجيبوكم؛ لأنهم جماد، والله تعالىٰ يجيب من دعاه.

القراءة: (يتبعوكم) و(يتبعهم) في الشعراء مخففًا ومثقلًا.

وأوقع ﴿صَٰمِتُونَ﴾: (تا) الجملة الإسمية موقع الفعلية؛ لأنَّ تقديره سواء عليكم أدعوتم أم صَمَتُّم لا يجيبونكم، [زعموا][1]: لتساوي رؤوس الآي، وللجمع بين الماضي والحال.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ ﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ﴾: تعبدون.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ﴾: والمراد الأصنام؛ لأنَّها مسخرة مذللة متصرف فيها.

﴿أَمۡثَالُكُمۡ﴾: ولا يلزم المماثلة من كل وجه، أو المراد الملائكة، فعباد خبر ﴿إِنَّ﴾، و﴿أَمۡثَالُكُمۡ﴾ نعته، والعائد محذوف، أي تدعونهم.

وقرئ: (عبادًا) حال من العائد المحذوف، فأمثالكم خبر إنّ، **وقرئ:** بتخفيف إن ونصب (عبادًا أمثالكم)، فإن نفىٰ فمحل الذين رفع اسمها وعبادًا خبرها.

تلخيصه: ما المدعون من دون الله عبادًا أمثالكم.

ثم بين عجز آلهتهم بقوله: ﴿فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾: (حس) في أنهم آلهة.

ثم وبخهم علىٰ عبادة من هو في غاية العجز بقوله: ﴿أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ﴾: وأصل البطش الأخذ بشدة.

(١) في جـ: قالوا، والمثبت من أ، ب.

وقرئ: بضم الطاء.

﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾: (حس) ومن أنتم أقدر منه كيف تعبدونه يا محمد احتقارًا بهم وبمعبودهم.

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ﴾: اسعوا في كيدي وإهلاكي أنتم وهم سريعًا.

﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾: (تا) لا تمهلون.

﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ﴾: أي ناصري.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: (كا) لا ناصر لي سواه ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: (تا) لاستئنافك.

﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾: (حس)

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾

وكرر ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾: أي تدعوا يا مشركون الأصنام.

﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟﴾: مبالغة في التوبيخ، ثم التفت إلىٰ خطاب المفرد فقال: ﴿وَتَرَىٰهُمْ﴾: أي وترىٰ يا محمد المشركين.

﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾: بعيونهم، ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾: (تا) بقلوبهم، أو وترىٰ يا محمد [ق/ ١٦٠ب] الأصنام ينظرون إليك أي: يقابلونك كأنهم ينظرون إليك ولا يبصرون لا يدركون المرئي لكونهم جمادًا.

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾: أي المساهلة وترك البحث عن مذام الأخلاق، وهو ضد الصعب، أمر ﷺ بأخذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس، أو المعنىٰ خذ ما عفا، أي فضل من الأموال عن قوت العيال، وكان هذا قبل فرض الزكاة.

﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾: بالمعروف وهو كل خصلة حميدة يرتضيها العقل والشرع. وقرئ بضم الراء.

﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾: (حس) عما يصدر منهم إن جعلت في المشركين فمنسوخة بآية السيف، وإن جعلت في غيرهم فمعناها لا تقابل الجاهل إذا سفه عليك[1]، ولم يكن ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا ولا صخابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح.

الصادق: أمر تعالىٰ نبيه ﷺ بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها.

ولمَّا قال له جبريل عليهما الصلاة والسلام: معناها أن تعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، قال: يا رب كيف والغضب؟ فنزل ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ﴾[2]: أصل النزغ الحركة الخفية، والمراد هنا الوسوسة، والمعنىٰ فإن يوسوسك الشيطان بوسوسة ما.

﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ﴾: (كا) ولا تطعه.

﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: (تا) القراءة: ﴿طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾: مخففًا مصدر طاف الخيال يطيف طيفًا، ويقال: يطوف وطيْف مخفف، طيّف كميت مخفف ميت، وقرئ بها (وطائف) اسم فاعل، والمراد لِمَّةُ الشيطان ووسوسته.

أبو عمرو: الطائف: ما طاف حول الشيء، والطَّيفُ: اللِّمَّة والوسوسة، والمعنىٰ: إن المتقين إذا وسوسهم الشيطان.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١

(١) قال ابن حزم: وهذه الآية من عجيب المنسوخ؛ لأن أولها منسوخ وآخرها منسوخ وأوسطها محكم.
«الناسخ والمنسوخ» (ص/ ٣٨).

(٢) انظر: «الكشف والبيان» للثعلبي (٤/ ٣١٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٦٢).

وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَاۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾

﴿تَذَكَّرُواْ﴾: الله واستعاذوا به.

وقرئ: (تأملوا).

﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾: مواقع خطئهم فيستغفرون.

القراءة: ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾: بضم الياء وكسر الميم، وبفتح الياء وضم الميم من الإمداد والمد وهما الزيادة.

وقرئ: (يمادونهم) يعاونونهم، المعنىٰ وإخوان المشركين من الشياطين يزيدونهم.

﴿فِي ٱلْغَيِّ﴾: الضلال بأن يكونوا لهم رداءً فيه.

الكبي: لكل كافر أخ من الشياطين.

تلخيصه: الشياطين يزيدون الكافرين ضلالًا.

﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾: (كا) لا يكفون عنهم.

ابن عباس: المشركون لا يقصرون عن السيئات، ولا الشياطين يكفون عنهم.

وقرئ: بفتح الياء وضم الصاد مخففًا قَصَر وأقصر وقصَّر واحد كف.

ومعنىٰ ﴿لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَاۚ﴾: (كا) هلا اتخذتها من تلقاء نفسك كفعلك بغيرها من الآيات.

تلخيصه: يطلبون أن تكذب لأجلهم.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾: (حس).

﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ﴾: أي القرآن حجج ودلائل.

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: (تا) ونزل في الجهر بالقراءة خلف الإمام، أو خلف النبي ﷺ، أو في رفع الأصوات في الصلوات عند ذكر الجنة والنار.

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ﴾: للقرآن، أو للنبي ﷺ، أو فاستمعوا: فاعملوا به.

﴿وَأَنصِتُوا۟﴾: أصغوا.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: (حس) وبعضهم يخص الأمر بالصلاة وبعضهم بالعيدين والجمعة، وفيما يجهر به الإمام، وابن عبد العزيز يرىٰ وجوب الإنصات إلىٰ كل واعظ، والأولىٰ القول بعموم النص إلا أن يقوم [دليل التخصيص][1].

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾: مستكينًا إليَّ ومتخوفًا مني.

﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: ابن جريج[2]: أمر تعالىٰ أن يذكروه في الصدور بالتضرع في الدعاء، والاستكانة دون رفع الصوت والصياح فيه.

﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾: البكر، ﴿وَٱلْـَٔاصَالِ﴾: العشيّات جمع أصل، وأصل جمع أصيل.

وقرئ: (والإيصال).

﴿مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾: (تا).

والمراد بمن ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾: الملائكة.

﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾: في الحديث: «**إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي، فيقول: ياويله أمر بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار**»[3].

---

(١) في جـ: الدليل للتخصيص، والمثبت من أ، ب.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٦٤).

(٣) أخرجه مسلم(٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفيه: «ما من عبد يسجد لله سجدة إلا رُفِع الله له درجة في الجنة، وحُطَّ بها عنه خطيئة»[(١)].

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٨)، والنسائي في «المجتبى» (١١٣٩)، وفي «السنن الكبرى» (٧٢٥)، وابن ماجة (١٤٢٣)، وأحمد (٢٢٤٦٤)، وابن خزيمة (٣١٦)، وابن حبان(١٧٣٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤٣٤٣) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

سورة (الأنفال)

مدنية إلا من: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إلىٰ آخر سبع آيات، والصحيح أنها مدنية، والقصة مكية، وهي خمس أو ست أو سبع وسبعون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بعد ختم الأعراف بذكر العفو والأمر [بالعرف](١) والصفح، والالتجاء إلىٰ الله تعالىٰ، واتباع أمره وعبادة ملائكته، عرف الأبرار ما يفعل بأموال الكفار، وذلك أنَّه ﷺ قال يوم بدر: «**من أسر أسيرًا، أو قتل قتيلًا فله كذا**»، فتسارع الشبان وثبت الشيوخ والسادات عند الرايات، فلمَّا فتح عليهم تشاحوا في المغنم فنزل:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾(٢): جمع نفل، وهو الغنيمة وما ينفله الغازي أيضًا، وأصله الزيادة.

﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾: يجعلانها حيث شاآ، أو هذا منسوخ بقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم ...﴾ الآية(٣).

---

(١) في جـ: بالمعروف، والمثبت من أ، ب.

(٢) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ٢٣٢).

(٣) قال النحاس: للعلماء في هذه الآية خمسة أقوال، فأكثرهم علىٰ أنها منسوخة بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١]، واحتج بعضهم بأنها لما كانت من أول ما نزل بالمدينة من قبل أن يؤمر بتخميس الغنائم وكان الأمر في الغنائم كلها إلىٰ النبي ﷺ وجب أن تكون منسوخة بجعل الغنائم حيث جعلها الله تعالىٰ، وقائلو هذا=

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: ولا تختلفوا بسبب حطام الدنيا.

﴿وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾: (كا) حقيقة ما بينكم من الألفة والمحبة بترك الاختلاف.

﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: (تا) كاملي الإيمان، ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾: الكاملو الإيمان.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ﴾: فرقت، ﴿قُلُوبُهُمۡ﴾: وقرئ: بها، وقرئ: بفتح الجيم.

أم الدرداء[1]: الوجل في القلب كاحتراق السعفة، أما تجد له قشعريرة؟ قال: بلىٰ، قالت: [فادع][2] الله، فإنَّ الدعاء يذهبه، وهذا الوجل يكون عند الوعيد، ولين الجلود والقلوب عند الوعد في قوله: ﴿تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر:٢٣]، أو يكون عندهم الوجل [بالمعصية][3]، فيقال له: اتق الله فيفزع ويكف.

﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا﴾: يقينًا وتصديقًا، أو زادوا في الخير، في

= **القول يقولون**: الأنفال ههنا الغنائم ويجعل بعضهم اشتقاقه من النافلة وهي الزيادة قال: فالغنائم أنفال؛ لأن الله تعالىٰ نفلها أمة محمد صلىٰ الله عليه وسلم خصهم بذلك .

وقال بعضهم: ليست بمنسوخة وهي محكمة، وللأئمة أن يعملوا بها فينفلوا من شاؤوا إذا كان في ذلك صلاح للمسلمين، واحتجوا أن هذه هي الأنفال علىٰ الحقيقة لا الغنائم لأنها زيادات يزادها الرجل علىٰ غنيمته أو يزيدها الإمام من رأىٰ.

والقول الثالث: أن الأنفال ما شذ من العدو من عبد أو دابة فللإمام أن ينفل ذلك من شاء إذا كان صلاحا.

والقول الرابع: أن الأنفال أنفال السرايا خاصة.

والقول الخامس: أن الأنفال الخمس خاصة سألوا لمن هو فأجيبوا بهذا.

«الناسخ والمنسوخ» (ص/ ٤٥١-٤٥٢) .

(١) انظر: «الكشاف» (٢/ ١٩٥).

(٢) في جـ: فادعوا، والمثبت من أ، ب.

(٣) في جـ: المعصية، والمثبت من أ، ب.

الحديث: «**الإيمان سبعٌ وسبعون شعبةً أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياءُ شعبة من الإيمان**»[(١)].

﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾: (تا) إن جعلت ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: يتموها [سجودًا وركوعًا][(٢)]، وقيامًا مبتدأ فلا تقف علىٰ ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: يتصدقون لأنَّ خبره ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، ولا تقف علىٰ ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾ إن جعلت ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الثانية بدلًا من ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الأولىٰ، بل تقف علىٰ ينفقون [ق/ ١٦١ب] ويكون تامًّا؛ لأنَّك تجعل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ خبره ﴿هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾: (حس) مصدر، أو صفة مصدر محذوف، أي يقينًا لا شك فيه.

تلخيصه: لا ريب في إيمانهم.

﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ﴾: منازل وشرف في الجنة.

﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: (تا).

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾﴾

تلخيصه: هم مكرمون فيها، يتم الوقف هنا إن رفعت محل الكاف من ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ﴾: خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا هو الحق مثل إخراجك، أو هذه الحال مثل حال إخراجك، أي حالهم في كراهة تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك إلىٰ الحرب، وكذلك إن علَّقت الكاف بـ(يجادلونك)، أي يجادلونك في الحق متكرهين كما يكرهون خروجك، ويكفي إن نصبت الكاف صفة مصدر

(١) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) في جـ: تقديم وتأخير.

محذوف تقديره: ثبتت الأنفال لله [وللرسّول][1] مع كراهتهم ذلك ثباتًا مثل ثبات إخراجك.

﴿رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ﴾: أي المدينة إخراجًا ملتبسًا ﴿بِٱلْحَقِّ﴾.

ومحل: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾: حال، أي إخراجك في حال كراهتهم، يكفي الوقف هنا إن لم تعلّق الكاف من ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ﴾ بقوله: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ﴾: في خروجك للقتال.

﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾: [ق/ ١٠٩ جـ] ظهر لهم خروجك وصدقك، وأنَّك لا تفعل إلا حقًّا.

﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ﴾: إلىٰ أسبابه.

﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾: (كـا) إليها، وإنما كره الخروج بعض المؤمنين حَسْب، وجدالُهم [ق/ ٩٣أ] قالوا له ﷺ: إنَّك لم تعلمنا أنَّك تلقىٰ بنا عدوًّا فنستعدَّ له، وذلك أنَّ عير قريش أقبلت من الشام مع أبي سفيان، فأعلم جبريل النبي ﷺ بها، فأعلم أصحابه فسُرُّوا وأحبُّوا الخروج إليها، فأعلمت قريش بذلك، فخرج أبو جهل بجميع مقاتلة مكة ذابًّا عنها - وهم النفير - فعلم أبو سفيان ذلك، فأخذ بها طريق الساحل فنجت، فقيل لأبي جهل: ارجع بالناس فقد نجت العير، فأبىٰ وسار بمن معه إلىٰ بدر، فشاور ﷺ أصحابه في لقاء العير أو النفير، فقال أبو بكر فأحسن، وقال عمر فأحسن، وقال المقداد: امض بنا يا رسول الله فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلىٰ برك الغماد لجالدنا معك مَنْ دونه حتىٰ تبلغه، فدعا له ﷺ، ثم قال: «أشيروا عليَّ» - يريد الأنصار - فقال سعد بن معاذ: لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ فقال: امض يا رسول الله لمَّا أردت، فوالذي بعثك بالحق إذا استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا [واحد][2]، وما نكره

---

(١) في جـ: والرسول، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: أحد، والمثبت من أ، ب.

أن تلقىٰ بنا عدونا وإِنَّا لصُبُرٌ في الحرب صدق في اللقاء، فسر ﷺ بذلك، ثم قال: «**سيروا علىٰ اسم الله، فإن الله قد وعدني** ﴿إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾»: العير أو النفير[1].

﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾: أي إحداهما، وإذ قبل نصب باذكر مقدرة والمراد بغير.

﴿ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾: أي شدة البأس والسلاح وكل ما يُستجَنُّ به شوكة العير لقلة فرسانها.

﴿أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾: أي يظهره ويعليه.

﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: بآياته النازلة في محاربة النفير، وقتلهم وطرحهم في القليب.

﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ﴾: آخر.

﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: المعنىٰ: إن ما تودون لقاءه العير، والله يودّ لقاء النفير [ليعز الإسلام، ويستأصل الكفار بالهلاك، وفي الكلام حذف فاللام بعد متعلقة بالمحذوف تقديره: فعل بكم لقاء النفير][2] وإهلاكه.

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾: يثبت الإسلام.

﴿وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾: يمحق الكفر.

تلخيصه: فعل ذلك لهذا، أو اللام في ﴿لِيُحِقَّ﴾ متعلقة بيقطع.

﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: (تا).

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٠٠).

(٢) سقط من أ، والمثبت من ب، ج.

إن نصبت ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ﴾: باذكر مقدرة، وغير جائز إن جعلتها بدلًا من ﴿إِذۡ يَعِدُكُمُ﴾، واستغاثتهم أنَّهم لمَّا رأوا العدو ألفًا وهم ثلاثمائة طلبوا الغوث وهو النصرة قائلين: اللهم اغثنا يا غياث المستغيثين، وقال ﷺ: «**اللهم أنجز لي ما وعدتني**»، مادًّا يديه مستقبل القبلة: «**اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض**»[(١)].

﴿فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي﴾: أي بأني.

وقرئ: بكسر الهمزة إرادة للقول، أي فقال: (إني) ﴿مُمِدُّكُم﴾: معينكم وزائد في مددكم.

﴿بِأَلۡفٖ﴾: وقرئ: (بألف) كأفلس جمع، وهو معنىٰ بخمسة آلاف ﴿مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾: في آل عمران.

القراءة: ﴿مُرۡدِفِينَ﴾: (كا) بفتح الدال أي أتبعهم غيرهم بملائكة آخرين، وبكسرها أي اتبعوهم غيرهم ملائكة، وردف: تبع، ويقال: أردف أيضًا.

وقرئ: بضم الدال مخففًا اتباعًا للميم، وبضم الميم وكسر الدال مشددًا مع فتح الراء وكسرها وضمها، وأصله مرتدفين، أي متتابعين، فنقلت حركة التاء إلىٰ الراء وأدغمت في الدال، وكسر الراء اتباعًا للدال وضمها اتباعًا للميم، أو من فتح الراء فهو من ردف مشددًا.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾: أي الإمداد الدال عليه ممدكم، الوقف علىٰ ﴿حَكِيمٌ﴾: (حس)، وعلىٰ ﴿بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ﴾ وعلىٰ ﴿مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ﴾ كافيًا إن نصبت ﴿إِذۡ﴾ باذكر مقدرة، وغير جائز إلا ضرورة إن جعلت إذ ﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ﴾: بدلًا ثانيًا من ﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ﴾.

القراءة: (يغشاكم) فعلًا، فاعله ﴿ٱلنُّعَاسَ﴾: وبضم الياء وكسر الشين مخففًا،

(١) أخرجه مسلم(١٧٦٣) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ومثقلًا ونصب النعاس مفعولًا، الفاعل مضمر يرجع إلىٰ الله تعالىٰ، وتنصب ﴿أَمَنَةً مِّنْهُ﴾: مفعولًا له.

وقرئ: بسكون الميم لغتان.

ابن مسعود[1]: النعاس في الحرب أمنة من الله، وفي الصلاة وسوسة من الشيطان.

وكانوا قد نزلوا علىٰ كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام، وأجنب بعضهم وعطشوا، فوسوس إليهم الشيطان قال: لو كنتم علىٰ الحق ما كنتم كذا، والمشركون علىٰ ماء بدر، فجاء المطر فارتووا هم وركابهم، وتطهروا من الأحداث، وذهبت عنهم وسوسة الشيطان، وثبتت أقدامهم فهو المراد بـ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾: من الأحداث.

وقرئ: بقصر ما، فما موصولة صلته الجار بما بعده، كأنَّه قال: ما للطهور، أي الذي للطهور.

القراءة: ﴿رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: أي وسوسته، وسمي الوسواس رجزًا؛ لأنَّه سبب الرجز وهو العذاب.

وقرئ: بالسين وهو القذر، فجعل ما يفضي إلىٰ العذاب رجسًا لقذارته، أو المعنىٰ: أنزله ليطهركم ولنفي الوسوسة.

﴿وَلِيَرْبِطَ﴾: ليحبس، ﴿عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾: بالصبر واليقين.

﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾: لئلا تسوخ في الرمل، أو بالمدد، أو بالربط لأنَّ بثبوت القلب في الحرب تثبت الأقدام عند اللقاء إن علقت.

﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١١٧)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٣١٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٤٥٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٦٤).

كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾

﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: يتثبت، فالوقوف كما وسمت، وإن جعلت بدلًا ثالثًا من ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ﴾ فلا وقف بينهما.

القراءة: ﴿أَنِّى مَعَكُمْ﴾: بفتح الهمزة أي لأنّي، وقرئ: بكسرها، فيوحي بمعنىٰ يقول لملائكته: أنّي معينكم ومثبتكم.

﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: (حس) بقتالكم معهم وبشارتكم لهم بالنصر، فكان الملك يمشي بين الصفين في صورة الرجل يقول للمؤمنين: أبشروا بالنصر، فإنَّ الله ناصركم، يحسن الوقف هنا [ق/ ١٦٢ب] إن استأنفت ولم تجعل ﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾: أي الرؤوس، أو أعلىٰ الأعناق لأنّه أدعىٰ للقتل لدقتها تفسيرًا لقوله: ﴿أَنِّى مَعَكُمْ﴾؛ لأنَّ في إلقاء الرعب في قلوب الكافرين وضرب أعناقهم نصرًا للملائكة.

﴿وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾: هي المفاصل والأطراف.

تلخيصه: اضربوا مقاتلتهم وشواهم، فلمَّا التقىٰ الصفان انهزم المشركون، فأسر بعضهم، وقتل بعضهم، يحسن الوقف هنا لأنَّ ﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ خبره، ﴿بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ﴾: والكاف لخطاب النبي ﷺ، أو لخطاب كل واحد من الصحابة، أي ذلك العذاب الواقع بسبب مشاقتهم ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾.

القراءة: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾: بفك الإدغام علىٰ الأصل.

وقرئ: بالإدغام، والمشاقة: المخالفة وأصلها أخذك في شق غير شق صاحبك كالمعاداة.

تلخيصه: من يخالف الله فإنّه ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: (حس)؛ لأنَّ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾:

خطاب للكفار على سبيل الالتفات، ومحله رفع مبتدأ، أي ذلكم العقاب المستحق.

﴿فَذُوقُوهُ﴾: أو نصب بذوقوه، أو تقديره باشروا ذلكم فذوقوه، فتكون الفاء عاطفة، لا أحب الوقف هنا لعطفك على (ذلكم).

﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾: (تا) وقرئ بكسر (إنَّ).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦) فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٧) ﴾

﴿زَحْفًا﴾: حال من الكافرين، أو المؤمنين، أو منهما متزاحفين، والزحف: الجيش العظيم، كأنَّه يزحف لعظمته، أي يدب من زحف الصبي دب على جلوسه، وأصل الزحف السير ببطء، وأصله المصدر، والمعنى: إذا لقيتم الكافرين وهم في غاية الكثرة.

﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾: (حس).

﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾: انهزم، أي وقت انهزم ليلًا أو نهارًا.

﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾: بأن يريهم الفرة وهو يريد الكرة.

﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا﴾: منضمًا، ﴿إِلَىٰ فِئَةٍ﴾: ومتحرفًا ومتحيزًا حالان من ضمير (يولهم).

وقرئ: دبره بسكون الباء، وأصل التحيز: الانضمام من حازه يحوزه: ضمه، فوزن متحيز متفيعل؛ لأنَّ متفعلًا منه متحوز.

تلخيصه: من انهزم إلا على هذه النية.

﴿فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾: (كا).

﴿وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾: (حس) هذا في أهل بدر عند بعضهم إذ لم يكن [للمسلمين](١) فئة ينحازون إليها، فأمَّا بعد فالمسلمون فئة لكل فار، فلا يكون كبيرة، وبعضهم جعل حكمها عامًّا في كل فار، أو هي منسوخة بقوله: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ﴾(٢)، ولمَّا لقوا المشركين أخذ ﷺ كفًّا من حصا الوادي

---

(١) في جـ: للمؤمنين، والمثبت من أ، ب.

(٢) قال النحاس : في هذه الآية ثلاثة أقوال: منهم من قال: هي منسوخة، ومنهم من قال: هي مخصوصة لأهل بدر لأنها فيهم نزلت، ومنهم من قال: هي محكمة وحكمها باق إلىٰ يوم القيامة، فممن قال: هي منسوخة عطاء بن أبي رباح قال: نسخها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِ﴾ إلىٰ تمام الآيتين أي فنسخ بالتخفيف عنهم والإطلاق لهم أن يولوا ممن هو أكثر من هذا العدد».

والقول الثاني: إنها مخصوصة قول الحسن كما حدثنا محمد بن جعفر، بالأنبار، قال: حدثنا حاجب بن سليمان، قال: حدثنا وكيع، عن الربيع بن صبيح، عن الحسن، قال: « ليس الفرار من الزحف من الكبائر إنما كان في أهل بدر خاصة هذه الآية ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ﴾ [الأنفال: ١٦] ».

وقرئ علىٰ أحمد بن شعيب، عن أبي داود، قال: حدثنا أبو زيد الهروي، قال: حدثنا شعبة، قال: حدثنا داود بن أبي هند، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري، قال: « نزلت ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ﴾ [الأنفال: ١٦] في أهل بدر ».

والقول الثالث: أن حكمها باق إلىٰ يوم القيامة قول ابن عباس كما حدثنا بكر بن سهل، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، وذكر الكبائر، قال: « والفرار من الزحف؛ لأن الله جل وعز قال ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ١٦].

قال أبو جعفر: وهذا أولىٰ ما قيل في الآية، ولا يجوز أن تكون منسوخة لأنه خبر ووعيد ولا ينسخ الوعيد كما لا ينسخ الوعد.

فإن قيل: فحديث أبي سعيد الخدري متصل الإسناد وقد أخبر بنزول الآية في أهل بدر، فكيف يجوز خلافه؟ فالجواب أنه لعمري لا يجوز خلافه في مثل هذا، والقول كما قال نزلت في أهل بدر وحكمها باق إلىٰ يوم القيامة، وأهل بدر كان رسول الله ﷺ فئتهم فكان لهم أن ينحازوا إليه وكذا كل إمام .

«الناسخ والمنسوخ» (ص/ ٤٦٠،٤٦١).

معه تراب وألقاه في وجوه القوم، وقال: «**شاهت الوجوه**»، فلم يبق منهم أحد إلا دخل في عينيه ومنخريه منه شيء، فانهزموا وتمكن المسلمون منهم قتلًا وأسرًا، فلمَّا رجعوا قال بعضهم: قتلت فعلت، فنزل تأديبًا ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾[(١)]: بقوتكم لضعفكم عنهم.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾: بنصره إياكم.

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾: أي لم تفعل رميتك يا محمد بالمشركين ما فعلت بقوتك؛ لأنَّ قوة البشر [تضعف][(٢)] عن ذلك.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾: فعل ذلك بهم.

تلخيصه: أنتم السبب، وهو تعالىٰ الفَعَّال حقيقة، لا وقف هنا؛ لأنَّ ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾: (كا) متعلق بما قبل، المعنىٰ: فعل ذلك ليقهر الكافرين، وليعطي المؤمنين أجرًا عظيمًا، وهو الغنيمة في الدنيا، والجنة في الأخرىٰ، والإبلاء هنا [الإعطاء][(٣)].

﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

﴿عَلِيمٌ﴾: (حس)؛ لأنَّ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: أي القتل الإبلاء الحسن خبر مبتدأ، أي الغرض ذلكم وتعطف علىٰ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ﴾: مضعف، ﴿كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: (تا).

تلخيصه: الغرض الإنعام علىٰ المؤمنين، والانتقام من الكافرين.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٤٤).

(٢) في جـ: بقصر، والمثبت من أ، ب.

(٣) في جـ: العطاء، والمثبت من أ، ب.

القراءة: «موهن» مشددا منونًا مرفوعًا ونصب كيد به، من وهنت الشيء بمعنىٰ أوهنته، ومخففًا منونـًا مرفوع أيضًا، ونصب كيد به، وجره إضافة.

ولمَّا قال أبو جهل وأصحابه: اللهم أَحْنِ أينًا مبطلًا نـزل ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ﴾: تطلبوا الفتاحة وهو القضاء بينكم.

﴿فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ﴾: عن الكفر وحربه ﷺ.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: (كا) من ذلك فلم ينتهوا، فقتل أبو جهل وغيره من المشركين.

﴿وَإِن تَعُودُواْ﴾: لحربه، ﴿نَعُدْ﴾: لنصره.

﴿وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾: (حس) علىٰ القراءة بكسر و(إن الله) بعد استئنافًا، وغير جائز علىٰ القراءة أيضًا بفتحها [ق/ ١١٠ جـ]، تقديره: لم تغن.

﴿عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا﴾: مع كثرتها، ولأنَّ ﴿ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: (تا) كان ذلك.

﴿وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ﴾: أي عن الرسول، أو الإيمان.

﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾: (كا) مواعظ القرآن.

كان المنافقون يظهرون الإيمان ويضمرون النفاق فنزل ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا﴾: أي [بآذانهم][1]، ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: (تا) بقلوبهم، لأنَّهم غير مصدقين ثم قبح حال المكذبين فقال:

﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ

(١) في جـ: بآذاننا، والمثبت من أ، ب.

تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾: أي جميع ما دب على الأرض، ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾: (كا) مواعظ القرآن.

﴿لَّأَسۡمَعَهُمۡ﴾: (كا) لخلقهم سامعين مطيعين.

﴿وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ﴾: فرضًا بعد علمه أن لا خير عندهم.

﴿لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ﴾: (تا) عن الإيمان عنادًا، وهؤلاء قوم علم تعالىٰ عاقبة أمورهم فأخبر بها، ولا يجوز إجماعًا أن يقع غير ما علمه تعالىٰ.

دعا ﷺ أبيًّا وهو في صلاته فلم يجبه، ثم أتاه فقال: «**ما منعك أن لا تجيبني؟**» فقال: كنت في الصلاة، فقال: «**ألم تسمع** ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ﴾: [الرسول][1]، ﴿لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾: (حس) به من أمر الدين والدنيا، فقال: **لا جرم لا تدعونني إلا أجبت**»[2]. وهذا من خصائصه ﷺ أو دعاء لأمر لا يحتمل التأخير، ولمَّا جبنوا قيل لهم: قاتلوا في سبيل.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾: فلا يستطيع شيئًا إلا بإذنه تعالىٰ، فالجأوا إليه واعتمدوا عليه، أو يحول بين المؤمن والمعصية، والكافر والطاعة.

تلخيصه: يحول بينه وبين إرادة قلبه وإخلاصه لربه، وكان ﷺ كثيرًا يقول: «**يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي علىٰ دينك**»[3].

﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾: (حس) فيجازيكم بما في قلوبكم.

﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ

---

(١) سقط من ب، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٧٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٢١٤٠)، وأحمد (١٢١٢٨)، والحاكم(١٩٢٧)، وأبو يعلىٰ (٣٦٨٧)، والطبراني في «الكبير» (٧٥٩) من حديث أنس بن مالك ﵁.

وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

ونزل في أهل بدر، أو أهل الجمل عليّ وعمار وطلحة والزبير: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً﴾: إن جعلت ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾: جواب الأمر أكد [ق/ ٩٤أ] بالنون مبالغة، ولأنَّ في الأمر معنىٰ النهي تقديره: واحذروا فتنة إن أصابتكم لا تصيب ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾: (كا) بل تعمكم، في الحديث: «**إن الله لا يعذِّب العامة بفعل الخاصة حتىٰ يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون علىٰ أن [ينكروه]**[1]، **فإذا فعلوا ذلك عذَّب الله العامة والخاصة**»[2]، فلا وقف علىٰ ﴿فِتْنَةً﴾ وكذلك إن جعلتها صفة لفتنة ودخول النون علىٰ المنفي في غير القسم شاذ، وكذلك إن جعلتها نهيًا بعد أمر نحو ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ﴾ [النمل:١٨]، فالنهي لفظًا لسليمان، ومعنىً للنمل أي لا تتعرضوا لحطم سليمان، فمن تعرض له حطمه، كأنَّه قال: احذروا فتنة، ثم قال: لا تتعرضوا للظلم، فمن تعرض له [يعمه][3] العذاب، فإذا جعلتها جواب الأمر فمن في ﴿مِنكُمْ﴾ تبعيض، وإن جعلتها نهيًا بعد أمر فمن تبيين، ولا أحب الوقف علىٰ ﴿فِتْنَةً﴾ وإن جعلتها جواب قسم، أي والله لا تصيبن الظالم حسب.

وقرئ: (لتصيبن).

ابن جني: الأشبه أن يكون الألف محذوفة كحذفها في أم والله.

﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: (حس).

﴿إِذْ أَنتُمْ﴾: مفعول اذكروا لا ظرف، تقديره: واذكروا يا معشر المهاجرين وقت فتنتكم واستضعافكم.

---

(١) في جـ: ينكرونه، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه أحمد (١٧٧٥٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ١٣٨) حديث (٣٤٣) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٣) في ب: يعمهم، والمثبت من أ، ب.

﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أرض مكة، ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ﴾: يستلبكم، ﴿ٱلنَّاسُ﴾: بسرعة لأنَّهم كانوا جميعًا [ق/ ١٦٣ب] عدوًا لكم.

﴿فَـَٔاوَىٰكُمْ﴾: إلىٰ المدينة، ﴿وَأَيَّدَكُم﴾: قواكم بنصره إياكم بالأنصار وبملائكته يوم بدر.

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: الغنائم؛ لأنَّها لم تحل لأحد قبلكم.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: (تا) لكي تشكروا.

ونزل لمَّا حاصر ﷺ قريظة، وشاور أبا لبابة في النزول علىٰ حكم سعد، وأشار بيده إلىٰ حلقه أنَّه الذبح فلا تفعلوا، ونصحهم لأنَّ أمواله وأولاده كان بين ظهرانيهم، أو فيمن كان يفشي ما يسمع حتىٰ يبلغ المشركين، أو فيمن كتب إلىٰ أبىٰ سفيان أنَّ محمدًا يطلب غيركم فاحذروه ﴿لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾[1]: جزم عطف علىٰ لا تخونوا، أو نصب جواب بالواو، وأصل الخون: النقصان، المعنىٰ: لا تنقصوا شيئًا من أمرهما، ولا تنقصوا ما ائتمنتم عليه.

تلخيصه: فوالهما وفيها.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: (حس) قبح الخيانة، أو تعلمون أنها أمانة، أو عالمين غير ناسين.

وقرئ: (أمانتكم) موحدًا.

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا

(١) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ٢٣٥).

مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: (تا).

﴿فُرْقَانًا﴾: نصرًا وتفريقًا بين الحق والباطل.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾: (كا).

﴿ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾: (حس).

اجتمع أكابر قريش في دار الندوة بمكة متشاورين في الفتك بالنبي ﷺ بعد إسلام الأنصار، [وأدخلوا][1] إليهم إبليس في صورة شيخ نجدي، فقال أبو البختري: أرىٰ أن توثقوه وتحبسوه في بيت، وتسدُّوا عليه غيرَ كُوَّة يكون منها طعامُه وشرابُه، حتىٰ [يهلك][2]، فقال الخبيث: بئس الرأي ذلك، يأتيكم من يخلصه من أيديكم، وقال هشام بن عمرو من بني عمرو بن لؤي: أرىٰ أن تخرجوه من بين أظهركم، فلا يضركم ما صنع، فقال الخبيث: بئس الرأي يذهب إلىٰ قوم فيستميل قلوبهم ويسير بهم إليكم، ويخرجكم من بلادكم، وقال أبو جهل: أرىٰ أن تأخذوا من كل بطن من قريش شابًا فيعطىٰ سيفًا صارمًا، فيضربوه ضربة رجل واحد حتىٰ يقتل، فإذا تفرق دمه في القبائل لم يقو بنو هاشم علىٰ حربهم، فيرضون بالعقل، فقال الخبيث: ذلكم الرأي، فتفرقوا علىٰ رأي أبي جهل، وأنَّهم يأتونه ليلًا، فأخبر جبرائيل النبي عليهما السّلام بذلك، وأمره ألا يبيت في مضجعه، فأمر ﷺ عليًّا أن يبيت مكانه، وقال له: تَسَجَّ ببردتي، فلن يخلص إليك أمر تكرهه، وباتوا مترصِدِّين خروجه، فخرج ﷺ ولم يشعروا به، وانطلق هو وأبو بكر إلىٰ الغار، فلمَّا أصبحوا لم يروه، ورأوا عليًّا في مكانه فذلك قوله: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ ﴾: أي ليوثقوك ويحبسوك.

وقرئ: (يثبتوك) مشددًا، و(ليبتوك) من البيات، وعن ابن عباس: ليقيدوك.

---

(١) في ب: ودخل، والمثبت من أ، جـ.

(٢) في جـ: هلك، والمثبت من أ، ب.

﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾: بعضهم، ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ﴾ عطف علىٰ ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾؛ لأنَّ القلة والمكر كانا بمكة، وهذه السورة مدنية، فذكرهم الله تعالىٰ منَّته عليهم، والوقوف كما وسمت مع ذلك؛ لأنَّ تقديره واذكر إذ يمكر بعضهم، تقف علىٰ ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾: وبعضهم علىٰ ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾: وهما كافيان، وعلىٰ أيهما وقفت فلا تقف علىٰ الآخر.

﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾: (حس) يجازيهم جزاء مكرهم.

﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾: (حس) لأنَّ مكره حق.

كان ﷺ يقرأ القرآن ويذكر أخبار القرون الماضية في قراءته، فقال النضر بن الحارث: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا﴾: لأنَّه كان يختلف إلىٰ الحيرة وفارس والروم، ويسمع أخبار رستم وأسفنديار وأحاديث العجم، ويحدث بها ويقول: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: (حس) أكاذيبهم كالذي جاء به محمد، ثم أكد كفره وتكذيبه بالقرآن بقوله استهزاءً

﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۚ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا﴾: أي ما جاء به محمد ﷺ.

﴿هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً﴾: كأصحاب الفيل، قالوا: فائدة ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾: أنَّه أراد حجارة من سجيل، فوضع من السماء موضع سجيل، نحو: عليه مسرودة من حديد، يريد درعًا[1].

(١) قال الطبري: وقال بعض أهل العلم بكلام العرب: يقال: درع مسرودة: إذا كانت مسمورة الحلق، واستشهد لقيله ذلك بقول الشاعر:

وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع

﴿أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: (حس) فقتل يوم بدر صبرًا.

القراءة: بنصب الحق بكان، وجعل هو فصلًا، والكوفي يسميه عمادًا.

وقرئ: برفعه خبر هو، والجملة خبر كان.

روي أنَّ معاوية قال لرجل من سبأ: ما أجهل قومك بتمليكهم امرأة عليهم، فقال: أجهل منهم قومك حين قالوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً﴾، ولم يقولوا: فاهدنا[(١)].

ولم يتم الوقف هنا؛ لأنَّ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾: أي الكفار عذاب استئصال [جواب][(٢)] سؤالهم نزول الحجارة أو العذاب الأليم.

﴿وَأَنتَ فِيهِمْ﴾: لأنَّ العذاب إذا نزل عمَّ، ولهذا كان العذاب إذ نزل بقوم يؤمر نبيهم بالخروج بالمؤمنين منهم من بينهم، واللام في ﴿ لِيُعَذِّبَهُمْ ﴾ لتأكيد النفي.

المعنىٰ: لولا وجودك بين ظهرانيهم لعذبوا، تقف هنا إن جعلت الضمير في ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾: (تا) للمؤمنين، المعنىٰ: لم يعذب الكافرين لوجود المؤمنين فيهم مستغفرين؛ لأنَّه ﷺ لمَّا خرج بقي بمكة بقية، وإن جعلته للكافرين فلا وقف علىٰ ﴿وَأَنتَ فِيهِمْ﴾، فعلىٰ هذا معنىٰ يستغفرون يتوبون ويسلمون، أو في أصلابهم من يسلم، فمحل ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ حال.

تلخيصه: لولا وجود المانع من عذابهم لعذبوا، الحسن: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ﴾ الآية منسوخ بقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [(٣)]: أي وكيف لا

(١) انظر: «الكشاف» (٢/ ٢١٧).

(٢) في ب: جوابي، والمثبت من أ، ج.

(٣) **قال النحاس:** للعلماء في هذه الآية خمسة أقوال: قال الحسن: نسخ ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنفال] قوله ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [الأنفال: ٣٤].

قال أبو جعفر: النسخ ههنا محال لأنه خبر أخبر الله تعالىٰ به ولا نعلم أحدا روي عنه هذا إلا الحسن، وسائر العلماء علىٰ أنها محكمة، وقالوا: فيها أربعة أقوال فمن ذلك ما حدثناه=

بكر بن سهل، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنفال] قال: «يقول سبحانه: وما كان الله ليعذب قوما وأنبياؤهم بين أظهرهم حتىٰ يخرجهم، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال: يقول وفيهم من قد سبق له منه الدخول في الإيمان وهو الاستغفار ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [الأنفال: ٣٤] يوم بدر بالسيف » .

قال أبو جعفر: شرح هذا ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ ﴾ [الأنفال: ٣٣] يعني الكفار جميعا وقد علم أن فيهم من يسلم فيكون وهم يراد بهم البعض مثل قول العرب قتلنا بني فلان، وإنما قتلوا بعضهم ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [الأنفال: ٣٤] إذا أسلم منهم من قد سبق في علمه أنه يسلم فهذا القول يجوز إلا أن فيه هذا التعسف وقال مجاهد «وهم يستغفرون أي يسلمون وهذا كالأول»

وروي أبو زميل، عن ابن عباس، ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣] أي: «وما كان الله معذبهم في الدنيا وهم يستغفرون كانوا يقولون غفرانك غفرانك، وما لهم ألا يعذبهم الله تعالىٰ في الآخرة».

قال أبو جعفر: وهذا القول ظاهره حسن إلا أن فيه أنهم إنما استعجلوا بعذاب الدنيا لا بعذاب الآخرة وأيضا فقد علم أنهم يعذبون في الآخرة إن ماتوا علىٰ الكفر، فهذان قولان لمن قال إنها محكمة، والقول الثالث قول الضحاك

كما قرئ علىٰ إبراهيم بن موسىٰ الجوزي، عن يعقوب بن إبراهيم، قال حدثنا وكيع، قال: حدثنا سلمة بن نبيط، عن الضحاك، في قوله تعالىٰ ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٣] قال: « المؤمنون من أهل مكة ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [الأنفال: ٣٤] قال: الكفار من أهل مكة ».

قال أبو جعفر: جعل الضميرين مختلفين وهو قول حسن وإن كان محمد بن جرير قد أنكره؛ لأنه زعم أنه لم يتقدم للمؤمنين ذكر فيكنىٰ عنهم فهذا غلط بَيّن لأنه قد تقدم ذكر المؤمنين في غير موضع من السورة فإن قيل لم يتقدم ذكرهم في هذا الموضع، فالجواب أن في المعنىٰ دليلا علىٰ ذكرهم في هذا الموضع وذلك أن من قال من الكفار: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء إنما قال هذا مستهزئا ومتعنتا، ولو قصد الحق لقال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له ولكنه كفر وأنكر أن يكون الله تعالىٰ يبعث رسولا يوحىٰ إليه من السماء أي، اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأهلك الجماعة من الكفار والمسلمين، فهذا معنىٰ ذكر المسلمين فيكون المعنىٰ=

يعذبون وحالهم أنَّهم ﴿يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: أي عن الطواف به، لأنَّهم كانوا يقولون: نحن أولياء البيت، فنصد من نشاء ونترك من نشاء، فنزل ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾: (حس) ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾: (تا).

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: (تا).

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً﴾: صفيرًا وهو أن تشبك الأصابع وتنفخ فيها.

﴿وَتَصْدِيَةً﴾: (كا) تصفيقًا وهو ضرب إحدىٰ اليدين بالأخرىٰ، وكان ﷺ إذا صلىٰ صفروا وصفقوا عن يمينه وشماله ليخلطوا عليه قراءته، أو التصدية: تفعله: بمعنىٰ الصد؛ لأنَّهم صدوا المؤمنين عن البيت، وسماه صلاة لأنَّهم أمروا بالصلاة في المسجد، فجعلوا ذلك صلاتهم.

وقرئ: بنصب (صلاتهَم) ورفع (مكاءُ).

ابن جني: لأنَّ نكرة الجنس تفيد [ق/ ١١١ جـ] مفاد معرفته، تقول: خرجت فإذا أسد بالباب، وخرجت فإذا الأسد بالباب، لا فرق بينهما؛ لأنَّك في الموضعين

= كيف يهلك الله تعالىٰ المسلمين فهذا معنىٰ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣] يعني المؤمنين ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٤] يعني الكافرين، وقول ابن أبزىٰ كقول الضحاك قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣] يعني الفئة المسلمة التي كانت بمكة فلما خرجوا قال الله جل وعز: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٤] يعني الكفار».

والقول الخامس: قول قتادة، والسدي، وابن زيد قالوا: «﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣] أي لو استغفروا» قال أبو جعفر: فهذا أبين ما قيل في الآية ولا تعسف فيه كما تقول: لا أسيء إليك وأنت تحسن إلي أي لو أحسنت إلي ما أسأت إليك فيكون المعنىٰ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] وهذه حالهم أي لو استغفروا من الكفر وتابوا ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٤] أي وما شأنهم وما يمنعهم أن يعذبهم الله وهم مصرون علىٰ الكفر والمعاصي فقد استحقوا العذاب واختلفوا أيضا في الآية الرابعة. «الناسخ والمنسوخ» (ص/ ٤٦٥،٤٦٦).

لا تريد أسدًا واحدًا معيَّنًا، وإنما تريد واحدًا من هذا الجنس بخلاف قائم أباك؛ لأنَّه ليس في قائم معنىٰ الجنسية التي نكرتها كمعرفتها في المعنىٰ، فوضع المكاء والتصدية موضع الصلاة لهذا، وكذا كانوا يفعلون، فكانوا يطوفون بالبيت عراةً الرجالُ والنساءُ، ويمكُّون ويصدُّون ويجعلون ذلك صلاة.

﴿تَكْفُرُونَ﴾: (تا).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾

ونزل في المطعمين ببدر، أو في أبي سفيان أنفق علىٰ الأحابيش يوم أحد أربعين أوقية كل أوقية اثنان وأربعون مثقالًا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾: (كا).

﴿ثُمَّ تَكُونُ﴾: عاقبة النفقة علىٰ حرب النبي ﷺ ببدر يوم القيامة.

﴿عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾: أي يتحسرون علىٰ ذلك [ق/ ١٦٤ب]، أو تنقلب ذاتها حسرة.

﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ﴾: (كا) والكافرون منهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾: (كا) لأنَّ منهم من أسلم.

﴿ لِيَمِيزَ ﴾: ليبين، ﴿ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ﴾: أي الكافر.

﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾: المؤمن، أو العمل الخبيث من العمل الطيب.

﴿وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ﴾: فيجمعه متراكبًا.

﴿جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ﴾: (كا).

﴿ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾: (تا).

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ﴾: عن الكفر ﴿يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾: من ذنوبهم قبل الإسلام، ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾: إليه، ﴿فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: (كا) منهم ومن غيرهم بأن يهلكوا إذا لم يؤمنوا.

﴿لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾: شرك.

﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ﴾: أي جميع الأديان ﴿لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾: عن الكفر.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾: (كا) فيجازي كلًّا بعمله.

القراءة: يعملون بالياء غيبة وقرئ: بالتاء.

﴿مَوۡلَىٰكُمۡۚ﴾: (حس) حافظكم وناصركم عليهم، ﴿وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾: (تا).

﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ
وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى
ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ
وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا
كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي
ٱلۡأَمۡرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾

(ما) في ﴿أَنَّمَا غَنِمۡتُم﴾: موصولة والعائد محذوف، ﴿مِّن شَيۡءٖ﴾: بيانه، تقديره: جميع ما غنمتموه حتىٰ الخيط والمخيط.

القراءة: ﴿فَأَنَّ﴾: فتحًا خبر مبتدأ، أي فالحكم أنَّ، أو مبتدأ محذوف الخبر، أي فواجب أنَّ ﴿لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾: أو يكون بدلًا من الأولىٰ، والفاء زائدة.

وقرئ: بكسرها فتكون هي ومعمولها مبتدأ وخبرًا خبرًا للأولىٰ، وذكر اسم الله تعالىٰ تبركًا، وأضيف اسمه إلىٰ المال تشريفًا له، فمن جعل الفيء الغنائم، وهي ما أصابه المسلمون من الكفار نسخ ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ بهذه، ومن جعلها غيرها والغنيمة عنده ما أصابه المسلمون من الكفار عنوة بقتال، والفيء ما أصابوه منهم عن صلح بغير قتال فلا نسخ.

وما يؤخذ منهم يقسم خمسة أقسام: أربعة منها لمن قاتل عليها، ثم يقسم الخمس الآخر خمسه للنبي ﷺ قسم، ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: قسم، والمراد أقاربه ﷺ وهم بنو هاشم وبنو المطلب، يعطون دون بني عبد شمس وبني نوفل، قال ﷺ: **«أما بنو هاشم وبنو المطلب فشيء واحد، وشبك بين أصابعه، ما فارقونا في جاهلية ولا إسلام»** (١).

﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: لهم الأقسام الثلاثة عند الشافعي وأبي حنيفة، لكن أبا حنيفة يسقط قسم النبي ﷺ بموته، وقسم [ذوي](٢) القربىٰ، بل يعطيهم لفقرهم، فيخص فقراءهم دون أغنيائهم، وما فضل يقسم علىٰ الطوائف الثلاثة، والشافعي يجعل قسم النبي ﷺ للجهاد وما فيه قوة الإسلام، ومالك والشافعي يعطيان ذوي القربىٰ سهمهم لقرابتهم حسب فيساويان بين الفقير والغنيٰ، ويعطيان للذكر مثل الأنثيين، وأبو العالية يقسم الخمس علىٰ ستة.

وجواب ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾: محذوف، تقديره فاعلموا، يدل عليه: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟﴾ [ق/ ٩٥أ] قبل، والمراد العلم المقيد بالطاعة والقبول، فإنَّ العلم المجرد عن ذلك يستوي فيه المؤمن والكافر، وتعطف علىٰ اسم الله تعالىٰ ما بعد تقديره: إن كنتم آمنتم بالله وبما ﴿أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: من الآيات والملائكة والنصر.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٧١) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

(٢) في ب: ذي، والمثبت من أ، ج.

وقرئ: بضمتين جمع عبد، ﴿يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ﴾: يوم بدر فرق فيه بين الحق والباطل، وتبدل من يوم الفرقان ﴿يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ﴾: جمع المسلمين وجمع الكافرين، ولا أحب الوقف هنا إن نصبت ﴿إِذۡ أَنتُم﴾: بدلًا ثانيًا من ﴿يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ﴾، القراءة: ﴿بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: القربىٰ إلىٰ جهة المدينة تأنيث الأدنىٰ.

﴿وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ﴾: البعدىٰ عن المدينة مما يلي مكة، تأنيث الأقصىٰ بضم العين وكسرها لغتان في شط الوادي.

وقرئ: بفتح العين وثبوت الواو في القصوىٰ شاذ قياسًا لا استعمالًا؛ لأنَّ فعلىٰ من ذوات الواو، إذا كانت صفة قلبت واوها ياء كالدنيا والعليا، وقد جاء (القصيا) بالياء، وهي شاذة سماعًا لا قياسًا.

﴿وَٱلرَّكۡبُ﴾: جمع في المعنىٰ دون اللفظ، والمراد أبو سفيان وأصحابه الذين كانوا مع العير، ﴿أَسۡفَلَ﴾: وقرئ: (بأسفل).

﴿مِنكُمۡۚ﴾: (كا) وتنصب أسفل ظرفًا، أي مكانًا أسفل من مكانكم، أي أشد سفلًا، ومحله رفع خبر المبتدأ، ولا تقف علىٰ ﴿ٱلۡقُصۡوَىٰ﴾ لأنَّ محل الجملة نصب حال من الظرف قبلها، ﴿وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ﴾: أنتم وهم ﴿لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ﴾: لأَنَّهم خرجوا في طلب العير فصادفوا النفير من غير ميعاد؛ لأنَّ الكفار خرجوا ليذبوا عنها.

﴿وَلَٰكِن﴾: جمعكم، ﴿لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا﴾: من نصر أوليائه وقهر أعدائه، لا أحب الوقف هنا لتعلق ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ﴾: بيقضي أو مفعولًا، وقرئ: (ليهلَك) بفتحة اللام الثانية، المعنىٰ: فعل ذلك ليموت من مات.

﴿عَنۢ بَيِّنَةٖ﴾: عن حجة قامت عليه، أو ليهلك بعذاب الآخرة من هلك منهم بالقتل.

﴿وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ﴾: ويعيش من عاش.

﴿عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾: قامت عليه، أو المراد بالهلاك والحياة الكفر والإيمان.

القراءة: حيي بياين ظاهرتين علىٰ الأصل، وبياء واحدة مشددة، تقف علىٰ ﴿عَلِيمٌ﴾: إن نصبت باذكر.

﴿إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ﴾: في نومك؛ لأنَّه ﷺ رآهم في نومه.

﴿قَلِيلٗا﴾: لتقدموا عليهم، أو في منامك في عينك لأنَّها موضع النوم، ولا أحبه إن أبدلت ﴿إِذۡ يُرِيكَهُمُ﴾ من ﴿يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ﴾، أو علقته بعليم، أي عليم بالمصلحة وقت تقليلهم في منامك.

﴿لَّفَشِلۡتُمۡ﴾: لجبنتم، ﴿وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ﴾: اختلفتم في أمر الحرب.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾: (كا) من الفشل والتنازع، ولا أحب الوقف علىٰ ﴿ٱلصُّدُورِ﴾: لأجل العطف في ﴿وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ﴾: أي يبصركم إياهم وقت اللقاء.

﴿ وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٤٧﴾ ﴾

﴿فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا﴾: حال لتقدموا عليهم.

﴿وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ﴾: ليقدموا عليكم.

﴿ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا﴾: (كا) واقعًا بنصر أوليائه، وقهرأعدائه، ويجوز أن يقال: أراهم تعالىٰ القليل كثيرًا بأن أراهم الشخص الواحد أشخاصًا، كالأحول يرىٰ الشيء الواحد شيئين، والكثير قليلًا بأن أحدث شيئًا يمنع عن إدراك جميعهم.

﴿تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾: (تا).

﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾: جماعة محاربين، ﴿فَٱثْبُتُواْ﴾: لقتالهم ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾: وادعوه بالنصر.

﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: (حس) لكي تظفروا بمطلوبكم، وهذا تحريض علىٰ المداومة علىٰ الذكر.

﴿فَتَفْشَلُواْ﴾: نصب جواب النهي وتعطف عليه، ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾: قوتكم ودولتكم، أو تفشلوا جزم لدخوله في حكم النهي فعلىٰ هذا **وقرئ**: (ويذهب) بالياء غيبة جزمًا عطفًا علىٰ تفشلوا.

تلخيصه: لا تختلفوا عند اللقاء.

﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: (حس) قال ﷺ: «**لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أنَّ الجنة تحت ظلال السيوف**»[(١)]، ثم حذر المؤمنين أن يعملوا لغير الله تعالىٰ فقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾: هم النفير خرجوا لنصر العير، وكانت قد نجت مع أبي سفيان علىٰ طريق الساحل فلم يرجعوا.

﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾: مفعول له، أو مصدر في موضع الحال؛ لأنَّهم قالوا: [لا][(٢)] نرجع حتىٰ نشرب الخمور، وننحر الجزور، وتعزف علينا القيان ببدر، فيتسامع بذلك الناس، وهذا غاية التحذير من الخيلاء والرياء، سلمك الله تعالىٰ وإيانا منهما، وتعطف علىٰ معنىٰ المصدر [ق/ ١٦٥ب] ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: (كا).

القراءة: ﴿بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾: (كا) بالياء.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٤)، ومسلم (١٧٤٢) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه.

(٢) في جـ: لن، والمثبت من أ، ب.

لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾

وقرئ: بالتاء خطابًا، ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: بأن شجعهم على لقاء المسلمين؛ لأنَّ إبليس جاءهم في صورة سراقة بن مالك بن جعشم شريف كنانة.

﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾: فغالب مبني نحو لا رجل، و﴿لَكُمُ﴾ رفع خبر ﴿لَا﴾، و﴿ٱلْيَوْمَ﴾ معمول الخبر، و﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ حال من ضمير ﴿لَكُمُ﴾.

﴿وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾: أي مجيركم من كنانة، وكان إبليس آخذًا بيد الحارث.

﴿فلمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾: المسلمة والكافرة ورأىٰ الملائكة.

﴿نَكَصَ﴾: رجع، ﴿عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾: هاربًا فلزمه الحارث، وقال: تخذلنا [ق/ ١١٢جـ]، فضرب في صدره وانهزم.

﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ﴾: أي من جواركم.

﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾: رأىٰ الملائكة وجبريل معتجرًا يقود فرس النبي ﷺ به.

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾: (كا) أن يهلكني.

﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: (كا).

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾: الذين بالمدينة.

﴿وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: هم المشركون.

﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: يعنون المسلمين.

﴿دِينُهُمْ﴾: (حس) المعنىٰ: توهموا أن ينصروا بسبب دينهم.

﴿حَكِيمٌ﴾: (تا).

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾: رفع فاعل، فمحل يضربون والمتصل به حال من الملائكة هذا على القراءة: (تتوفى) بتاءين، وإن جعلت الضمير في ﴿يَتَوَفَّى﴾ مذكرًا على القراءة أيضًا لله تعالى، فيكفي الوقف على ﴿كَفَرُوا۟﴾؛ لأنك تجعل ﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ مبتدأ خبره ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ﴾: (تا) بالسياط عند الموت.

مجاهد[1]: أراد استاههم ولكن الله كريم يكني، أو المراد بوجوههم وأدبارهم ما أقبل منهم وما أدبر؛ لأنَّهم كانوا إذا أقبلوا ضربت الملائكة وجوههم بالسيف، وإذا ولوا ضربت أدبارهم، فالتوفي على هذا القتل، وتضربهم الملائكة بمقامع من حديد، كلمَّا ضربوهم بها تلتهب عليهم نارًا ويقول لهم: ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾: (كا) وهذا مقدمة لعذاب النار.

تلخيصه: لو رأيت ذلك لرأيت أمرًا عظيمًا.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾: النازل بهم مبتدأ خبره، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾: ولا أحب الوقف على ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾: لأنَّ الكاف من ﴿كَدَأْبِ﴾: متعلقة بما قبل، ومحلها رفع تقديره دأب هؤلاء مثل دأب ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: فيكون دأب هؤلاء تفسيرًا لدأب آل فرعون في المعنى.

﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾: (كا).

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٦).

﴿ٱلۡعِقَابِ﴾: (كا) القراءة: بفتح أن تقديره ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعۡمَةً﴾، وبأنَّ ﴿ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: وقرئ: بكسرها استئناف، ولا أحب الوقف هنا لتعلق كدأب الثانية بما قبلها كالأولىٰ.

﴿كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾: (تا)

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾

والمراد بشر الدواب إلىٰ ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾: (تا) إن رفعت.

﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ﴾: أي أخذت منهم العهد مبتدأ أو خبر مبتدأ أو نصبته اختصاصًا، قالوا: ويكفي إن جعلت ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ﴾ بدلًا من ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بنو قريظة كعب بن الأشرف وأصحابه.

﴿يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ﴾: عاهدوا فيها؛ لأنَّهم عاهدوه ﷺ ألاّ يعينوا عليه، فأعانوا المشركين بالسلاح علىٰ قتاله، وقالوا: نسينا وأخطأنا، ثم عاهدهم ثانية فأعانوا الكفار يوم الخندق، وسار ابن الأشرف إلىٰ مكة وعاهد الكفار.

﴿وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ﴾: (كا).

﴿فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ﴾: أي تدركنهم.

﴿فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ﴾: فرق ﴿بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ﴾: من ورائهم من محاربيك لأنك إذا نكلت بهؤلاء تفرق الأعداء، ولم يقدموا عليك.

وقرئ: بذال معجمة بمعنىٰ المهملة، و﴿مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ﴾ أي اجعل التشريد من ورائهم.

﴿لَعَلَّهُمۡ﴾: أي لعل المشرّدين.

﴿يَذَّكَّرُونَ﴾: (كا) يتعظون بهؤلاء، فلا يحاربونك.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ﴾: عاهدوك.

﴿خِيَانَةً﴾: نقض عهد.

﴿فَٱنۢبِذۡ﴾: فألق عهدهم.

﴿إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾: (كا) ومحل ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ حال من النابذ والمنبوذ إليه، أي حاصلين على استواء في العلم والعداوة، المعنى: كن أنت وهم في العلم بنقض العهد سواء؛ لئلا تتهم بخيانة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾: (تا) قال ﷺ: **«من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يجعلها حتى ينقضي أمدها، وينبذ إليهم على سواء»**[١].

ونزل في المنهزمين من المشركين ببدر: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: **القراءة:** بالتاء خطابًا للنبي ﷺ، فالمفعول الثاني ﴿سَبَقُوٓاْ﴾: فاتوا، وبالياء غيبة، فالمفعول الأول مضمر والثاني سبقوا، المعنى: لا يحسبن الكافرين أنفسهم فائتين من عذابنا.

وقرئ: (ولا تحسب) بكسر الباء وفتحها على إرادة النون المخففة وحذفها، قالوا: يحسن الوقف هنا، وما أراه إلا كافيًا على **القراءة:** بكسر همزة ﴿إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ﴾: لا يجدون طالبهم عاجزًا عن إدراكهم، وإن كان تعليلًا معنويًا، ولا يجوز على القراءة بفتح الهمزة؛ لأنَّه تعليل صريح لفظي، أي لأنَّهم.

تلخيصه: لا يحسبوا ذلك لهذا، أو أنَّهم متعلق بيحسب، فتكون (لا) زائدة، يعضده ما قرئ: (أنهم يعجزون)، **وقرئ:** (لا يعجزون) مشددًا، وبكسر النون مخففًا، وزعم بعضهم أنَّ هذه القراءة التي تفرد بها حمزة ليست بنيرة، وأرأها نيرة،

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٧٥٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٧٣٢)، وأحمد (١٧٠٥٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٣٥٨)، وفي «السنن الكبرى» (١٨٦٢٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان ﵁.

وزعمه ليس بنير؛ لأنها منقولة عن ابن عامر، وهو يسندها إلىٰ حمزة، ولها وجه في العربية مع تواترها، وما تواتر فهو النير.

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾﴾

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم﴾: أي اتخذوا العدة لقتالهم.

﴿مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم﴾: ومحل، ﴿مِّن قُوَّةٖ﴾: هي كل ما يتقوىٰ به للحرب من عَدد وعُدد حال من (ما)، قال ﷺ: «**ألا إنَّ القوة الرمي، ألا إنَّ القوة الرمي ألا إنَّ القوة الرمي**»[1].

ومات عقبة بن عامر عن سبعين قوسًا جعلها في سبيل الله، وقال[2]: من ترك الرمي بعد ما علمه فقد كفر أو عصىٰ.

﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾: هو ربطها واحتباسها للغزو، وأصل الربط: الشد، قال ﷺ: «**ارموا واركبوا وإن ترموا أحب إليَّ من أن تركبوا**»[3]، أو القوة: الحصون، ﴿رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾: إناثها لقلة صهيلها، أو كانوا يستحبون ذكور الخيل للقاء، وإناثها للبيات.

---

(١) أخرجه مسلم(١٩١٧) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥١٣)، والنسائي في «المجتبىٰ» (٣٥٧٨)، وفي «السنن الكبرىٰ» (٤٤٢٠)، وأحمد (١٧٣٧٣)، والدارمي (٢٤٠٥)، والطيالسي (١٠٠٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٣٤٢) حديث (٩٤٢)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٩٥١٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٥١٣)، والترمذي (١٦٣٧)، والنسائي في «المجتبىٰ» (٣٥٧٨)، وابن ماجة (٢٨١١)، والدارمي (٢٤٠٥)، والحاكم(٢٤٦٧) والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٣٤١) حديث (٩٤١)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٩٥١٥) من حديث عقبة ابن عامر رضي الله عنه.

وقرئ: (رُبُط) جمع رباط، وهو اسم للخيل [المربوطة][(١)] للجهاد ،وخصت الخيل بالذكر تفضيلًا لها، في الحديث: «**الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ»: الأجرُ والمغنمُ «إلىٰ يوم القيامة»** [(٢)]، وفيه «**إن الشيطانَ لا يقربُ صاحبَ فرسٍ ولا يدخلُ دارًا فيه فرسٌ عتيق**» [(٣)]، وروي «**أنَّ صهيلَ الخيلِ يُذهبُ الجِنَّ**»[(٤)].

ومحل ﴿تُرۡهِبُونَ﴾: **وقرئ**: (ترهَّبون) مشددًا من أرهب ورهّب خوف.

وقرئ: بالياء غيبة أي المرابطون يخوفون.

وقرئ: (يخزون) حال من الفاعل في ﴿أَعِدُّواْ﴾، والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يرجع إلىٰ ﴿مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم﴾.

المعنىٰ: تخوفون بما استطعتم.

﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾: هم كفار مكة.

﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ﴾: اليهود، أو فارس، أو كفار الجن، أو المنافقون.

تلخيصه: تخوفون بعَددكم وعَددكم جميع الكفار.

﴿لَا تَعۡلَمُونَهُمُ﴾: (كا) لا تشعرون بعدواتهم.

﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡ﴾: (تا) عند أبي حاتم، ﴿وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾: (حس).

القراءة: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ﴾: مالوا إلىٰ الصلح بفتح السين وكسرها لغتان بمعنىٰ [ق/ ٩٦أ] الصلح، وهي مؤنثة لقوله: ﴿فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾.

تلخيصه: إن صالحوا فصالحهم، أو السلم: الإسلام فتكون الآية في الكفار، أو هي منسوخة بـ(اقتلوا المشركين) آية السيف[(٥)].

---

(١) في جـ: المربوط، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٤)، ومسلم (١٨٧١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الحارث في «مسنده» (٦٥٢).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٨).

(٥) انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص/ ٤٦٨).

وقرئ: (فاجنُح) بضم النون وكسرها.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: ولا تخف من جنوحهم إلىٰ الصلح، فالله حافظك.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: [لأقوالك][1].

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: (حس) [بأحوالك][2].

﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ﴾: أي يكيدوك بالمصالحة.

﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾: كافيك من خدعهم.

﴿أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ﴾: إياك بالملائكة [ق/ ١٦٦ب]، ﴿وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: الأنصار: والأوس والخزرج كانت بينهم ترات وإحن.

﴿وَأَلَّفَ﴾: جمع، ﴿بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾: (حس) بسبب محبتك والإيمان بك.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾: (كا).

﴿حَكِيمٌ﴾: (تا).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾: مبتدأ وخبره، ومحل ﴿وَمَنِ﴾: رفع خبر مبتدأ، أي وحسبك من ﴿ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: (تا) المعنىٰ: كافيك الله والمؤمنون أيضًا، أو مبتدأ محذوف الخبر، أي: ومن اتبعك حسبهم الله، أو الواو بمعنىٰ مع، فمحل من نصب نحو حسبك وزيدًا درهم، المعنىٰ: كفاك ناصرًا، وكفىٰ أتباعك، قالوا:

---

(١) في جـ: لأقوالكم، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: بأحوالكم، والمثبت من أ، ب.

نزلت في إسلام عمر حين كمل أربعين رجلًا، وفيه نظر؛ لأنَّ السورة مدنية وإسلام عمر كان بمكة.

﴿حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: وقرئ: بالصاد المهملة، أي حثهم أبلغ حث.

﴿عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ﴾: فاعل يكن.

﴿عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ﴾: إن جعلتها تامة، فمحل ﴿مِّنكُمْ﴾ حال، وإن جعلتها ناقصة فمنكم خبرها و﴿عِشْرُونَ﴾ اسمها.

وقرئ: (تكن منكم عشرون) مؤنثًا لتأنيث الجماعة.

﴿يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾: من عدوهم لفظه شرط ومعناه أمر، أي ليقاتل العشرون منكم مائتين، والمائة ألفًا، فلا يثبت الكفار لكم إن ثبتم.

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾: (حس) دين الله ولا ثباتكم.

القراءة: ﴿ضَعْفًا﴾: بضم الضاد وفتحها، والمراد ضعف البدن أو القلة؛ لأنَّهم كانوا قليلين.

والقراءة: أيضًا (تكن منكم مائة صابرة) بالتاء والياء فيهما، ولمَّا نزلت ثقلت عليهم فنسخت بنصر الواحد علىٰ الاثنين(١).

﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾: (كا) فلا يجوز للواحد الفرار من اثنين إلا متحرفًا لقتال أو متحيزًا إلىٰ فئة، ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: (تا).

ابن شبرمة: أرىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل هذا.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ
ٱلْءَاخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾
فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم
مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾

---

(١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لابن حزم (ص/ ٣٩).

ونزل إنكارًا على أخذ الفداء: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾: **القراءة:** ﴿أَن يَكُونَ لَهُۥٓ﴾: مؤنثًا لتأنيث جماعة.

﴿أَسْرَىٰ﴾: ومذكرًا لتذكير الجمع.

القراءة: ﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ﴾: يبالغ في قتل المشركين والتنكيل بهم مخففًا.

وقرئ: مشددًا مبالغة، وأصل الثخانة: الغلظ.

﴿تُرِيدُونَ﴾: أيها المؤمنون.

﴿عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾: أي حطامها بأخذ الفداء، وسمي حطام الدنيا عرضًا لقلة لبثه.

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾: أي ثوابها بقهر المشركين ونصر الدين.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: (حس) وهذا كان في ابتداء الإسلام إذ هم قليل، فلمَّا كثروا نزل ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤]، فخُيِّروا بين استعباد الكفار وعتقهم وفدائهم وقتلهم.

كانت الغنائم لا تحل لأحد، فلمَّا كان يوم بدر أسرعوا إليها فنزل ﴿لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾(١): في اللوح أنَّها تحل لكم، أو أنَّه لا يعذب أحدًا ممن شهد بدرًا مع النبي ﷺ، أو أنَّه لا يضل قومًا بعد إذ هداهم، أو لا يعذب من الخطأ إلا بعد تأكيد الحجة.

﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾: من الفداء.

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: (حس) فلمَّا نزلت هذه الآية أمسكوا عن الغنائم [ق/ ١١٣ جـ] فنزل: ﴿فَكُلُوا۟﴾: والفاء للجزاء، أي أحلت لكم الغنائم فكلوا.

﴿مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا﴾: حال من المغنوم.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: (كا).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾: لمَّا صدر منكم.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ٢٤١).

﴿رَّحِيمٌ﴾: (تا) بتوبته عليكم.

القراءة: ﴿فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾: بضم الهمزة وألف بعد السين، وبفتح الهمزة وسكون السين من غير ألف بعدها، المعنىٰ: قل للأسارىٰ الذين ملكتهم وأخذت منهم الفداء: ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا﴾: خلوص إيمان.

﴿يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾: من الفداء بأن يضعفه لكم في الدنيا، ويثيبكم عليه في الأخرىٰ.

وقرئ: (يثبكم).

﴿رَّحِيمٌ﴾: (حس).

﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴿٧٣﴾ ﴾

﴿وَإِن يُرِيدُواْ﴾: أي الأسارىٰ.

﴿خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ﴾: أي من قبلك بكفرهم.

﴿فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡ﴾: (كا) ببدر قتلًا وأسرًا.

﴿حَكِيمٌ﴾: (تا).

ونزل في المهاجرين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

ونزل في الأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ﴾: النبي ﷺ والمهاجرين.

﴿وَّنَصَرُوٓاْ﴾: أي نصروهم.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ﴾: (حس) في الدين والحلف والنصرة

والميراث، وكان الأنصار والمهاجرون يتوارثون بالهجرة، ولذلك قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ﴾: **القراءة**: بكسر الواو هنا والكهف مصدر من وليت الشيء توليته، وبفتح الواو مصدر أيضًا، يقال: مولىٰ بين الولاية، أو هما لغتان بمعنىٰ النصرة، المعنىٰ: لا توارث بينكم حتىٰ يهاجروا إليكم.

﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ﴾: أي المؤمنون الذين لم يهاجروا.

﴿فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾: أي فيجب عليكم أن تنصروهم علىٰ المشركين.

﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ﴾: (كا) عهد، فلا تنصروهم عليهم، قالوا: هذا منسوخ بآية السيف[1].

﴿بَصِيرٌ﴾: (تا).

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾: فلا توالوهم أنتم، يكفي الوقف هنا لأنَّ ﴿إِلَّا﴾ بعد شرط أي إن لم ﴿تَفْعَلُوهُ﴾: أي لم تفعلوا ما أمرتم به من النصرة علىٰ الكفار والتواصل ﴿تَكُن﴾: تحصل ﴿فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: بقوة الكفر، ﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾: (تا) مفسدة عظيمة [بضعف][2] الإسلام؛ لأنَّ المسلمين إذا لم يصيروا يدًا واحدة ضعفوا، وقوي الكفر.

وقرئ: (كثير).

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مِنكُمْۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾﴾

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾: (حس) الكاملون الإيمان.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للنحاس (ص/ ٣٤٠).

(٢) في ب: لضعف، والمثبت من أ، ج.

﴿كَرِيمٌ﴾: (تا)، قالوا: وكررت هذه الآية؛ لأنَّ بعضهم هاجر قبل الحديبية، وبعضهم بعدها، وبعضهم ذو هجرتين هجرة إلىٰ الحبشة، وهجرة إلىٰ المدينة، فالأولىٰ لأصحاب الهجرة الأولىٰ والثانية للثانية، أو ليست بتكرير، إنَّما هذه واردة للثناء عليهم مع الوعد الكريم، والأولىٰ للتواصل.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ﴾: أي بعد السابقين إلىٰ الهجرة الأولىٰ.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡ﴾: (حس) لطف تعالىٰ باللاحقين، فجعلهم من السابقين، ونسخ التوارث بالحلف والهجرة بقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ﴾: في اللوح، أو في القرآن، والمراد ما ذكر في سورة النساء من المواريث. ﴿عَلِيمُۢ﴾: (تا).

سورة التوبة

مدنية إلا من ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ.... ﴾ إلىٰ آخرها، فإنه نزل بمكة، وهي مائة وتسع وعشرون أو ثلاثون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وتسمىٰ براءة، والتوبة، والمقشقشة، والمبعثرة، والمشردة، والمخزية، والفاضحة، والمثيرة، والحافرة، والمنكلة، والمدمدمة، وسورة العذاب؛ لتضمنها معنىٰ ذلك كله، وهي آخر سورة نزلت، وسمعها بعض الأعراب فقال: أحسب أنها آخر ما نزل، فقيل له: من أين علمت؟ فقال: أسمع عهودًا تنبذ، ووصايا تنفذ[1].

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾

ولم يكتب في أولها «بسم الله الرحمن الرحيم»، قالوا: لأنَّها والأنفال سورة واحدة، وإنَّما جعل بينهما بياض لقول من جعلهما سورتين، وسأل ابن عباس عثمان رضي الله عنهما عن ذلك؟ فقال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه شيء يقول: ضعوه في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا، فتوفي ولم يبين لنا، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننا منها[2].

(١) انظر: «زاد المسير» (٢/ ٢٣٠).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٠٢).

أو لأنَّ اسم الله أمان، فلا يكتب في الحرب والمنابذة، وبراءة نزلت بالسيف وكتبه ﷺ «بسم الله الرحمن الرحيم» في أول كتبه فلأنَّه كان يدعوهم فيها إلىٰ الهدىٰ، ولذلك كان يكتب: «والسلام علىٰ من اتبع الهدىٰ» [(١)]، ولمَّا رجف المنافقون علىٰ المؤمنين الأراجيف، ونقض المشركون عهود النبىٰ ﷺ نزل [ق/ ١٦٧ ب] ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ [الأنفال:٥٨]، ونزل ﴿بَرَآءَةٌ﴾: خبر مبتدأ، و(من) متعلقة بمحذوف، أي براءة خالصة ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾: أو مبتدأ لوصفها بمن، خبره ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم﴾: أيها المؤمنون، ﴿مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: (كا) وقرئ: (براءةً) نصبًا، أي اسمعوا [براءة][(٢)]، و﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ كسرًا لالتقاء الساكنين، وحكىٰ سيبويه ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ضمًّا، وعلقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين؛ لأنَّه روي أنَّهم عاهدوا المشركين، أو دخلوا في العهد لرضاهم بمعاهدته ﷺ الكفار، فلمَّا نقضوا العهد أوجب الله نبذ العهد، فأخبر المسلمين بما تجدد من ذلك، فكأنَّه قال: اعلموا أنَّ الله ورسوله بريئان مما عاهدتم به المشركين، المعنىٰ: عهدهم يا محمد مفسوخ منبوذ إليهم، فقيل لهم: ﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾: آمنين لا تراعون، فمن كان عهده أقل من أربعة أشهر رفع إليها، ومن كان عهده أكثر منها حط إليها، ومن لا عهد له فأجله انسلاخ الأشهر الحرم وهو خمسون يومًا، ثم هو بعد ذلك حرب.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾: أيها الناكثون.

﴿أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾: فائتي الله بعد الأربعة الأشهر.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى﴾: مذل، ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: (كا) بالقتل في الدنيا، والعذاب في الآخرة، وأول التأجيل كان يوم العيد الأكبر إلىٰ آخر عشر من أول ربيع الآخر، ونزلت براءة سنة ثمان، وفيها فُتِحَت مكة، فلمَّا كان سنة تسع تجهز ﷺ للحج،

(١) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

فقيل له: إنَّ المشركين يطوفون بالبيت عراة، فبعث أبا بكر بسبع، أو تسع، أو عشر آيات، أو ثلاثون، أو أربعون آية، ثم أتبعه بعليّ ليقرأها علىٰ أهل الموسم، وأمره أن يؤذن بمكة ومنىٰ وعرفة أن قد برئت ذمة الله وذمة رسوله من كل مشرك، فلا يطوف بالبيت عريان، فرجع أبو بكر وقال: يا رسول الله أنزل في شأني شيء؟ قال: «**لا ولكن لا ينبغي أن يُبلِّغ هذا إلا رجل من أهلي**»، وكان من عادة العرب في عقد العهد ونقضها ألا يتولىٰ ذلك إلا سيدهم، أو رجل من قومه، أقربهم إليه نسبًا(١).

وروي أنَّ جبرائيل قال: «**لا يُبلِّغ رسالتك إلا رجلٌ منك**»، فقال ﷺ لأبي بكر: «**أنت علىٰ المَوسِم وعليّ ينادي بالآي**» ، فلمَّا كان قبل يوم التروية بيوم خطب أبو بكر الناس، وحدثهم عن مناسكهم، وأقام للناس الحج، ويوم النحر قام عليّ عند جمرة العقبة، وأذن في الناس بما أمر به من الآيات، وألا يطوف بالبيت عريان، وألا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، وأن يتم إلىٰ كل ذي عهد عهده، وإن لم يكن له عهد فعهده أربعة أشهر، وألا يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا، فقال المشركون الناكثون: أخبر ابن عمك أنَّا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا، وأن ليس بيننا وبينه إلا طعن بالرمح وضرب بالسيف.

﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾: مبتدأ خبره ﴿ إِلَى ٱلنَّاسِ ﴾: أو خبر مبتدؤه محذوف كبراءة، والجملة معطوفة علىٰ براءة، فهو عطف جملة علىٰ جملة.

﴿يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾: هو يوم عرفة، أو يوم النحر، أو أيام منىٰ، كقولهم: يوم صفين، ولم يكن يومًا واحدًا، أو الحج الأكبر: الحج، والأصغر: العمرة لنقص عملها، لا وقف هنا علىٰ القراءة بفتح ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾: (كا).

القراءة: برفع (رسوله) مبتدأ وخبر أي ورسوله بريء أيضًا.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١١٠).

وقرئ: بنصبه عطفًا علىٰ اسم أنَّ وجره قسمًا، وزعم بعضهم أنَّه علىٰ المجاورة، ولا يجوز عطفه علىٰ المشركين لأنَّه كفر.

وقرئ: بكسر أنَّ استئنافًا ، فتقف علىٰ الأكبر.

تلخيصه: براءة وإعلام من الله ورسوله بأن لا عهد لناكث.

﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾: من الكفر ونقض العهد.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾: عن الإيمان.

﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾: (كا) قالوا: ولا وقف علىٰ ﴿أَلِيمٍ﴾: لأجل الاستثناء بعد، قلت: فلولا طول الكلام وقصر النفس [ق / ٩٨ أ] لمَّا كانت الوقف من أول السورة إلىٰ هنا كما وسمت؛ لأنَّ الاستثناء من المشركين.

تلخيصه: براءة إلىٰ المشركين.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: وهم بنو ضمرة من [كنانة](١).

﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾: من عهدكم.

وقرئ: بالضاد المعجمة .

﴿وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ﴾: لم يعاونوا.

﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾: من المشركين، وكان قد بقي لبني ضمرة من عهدهم تسعة أشهر، فلذلك قال: ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾: (كا) أدوه إليهم كملًا .

﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾: (كا) .

﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا

(١) في جـ: بنب كنانة، والمثبت من أ، ب.

ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ ﴾

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ﴾: خرج، ﴿ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ﴾: وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وسميت بذلك لتحريمه تعالىٰ دماء المشركين علىٰ المؤمنين فيها.

﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾: الناقضين العهود.

﴿حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾: من حل وحرم.

﴿وَٱحۡصُرُوهُمۡ﴾: احبسوهم، أو امنعوهم عن دخول مكة، والتصرف في بلاد الإسلام.

وتنصب ﴿كُلَّ مَرۡصَدٖ﴾: (كا) أي مكانًا يرصد منه العدو، أي يرقب ظرفًا لاقعدوا.

﴿فَإِن تَابُواْ﴾: عن الشرك [ق/ ١١٤ جـ] إلىٰ ﴿فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡ﴾: (كا) اتركوهم يدخلون مكة ويتصرفون في البلاد.

﴿رَّحِيمٞ﴾: (حس) .

﴿وَإِنۡ أَحَدٞ﴾: رفع بمحذوف يدل عليه ﴿ٱسۡتَجَارَكَ﴾: لأنَّ إن لا يليها إلا الفعل ظاهرًا أو مقدرًا، المعنىٰ: وإن جاءك أحد.

﴿مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾: المأمور بقتالهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم يطلب منك عقد ذمام.

﴿فَأَجِرۡهُ﴾: فاعقد له، ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾: أي قراءتك لكلام الله، فيعلم ما له وما عليه.

عطاء(١): كلام الله هنا ما أعد لأوليائه من الثواب، [وأعدائه](٢) من العقاب، وما افترض في دينه.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣١٩).

(٢) في جـ: ولأعدائه، والمثبت من أ، ب.

عن الحسن[1]: هذه الآية محكمة إلىٰ يوم القيامة.

الضحاك والسدّي[2]: هي منسوخة باقتلوا.

تلخيصه: اتركه ليعلم شرائع الإسلام.

﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥۚ﴾: (كا) هو دار قومه، فإن قاتلك بعد فاقتله، ﴿ذَٰلِكَ﴾: المأمور به من الإجارة بسبب أنَّهم قوم جهلة.

﴿لَّا يَعْلَمُونَ﴾: (تا) دين، فهم محتاجون إلىٰ سماع كلامه.

ثم استفهم منكرًا فقال: ﴿كَيْفَ﴾: خبر ﴿يَكُونُ﴾: اسمها، ﴿عَهْدٌ﴾: المعنىٰ: ممتنع ثبوت عهد لمشرك.

﴿ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ ﴾: لكن المعاهدين.

﴿عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۖ﴾: عام الحديبية هم أهل مكة، أو جذيمة.

﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ﴾: علىٰ العهد، ﴿فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ﴾: (كا).

﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾: (حس).

ثم كرر الاستفهام تأكيدًا لنفي ثبوت عهد المشركين، وفيه حذف تدل عليه الآية قبل، وتقديره: كيف يكون للمشركين عهد.

﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةًۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةًۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ﴾: يظفروا بكم لا يراعوا ﴿فِيكُمْ إِلًّا﴾: قرابة أو إلهًا[3]،

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٩).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣١٩).

(٣) قال القرطبي: الأزهري: اسم الله بالعبرانية، وأصله من الأليل، وهو البريق. «تفسير القرطبي» (٨/ ٧٤).

وقرئ: (إيلًا) بمعناه وأصل الإل الظهور.

﴿وَلَا ذِمَّةً﴾: عهدًا.

وقوله: ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: يظهرون الجميل، ويضمرون القبيح جملة مستأنفة، فيكفي الوقف قبلها، ولا يجوز أن يكون حالًا؛ لأنَّ بعد ظهورهم لا يرضون المؤمنين.

﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾: الإيمان، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾: (تا) ناقضون العهد؛ لأنَّ منهم من وفَّىٰ.

ونزل في اليهود، أو [في][1] الناكثين ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: أي استبدلوا بالقرآن، ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: من حطام الدنيا ونيل الشهوات، أو أنَّ المشركين نقضوا العهد لأكلة أطعمهموها أبو سفيان.

﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾: (كا) عن دينه .

﴿يَعْمَلُونَ﴾: (حس).

﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ﴾: (حس) بنقضهم العهد.

تلخيصه: لا تبقوا عليهم، فإنَّهم لا يبقون عليكم إن ظفروا بكم.

﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ﴾: (كا) إن آمنوا كإيمانكم، فلهم ما لكم وعليهم ما عليكم.

(١) سقط من ب، والمثبت من أ، جـ.

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: (حس).

ابن عباس[(١)]: حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة [ق / ١٦٨ ب].

القراءة: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم﴾: التي عاهدوها بفتح الهمزة جمع يمين .

وقرئ: بكسرها، ﴿وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾: عابوا الإسلام.

القراءة: ﴿أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾: بهمزتين محققتين علىٰ الأصل، وبتحقيقهما وإدخال ألف بينهما تخفيفًا وبهمزة بعدها ياء مكسورة كسرة خفيفة تخفيفًا أيضًا لاستثقالهم تحقيق همزتين في كلمة واحدة؛ لأنَّ أصلها علىٰ [القراءات][(٢)]: أَأْمِمَة أفعلة جمع إمام كعماد وأعمدة نقلت كسرة الميم الأولىٰ إلىٰ الهمزة، ثم أدغمت في الميم الثانية، فصارت أأمة قلبت الهمزة ياء فصارت أئمة.

تلخيصه: كانت أَأْمِمَه ثم أإمة ثم أئمة، وزعم بعضهم أنَّ النحاة لا يجيزون اجتماع همزتين في أأمة قال: لأنَّهما لا يجتمعان في كلمة واحدة، وفي زعمه نظر لصحة نقلها عن النبي ﷺ، بل لتواتره، فيجب لذلك أن تجعل لغة للعرب استعملت علىٰ الأصل وهو أقيس وإن ثقل، وزعم أيضًا أنَّ من قرأ «أأمة» بهمزتين محققين يلزمه أن يقرأ «أءدم» يعنىٰ بهمزتين محققتين، وهذا لا يلزم؛ لأنَّ القراءة سنة متبعة فلا يعلل إلا ما نقل، وزعم بعضهم أنَّ «أئمة» بهمزة بعدها همزة بين بين، وأنَّ التصريح بالياء ليس بقراءة، ولا يجوز أن يكون، ومن صرّح بها فهو لاحن محرف، وفي زعمه نظر؛ لأنَّ أكثر القراء يقولون بهمزة بعدها ياء مكسورة، وبعضهم بياء مكسورة كسرة خفيفة، ولأنَّ الزجاج قال: في «أئمة» عند النحويين لغة واحدة بهمزة وياء، قال: والقراء يقروون «أئمة» و«أإمة» بهمزة وياء وبهمزتين، وأيضًا فلا يجوز جعل الهمزة الثانية بين بين «كأئذا»؛ لأنَّ كسرة الهمزة في «أإمة» منقولة إليها، وأصل الهمزة السكون، فلو خففت الهمزة الثانية من «أإمة»

---

(١) انظر: «الكشف والبيان» للثعلبي (٥/ ١٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٢٠).

(٢) في جـ: القراءة، والمثبت من أ، ب.

لوجب قلبها ألفًا للفتحة قبلها بخلاف «أئذا» فإنَّ الكسرة فيها أصلية.

القراءة: ﴿لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾: حقيقة لنقضهم العهد بفتح الهمزة جمع يمين، وبكسرها بمعنىٰ التصديق، فالشافعي يقول: يمين الكافر يكون يمينًا بدليل وصفها بالنكث، [فيوجب][1] الكفارة علىٰ الكافر إذا حنث، ويقول: معنىٰ ﴿لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾: أنهم لا يوفون بها، وأبو حنيفة لا يجعلها يمينًا استشهادًا بظاهر ﴿لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾، فلا يوجب الكفارة علىٰ الكافر إذا حنث.

[تلخيصه][2]: إذا لم يف لكم المشركون وعابوا دينكم فقاتلوهم.

﴿لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾: (حس) لكي ينتهوا عمَّا هم عليه.

ثم حرض علىٰ قتالهم بقوله: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ﴾: نقضوا عهودهم.

﴿وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾: من مكة حين تشاوروا في قتله.

﴿وَهُم بَدَءُوكُمۡ﴾: بالقتال؛ لأنَّه ﷺ جاءهم أولًا بالقرآن وتحداهم به فعدلوا إلىٰ القتال لعجزهم عن معارضته، أو بدؤكم بالقتال يوم بدر.

﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: (كا) نصب ظرف، أو بدؤوا بقتال خزاعة حلفاء النبي ﷺ؛ لأنَّ البداءة ونقض العهد كان منهم، ثم وبخهم علىٰ خوفهم منهم بقوله: ﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ﴾: من غيره.

﴿أَن تَخۡشَوۡهُ﴾: بالخشية، فقاتلوا أعداءه.

﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: (تا) ثم شجعهم عليهم بقوله:

﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾

---

(١) في جـ: فيتوجب، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: المعنىٰ، والمثبت من أ، ب.

أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا
رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةًۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟
مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ
خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى
ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ﴾: بقتلهم.

﴿ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ﴾: يذلهم بالأسر والقتل.

﴿وَيَشْفِ صُدُورَ﴾: ويبرئ داء قلوب ﴿قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾: (تا) إن رفعت ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾: (حس) وهي **القراءة**: استئنافًا إخبارًا عن توبته على ناس من مكة؛ لأنَّه أسلم ناس منهم وحسن إسلامهم.

وقرئ: (ويتوبَ) نصبًا بإضمار أن أو حتى.

﴿حَكِيمٌ﴾: (تا) لا يفعل شيئًا عبثًا.

﴿ولمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾: أي علم المشاهدة وتعطف على ﴿ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ قوله: ﴿ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾: (كا) دخيله: وخاصة الرجل وليجته، أو الوليجة كل من يتخذه الإنسان معتمدًا عليه من غير أهله، ومنه فلان وليجة القوم إذا كان لصيقًا بهم، المعنى: أظننتم أنكم تتركون على ما أنتم عليه ولم يظهر المجاهدون منكم والمخلصون غير المتخذين أصفياء من غير المؤمنين.

تلخيصه: لا تتركون حتى يتبين المخلصون والمجاهدون.

﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: (تا) وقرئ: بالياء غيبة.

لمَّا قال العباس مفتخرًا وهو مشرك: إنَّا لنعمر البيت ونسقي الحاج ونفك العاني نزل ردًّا عليهم: ﴿مَا كَانَ﴾: ما جاز ولا انبغى ﴿لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ

ٱللَّهِ﴾: القراءة: موحدًا أراد الكعبة، وجمعًا أراد جنس المساجد والكعبة داخلة فيه، أو أراد الكعبة وجمعت لأنَّ كل جزء منها مسجد، ولأنَّها قبلة لكل مسجد، فعامرها كعامر جميع المساجد.

﴿شَٰهِدِينَ﴾: حال من واو ﴿يَعۡمُرُواْ﴾، وشهادتهم ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِ﴾: (كا) نصبهم الأصنام حول البيت، وعبادتهم إياها، وقول النصراني: أنا نصراني، واليهودي: أنا يهودي.

﴿خَٰلِدُونَ ﴾: (حس).

﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ﴾: وفي ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: دليل علىٰ الإيمان بمحمد ﷺ؛ لأنَّه هو الذىٰ جاء بها.

﴿وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: لم يترك أمر الله خشية من غيره.

وقرئ: (مسجد الله) موحدًا، وعمارة المسجد: بناؤه ورَمُّ متشَعِثِه ودخولُه وكنسهُ والصلاةُ والذكرُ ودرسُ العلمِ الشرعِيِّ فيه، والكافر ممنوع من ذلك كله، ولو أوصىٰ بعمارة مسجد لا يمتثل.

تلخيصه: من آمن وعمل بمقتضاه أفلح.

﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ﴾: فواجب، ﴿أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾: (تا) في الحديث: **«إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان»** [١]، وفيه: **«من غدا إلىٰ المسجد أو راح أعدَّ اللهُ له نُزُلَه كلما غدا أو راح»** [٢]، وفيه: **«من بنىٰ لله مسجدًا بنىٰ الله له كهيئته في الجنة»** [٣]، وفيه: **«الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل**

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦١٧)، وابن ماجة (٨٠٢)، وأحمد (١١٧٤٣)، والدارمي (١٢٢٣)، وابن خزيمة (١٥٠٢)، وابن حبان (١٧٢١)، والحاكم(٧٧٠)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٤٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

(٢) أخرجه البخاري (٦٣١)، ومسلم (٦٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٩)، ومسلم (٥٣٣) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

البهيمة الحشيش»[(١)]، وفيه: «يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا، فلا تجالسوهم، فليس لله فيهم حاجة»[(٢)].

﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

ولمَّا تنوزع في سقاية الحاج [وعمارة البيت][(٣)] والجهاد أيها أفضل نزل: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: السقاية والعمارة مصدر سقىٰ وعمر، وصحت الياء في سقاية لأجل التاء، وقياسها أن تقلب همزة.

وقرئ: (سقاة) و(عمرة) جمع ساق وعامر، وفي الكلام حذف، تقديره: أجعلتم أصحاب سقاية الحاج وأصحاب عمارة المسجد.

﴿كَمَنْ ءَامَنَ﴾: أو أجعلتم إيمان هؤلاء كإيمان من آمن ﴿بِٱللَّهِ﴾: إلىٰ ﴿لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾: (كا).

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (تا).

﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾: نصب تمييز، أي فضيلة.

﴿عِندَ ٱللَّهِ ۚ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[(٤)]: (حس)...

---

(١) قال الحافظ العراقي: لم أقف له علىٰ أصل. «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ١٠٧).

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٩٦٢) عن الحسن مرسلا.

(٣) في جـ: وعمارته، والمثبت من أ، ب.

(٤) في حاشية ب: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾=

[الظافرون][1] بأمنياتهم.

﴿أَبَدًا﴾: (كا)، ﴿عَظِيمٌ﴾: (تا).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

ونزل فيمن أمر بالهجرة وثبطه أهله وماله عنها، أو في قوم [ق/ ١١٥ جـ] ارتدوا ولحقوا بمكة فنهي المؤمنون [ق/ ١٦٩ب] عن موالاتهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾: أصفياء وبطانة.

﴿إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾: (حس).

﴿يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ﴾ : [فيطلعهم علىٰ][2] عورة المسلمين ويختار المقام معهم علىٰ الهجرة والجهاد.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: (تا) الكافرون.

= خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٢﴾ ﴾.

ش: ﴿ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ﴾ : ابتداء وخبر في موضع النعت لجنات، والهاء فيها لجنات وهو جمع بالألف والتاء يراد به الكثرة، وقيل: في ترجع علىٰ الرحمة، وقيل: ترجع علىٰ البشرىٰ، ودل عليها قوله: ﴿يُبَشِّرُهُمۡ﴾، وكذلك الهاء في ﴿فِيهَا﴾ الثانية تحتمل ما احتملت الأول من الوجوه.

(١) في جـ: الفائزون، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: فيطلعكم عن، والمثبت من أ، ب.

القراءة: ﴿وَعَشِيرَتُكُمْ﴾: مفردًا (وعشيراتكم) جمعًا.

وقرئ: (عشائركم)، أي قومكم الذين بمكة.

﴿ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾: اكتسبتموها، ﴿كَسَادَهَا﴾: عدم نفاقها، المعنىٰ: إن كان ما تسكنون إليه وتعتمدون عليه.

﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ﴾: الهجرة إلىٰ ﴿ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ﴾ فانتظروا ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾: بقضائه، أو بعذابه الآجل أو العاجل، وهو القتل يوم فتح مكة، وهذا تهديد شديد لمؤثر لذات الدنيا علىٰ الآخرة [ق/ ٩٨ أ].

﴿ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: (تا)، وتعطف علىٰ ﴿مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾: كبدر وفتح مكة وقريظة والنضير.

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾: وجاز عطف الزمان علىٰ المكان؛ لأنَّ تقديره مواطن حنين، أو وقت مواطن، ولم ينصرف لعدم زنة المفرد، أو تنصب [ويوم][(١)] بمضمر، أي واذكر يوم حنين، فيكون عطف جملة علىٰ جملة، وهذا أوجه لأنَّ إذ في ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾: بدل من يوم حنين، فلو نصبت يوم حنين بهذا الظاهر كان المعنىٰ أنَّ كثرتكم أعجبتكم في مواطن كثيرة، وكثرتهم إنما كانت يوم حنين، وفيه أعجبتهم؛ لأنَّه ﷺ بعد فتح مكة خرج إلىٰ حنين، وهو وادٍ بين مكة والطائف في اثني عشر ألفًا لحرب هوازن، وهم أربعة آلاف، فقال بعض المسلمين: لن نُغْلَبَ اليوم من قلة فعان القوم، فلمَّا التقىٰ الجمعان واقتتلوا قتالًا شديدًا انهزم المسلمون، وثبت ﷺ علىٰ بغلته البيضاء.

وروي أنَّه كان يحمل علىٰ الكفار فيفرون، ثم يحملون عليه فيقف لهم فعل ذلك بهم بضع عشرة مرة، قال العباس: فكنت أكفُّ البغلةَ لئلا تسرع به نحو المشركين وأبو سفيان ابن عمه آخذ بركابه.

---

(١) في جـ: يوم، والمثبت من أ، ب.

روي أنَّه لم يبق معه سواهما فقال: يا عباس ناد أصحاب السمرة وكان صَيِّتًا فناداهم فخذًا فخذًا أين أصحاب السمرة؟ فعطفوا عطفة البقر على أولادها يا لبيك يا لبيك فاقتتلوا، فقال ﷺ: «الآن حمى الوطيس»، ثم رمى المشركين بحصيات فانهزموا.

وما مصدرية في ﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾: والباء بمعنى مع أي مع رحبها أي سعتها، ومحل الجار والمجرور حال، أي ملتبسة برحبها نحو دخلت عليه بثياب السفر، أي مع ثياب السفر، أي ملتبسًا بها لم أزلها، المعنى: لم يجدوا في الأرض سعتها ما يلجؤون إليه من شدة خوفهم، لا وقف على ﴿مُّدْبِرِينَ﴾: منهزمين.

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

﴿سَكِينَتَهُۥ﴾: طمأنينته .

﴿جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾: هم الملائكة، ﴿وَذَٰلِكَ﴾: أي القتل والأسر.

﴿جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: في الدنيا والآخرة النار، ثم بعد القتل والهزيمة يتوب الله ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾: (كا).

﴿رَّحِيمٌ﴾: (تا).

﴿ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾: قذر لتركهم ما يجب عليهم من غسل الجنابة وغيرها، وكأنَّهم قد صاروا لذلك عين النجاسة، أو ذوي نجس؛ لأنَّ معهم الشرك وهو مصدر نجس.

وقرئ: (نِجْس) بكسر النون وسكون الجيم تخفيف نجس ككَبِد وكِبْد، وأكثر ما جاء مكسورًا تابعًا، أي رجس نجس.

وقرئ: (أنجاس)، والمراد نجاسة حكمية.

ابن عباس(١): أعيانهم نجسة كالكلب والخنزير.

الحسن(٢): من صافحهم فليتوضأ.

قلت: لو كانوا أنجاس العين لمَّا طهرهم الإسلام(٣).

﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾: قرب بكسر الراء يقرب بفتحها، وقرب يقرب بضمها فيهما زاد في الدنو، وبهذا استدل بعض أصحاب الشافعي على وجوب منع المشركين من دخول الحرم، أو المراد بالمسجد الحرام نفس الحرم، المعنى: هم أنجاس فلا يدخلوا الحرم.

﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾: (حس) هو سنة تسع من الهجرة، وفيه أذِّن ببراءة.

ولمَّا منع المشركون من دخول الحرم وخاف المسلمون الفقر لانقطاع الميرة عنهم نزل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾: فقرًا.

وقرئ: (عائلة) بمعنى عيلة.

---

(١) انظر: «الكشف والبيان» للثعلبي (٥/ ٢٧)، و«الكشاف» (٢/ ٢٦١).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٩٢).

(٣) قال ابن الجوزي: وفي المراد بكونهم نجسا **ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنهم أنجاس الأبدان، كالكلب والخنزير، حكاه الماوردي عن الحسن، وعمر بن عبد العزيز، وروى ابن جرير عن الحسن قال: من صافحهم فليتوضأ.

والثاني: أنهم كالأنجاس لتركهم ما يجب عليهم من غسل الجنابة، وإن لم تكن أبدانهم أنجاسا، قاله قتادة.

والثالث: أنه لما كان علينا اجتنابهم كما تجتنب الأنجاس، صاروا بحكم الاجتناب كالأنجاس، وهذا قول الأكثرين، وهو الصحيح.

«زاد المسير» (٢/ ٢٤٨).

﴿فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾: كرمه وعطائه.

﴿إِن شَآءَ﴾: (كا) إذ لا مكره له على شيء ما، فجاءهم المطر وأخصبت بلادهم وأغناهم بالجزية، وفتح البلاد وأخذ الغنائم.

﴿حَكِيمٌ﴾: (تا).

ونزل في اليهود والنصارى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ﴾: لا يعتقدون.

﴿دِينَ ٱلۡحَقِّ﴾: أي الإسلام.

وقوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: بيان للذين قبل، **تلخيصه**: قاتلوهم.

﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ﴾: هو الخراج المجعول عليهم من جزى يجزي كقضى يقضي في المعنى والوزن والتصرف.

﴿عَن يَدٖ﴾: قهر من الأخذ.

﴿وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾: (تا) أذلاء مقهورون، فيعطونها من قيام والآخذ جالس، أو تؤخذ وتوطأ عنقه.

﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

القراءة: ﴿عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾: مصروفًا وغير مصروف، وهما على القراءتين مبتدأ وخبر، فمن صرفه جعله اسمًا عربيا، ولأن مكبره ساكن الوسط، فإذا صرف مكبره

فمصغره أولىٰ بالصرف، ومن لم يصرفه جعله اسما أعجميا فلم يصرفه للعجمة والتعريف، أو هو عربي وحذف تنوينه لالتقاء الساكنين التنوين والباء من ابن، أو تجعل عزير مبتدأ وابن صفته والخبر محذوف، أي معبودنا فلا تثبت التنوين في عزير لفظًا، ولا الألف خطًّا؛ لأنَّ الصفة والموصوف كالشيء الواحد، ومتىٰ جعلت ابن خبراً أثبت الألف والتنوين.

﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾: (كا) قالوا: لأنَّه ظاهرًا لا أب له.

ولمَّا لم يكن لهذا القول برهان ولا معنىٰ له ولا تأثير له في القلب قال: ﴿ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾: لأنَّ القول الدال علىٰ معنىٰ لفظه مقول بالفم، ومعناه مؤثر في القلب، وما لا معنىٰ له ولا برهان عليه مقول بالفم حسب، أو القول هنا بمعنىٰ المذهب أي مذهبهم ذلك.

القراءة: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾: بهمزة مضمومة وكسر الهاء، وبضم الهاء من غير همزة لغتان[1]، ضاهأت وضاهيت شابهت، بعضهم: الهمزة من قولهم: امرأة ضهياء علىٰ فعيل همزتها زائدة كهمزة غرقئ، وهي التىٰ ضاهت الرجال في أنها لا تحيض، وأباه بعضهم قال: لأنَّ فعيلا بفتح الفاء وزيادة الياء ليس في الكلام، أو وتقديره يضاهي قولهم ﴿قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ﴾: فحذف قول ثم أقيم هم مقامه، فارتفع بعد أن كان مجرورًا، المعنىٰ: يشابه قول اليهود والنصارىٰ الذين في [زمانك][2] في الشرك قول المشركين قبلك.

﴿قَٰتَلَهُمُ﴾: قتلهم ولعنهم.

﴿ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾: (حس) كيف يصرفون عن الحق بعد قيام البرهان.

---

(١) في حاشية ب: وقرئ بكسر الهاء وهمزة مضمومة بعدها، وهو ضعيف، والأشبه أن يكون لغة في ضاهىٰ، وليس مشتقا من قولهم: امرأة ضهياء؛ لأن الياء أصل والهمزة زائدة، ولا يجوز أن تكون الياء زائدة إذ ليس في الكلام فعيل بفتح الفاء.

(٢) في جـ: زماننا، والمثبت من أ، ب.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ﴾: أي أهل الكتابين، ﴿أَحۡبَارَهُمۡ﴾: علماء اليهود.

﴿وَرُهۡبَٰنَهُمۡ﴾: أصحاب الصوامع من النصارىٰ، ﴿أَرۡبَابٗا﴾: أي هم عندهم كالأرباب لطاعتهم إياهم في معصية الله، وتحريم ما [حرموه](1)، وتحليل ما [حللوه](2).

ابن المبارك:

هل بدّلَ الدِّينَ إلا الملوكُ وأحبارُ سُوءٍ ورهبانُها

وتنصب ﴿وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾: (تا) عطفًا علىٰ ﴿أَحۡبَارَهُمۡ﴾، أي اتخذوه ربًّا.

﴿إِلَّا هُوَ﴾: (حس).

﴿يُشۡرِكُونَ﴾: (حس) [ق/ ١٧٠ ب].

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾: أي يعدموا القرآن وما فيه من الأحكام بتكذيبهم إياه.

﴿وَيَأۡبَى﴾: أي لم يرد.

﴿ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾: إلا إظهار القرآن والعمل به.

﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾: (تا) ﴿بِٱلۡهُدَىٰ﴾: بالقرآن وما فيه التوحيد وغيره.

﴿وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾: الإسلام.

﴿لِيُظۡهِرَهُۥ﴾: أي دين محمد ﷺ بالبراهين.

﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾: علىٰ جميع الأديان، أو المعنىٰ لا يبقىٰ دين إلا دين الإسلام، وذلك عند ظهور المهدي، ونزول عيسىٰ عليه السلام.

﴿ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾: (تا).

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ

---

(١) في جـ: حرموا، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: حللوا، والمثبت من أ، ب.

بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

﴿لَيَأْكُلُونَ﴾: ليأخذون.

﴿ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾: بالرشى في الحكم.

﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: (حس) لأنَّ ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ﴾: **وقرئ**: بضم النون، أي يدخرون ﴿ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾: مبتدأ.

﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾: أي الكنوز، أو الأموال، وخبر المبتدأ ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: (كا).

ابن عمر[١]: كل مال تؤدىٰ زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونًا، وما لم تؤد زكاته فهو كنز وإن كان ظاهرًا.

وأصل الكنز: الجمع وجعل الشيء بعضه فوق بعض، قال ﷺ: «**من آتاه الله مالًا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة بشجاع أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ [بلهزمته]**[٢] **يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا** ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ...﴾ [آل عمران: ١٨٠] الآية»[٣].

قالوا: كان هذا واجبًا قبل وجوب الزكاة، فلمَّا فرضت نسخ بها.

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٨٨).
(٢) في جـ: بلهزمتيه، والمثبت من أ، ب.
(٣) أخرجه البخاري(١٣٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ابن عمر[1]: ما أبالي لو كان لي مثل أحد ذهبًا، أعلم عدده وأزكيه، وأعمل بطاعة الله تعالىٰ فيه.

لا أحب الوقف هنا لأنَّ ﴿يَوۡمَ يُحۡمَىٰ﴾: ظرف العامل فيه ما قبله، وأحبه إن نصبت ﴿يَوۡمَ﴾ باذكر، ومحل (عليها) رفع لقيامه مقام الفاعل، تقديره ومعناه: واذكر يوم تحمىٰ النار علىٰ الأموال، فلمَّا حذفت النار وأقيم الجار والمجرور مقامها وذكر الفعل نحو رفعت إلىٰ الأمير قصة، فإن لم تذكر القصة قلت: رفع إلىٰ الأمير.

﴿فَتُكۡوَىٰ بِهَا﴾: أي تحرق بالكنوز.

﴿جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ﴾: (كا) ظهور كانزيها.

ابن مسعود[2]: لا يوضع درهم علىٰ درهم ولا دينار، بل يوسع جلده حتىٰ يوضع كل درهم ودينار علىٰ حدته.

وخصت الوجوه والجنوب والظهور بالذكر لأنَّ صاحب الكنز إذا رأىٰ الفقير قبض وجهه وولاه ظهره، وأعرض عنه بكشحه[3].

﴿تَكۡنِزُونَ﴾: (تا).

كانت العرب تنسئ الشهور، فربما وقع الحج في رمضان ونزل ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ﴾: المعتد بها للسنة من غير زيادة ولا نقصان.

﴿ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا﴾: وخصت باثني عشر؛ لأنَّهم كانوا ربما جعلوها ثلاثة عشر وأربعة عشر ليتسع لهم الوقت.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٨٨).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٩٠).

(٣) الكشح -بوزن الفلس- : ما بين الخاصرة إلىٰ الضلع الخلفي، وطوىٰ فلان عني كشحه أي قطعني.
انظر: «مختار الصحاح» (ص/ ٥٨٦).

﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: أي في حكمه، أو في اللوح صفة اثني عشر، ولذلك قال ﷺ في حجة الوداع: «**ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهرًا**» (١) [ق/ ١١٦ جـ].

﴿مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٌۚ﴾: (كا) سميت بذلك لتحريم القتال فيها، وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، واحد فرد وثلاثة سرد، المعنىٰ: إنَّ الشهور قد رجعت إلىٰ أول وضعها، وبطل النسيء، وعاد الحج إلىٰ ذي الحجة.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي تحريم الأشهر الحرام.

﴿ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾: (كا) الشريعة المستقيمة دين إبراهيم، وكانوا علىٰ دينه إلىٰ أن غيره بنو كنانة بالنسيئ.

﴿فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ﴾: في الأشهر [الحرم](٢).

﴿أَنفُسَكُمۡ﴾: (كا) فلا تجعلوا حرامها حلالًا، فإنَّ العرب تجعل الهاء والنون للعدد القليل، والهاء والألف للكثير، وربما عكسوا، فعلىٰ هذا جعل بعضهم الضمير في (فيهن) لجميع الشهور عند أكثرهم.

كان القتال في الأشهر الحرم حرامًا فنسخ بقوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةً﴾: مصدر في موضع الحال، أي مجتمعين في جميع الشهور.

﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةً﴾: (كا) وعند بعضهم الغزو في الأشهر الحرم غير منسوخ إلا أن يبدؤوا بالقتال.

﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾: (تا).

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي

(١) أخرجه البخاري (٣٠٢٥)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة ﷺ.
(٢) في جـ: الحرام، والمثبت من أ، ب.

ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

القراءة: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ﴾: مشددًا بلا همز فعيل من أنسأته أخرته، قلبت الهمزة ياءً وأدغمت فيها الياء، وبالمد والهمز وإسكان الياء علىٰ الأصل.

وقرئ: (النسي) كالنهي مخفف النسيء.

والمعنىٰ أن تأخير المحرم إلىٰ صفر ﴿زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾: (حس) لأنَّ الكافر كلما عمل معصية ازداد كفرًا.

القراءة: ﴿يُضَلُّ بِهِ﴾: بالنسئ بفتح الياء وكسر الضاد فالفاعل ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: وبضم الياء، وفتح الضاد مجهولًا.

وقرئ: بضم الياء وكسر الضاد، أي يضل الكافرون أتباعهم، وبفتحهما من ضللت بكسر اللام والهاء في (يحلونه) (ويحرمونه) للنسيء.

المعنىٰ: لم يحلوا شهرًا من الأشهر الحرم إلا حرموا مكانه من الحلال.

﴿ لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ ﴾: أي ليوافقوا عدد ﴿مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾: (حس) من الأشهر الحرم.

تلخيصه: لم يحلوا شهرًا إلا حرموا بعدده.

﴿فَيُحِلُّوا۟﴾: بتحليلهم القتال في الأشهر الحرم.

﴿مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾: (حس) فيها.

القراءة: ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ﴾: (كا) مجهولًا.

وقرئ: (زَيَن) ونصب (سوء) معلومًا.

﴿ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: (تا) .

﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾: تثاقلتم.

وقرئ: بها، وقرئ: ﴿أَثَّـاقَلْتُمْ﴾: بفتح الهمزة استفهام إنكار، المعنىٰ تباطأتم وملتم عن الجهاد.

﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾: (كا) إلىٰ منازلكم وأحببتم الدعة وترك الجهاد، وهذا كان في غزوة تبوك؛ لأنَّها كانت [ق/ ٩٩أ] في عسرة من المسلمين وشدة حر وكثرة عدوّ، والعامل في إذا محذوف دل عليه الكلام، تقديره: ما تصنعون إذا قيل لكم.

ثم قال موبخًا به: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: ولذاتها بدلًا ﴿مِنَ ٱلْآخِـرَةِ﴾: (كا) ونعيمها، ثم قال مبينًا أن لا نسبة بينهما:

﴿فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيـلٌ﴾: (كا) لأنَّ ﴿إِلَّا﴾: ليس باستثناء، وإنما هو شرط دخل علىٰ لا، وتقديره إن [لم][(١)] ﴿تَنفِرُواْ﴾: وقرئ: بضم الفاء، وجواب الشرط ﴿يُعَذِّبْكُمْ﴾: في الآخرة ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: أو يحبس عنكم المطر في الدنيا .

﴿وَيَسْتَبْدِلْ﴾: بكم ﴿قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: خيرًا [وأطوع منكم][(٢)].

﴿وَلَا تَضُرُّوهُ﴾: أي الله تعالىٰ، أو الرسول بترك الجهاد.

﴿شَيْـًٔا﴾: (كا) فإنه موعود بالنصر، ﴿قَدِيرٌ﴾: (كا)

﴿إِلَّا تَنصُـرُوهُ فَقَـدْ نَصَـرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْـرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَـرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُـمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَـقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنـزَلَ ٱللَّهُ سَـكِينَتَهُۥ عَلَيْـهِ وَأَيَّـدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَـرَوْهَـا وَجَعَـلَ كَـلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَـفَـرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَـلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٱنفِـرُواْ خِفَافًا وَثِقَـالًا وَجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا

(١) في جـ: لا، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: منكم وأطوع.

قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾

وجواب ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾: وتقديره: إن لم تنصروه الآن فقد نصره من نصره.

﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾: حال من الهاء، أي أحد اثنين كثالث ثلاثة، أي أحد ثلاثة، والمراد النبي ﷺ وأبو بكر.

وقرئ: ثاني بسكون الياء، أي هو ثاني اثنين، وتبدل من ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ﴾: ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾: هو ثقب في جبل ثور.

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾: بدل ثان لأنَّهما لمَّا دخلا الغار أنبت تعالىٰ شجرة علىٰ بابه، ونسجت عليها العنكبوت، وباضت حمامتان في أسفلها، قال أبو بكر: فنظرت أقدام المشركين فقلت: يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه أبصرنا، وإن تهلك يذهب هذا الدين، فقال: «**ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»(١).

﴿لَا تَحْزَنْ﴾: (كا).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾: بالرعاية والحفظ.

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾: طمأنينته علىٰ أبي بكر [ق/ ١٧١ ب].

﴿وَأَيَّدَهُۥ﴾: أي قوىٰ النبي ﷺ.

﴿بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾: هم الملائكة صرفوا الكفار عن رؤيتهما في الغار، وألقوا الرُعب في قلوب الكفار يوم بدر والأحزاب وحنين.

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: هي دعوتهم إلىٰ الكفر، أو إرادة قتله ﷺ.

﴿ٱلسُّفْلَىٰ﴾: المنخفضة المغلوبة، يتم الوقف هنا علىٰ **القراءة**: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾: هي دعوته إلىٰ الإيمان لا إله إلا الله رفعًا مبتدأ خبره ﴿هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ﴾:

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

(كـا)[الغالبـة][(١)]، وقـرئ: و(كلمـةَ) نـصبًا عطفًـا علـىٰ كلمـة، فـلا وقـف علـىٰ ﴿ٱلسُّفۡلَىٰ﴾.

﴿حَكِيمٌ﴾: (تا).

﴿خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾: مشاغيل وغير مشاغيل، أو نشاطًا وغير نشاط، أو ركبانًا ومشاة، أو فقراء وأغنياء، أو خفافًا من السلاح وثقالًا به، أو عزَّابًا ومتأهلين، أو صحاحًا ومراضًا.

تلخيصه: لا تنوا عن العزو.

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: (كا).

﴿ تَعۡلَمُونَ﴾: (حس).

السديّ: هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ...﴾ [التوبة:٩١] الآية[(٢)].

ونزل في المنافقين: ﴿لَوۡ كَانَ﴾: ما تدعوهم إليه يا محمد.

﴿عَرَضٗا قَرِيبٗا﴾: شيئًا يسيرًا من حطام الدنيا.

﴿وَسَفَرٗا قَاصِدٗا﴾: سهلًا أي ذا قصد كلاين[(٣)].

﴿لَّٱتَّبَعُوكَ﴾: ولم يتخلفوا عنك.

﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾: المسافة الشاقة التي يقصدونها.

وقرئ: بكسر العين والشين.

﴿وَسَيَحۡلِفُونَ﴾: أي المحلفون بالله.

﴿لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا﴾: **وقرئ**: بضم الواو تشبيهًا لها بواو ﴿ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ [البقرة:١٦]، والساد مسد جوابي القسم، ولو ﴿لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ﴾: (كا) إن استأنفت

---

(١) في جـ: العالية، والمثبت من أ، ب.

(٢) انظر «قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن» (ص/ ١١٨).

(٣) في حاشية ب: أي ذو لين.

ولم تجعل ﴿يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ﴾: (كا) باليمين الكاذبة بدلًا من ﴿سَيَحۡلِفُونَ﴾ أو حالًا.

تلخيصه: يضمرون خلاف ما يظهرون.

﴿إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾: (تا) في إيمانهم لأنَّهم كانوا مستطيعين فأذن ﷺ لجماعة من المنافقين في التخلف، فقال تعالىٰ مقدمًا العفو علىٰ العتب تأنيسًا وتطييبًا لقلبه ﷺ: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾: لا وقف هنا لاتصال الكلام، المعنىٰ: محا ذنوبك، أو أدام لك العفو، وفي الكلام محذوف حتىٰ متعلقة به، دل عليه ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾: تقديره هلا أخرتهم.

﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾: في عذرهم من الكاذبين، ولا يجوز تعلق حتىٰ بأذنت؛ لأنَّه يجب أن يكون أذن لهم إلىٰ هذه الغاية.

﴿ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾: (تا).

﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ﴾: (كا) في التخلف.

﴿بِٱلۡمُتَّقِينَ﴾: (تا).

﴿إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ﴾: شكهم ونفاقهم.

﴿يَتَرَدَّدُونَ﴾: (كا) يتحيرون.

تلخيصه: إنما الاستئذان للتخلف عن الغزو مختص بالمنافقين.

﴿۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ

يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

القراءة: ﴿عُدَّةً﴾: وهي ما يحتاج إليه من المتاع والكراع.

وقرئ: بكسر العين، أي آلة تحميهم من العدو.

وقرئ: (عـدة) جمـع عدة علىٰ عدد، ثم أدغم الدال في الدال، ثـم أضـافه إلـىٰ ضمير الخروج.

﴿ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾: خروجهم، ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾: كَسَّلَهم ومنعهم عن الخروج.

تلخيصه: ما خرجوا ولكن ثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم، نحو ما أحسن إلىٰ زيد ولكن أساء.

﴿وَقِيلَ﴾: أي قال لهم النبي ﷺ، أو قال بعضهم لبعض، أو قال لهـم الـشيطان: ﴿ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾: (حس) النساء والصبيان والمرضىٰ.

﴿إِلَّا خَبَالًا﴾: استثناء من الجنس، والمستثنىٰ منه محذوف، تقديره: ما زادوكم شيئًا إلا خبالًا فسادًا بإيقاعهم الفشل بين المؤمنين بتهويل الأمر.

﴿وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ﴾: ظرف لأوضعوا وضع يضع وضعًا أسرع وأوضعته أنا.

وقـرئ: (لأرْقَصُوا) مـن رقـص القلـوص رقصًا وأرقصته أنـا، ولأوقـصوا مـن الوقص الكسر، و(لأوفضوا) بالفاء والضاد المعجمة.

المعنىٰ: لسعوا بالنمائم مسرعين ليوقعوا الشر بينكم، وكتب و(لا أوضـعوا) في المـصحف[1] بزيـادة ألـف، قـالوا: كانـت الفتحـة تكتـب قبـل الخـط العربـىٰ ألفًـا، والخط العربي اخـترع قريبًـا مـن نـزول القـرآن، وقـد بقـي مـن ذلـك الألـف أثـر في الطباع، فكتبوا الهمزة ألفًا وفتحتها ألفًا أخرىٰ نحو لأذبحنه.

---

(١) انظر «المصاحف» لابن أبي داود(ص/ ٢٦٣).

ومحل ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾: يلتمسون لكم ما يفتنكم بغيته الخير والشر التمست له ذلك حال.

﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ﴾: (كا).

﴿لَهُمْ﴾: يسمعون كلامكم، فينمونه ويطيعونهم.

﴿بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (تا).

﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ﴾: هي تفريق شملك بتخذيل الناس وردهم إلىٰ الكفر.

﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾: **وقرئ**: (قلَبوا) مخففًا، أي أجالوا الفكر في إبطال دينك.

﴿حَتَّىٰ جَآءَ﴾: الحق النصر، ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: دينه، ﴿وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾: (كا).

ونزل في الجد بن قيس حين قال له النبي ﷺ: «**هل لك في جلاد بني الأصفر؟**» فقال: إني مغرم بالنساء، وأخشىٰ في أني إن رأيت بنات بني الأصفر ألا أصبر عنهن، فأذن لي في القعود، وأعينك بمالي فأذن له.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي﴾: (حس) ببنات الأصفر، أو لا توقعني في الفتنة بعدم إذنك لي.

وقرئ: بضم التاء من أفتن.

﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ﴾: الإثم أو الشرك.

﴿سَقَطُواْ﴾: (كا) وقعوا.

وقرئ: (سقط).

﴿بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾: (تا).

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم

مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾: نصر وغنيمة في بعض الغزوات ﴿تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾: شدة وهزيمة في بعضها ﴿يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا﴾: بالحزم والاحتياط.

﴿مِن قَبْلُ﴾: أي هذه المصيبة.

﴿وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾: (تا) بمصائب النبي ﷺ بأحد.

القراءة: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ﴾: مخففًا.

وقرئ: بكسر الياء الثانية مشددًا فهو فعيل لا مفعل اجتمعت الواو والياء فقلبت الواو ياء ثم أدغمت فيها الياء؛ لأنَّه من بنات الواو لقولهم الصواب وصاب السهم يصوب ومصاوب بالواو جمع مصيبة وهي القياسية القوية، وجاء المصائب جمع مصيبة ومصوبة ومصاب ومصابة، وهمز المصائب مردود لا أصل له في [الهمز][1]، والمعنىٰ: لن يصل إلينا إلا ما اختصنا الله به.

﴿هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾: (حس).

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: (حس) [ق/ ١١٧ جـ].

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾: تنتظرون.

﴿بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾: أي العاقبتين التي كل واحدة منهما حسنىٰ العواقب، وهي النصر والغنيمة، أو الشهادة والمغفرة.

﴿بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾: هو الصواعق والموت، ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾: (كا) بقتلنا إياكم، ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ﴾: بمواعيد الشيطان.

﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾: (حس) بمواعيد الرحمن بالنصر عليكم.

﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ

(١) في جـ: الهمزة، والمثبت من أ، ب.

كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

ونزل في الجد بن قيس ما هو أمر بمعنىٰ الخبر والشرط: ﴿قُلْ أَنفِقُواْ﴾: في طاعة الله تعالىٰ.

﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾: حال تقديره: إن أنفقتم طائعين أو مكرهين.

﴿لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾: (تا) **القراءة**: ﴿أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ﴾: بالتاء والياء، ومحل إنَّ نصب بدل من هم في منعهم قبل.

وقرئ: (نفقتهم) مفردة، ومحل إنَّ رفع فاعل، المعنىٰ: وما منع قبول نفقاتهم إلا كفرهم.

﴿ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾: **القراءة**: ﴿كُسَالَىٰ﴾: بضم الكاف.

وقرئ: بفتحها بألف وبغير ألف، المعنىٰ: لو اضطروا إلىٰ إتيان الصلاة لأتوها متثاقلين.

﴿كَٰرِهُونَ﴾: (كا) **وقرئ**: (كرهون).

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ﴾: أصل الإعجاب السرور بالشيء سرور متعجب من حسنه راضٍ به، المعنىٰ: لا تمل إليهم، ولا يحسن في عينك.

﴿أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾: (حس) [ق/ ١٧٢ ب] إن أردت أن تعذيبهم [بها][(١)] في الدنيا نفقتهم الأموال علىٰ كره، وأخذ الزكاة منها وموت الأولاد، ولا يحسن إن جعلت الكلام متصلًا، فيكون التعذيب في الآخرة، تقديره: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ﴿ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا ﴾: في الآخرة.

﴿وَتَزْهَقَ﴾: تخرج، ﴿أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾: (كا).

---

(١) سقط من ب، والمثبت من أ، جـ.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿يَفْرَقُونَ﴾: (تا) (حــــن).

﴿مَلْجَأً﴾: كل ما [يلتجأ][(١)] إليه، وكذلك اللجاء مقصور مهموز محرك الجيم.

﴿أَوْ مَغَارَاتٍ﴾: جمع مغارة وهي كالغار.

القراءة: ﴿مُدَّخَلًا﴾: بضم الميم وتشديد الدال مفتعل من الدخول، أي موضعًا يدخلونه.

وقرئ: (مُغارات) بضم الميم و(مَدْخلًا) بضم الميم وفتحها مخففًا، وبضم والتشديد كالمزمل.

﴿لَّوَلَّوْا﴾: وقرئ: (لوالو).

﴿إليه وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾: (حس) يسرعون في إباء، ومنه الفرس الجموح.

وقرئ: (يحمزون).

المعنىٰ: لو يجدون ملجًا عنكم لأسرعوا إليه.

ونزلت فيمن طعن علىٰ النبي ﷺ في إخراجه الصدقة: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ﴾: **وقرئ**: بضم الميم لغتان، ونقلها الفحامي عن نظيف عن قنبل في الحرف وحده، أي يعينك ويطعن عليك.

﴿فِي الصَّدَقَاتِ﴾: **وقرئ**: بضم الياء وكسر الميم من اللمز ويلمزونك من لمز ويلامزونك.

---

(١) في ب: يلجأ، والمثبت من أ، ج.

ولمَّا كانت ﴿إِذَا﴾: للمفاجأة جعلت جوابًا للشرط كالفاء، وهي هنا ظرف مكان، والعامل فيها ﴿يَسْخَطُونَ﴾: (كا)، تقديره إذا لم يعطوا فاجؤوا السخط.

وجواب ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا﴾: إلىٰ ﴿سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾: (كا) محذوف، تقديره: لكان خيرًا لهم.

﴿رَاغِبُونَ﴾: (تا) أن يغنينا عن الصدقات.

﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ ﴾

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾: الشافعي: المسكين أحسن حالًا من الفقير، وأبو حنيفة بعكسه، والشافعي ومالك يمنعان من الصدقات من له ما يكفيه وعياله سنة، وأبو حنيفة: من يملك مائتي درهم.

﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾: هم الجباة يعطون قدر عمالتهم مع غناهم.

الضحاك(١): لهم الثمن.

﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: من يتآلف قلبه ليخلص إيمانه كالأقرع بن حابس، ومن يتقىٰ شره من الكفار، ومن لا يجاهد من المسلمين إلا أن يعطىٰ شيئًا فيعطيهم الإمام ما يراه مما يراه.

﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾: المكاتبون يعطون منها عند الشافعي وأبي حنيفة وأكثر الفقهاء، أو الأسارىٰ تبتاع الرقاب فتعتق عند مالك وأحمد وإسحاق.

﴿وَٱلْغَٰرِمِينَ﴾: هم الذين غلبهم الديون لغير معصية [ق/ ١٠٠أ] ولا وفاء

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦٣)، ونسب هذا القول لمجاهد أيضا.

عندهم، فيُعطون ما يَفُون، وإن ادَّانوا في المعروف وإصلاح ذات البين فيُعطَون ما يُؤدُّون مع غناهم.

﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: هم الغزاة يعطون ما يستعينون به في الغزو من حمولة وزاد وسلاح مع غناهم.

﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المسافر سفرًا مباحًا، فيعطىٰ ما يقطع به سفره إن لم يكن معه، سواء كان في البلد الذي ينتقل إليه مال أو لم يكن.

قتادة(١): ابن السبيل: الضيف.

﴿فَرِيضَةً﴾: مصدر مؤكد، أي فرض الصدقات فريضة.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: (كا) أو حال من الضمير في الفقراء، أي مفروضة.

وقرئ: برفعها، أي تلك فريضة، المعنىٰ: الزكوات مختصة بهؤلاء الأجناس، فالشافعي يوجب صرفها إلىٰ الأصناف علىٰ سواء، لكن يجيز تفضيل بعض الصنف علىٰ بعض، وإن فقد صنف منها رد نصيبه علىٰ بقية الأصناف، وأقل ما يجزئ عنده ثلاثة من كل صنف، وأبو حنيفة يصرفها إلىٰ واحد منها إن شاء، ومالك يجزئها في موضع الحاجة، ويقدم الأولىٰ فالأولىٰ من أهل الحاجة، ولا يعطىٰ أحد أكثر من قدر غناه.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: (حس) وفي الإتيان بهذه الآية اعتراض بين ذكر المنافقين إيذان أنَّهم ليسوا من الأصناف، ولا من المخرجين عليهم [منها](٢)، وأنَّهم عن الخير بمعزل.

ونزل فيمن كان يعيب النبي ﷺ ويقولون: نأتيه ونحلف فإنَّه يصدقنا فإنَّه أذن: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾: أي يسمع كل قيل ويقبله، فكأنَّه لكثرة ملابسته ذلك صار أذنًا سامعة.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٢١).

(٢) في جـ: منهم، والمثبت من أ، ب.

القراءة: ﴿قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٍ لَّكُمۡ﴾: إضافة، أي مبالغ في الخير، فيسمع قول الخير خاصة.

تلخيصه: هو أذن لكنَّه [أذن](١) خير.

وقرئ: (أذنٌ خيرٌ) رفعًا فيهما منونًا مبتدأ وخبر، أي هو أذن هو خير، ويؤكد أنَّه أذن وصفه بقوله: ﴿يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ﴾: يصدق، ﴿لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: خاصة .

القراءة: ﴿وَرَحۡمَةٞ﴾: رفعًا عطفًا على ﴿أُذُنُ﴾، وجرًّا عطفًا على خير، أي أذن خير ورحمة.

وقرئ: بنصب (رحمةً)، هي علة معللها محذوف، تقديره: ورحمة لكم بأذن لكم فحذف لأنَّ ﴿أُذُنُ خَيۡرٍ لَّكُمۡ﴾ يدل عليه.

﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ﴾: (كا) .

ولمن يؤذي رسول الله ﴿عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: (تا).

ونزل فيمن تخلف عن تبوك واعتذر ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ﴾: (كا).

ولمَّا كان رضىٰ الله تعالىٰ رضىٰ نبيه وبالعكس وحد الضمير في ﴿أَن يُرۡضُوهُ﴾: لأنهما في حكم مرضي واحد، أو الهاء للنبي ﷺ وحده، تقديره : فالله أحق أن يرضوه، ورسوله أحق أن يرضوه، فحذف أحق أن يرضوه الأولىٰ لدلالة الثانية عليها، فالله مبتدأ أن يرضوه بدل منه وأحق خبره، أو أن يرضوه ابتداء خبره أحق، وهما خبر الله، وكذلك ﴿وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾.

﴿مُؤۡمِنِينَ﴾: (تا) **القراءة:** ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ﴾: بالياء.

وقرئ: بالتاء خطابًا، ومن شرط مرتفعة محلًّا في ﴿مَن يُحَادِدِ﴾: أي يشاقق ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾.

القراءة: ﴿فَأَنَّ لَهُۥ﴾: فتحًا خبر مبتدأ، أي فجزاؤه أنَّ له، فالفاء جواب الشرط،

---

(١) في جـ: أذان، والمثبت من أ، ب.

ويجوز عطف ﴿فَأَنَّ لَهُۥ﴾ على (فإنَّه) ، فجواب من محذوف، تقديره ألم يعلموا أنَّه من يحادد الله ورسوله يهلك.

وقرئ: بكسر (فإنَّ له) ﴿نَارَ جَهَنَّمَ﴾: استئناف.

﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾: (كا) حال مقدرة.

﴿ٱلْعَظِيمُ﴾: (حس)، والضمير في عليهم وتنبئهم للمؤمنين، وفي ﴿قُلُوبِهِمْ﴾: (كا) للمنافقين، المعنى: المنافقون يحذرون من نزول سورة على المؤمنين تخبر بما يضمرون من النفاق فيفتضحون، وهم مع ذلك يستهزؤون.

﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾: (حس).

ونزل في المستهزئين بمحمد ﷺ والقرآن: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾: أي نتحدث ونقطع الطريق كالسيارة.

﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾: (حس)، ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟﴾: لا تظهروا عذركم.

﴿قَدْ كَفَرْتُم﴾: باستهزائكم.

﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾: (تا) بعد إظهاركم الإيمان، في هذا دليل أن الجد واللعب في كلمة الكفر سواء.

القراءة: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾: بفتح النون.

﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾: بضم النون وكسر الذال ونصب طائفة مفعولًا، ويعف بضم الياء وفتح الفاء، تعذب بتاء مضمومة وفتح الذال ورفع طائفة بناء للمفعول.

وقرئ (نعف عن طائفة) مؤنثًا مجهولًا، وفيه غرابة لإسناد الفعل المؤنث إلىٰ الظرف، لكنه محمول علىٰ المعنىٰ، تقديره: إن ترحم طائفــة.

المعنىٰ: إن نعف عن طائفة منكم بالتوبة، أو بترك الاستهزاء، نعذب طائفة في الدنيا وفي الآخرة.

﴿بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾: (تا) مستهزئين غير تائبين.

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾: في النفاق والدين.

﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾: الكفر والمعصية.

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾: الإيمان والطاعة [ق/ ١٧٣ب].

﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾: عن الإنفاق في طاعة الله تعالىٰ.

﴿نَسُواْ ٱللَّهَ﴾: أي تركوا طاعته.

﴿فَنَسِيَهُمْ﴾: فتركهم من هدايته.

﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: (تا)، في قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: دليل علىٰ خلود المذكورين يؤكده قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائم لا ينقطع، ويؤكده أيضًا أن قابله بمثله بعد في قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾ الآية؛ لأنَّ المؤمنين تخليدهم إجماع، تقف هنا إن رفعت

الكاف من ﴿كَٱلَّذِينَ﴾ خبر مبتدأ، أي أنتم مثل الذين، أو نصبته مفعولًا، أي فعلتم مثل الذين.

ابن مسعود[1]: أنتم أشبه شيء ببني إسرائيل سمتًا وهديًا، تتبعون عملهم حذو القُذَّة، غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا؟

ولا وقف على (مقيم) إن نصبت الكاف صفة مصدر محذوف، تقديره: وعدًا مثل وعد الذين.

﴿مِن قَبْلِكُمْ فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ﴾: الخلاق: النصيب، المعنى: انتفع من تقدمك بنصيبهم من الحسنات في الدنيا بجزاء حسناتهم.

﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم﴾: أيها المنافقون.

﴿بِخَلَٰقِكُمْ﴾: كاستمتاع.

﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى﴾ [ق/ ١١٨ جـ]: أي [كخوض][2] الذين.

﴿خَاضُوٓاْ﴾: (كا).

﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: (تا).

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ
مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن
كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ
سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ
هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾

---

(١) «الكشف والبيان» للثعلبي (٥/ ٦٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٦٨).

(٢) في جـ: خوض، والمثبت من أ، ب.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ﴾: أي المنافقين.

﴿نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: من الكفار.

﴿كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: (تا) .

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾: سرًّا وعلانية.

﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾: (كا).

﴿سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾: (كا).

﴿حَكِيمٌ﴾: (تا).

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾: (كا) بساتين خلد، أو عدن علم بدليل قوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾، أو عدن دار الله لا يسكنها غير النبيين والصديقين والشهداء، يقول تعالىٰ: «**طوبىٰ لمن دخلك**»[1]، أو هي مدينة في الجنة.

﴿وَرِضْوَٰنٌ﴾: أي شيء من رضىٰ الله ﴿أَكْبَرُ﴾: (كا) من ﴿ذَٰلِكَ﴾: كله، ﴿الفوز ٱلْعَظِيمُ﴾: (تا).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾

﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾: بالسيف.

﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾: باللسان.

والواو في ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾: واو الحال، لا أحب الوقف هنا.

﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾: (كا).

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٥٢).

﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾: (حس).

عطاء[1]: نسخت هذه الآية كل شيء من العفو والصفح.

ونزل فيمن سب النبي ﷺ وحلف أنَّه ما سبّ: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ﴾: (كا).

﴿وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾: فاهـوا بها، ﴿وَكَفَرُواْ﴾: أظهروا الكفر.

﴿بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ﴾: بعد إظهارهم إسلامهم.

﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْ﴾: (حس) من الفتك بالنبي ﷺ حين وقفوا له بالعقبة عند عوده من تبوك.

﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ﴾: علىٰ المؤمنين جواب يحلفون؛ لأنَّه بمعنىٰ يقسمون.

﴿إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦ﴾: (كا).

﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرًا لَّهُمۡ﴾: من نفاقهم فتاب الجلاس فقتل مولىٰ له، فأمر له النبي ﷺ بديته اثني عشر ألفًا فاستغنىٰ.

﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾: (كا).

﴿وَلَا نَصِيرٖ﴾: (حس).

﴿ ۞ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٧٦ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ٧٧ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ٧٨ ﴾

ونزل في ثعلبة الأنصاري، أو في غيره حين قالوا: لئن رزقنا مالًا لنصدقن ولنعملن عمل أهل الصلاح: ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: لا أحب الوقف هنا ولا علىٰ ﴿مُّعۡرِضُونَ ٧٦ فَأَعۡقَبَهُمۡ﴾:

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٧٤).

فَصَيَّر تعالىٰ، أو البخل عاقبة [أمورهم][(١)].

﴿نِفَاقًا﴾: ثابتًا، ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾: فلا يؤمنون.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾: هو يوم القيامة بخلفهم عهد الله بأنهم يتصدقون.

﴿وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾: (تا) في يمينهم.

وقرئ: (يكذّبون) مشددًا.

تلخيصه: لا ينفكون عن النفاق حتىٰ الموت قال ﷺ: «**آية المنافق ثلاثة: إذا حدَّثَ كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أخْلَفَ، وإذا ائتُمِن خان**»[(٢)].

القراءة: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾: أي المنافقون وقرئ: بالتاء خطابًا.

﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾: (حس) إن رفعت أو نصبت.

﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾: ذمًّا أو مبتدأ.

وقرئ: بضم الميم، المعنىٰ: يعيبون.

﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾: المتبرعين، ومحل ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: حال من المطوعين.

﴿فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾: متعلق بـ(يلمزون)، والمراد عبد الرحمن تصدق بأربعة آلاف درهم.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾: وقرئ: بفتح الجيم، أي قدرتهم، فالمراد من

---

(١) في جـ: أموره، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تصدق بصاع من تمر [عطف][1] علىٰ المطوعين، أي يعيبون هؤلاء وهؤلاء، ولا تقف علىٰ ﴿ٱلۡغُيُوبِ﴾ إن جررت ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ﴾ بدلًا من الضمير في ﴿سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ﴾، وخبر المبتدأ ﴿فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ﴾: أي من المؤمنين، أو خبره ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ﴾: جازاهم جزاء سخريتهم.

﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: (تا).

﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾: خبر بصيغة الأمر لا أحب الوقف هنا.

﴿إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً﴾: وتنصب سبعين مصدرًا، والعدد يقوم مقام المصدر نحو ضربته عشرين ضربة، ذكر السبعين قطعًا لأطماعهم عن المغفرة علىٰ عادة العرب؛ لأنَّها عندهم مثل الغاية الاستقصاء في العدد، المعنىٰ: استغفرت لهم أو لم تستغفر وإن بالغت في الاستغفار ﴿فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾: (كا) بسبب ﴿بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: (كا).

﴿ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾: (تا).

﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ﴾: المتروكون عن الغزو.

﴿بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾: يقال: أقام خلاف الحي أي بعده.

وقرئ: (خلف)، أو هو من المخالفة وانتصابه حال، أو مفعول له، أي مخالفين أو مخالفة، أو ظرف، المعنىٰ: فرح المتروكون بقعودهم عن تبوك بعد ذهابه ﷺ إليها، لا وقف هنا إلىٰ ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّ﴾: (كا) إلىٰ الجهاد؛ لأنَّ غزوة تبوك كانت في أشد الحر.

﴿قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾: من حر تبوك.

﴿لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ﴾: (كا)، ثم قال تهديدًا بصيغة الأمر:

﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلًا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٢ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ

(١) في جـ: عطفت، والمثبت من أ، ب.

فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

﴿فَلْيَضْحَكُوا۟﴾: في الدنيا، ﴿قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟﴾: في الآخرة ﴿كَثِيرًا﴾.

﴿ يَكْسِبُونَ﴾: (حس).

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ﴾: ردَّك من غزوتـك هذه.

﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾: أي من المنافقين، أو المخلفين؛ لأنَّ منهم من تاب من النفاق واعتذر بعذر صحيح.

﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ ﴾: [إلىٰ][1] غزوة أخرىٰ.

﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَـدُوًّا﴾: (حس) قالوا، وأراه كافيًا لأنَّ ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: تعليل في المعنىٰ.

﴿فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ﴾: (حس) النساء والصبيان.

وقرئ: (الخلفين) علىٰ قصر الخالفين.

لمَّا حضر عبد الله بن أبيّ [ق/ ١٠١أ] الموت بعث إلىٰ النبىٰ ﷺ فدخل عليه فقال: «**أهلكك حبُّ يهودَ**»، فقال: لم أبعث إليك لتؤنبني، بل لتستغفرَ لي، وطلب منه أن يكفنه بثوبه الذي يلىٰ جسده، فكفنه ﷺ دفعًا لمنَّته؛ لأنَّه كان قد كسا العباس لمَّا أُسِرَ يومَ بَدْرٍ قميصًا؛ لأنَّه لم يكن يقدره قميص سوىٰ ثوب ابن أبيّ، وصلىٰ عليه فكُلِّمَ ﷺ في ذلك فقال: «**وما يُغْنِىٰ عنه قميصي وصلاتي، والله إني كنت أرجو أن يسلم به ألف رجل لِما يرون من تبركه به وكان كذلك فنزل** ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾: (حس)، وروي أنَّه ﷺ كان

(١) في جـ: في، والمثبت من أ، ب.

يقوم علىٰ قبور المنافقين ويستغفر لهم قبل[1].

﴿فَٰسِقُونَ﴾: (حس) مات صفة ﴿أَحَدٍ﴾، وقال [ق/ ١٧٤ب]: مات وماتوا ماضيًا ومعناه الاستقبال لأنَّه كائن لا محالة.

﴿وَأَوْلَٰدُهُمْ﴾: (حس).

﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾: (حس).

﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾

﴿مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾: (حس).

﴿مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾: (حس) أدنياء الناس وسفلتهم.

﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾: (حس).

﴿لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾: [الحور][2]، أو الفاضلات من كل شيء.

ابن عباس[3]: لا يعلم معنىٰ الخيرات إلا الله تعالىٰ.

﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: (تا).

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: (كا).

﴿ٱلْعَظِيمُ﴾: (تا).

﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ

---

(١) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ٢٥٥).

(٢) في جـ: الجود، والمثبت من أ، ب.

(٣) انظر: «الكشف والبيان» للثعلبي (٥/ ٨٠).

كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾: هم من يُرىٰ أن لهم عذرًا ولا عذر له، وأصله التقصير من عذر في الشيء قصر فيه وهؤلاء قوم ﴿مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾: اعتذروا ولا عذر لهم.

قتادة[1]: اعتذروا بالكذب.

وقرئ: (المعذُرون) مخففًا، وهم الذين أتوا بالعذر وبالغوا فيه.

﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: (حس) في الاعتذار وادعاء الإيمان عن المجيء إليك، وقرئ: (كذّبوا) مشددًا.

﴿أَلِيمٌ﴾: (تا).

ثم عذر تعالىٰ ذوي الأعذار فقال: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾: الزمنىٰ والمشايخ، ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾: إثم في تخلفهم، ﴿إِذَا نَصَحُوا۟﴾: أخلصوا الإيمان، ﴿لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: (حس) وامتثلوا أمرهما.

﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: في إيمانهم، ﴿مِن سَبِيلٍ﴾: طريق إلىٰ العقوبة، لا أحب الوقف علىٰ ﴿رَّحِيمٌ﴾: لأنَّ ما بعد الجملة عطف علىٰ ﴿ٱلضُّعَفَآءِ﴾، أو علىٰ ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وهو ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾: معك إلىٰ الغزو.

ومن في ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾: للبيان نحو أفديك من رجل، ومحل الجار والمجرور نصب تميز، أي تفيض دمعًا.

وتفيض من الدمع أبلغ من تفيض [دمعها][2]؛ لأنَّ العين جعلت كأنَّها كلها

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤١٧).

(٢) في جـ: دمعا، والمثبت من أ، ب.

دمع، وهؤلاء قوم أتوا النبي ﷺ وطلبوا ما يحملهم عليه ليغزوا معه، فلم يكن عنده، فتولوا باكين.

وتنصب ﴿حَزَنًا﴾: مفعولًا له، ومحل ﴿أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾: (حس) في الجهاد نصب مفعول له العامل حزنًا قبل.

تلخيصه: ليس إلىٰ عقوبة هؤلاء ولا إلىٰ عقوبة هؤلاء سبيل.

﴿۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْۖ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾: علىٰ غيرهم.

﴿مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾: (حس).

﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: (تا) لا وقف من هنا إلىٰ ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: (تا) ويقولون من الكفر والنفاق؛ لأنَّ النبي ﷺ لمَّا رجع من تبوك جاء المنافقون يعتذرون إليه، فأمره الله تعالىٰ ألا يقبل عذرهم.

﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾: (حس).

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْۖ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾

﴿ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: (حس).

﴿ٱلْأَعْرَابُ﴾: هم أهل البدو.

﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾: من أهل الحضر لجفاء قلوبهم، وغلظ طباعهم؛ ولبعدهم عن سماع القرآن ومعرفة السنن.

﴿وَأَجْدَرُ﴾: أحق وأولىٰ، ﴿أَلَّا يَعْلَمُواْ﴾: أي المنافقون [منهم](١).

﴿حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾: (كا) وهـذا في الجد بن قيس وأصحابه.

﴿حَكِيمٌ﴾: (تا).

﴿مَغْرَمًا﴾: غرمًا، وهو ما ينوب الإنسان في ماله من ضرر لغير جناية ، المعنىٰ : إنَّ من أسد وغطفان من لا يرجو بإعطائه ثوابًا إنَّما يعطىٰ خوفًا ورياءً.

﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾: (كا) دوائر الزمان من الهلاك.

﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾: (كا) القراءة: بضم السين بمعنىٰ العذاب، وبالفتح [ق/ ١١٩جـ] بمعنىٰ الفساد، أو الفتح مصدر ساءه سوءًا وضم الاسم، أو هما لغتان وأجمعوا علىٰ فتح سين ﴿ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ و﴿ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ و﴿قَوْمَ سَوْءٍ﴾؛ لأَنَّه ضد قولك: رجل صدق، وليس للسوء هنا معنىٰ من عذاب أو فساد فيضم، [ولذلك](٢) يقال: رجل سوء بالفتح، المعنىٰ: يدور عليهم العذاب والهلاك فيهلكون.

﴿عَلِيمٌ﴾: (تا).

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾: مزينة وجهينة وبنو مقرن.

﴿مَن يُؤْمِنُ﴾: وتنصب ﴿قُرُبَٰتٍ﴾: مفعولًا ثانيًا ليتخذ.

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: ظرف ليتخذ.

---

(١) سقط من ب، والمثبت من أ، جـ.

(٢) في جـ: وكذلك، والمثبت من أ، ب.

﴿وَصَلَوَاتِ ٱلرَّسُولِ﴾: (كا) عطف على ما ينفق، المعنىٰ: يطلب بنفقته ودعوات الرسول التقرب إلىٰ الله ورسوله والمغفرة.

القراءة: ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾: بضم الراء وإسكانها لغتان ﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓ﴾: (كا).

﴿رَّحِيمٌ﴾: (تا) لرفعك.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾: مبتدأ خبره، ﴿ٱلْأَوَّلُونَ﴾: أي السابقون إلىٰ الجنة الأولون إلىٰ الهجرة، الخبر من المهاجرين والأنصار، أي السابقون هم من هؤلاء، وهم من صلىٰ إلىٰ القبلتين، أو أهل بدر، أو أهل بيعة الرضوان، أو جميع الصحابة لهم السبق بصحبة النبي ﷺ، أو أولهم إسلامًا، فمن الرجال أبو بكر، ومن الصبيان عليّ، ومن النساء خديجة، ومن العبيد زيد بن حارثة.

وإن عطفت ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ علىٰ ﴿مَن يُؤْمِنُ﴾ تقديره: ومنهم السابقون، فلا أحب الوقف بينهما إلا ضرورة.

وقرئ: (والأنصارُ) رفعًا عطفًا علىٰ السابقين، وإن رفعت ﴿وَٱلْأَنصَارِ﴾ مبتدأ خبره ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾: فلا بأس بالوقف علىٰ ﴿ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾: هم بقية المهاجرين والأنصار، أو من استن بهم إلىٰ يوم القيامة، أو خبر السابقون.

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾: لطاعتهم، ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾: لإفاضته عليهم الخير.

القراءة: ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾: بزيادة من كما هي في مصاحف مكة، وبحذف من كما هي في غيرها.

﴿أَبَدٗا﴾: (كا).

﴿ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾: (حس).

﴿وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم﴾: خبر مبتدؤه ﴿مُنَٰفِقُونَ﴾: وهم أسلم وأشجع وجهينة وغفار كانوا حول المدينة.

﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ﴾: عطف على ممن خبر المبتدأ، أو من أهل المدينة خبر مبتدأ محذوف ﴿مَرَدُواْ﴾: صفته أي من أهل المدينة قوم مردوا، والجملة عطف على ﴿مُنَٰفِقُونَ﴾ وخبره، ومعنى ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾: تمهروا فيه وعتوا واستمروا عليه ومرنوا، وأصله تجريد الشيء عن غيره، وجميع المتركب من (م ر د) وتعكيسه يشمله معنى الاتصال والقوة.

تلخيصه: جماعة قد استحكم نفاقهم.

﴿لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡ﴾: (كا).

﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾: الأولى فضيحتهم في الدنيا؛ لأنَّه ﷺ قام يوم جمعة خطيبًا فقال: «**اخرج يا فلان ويا فلان فإنَّك منافق فأخرج جماعة من المسجد**»[1]، الثانية: عذابهم في الآخرة، أو هما إقامة الحدود عليهم في الدنيا وعذاب القبر، أو الجوع وعذاب القبر، أو ما يصيبهم في الدنيا والآخرة من البلايا.

﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾: (حس) بأن يخلدوا في جهنم.

ونزل فيمن تخلف ولم يكن منافقًا: ﴿وَءَاخَرُونَ﴾: مبتدأ ﴿ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ﴾: صفته، وخبره ﴿خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾: هو اعتذارهم الصحيح.

﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾: هو تخلفهم عطف على ﴿عَمَلٗا﴾ خلطت الماء واللبن جعلت

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٤١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٧٠).

كل واحد منهما مخلوطًا بالآخر، وإذا قلت: خلطت الماء باللبن جعلت اللبن مخلوطًا بالماء، أو الواو بمعنىٰ الباء؛ لأنَّ الواو للجمع والباء للجمع والإلصاق في قوله: ﴿ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ﴾ دليل علىٰ طلب التوبة، فلذلك قال: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾: (كا).

﴿رَّحِيمٌ﴾: (تا) فجاؤوا النبي ﷺ وقالوا: خذ أموالنا [ق/ ١٧٥ب] التي تخلفنا عنك بسببها فتصدق بها واستغفر لنا، فقال [لهم][1]: «**لم أومر بذلك**» فنزل ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ١٠٦﴾

﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ﴾[2]: وقرئ: (تطهرهم) من أطهر بمعنىٰ طهّر، وتطهرهم جزمًا جواب الأمر، وأجمعوا علىٰ إثبات الياء في: ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡ﴾: ادع لهم واستغفر.

القراءة: ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡ﴾: (كا) طمأنينة هنا مفردًا و نصب التاء، وجمعًا وكسر التاء، و﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ﴾ [هود:٨٧] في هود مفردًا وجمعًا مع رفع التاء.

﴿عَلِيمٌ﴾: (تا).

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: (حس) قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده ما من عبد يتصدق بصدقة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا طيبًا ولا يصعد إلىٰ السماء إلا طيب، إلا كأنما**

---

(١) سقط من ب، والمثبت من أ، ج.

(٢) انظر «تفسير مقاتل بن سليمان» (٢/ ١٩٤).

يضعها في يد الرحمن، فيربيها له كما يربي أحدكم فُلُوَّه، حتىٰ إنَّ اللقمة لتأتي يوم القيامة وإنَّها مثل الجبل العظيم» (١).

﴿تَعۡمَلُونَ﴾: (كا).

القراءة: ﴿مُرۡجَوۡنَ﴾: و﴿تُرۡجِى﴾ في الأحزاب مهموزًا وغير مهموز لغتان بمعنىٰ التأخير، المعنىٰ: وآخرون من المتخلفين التائبين مؤخرون عن قبول توبتهم.

﴿لِأَمۡرِ ٱللَّهِ﴾: فيهم بما يشاء، فتوقف ﷺ في توبتهم.

﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ﴾: إن لم يتوبوا، ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ﴾: (كا) إن تابوا.

﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: (تا) وقرئ: (غفور رحيم) يتم الوقف هنا لرفعك على القراءة

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١١٠﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾: مبتدأ خبره محذوف، أي يعذبون ويحسن على القراءة والذين عطفًا علىٰ ما قبل عطف جملة علىٰ جملة، وكذلك إن نصبت ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾ اختصاصًا، والمتخذون ﴿مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا﴾: أي مضارة، ﴿وَكُفۡرٗا﴾: تقوية للنفاق كانوا اثنىٰ عشر رجلًا بنوا مسجدًا ليضاروا به مسجد قباء، ويوقعوا بين المؤمنين، فقالوا للنبي ﷺ: صلِّ لنا فيه، فقال: **«أنا علىٰ جناح سفر وإن قدمنا إن**

---

(١) أخرجه أحمد(٩٤١٣)، والشافعي في «مسنده» (٤٥٧)، وابن حبان(٢٧٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

شاء الله صلينا لكم فيه»[١].

وكان أبو عامر أبو غسيل الملائكة منافقًا لم يزل يقاتل النبي ﷺ حتىٰ هزم يوم حنين كان قال لهم: ابنوا مسجدًا فإنّي ذاهب إلىٰ قيصر، فأتىٰ بجنود، فأخرج محمدًا وأصحابه من المدينة، فهذا معنىٰ ﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[٢]: أي وإعدادًا لأجل هذا المنافق.

﴿مِن قَبْلُ﴾: أي قبل بناء مسجد الضرار.

﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ﴾ : الفعلة ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: (كا) ببناء هذا المسجد وهي الرفق بالمسكين والضعيف في الليلة الشاتية وشدة الحر، والسعة علىٰ المسلمين.

﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾: (تا) في حلفهم، قالوا: كل مسجد بني مباهاة أو رياء وسمعة أو لغرض غير وجه الله أو بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار، فلمّا خرج ﷺ إلىٰ تبوك سألوه إتيان مسجدهم ليصلىٰ فيه فنزل ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾: (كا) وأخبر بحالهم فأرسل وحشيا بجماعة فحرَّقوا مسجدهم وهدموه، وتفرق أهله، وكانوا فيه، وجعل مكانه كُناسة تلقىٰ فيها الجيف، ومات أبو عامر بالشام طريدًا غريبًا[٣].

﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾: مبتدأ، ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾: من أيام وجوده، وزعم بعض النحاة أنّه لا يجوز دخول من علىٰ ظرف الزمان، ويقول: ذلك مختص بمذ ويقدر هنا محذوفًا، تقديره: من تأسيس أول يوم، وفيه نظر لأنَّ التأسيس ليس بظرف مكان، ولأنَّ من دخلت علىٰ قبل الزمانية في القرآن كثيرًا.

﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾: (حس) مصليًا خبر المبتدأ وهو مسجد رسول الله ﷺ أو قباء .

(١) أخرجه الطبري في « تفسيره» (١٤/ ٤٧١)، وابن أبي حاتم في « تفسيره» (٦/ ١٨٧٨).
(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٩٤).
(٣) أخرجه الطبري في « تفسيره» (١٤/ ٤٧٩).

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾: (كا) بالماء من الأحداث، أو كانوا يتوضؤون بالماء ولا ينامون الليل على الجنابة، أو يتطهرون من الذنوب بالتوبة، في الحديث: أنَّ النبىٰ ﷺ قال: «**يا معشر الأنصار إن الله تعالىٰ قد أثنىٰ عليكم، فما الذي تصنعون عند الوضوء والغائط؟**» قالوا: نُتبِعُ الغائط الأحجار الثلاثة، ثم نُتبِعُ الأحجارَ الماءَ(١).

وقرئ: (يطهروا) مدغمًا.

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾: (تا) [ق/ ١٠٢أ].

القراءة: ﴿أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ﴾ ﴿أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ﴾: بنصب بنيانه معلومًا فيهما، وبرفعه مجهولًا.

وقرئ: (أسس بنيانه) إضافة جمع أساس.

وقرئ: (أساس بنيانه) فتحًا وكسرًا جمع أس و(إساس بنيانه) علىٰ أفعال جمع إس والمراد قواعد البنيان.

والقراءة: ﴿عَلَىٰ تَقۡوَىٰ﴾: غير مصروف لأنَّها فعلىٰ.

وقرئ: بصرفها، فهي ملحقة بجعفر كتترىٰ علىٰ قراءة الصرف.

والقراءة: ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ﴾: بضم الراء وإسكانها لغتان، أي شفير جانب واد؛ لأنَّ الجرف جانب الوادي [المنحفر](٢) أصله بالماء.

﴿هَارٍ﴾: منصدع مشرف علىٰ السقوط، من هار الجرف يهور ويهير: سقط، وأصله هور وهير علىٰ فعل قلبت عينه ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها، فيعرب بالرفع والنصب والجر كيوم راح، وكبش صاف، أصله: روح وصوف، أو أصله

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٤)، والترمذي (٣١٠٠) وابن ماجة (٣٥٧)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٥١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في ب: المنحرف، والمثبت من أ، جـ.

هاور وهاير مقلوب من الثلاثي إلىٰ الرباعي كشاكي السلاح، فوزنه فاعل، ثم أخرت العين فصار فالع، ثم قلبت - الواو ياءً لانكسار ما قبلها، ثم حذفت لسكونها وسكون التنوين، فوزنه الآن فال فجرىٰ مجرىٰ المنقوص في إعرابه.

ومحل ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ﴾: أي سقط معه حال، وفي مصحف أبيّ (فانهارت به) قواعده، ولمَّا جعل الجرف الهائر عبارة عن الباطل مجازًا تجوز عن انهياره.

﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾: (كا) روي أنَّه حفرت بقعة في مسجد الضرار فرؤي الدخان يخرج منها، ويجوز أن يقال: أنَّه لمَّا كان ذلك مفضيًا إلىٰ الانهيار في النار فكأنه قد انهار فيها.

المعنىٰ: أفمن أسس دينه علىٰ أثبت القواعد وهو الإيمان خير أمن أسسه علىٰ أضعف القواعد، وهو الكفر، فيسقط صاحبه في النار.

﴿ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: (تا).

﴿رِيبَةً﴾: شكًّا ونفاقًا.

﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾: (كا).

القراءة: ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ﴾: أي تتصدع وتنفصل.

﴿قُلُوبُهُمْ﴾: (كا) ندمًا علىٰ تفريطهم فيتوبوا [ق/ ١٢٠جـ] بضم التاء ورفع ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ مجهولًا، وبفتح التاء معلومًا.

وقرئ: (إلىٰ أن تقطع).

المعنىٰ: لا يزال بنيانهم شكًّا في قلوبهم إلا أن يتوبوا.

﴿حَكِيمٌ﴾: (تا) لمَّا بايع رسول الله ﷺ الأنصار ليلة العقبة أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا، وأن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأموالهم ولهم إن وفوا بذلك الجنة، فقبلوا وقالوا: لا نقيل ولا نستقيل نزل

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِي

سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[1]: **وقرئ:** (بالجنة).

القراءة: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾: تقديمًا للفاعل على المفعول، وبالعكس بأن قتل بعضهم وقاتل من بقي منهم.

﴿وَعْدًا عَلَيْهِ﴾: مصدر مؤكد ﴿حَقًّا﴾: صفته، المعنىٰ: ما [وعدوا][2] به حق ثابت.

﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾: (حس) فيه دليل علىٰ أنَّ الجهاد كان في شريعة من تقدمنا.

﴿بَايَعْتُم بِهِۦ﴾: (كا).

﴿ٱلْعَظِيمُ﴾: (تا).

عطاء[3]: ثامنهم فأغلىٰ لهم.

الحسن[4]: إنَّ الله أعطاكم الدنيا فاشتروا الجنة ببعضها.

يتم الوقف هنا لرفعك ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾: مدحًا أو مبتدأ خبره محذوف، تقديره:

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٩٨).
(٢) في ب: وعد، والمثبت من أ، ج.
(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٩٨).
(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٩٨).

التائبون الموصوفون [ق/ ١٧٦ب] بهذه الصفات لهم الجنة وإن لم يجاهدوا، نحو ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء:٩٥]، وكذلك إن نصبت التائبين إلىٰ آخرها مدحًا أيضًا، وقرئ: بها، والمراد التائبون من الشرك والنفاق.

﴿ٱلْعَٰبِدُونَ﴾: المخلصون العبادة لله تعالىٰ.

﴿ٱلْحَٰمِدُونَ﴾: في السراء والضراء.

﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾: هم الصائمون سموا بذلك لتركهم اللذات: المطعم والمشرب والمنكح، في الحديث: «**سياحة أمتي الصوم**»(١)، أو هم الغزاة، أو طلبة العلم.

ودخلت الواو في ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾: للإيذان أنَّ السبعة عندهم عقد تام.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: ونزل نهيًا عن استغفار المؤمنين للمشركين: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾: (كا) بأن ماتوا كفارًا.

﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾

ثم بيَّن عذر إبراهيم في الاستغفار لأبيه فقيل: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ﴾: وقرئ: (وما يستغفر إبراهيم) حكاية للحال المستقبلة.

وقرئ: (وما استغفر إبراهيم).

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٤٨٦)، والحاكم(٢٣٩٨)، والطبراني في « المعجم الكبير» (٧٧٠٨)، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ» (١٨٢٨٧) من حديث أبي هريرة ﵁ ولفظه: «إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله عزوجل».

﴿لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾: بقوله: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة:٤]، أو الهاء في إياه لآزر؛ لأنَّه وعد إبراهيم إن استغفر له أن يؤمن.

وقرئ: (أباه) بباء موحدة.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ﴾: أي ظهر لإبراهيم بطريق الوحي أن آزر ﴿عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ﴾: (حس) أضرب عن الاستغفار لأبيه في الدنيا، أو تبرأ منه في الآخرة.

﴿لَأَوَّٰهٌ﴾: كثير التأوه بقوله: آه تضرعًا وخشوعًا، أو دعاء وأصله التردد والرجوع في الشيء.

﴿حَلِيمٌ﴾: (تا) صفوح عمن ناله بسوء.

﴿يَتَّقُونَ﴾: (تا) المعنىٰ: لا يؤاخذ أحدًا علىٰ ذنب لا يعرف بالعقل حتىٰ يوضحه، فإن أوضحه ولم ينته عاقبه عليه.

﴿عَلِيمٌ﴾: (تا).

﴿وَيُمِيتُ﴾: (كا).

﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾: (تا).

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾: إذ أذن للمنافقين في التخلف والمهاجرين.

﴿وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ﴾: أي في وقت.

﴿ٱلْعُسْرَةِ﴾: لم يرد ساعة بعينها، والمراد الذين اتبعوه في غزوة تبوك، ويسمىٰ جيش العسرة لقلة الظهر؛ لأنَّ العشرة يعتقبون علىٰ البعير الواحد والزاد والماء وشدة الحر حتىٰ كادت أعناقهم تنقطع عطشًا، ومنهم من نحر بعيره، واعتصر ماء فرثه فشربه، وجعل فرثه علىٰ صدره.

القراءة: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ﴾: يميل ﴿قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾: من الذين اتبعوه إلىٰ تبوك إلىٰ التخلف بالتاء والياء، وفاعل كاد ضمير الشأن، والجملة بعده نصب، وشبهه سيبويه بقولهم: ليس خلق الله مثله.

وقرئ: (زاغت قلوب).

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ﴾: (كا) تكرير لتأكيد التوبة.

﴿رَّحِيمٌ﴾: (تا).

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾: عن الغزو وهم كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية.

وقرئ: (خلفوا)، أي خلفوا الغازين بالمدينة.

وقرئ: (خالفوا)، وقرئ: (وعلى الثلاثة المخلفين).

﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾: برحبها [مع سعتها][(١)].

﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾: أي قلوبهم لا يسعها أنس، ولا يلحقها سرور لتأخير توبتهم؛ لأنه ﷺ وقف توبة هؤلاء الثلاثة حتى نزلت بعد خمسين يومًا من رجوعه من تبوك.

﴿وَظَنُّوٓاْ﴾: أيقنوا، ﴿أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ﴾: لا معتصم من عذابه.

﴿إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾: (كا) **تلخيصه**: تجاوز عما صدر عن المذكورين.

---

(١) في ب: وسعتها، والمثبت من أ، ج.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: (تا) ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: (تا) الذين صدقوا في إيمانهم، وصدقوا الله نيّة وقولًا وعملًا.

وقرئ: (من الصادقين).

ابن مسعود[1]: لا يصلح الكذب في جد ولا هزل، ولا أن يعد أحدكم صبيَّه ثم لا يفي له، اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

﴿وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦ﴾: أي لا يختاروا بقاء أنفسهم علىٰ بقاء نفسه في الشدائد، بل يصحبوه علىٰ كل حال، ويلقوا أنفسهم بين يديه في كل شديدة.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي النهي عن التخلف ﴿بِأَنَّهُمۡ﴾: أي بسبب أنَّهم ﴿لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ﴾: أي عطش، وقرئ: (ظماء) مدًّا لغتان.

﴿وَلَا نَصَبٞ﴾: تعب.

﴿وَلَا مَخۡمَصَةٞ﴾: جوع، ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا﴾: ولا يدوسون مكانًا من أمكنة الكفار.

﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌ﴾: (كا).

﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: (كا) لأنَّ ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ﴾: تمرة ونحوها.

﴿وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا﴾: بالذهاب والمجيء في الغزو.

﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ﴾: (حس) تلخيصه: لا يضيع لهم عملًا.

أبو حاتم يجعل لام ﴿لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾: (حس) لام قسم، تقديره: والله ليجزينهم الله، فحذفت النون استخفافًا وكسرت اللام وكانت مفتوحة، فأشبهت في اللفظ لام كي، فنصبوا بها كلام كي، ونحوه أكرم يزيد، فجزموا كما جزموا آخر الفعل إذا كان اللفظ أشبه لفظ الأمر، فيحسن الوقف عنده علىٰ ﴿لَهُمۡ﴾ وغيره لا يجوزه لأنَّ ما بعده تعليل.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٦٠).

﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ
فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ
يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ
سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ
كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾

ونزل لمَّا وبخوا علىٰ ترك النفير فلمَّا أرسل رسول الله ﷺ سرية نفروا جميعًا، أو لمَّا أجدبت الأرض وجاءه الأعراب يظهرون الإيمان وطلب الدين: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ﴾[1]: واللام في ﴿ لِيَنفِرُواْ ﴾ لتأكيد النفي، المعنىٰ: إنَّ نفير الكافة عن أوطانهم لطلب العلم والخير بصدق نية وغرض صحيح غير ممكن، وإن أمكن فرضًا فواجب علىٰ كل ذلك، وإذا كان نفير الكل علىٰ ذلك غير ممكن ﴿فَلَوْلَا﴾: فهلا ﴿نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ﴾: جماعة كثيرة، ﴿طَآئِفَةٌ﴾: جماعة يسيرة.

﴿ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ ﴾: أي لم يكن لهم غرض سوىٰ إنذار قومهم وسائر الناس.

﴿إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾: (تا) ليحذروا عقاب الله تعالىٰ لعلمهم أمره ونهيه، أو المعنىٰ فهلا نفر طائفة إلىٰ الغزو ليتفقه المخلفون ويتفرغوا لتحصيل العلم، وينذر المخلفون قومهم النافرين إلىٰ الغزو، وإذا رجعوا إليهم منه فيعلموهم ما علموا من العلم.

﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾: هو عام في قتال الأقرب فالأقرب منهم، أو الروم، أو قريظة، والنضير، أو الديلم .

﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾: شجاعة وشدة وقسوة، وقرئ: بضم الغين وفتحها، فالكسر كالشدة، والفتح كالسخطة، والضم كالضغطة.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي(ص/ ٢٦٣).

﴿مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾: (كا): بالنصر.

﴿فَمِنۡهُم﴾: أي المنافقين.

﴿مَّن يَقُولُ﴾: بعضهم لبعض.

﴿أَيُّكُمۡ﴾: وقرئ: بفتح أيكم على إضمار فعل يفسره ﴿زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗا﴾: يقينًا وتصديقًا، لا أحب الوقف هنا ولا على ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾.

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾: شك ونفاق.

﴿فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا﴾: كفرًا.

﴿إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾: (تا): مع ذلك الكفر.

﴿أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾

القراءة: ﴿أَوَلَا يَرَوۡنَ﴾: بالتاء خطابًا للمؤمنين، وبالياء إخبارًا عن المنافقين [ق/ ١٧٧أ].

﴿أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ﴾: يختبرون.

﴿فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ﴾: بالقحط والشدة والأمراض والأوجاع، أو بإظهار نفاقهم، ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾: من نفاقهم.

﴿وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾: (كا) يتعظون.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ﴾: فيها عيب المنافقين.

﴿نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ﴾: عند تعريض النبي ﷺ بنفاقهم يريدون الهرب يقولون: ﴿هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ﴾: من المؤمنين، ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ﴾: عن مكانهم خارجين.

﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾: عن الهدىٰ، ﴿ لَّا يَفْقَهُونَ﴾: (تا) عن أبيّ[1]: إنّ آخر ما نزل ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: (كا) من جنسكم عربي مثلكم إلىٰ آخر السورة، **وقرئ**: (من أنفَسكم) أي أشرفكم.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ صفة رسول ﴿ مَا عَنِتُّمْ﴾: مبتدأ خبره ﴿عَزِيزٌ﴾، وهما صفة ﴿رَسُولٌ﴾، أو ما مصدرية مرفوعة محلًا بعزيز، وهي صفة ﴿رَسُولٌ﴾، أي رسول عزيز عليه عنتكم، وهو دخول الضيق والشدة عليكم.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾: (حس) لئلا ترجعوا عن اتباعه.

﴿رَّحِيمٌ﴾: (كا).

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾: عن الإيمان وناصبوك.

﴿فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾: كافيَّ وحافظي وناصري، لا معتمد لي ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾: (تا) **وقرئ**: برفع الميم صفة رب.

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٦).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رب يسر

سورة يونس (عليه السلام)

مكية إلا من قوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ....﴾ الثلاث أو آيتين. ابن عباس [ق/ ١٠٣أ]: فيها من المدني ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ....﴾ وهي مائة وتسع أو عشر آيات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾

وبعد ختم التوبة بذكر النبي ﷺ افتتح هذه السورة بما فيه دليل علىٰ صدق نبوته وتفضيله ﷺ فقال: ﴿الٓر﴾: (تا) القراءة: ألر وألمر بالفتح والإمالة وبين بين.

﴿تِلْكَ﴾: أي هذه آيات.

﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: أي القرآن ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾: (كا).

ولمَّا أنكر أهل مكة نبوته وتعجبوا من ذلك نزل إنكارًا عليهم ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾: خبر كان، و﴿لِلنَّاسِ﴾ حال من ﴿عَجَبًا﴾ اسمها ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ﴾: وقرئ:

برفع عجب اسم كان، وهو نكرة وخبرها ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ﴾، والمعنىٰ: عجب أهل مكة من إيحائنا.

﴿إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾: وهو محمد ﷺ واختصاصنا إياه بالنبوة.

وأن في ﴿أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾: مفسرة [ق/ ١٢١جـ] أو مخففة من الثقيلة.

﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾: هو ما قدموه من أعمالهم الصالحة.

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾: (تا) أو هو ما سبق لهم من السعادة، أو شفيع صدق، وهو محمد ﷺ.

القراءة: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾: (تا) بغير ألف، فالمراد القرآن، وبألف فالمراد النبي ﷺ، **وقرئ**: (ما هذا إلا ساحر).

﴿ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: (حس) إن استأنفت.

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: (حس) يقضي أمر الخلائق برزقهم في الدنيا، [وحسابهم][(١)] في الأخرىٰ.

﴿مَا مِن شَفِيعٍ﴾: يشفع لأحد، ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾: (حس) نحو: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨].

﴿ذَٰلِكُمُ﴾: فاعل هذه الأشياء.

﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾: المختص بالعبودية.

﴿فَٱعْبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: (حس) تتعظون.

﴿جَمِيعًا﴾: (كا) وتنصب مصدرين.

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾: (كا) علىٰ القراءة: بكسر ﴿إِنَّهُۥ﴾: استئنافًا.

وقرئ: بفتح (أنه) فلا وقف علىٰ ﴿حَقًّا﴾ ولا ﴿جَمِيعًا﴾؛ لأنَّ المعنىٰ: إليه

---

(١) في جـ: وبحسابهم، والمثبت من أ، ب.

مرجعكم جميعا؛ لأنَّه ﴿يَبۡدَؤُاْ﴾: يخلق، ﴿ٱلۡخَلۡقَ﴾: ابتداء، ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾: ميتًا ثم حيًّا للجزاء.

تلخيصه: من قدر علىٰ ابتداء خلقه قدر علىٰ إعادته.

أبو حاتم: يقف علىٰ ﴿يُعِيدُهُۥ﴾ لجعل اللام في ﴿ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾: (تا) بالعدل لام قسم، وغيره لا يجيزه؛ لأنَّه تعليل عنده.

ثم أومأ إلىٰ فضيلة المؤمنين بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ﴾: ماء حار قد بلغ نهاية الحر.

﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾: (تا)

﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾

القراءة: ﴿ضِيَآءٗ﴾: وبضياء هنا والأنبياء والقصص بهمزتين بينهما ألف؛ لأنَّ ضياء جمع ضوء كسوط وسياط، مصدر وصف به، فياؤه منقلبة عن واو، فأخرت الياء وقدمت الهمزة، فوقعت الياء طرفًا بعد ألف زائدة، فقلبت همزة، فالهمزة قبل الألف لام الكلمة، والتي [بعده](1) عينها، فهي منقلبة عن الياء المنقلبة عن واو وبياء قبل الألف علىٰ الأصل؛ لأنَّ الياء بدل من واو لانكسار ما قبلها، والمعنىٰ: خلق الشمس ذات ضياء، والضياء أقوىٰ النور.

﴿وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا﴾: أي ذا نور.

﴿وَقَدَّرَهُۥ﴾: أي القمر ذا ﴿مَنَازِلَ﴾: وهي الثمانية والعشرون.

(١) في جـ: بعدها، والمثبت من أ، ب.

﴿لِتَعۡلَمُواْ﴾: بذلك، ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَ﴾: (تا) حساب الأشهر والأيام.

﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾: المذكور.

﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾: (حس) إن استأنفت ما بعد.

القراءة: ﴿يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾: بالياء والنون.

﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾: (تا) فيصدقون.

﴿لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ﴾: (تا) وخص المتقون بالذكر لأنَّهم هم المنتفعون بالتفكر في خلق الله تعالىٰ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾: لا يخافون سوء لقائنا لإنكارهم البعث، أو لا يرجون: لا يأملون لقاءنا كالسعداء لأنَّهم كافرون.

﴿وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: بالقليل الفاني بدلًا من الآخرة الكثير الباقي، ﴿وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا﴾: سكنوا إليها، ويجوز أن يقال: اطمأنوا بحطامها، فأحبت نفوسهم المقام فيها، ولا وقف إلىٰ: ﴿يَكۡسِبُونَ﴾: (تا).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠﴾

﴿يَهۡدِيهِمۡ﴾: يرشدهم.

﴿رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾: (كا) هديته الطريق وهديته إلىٰ الطريق، المعنىٰ: يجعل لهم نورًا يهتدون به يوم القيامة بسبب تصديقهم، يكفي الوقف هنا إن أستأنفت ولم تجعل ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾: الجملة حالًا من ضمير ﴿يَهۡدِيهِمۡ﴾.

﴿دَعۡوَىٰهُمۡ﴾: دعاؤهم وقولهم: ﴿فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾: عما لا يليق بعظمتك وجلالك، أو دعواهم: عبادتهم، كقوله: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم:٤٨]، ولا عبادة ثَمَّ تكليفًا، بل تلذذًا.

روي أنَّهم يُلهمون التسبيح كما يُلهمون النفس، أو سبحانك اللهم علامة بينهم وبين خدمهم إذا طلبوا شيئًا قالوه.

﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾: (حس) أي يحيي بعضهم بعضًا بالسلام، أو تحييهم الملائكة، أو يأتونهم به من ربهم.

﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾: بعد التسبيح.

﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: وأن مخففة من الثقيلة فيها معنىٰ الشأن.

﴿ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

ونزل لمَّا استعجل المشركون العذاب ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ﴾: مفعول يعجل.

﴿ٱسْتِعْجَالَهُم﴾: أي تعجيلًا مثل استعجالهم.

﴿بِٱلْخَيْرِ﴾: فحذف تعجيلًا وصفته، وأقيم المضاف إليه مقامه.

القراءة: ﴿لَقُضِىَ﴾: بفتح القاف والضاد، ونصب ﴿أَجَلُهُمْ﴾: مفعولًا، المعنىٰ: لأماتهم الله، وبضم القاف وكسر الضاد ورفع ﴿أَجَلُهُمْ﴾ مجهولًا، المعنىٰ: لو عجلنا لهم ما دعوا به من الشر كما نعجل لهم ما طلبوا من الخير لهلكوا.

تلخيصه: لا نفعل إلا ما نريد، وكفىٰ الوقف هنا لأنَّ ﴿فَنَذَرُ﴾: عطف علىٰ محذوف؛ لأنَّ ولو تعجل فيه معنىٰ نفي التعجيل، تقديره: نمهلهم فنذرهم.

﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾: مع إسباغ النعم عليهم استدراجًا.

﴿يَعۡمَهُونَ﴾: (تا) ويمتنع عطف فنذر علىٰ يعجل؛ لأنَّ التعجيل لم يقع [ق/ ١٧٨ب]، وتركهم في طغيانهم قد وقع.

﴿لِجَنۢبِهِۦٓ﴾: حال بدليل عطف الحالين بعده عليه وهما ﴿أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمًا﴾: (كا) المعنىٰ دعانا في جميع حالاته؛ لأنَّ الإنسان لابد له من اضطجاع أو قيام أو قعود.

ومحل ﴿كَأَن﴾: أي كأنَّه.

﴿لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥ﴾: (كا) حال من ضمير ﴿مَرَّ﴾، المعنىٰ: بعد كشف ضره رجع إلىٰ حاله الأول، وترك الدعاء، وأهمل جانب الله تعالىٰ.

﴿يَعۡمَلُونَ﴾: (حس).

﴿لَمَّا ظَلَمُواْ﴾: ظرف لأهلكنا، والواو في ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: بالشواهد الدالة علىٰ صدقهم للحال.

﴿وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ﴾: (كا) : عطف علىٰ ﴿ظَلَمُواْ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي﴾: وقرئ: بالياء.

﴿ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾: (كا) المشركين بتكذيبهم محمدًا ﷺ.

﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ﴾: خطاب للذين بعث إليهم ﷺ.

﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾: من بعد المهلكين.

﴿ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾: (كا) وكيف نصب بتعملون لا بننظر، قال ﷺ: «**إنَّ الدنيا خَضِرَةٌ وَإنَّ الله مستَخلِفَكُم فيها لينظُرَ كيفَ تعملون**»(١).

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ
كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا
يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

كان القرآن ينزل عليه ﷺ بذم الأصنام وعابديها فقالوا له: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ﴾: لا تذم فيه آلهتنا.

﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾: (حس) اجعل مكان آية رحمة آية عذاب وبالعكس، أو مكان حرام حلالًا وبالعكس.

﴿قُلْ مَا يَكُونُ﴾: ما ينبغي ولا يجوز.

﴿لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ﴾: جهة ﴿نَفْسِىٓ﴾.

تلخيصه: لا اختيار لي في شيء ما.

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾: (حس).

﴿عَظِيمٍ﴾: (تا).

القراءة: ﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم﴾: بألف من دريت: علمت عطفًا على ﴿تَلَوْتُهُۥ﴾، فهو عطف نفي على نفي، تقديره: لو شاء الله ما تلوت عليكم القرآن، ولا أعلمكم به، ولتركتكم على كفركم، ولأدراكم بغير ألف، فاللام جواب لو المضمرة، تقديره: لو شاء الله ما تلوته عليكم، ولو شاء لأعلمكم على لسان غيري لكنه مَنَّ عليَّ بالرسالة.

وقرئ: (ولا أدرأكم) على لغة من يقول: أرضأته في أرضيته، ولا أنذرتكم به من الإنذار، روى الفراء: (ولا أدرأتكم) بالهمز قلبت الألف همزة كلبأت بالحج، أو من درأته دفعته.

﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾: ظرف أي مدة عمر، وهو أربعون سنة.

﴿مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾: (كا) من قبل نزول القرآن.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: (تا) أنَّه ليس من قبلي أوحي إليه علىٰ رأس أربعين، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة، ثم هاجر إلىٰ المدينة فأقام عشر سنين، ومات ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة.

﴿بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾: (كا) بمحمد ﷺ والقرآن.

﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: (حس).

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: (تا).

﴿وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: (كا).

القراءة: ﴿يُشْرِكُونَ﴾: (تا) هنا والموضعين في أول النحل والروم بالياء والتاء.

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: علىٰ دين الإسلام.

﴿فَٱخْتَلَفُوا۟﴾: (حس) تفرقوا أديانًا مختلفة.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: أنَّه لا يعذب أحدًا إلا بأجله.

﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾: بتعجيل العذاب وتمييز المحق من المبطل.

﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: (حس).

﴿وَيَقُولُونَ﴾: أي أهل مكة.

﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ﴾: من الآيات التي تقترحها.

﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾: نزولها، أو قضاء الله بيننا بإظهار المحق من المبطل.

﴿مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾: (حس).

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا﴾: كفار مكة.

﴿رَحْمَةً﴾: راحة.

﴿مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ﴾: شدة، أو خصب بعد جدب، وجواب إذا ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ﴾: استهزاء وتكذيب، ﴿فِىٓ ءَايَاتِنَا﴾: (حس) بقولهم: رزقنا بكذا وسقينا بنوء كذا.

ولمَّا كانت إذا الثانية للمفاجأة والمفاجأة تدل علىٰ الإسراع قال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾: (حس) أخذًا وعقوبة.

ثم أومأ إلىٰ عدم الإهمال فقال: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾: حفظتنا، ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾: (تا) وقرئ: يمكرون بالياء غيبة.

القراءة: ﴿يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ﴾: علىٰ الظهر والأقدام.

﴿وَٱلْبَحْرِ﴾: علىٰ السفن من التسيير، وبالنون والشين من النشر: البث.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾: السفن الواحد والجمع سواء.

وقرئ: الفلكي نسبة كخارجي وأحمري، أو المراد الماء الذىٰ تسير فيه الفلك وهو اللج، ثم رجع من الخطاب إلىٰ الغيبة مبالغة في تعريف أنعمه عليهم فقال: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾: أي السفن بالناس، ﴿وَفَرِحُوا۟ بِهَا﴾: بالريح وجواب إذا ﴿جَآءَتْهَا﴾: أي السفن أو الريح، ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾: شديدة، ولم يقل عاصفة لاختصاص الريح بالعصوف، أو تذكر الريح وتؤنث.

﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: لم يدعوا أحدًا سواه، ويقولون: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾: الشدة.

﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: (حس) لله تعالىٰ.

﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿يَبْغُونَ﴾: يتطاولون علىٰ الناس، ويفسدون ﴿ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾: (تا).

﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾: أي وباله راجع عليكم.

ابن عباس(١): لو بغىٰ جبل علىٰ جبل لدُكَّ الباغي.

قال ﷺ: «أسرع الخير ثوابًا صلة الرحم، وأعجل الشر عقابًا البغي، واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع» (٢)، وقال: لا تمكر ولا تعن ماكرًا ولا تنكث ولا تعن ناكثًا» (٣).

وروي: «اثنتان تعجلهما الله تعالىٰ في الدنيا البغي وعقوق الوالدين».

وقال: «ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر» (٤) [ق/ ١٢٢ جـ].

القراءة: ﴿مَّتَٰعَ﴾: نصبًا مصدر، أي يمتعون متاع.

﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: فيتم الوقف علىٰ (أنفسكم)؛ لأنَّ ﴿بَغْيُكُمْ﴾ مبتدأ خبره ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾، ولا وقف علىٰ ﴿أَنفُسِكُم﴾ إن نصبت ﴿مَّتَٰعَ﴾،

---

(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان» (٦٦٩٣) عن محمد بن إسحاق من قوله.

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط» (١٠٩٢)، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٩٦٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الثعلبي في « الكشف والبيان» (٨/ ١١٦) عن الزهري مرسلا.

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٨١) عن مكحول من قوله .

بـ﴿بَغْيُكُمْ﴾مفعولًا له، أي بغيكم لأجل متاع الحياة، ورفعًا خبر مبتدأ محذوف، فيتم الوقف على ﴿أَنفُسِكُمْ﴾، وإن رفعته خبر ﴿بَغْيُكُمْ﴾ فلا وقف على ﴿أَنفُسِكُمْ﴾.

﴿تَعْمَلُونَ ۝٢٣ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾: أي اختلط بسبب المطر، ﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾: واشتبك بعضه في بعض.

ومحل ﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾: حال من النبات [ق/ ١٠٤أ].

﴿زُخْرُفَهَا﴾: زينتها وحسنها [وظهر](١) الزهر.

﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾: بالزهر والنبات.

وقرئ: (وازينت) مخففًا، وازيانت كابياضت.

﴿قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾: متمكنون من تحصيل ثمارها.

﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾: قضاؤنا.

﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾: أي زرعها.

﴿حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ﴾: لم تقم.

﴿بِٱلْأَمْسِ﴾: (حس) بالزمان الماضي لا الذي هو قبل يومك.

وقرئ: (يغن) بالياء [غيبة](٢).

﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾: (تا).

﴿إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾: الجنة لسلامتهم فيها.

﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾: (تا).

﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٦ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ

(١) في أ: وطهر بالطاء المهملة، والمثبت بالظاء المعجمة من ب، ج.

(٢) سقط من ب، والمثبت من أ، ج.

أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾: المثوبة، ﴿وَزِيَادَةٞۖ﴾: (كا) ما يُزادون من الثواب والمنازل [الرحاب](١)، أو النظر إلىٰ ربهم ثَمَّ.

﴿وَلَا يَرۡهَقُ﴾: لا يغشىٰ، ﴿وُجُوهَهُمۡ﴾: لا يغشىٰ وجوههم.

﴿قَتَرٞ﴾: غبار وكرب.

﴿وَلَا ذِلَّةٌۚ﴾: كآبة وكسوف.

﴿خَٰلِدُونَ﴾: (تا) إن لم تعطف ما بعد علىٰ ما قبل وترفع ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: مبتدأ خبره ﴿مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ﴾: ألبست ﴿وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا﴾: القراءة: بفتح الطاء جمع قطعة، وبإسكانها أي جزءًا واحدًا.

﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ﴾: (كا) حال العامل فيها ﴿أُغۡشِيَتۡ﴾.

﴿ خَٰلِدُونَ ﴾: (تا).

﴿مَكَانَكُمۡ﴾: ظرف مبني لوقوعه موقع الأمر وهو ألزموا، وفيه مرفوع، ﴿أَنتُمۡ﴾: تأكيده ﴿وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ﴾: عطف عليه، المعنىٰ: ألزموا أنتم [ق/ ١٧٩ب] وشركاؤكم مكانكم، لا تبرحوا حتىٰ ننظر في أمركم.

وقرئ: (وشركاءكم) نصبًا، فالواو بمعنىٰ مع.

﴿فَزَيَّلۡنَا﴾: فرقنا، وقرئ: (فزايلنا).

﴿بَيۡنَهُمۡۖ﴾: (كا) بعد اجتماعهم في الموقف ويتبرء كل معبود ممن عبده إلا الله تعالىٰ.

﴿مَّا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ﴾: (كا) إنما عبدتم الشياطين حيث أطعتموهم.

---

(١) في جـ: الرحائب، والمثبت من أ، ب.

﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

﴿لَغَٰفِلِينَ﴾: (حس) المعنىٰ: يقول المعبودون لعابديهم: ما كنا عن عبادتكم إلا غافلين.

القراءة: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟﴾: بتاء وياء من البلوىٰ والاختبار، وبتاءين من التلاوة والاتباع، المعنىٰ: يوم القيامة تختبر.

﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾: وتتبع، ﴿مَّآ أَسْلَفَتْ﴾: قدمت من العمل كما يختبر الرجل الشيء ويتبعه ويعرف حقيقته.

وقرئ: (نبلو) بنون وباء، ونصب ﴿كُلُّ﴾ أي نختبر نحن.

﴿مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾: ربهم حقيقة، والمتولي جزاؤهم.

وقرئ: بنصب (الحقَّ) مدحًا نحو الحمد لله أهل الحمد.

﴿وَضَلَّ﴾: غاب، ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾: (تا) من الكذب وشفاعتهم لهم.

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: المطر، ﴿ وَٱلْأَرْضِ ﴾: النبات.

﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾: من يملك خلقهما وما أودع فيهما من الحكم.

﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: أي أمر جميع العالم جاء بالعموم بعد الخصوص.

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: (حس) عقابه فتسلمون.

﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ

أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

﴿فَذَٰلِكُمُ﴾: أي الفعال لهذه الأشياء، ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾: الذي لا ريب في صحته، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾: لا واسطة بينهما.

﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾: (حس) عن الحق إلىٰ الباطل.

القراءة: ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: هنا وآخرها وفي الطول مفردًا وجمعًا، المعنىٰ: وجب حكمه السابق في الفاسقين كفرًا.

﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: (تا).

ولمَّا كانت الدلالة علىٰ الإعادة بعد الموت ظاهرة لا يدفعها إلا مكابر قال: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾: أي معبوديكم.

﴿مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ... فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: (حس) تصرفون عن الهدىٰ.

﴿مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾: (كا).

﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ﴾: (كا) يقال: هديته للحق وإلىٰ الحق، واستعمل هنا اللغتين.

القراءة: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ﴾: بفتح الياء والهاء وتشديد الدال من اهتدىٰ يهتدي أدغموا التاء في الدال بعد نقل حركتها مفتوحة إلىٰ الهاء، أو حركت الهاء لالتقاء الساكنين، وكذلك التعليل مع اختلاس فتحة الهاء تخفيفًا، وبفتح الياء وإسكان الهاء مخففًا من هدىٰ يهدي غيره، أو من هدىٰ بمعنىٰ اهتدىٰ كشرىٰ بمعنىٰ اشترىٰ، وبفتح الياء وكسر الهاء مشددًا مبالغة؛ لأنَّه أدغم التاء في الدال ولم يلق حركتها علىٰ الهاء، فاجتمع ساكنان، فكسرت الهاء لالتقاء الساكنين، وكذلك التعليل مع كسر الياء مع التشديد إتباع للهاء، وجاء بمن لأنَّهم عبدوهم فجروا مجرىٰ العقلاء.

المعنىٰ: الذي يهدي إلىٰ الحق أحق بالاتباع أم الصنم المعبود الذي لا حراك ولا انتقال له؟

﴿إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰ﴾: ينتقل من مكان إلىٰ مكان.

وقرئ: (يهدّىٰ) مشددًا مبالغة.

تلخيصه: أيترك الهادي حقيقة ويتبع المضل؟!

﴿فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾: (تا) هذا الحكم الفاسد.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ
هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن
رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ
صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ
كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ﴾: في عبادة الأصنام وقولهم: إنَّها آلهة.

﴿إِلَّا ظَنًّا﴾: (كا) من غير تحقيق، إنَّما قلدوا آباءهم.

﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي﴾: لا يدفع، ﴿مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ﴾: (كا) ولا يقوم الظن مقام التحقيق.

﴿يَفۡعَلُونَ﴾: (تا).

﴿وَمَا كَانَ﴾: وما صح.

﴿هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ﴾: خبر كان، أي وما كان هذا القرآن افتراءً.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ﴾: مفعول له، أي أنزل القرآن لتصديق.

﴿ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾: أي قبله من الكتب كالتوراة والإنجيل.

﴿وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: أي تبيين أحكامه مفعول له أيضًا.

وقرئ: (تصديقُ) و(تفصيلُ) رفعًا، أي ولكن هو تصديق وتفصيل.

﴿مِن رَّبِّ﴾: متعلق بتصديق وما بينهما اعتراض، أو بمحذوف، أي ولكن أنزل من رب.

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ﴾: أي بل يقولون.

﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾: اختلق محمد القرآن.

﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾: شبه القرآن في الفصاحة والإعجاز على وجه الافتراء لأنكم عرب مثلي، فمثله بدل من سورة.

وقرئ: (بسورة مِثلهِ) إضافة أي سورة كتاب مثله.

﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾: من العالم ليعينوكم على ذلك.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: (كا).

ثم بين عجزهم بقوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾: المعنى: بادروا إلى تكذيب القرآن قبل فهمه.

﴿ولَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾: (كا) ولا يجئهم ما يؤول إليه أمره من الإعجاز، فيظهر صدقه من كذبه.

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (حس).

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَمِنْهُم﴾: من المكذبين.

﴿مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾: سيؤمن بالقرآن.

﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾: (حس) أبدًا .

﴿بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾: (حس) المشركين.

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾: (حس).

﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾: (حس) فمن حملها على

ظاهرها نسخها بآية السيف، ومن تأولها بالجزاء فثابتة؛ لأنَّ الجزاء ثَمَّ يكون[(١)].

ثم سلَّىٰ نبيه ﷺ، وأعلم أن لا هادي إلا الله بقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن﴾: أي [أناس][(٢)]، ﴿يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾: حين تقرأ استهزاء وسخرية بقراءتك.

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ﴾: أي تفهم، ﴿ٱلصُّمَّ﴾: شبههم بالصم لعدم انتفاعهم بما يسمعون.

﴿وَلَوْ كَانُواْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: (حس) جمع الضمير في ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ نظرًا إلىٰ معنىٰ من ووحده في ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾: (كا) تعجبًا منك بأبصارهم دون بصائرهم نظرًا إلىٰ لفظها.

﴿أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُواْ لَا يُبْصِرُونَ﴾: (تا) وقرن عدم العقل بعدم السمع، وبعدم البصر عدم الإدراك تفضيلًا لحكم الباطن علىٰ الظاهر.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

﴿أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: (تا) بالمعصية.

القراءة: ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾: بالنون والياء.

ومحل ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾: حال أي نحشرهم مشبهين من لم يلبث في الدنيا، أو قبورهم لشدة ما يلقون.

﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾: فكان مخففة اسمها محذوف، أي كأنَّهم، وساعة ظرف ليلبثوا، ومحل ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾: (حس) يعرف بعضهم بعضًا بعد

---

(١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لابن حزم (ص/ ١٦).

(٢) في جـ: ناس، والمثبت من أ، ب.

الخروج من القبور حال مقدرة؛ لأنَّ التعارف بعد الحشر يكون، أو مبينة لكأن لم يلبثوا؛ لأنَّ التعارف إنما يكون ساعة، يحسن الوقف هنا إن استأنفت ما بعد، وإن قدرت محذوفًا منصوبا حالًا من (يتعارفون) لم يجز، تقديره يتعارفون بينهم قائلين.

﴿قَدْ خَسِرَ﴾: المكذبون ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾: (حسن).

وجواب ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾: محذوف.

وجواب ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾: تقديره: وإن [نُرِكَ][1] بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك، وإن نتوفينك ولم نرك شيئًا فنحن نريكه في الآخرة.

﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾: (حس) فيجازيهم عليه، وثم بمعنىٰ الواو، أو لترتيب الأخبار نحو زيد قائم ثم هو كريم، وليس التأخير عجزًا بل للإيذان أنَّه تعالىٰ قادر عليهم في كل آنٍ.

تلخيصه: إن لم تر في أعدائك ما يسرك هنا فستراه ثَمَّ.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: (كا) لا يعذبون بغير حجة تلزمهم.

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿وَيَقُولُونَ﴾: استهزاء.

﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾: بقيام الساعة.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: (حس) أيها المؤمنون في ذلك.

---

(١) في جـ: نرينك، والمثبت من أ، ب.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: (حس) أن يقدرني عليه استثناء منقطع [ق/ ١٨٠ب].

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: (كا) مدة معلومة.

﴿فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ﴾: عنها ﴿سَاعَةً وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾: (تا).

﴿أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوۡ نَهَارًا﴾: ظرفان، أي أتاكم عذابه وقت بياتكم وهو الليل، ووقت يقظتكم وهو النهار، والبيات بمعنىٰ التبييت، كالسلام بمعنىٰ التسليم، والشرط متعلق بـ﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾ وجوابه محذوف، أي تندموا، أو جوابه ﴿مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾: (تا) ونحو إن أتيتك ماذا تعطيني؟ والشرط وجوابه متعلق بـ﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾، يتم الوقف هنا إن لم تجعل جواب الشرط ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾: أي العذاب ويكون ﴿مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ اعتراضًا، ودخول الاستفهام علىٰ ثم كدخوله علىٰ الفاء في ﴿أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾ [الأعراف:٩٧].

تلخيصه: إن أتاكم عذابه ﴿ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾: بالله تعالىٰ، أو بمحمد ﷺ، أو بعذاب عند نزوله قيل لهم: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ﴾: تؤمنون، ﴿وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾: (كا) استهزاء.

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: عطف علىٰ ﴿ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾، قيل لهم هذا القول توبيخًا؛ لأنَّها ليست حال استدراك لمَّا فات، فلذلك وقف علىٰ ﴿تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾.

﴿بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾: (تا).

﴿۞ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ﴾: أي يستخبرونك.

﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾: أي ما ينذرهم به من البعث والعذاب.

وقرئ: (أحقُّ هو) ﴿قُلْ إِى وَرَبِّيٓ﴾: أي نعم والله.

﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾: جمع بين الإيجاب والقسم تأكيدًا.

أبو حاتم: يقف على ﴿أَحَقٌّ﴾، وأبو بكر: على ﴿وَرَبِّيٓ﴾، وغيرهما على ﴿إِى﴾، وجوز الوقف على ﴿هُوَ﴾.

القتيبي: أي بمعنى بل، ولا يأتي في القسم إلا صلة، وتكون إي بمعنى نعم في القسم خاصة، كهل [ق/ ١٢٣ جـ] بمعنى قد في الاستفهام خاصة، يتم الوقف هنا إن استأنفت ما بعد وإن جعلت ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: (كا) بفائتين داخلًا فيما وقع [عليه القسم][1]، فلا وقف على ﴿لَحَقٌّ﴾.

﴿ظَلَمَتْ﴾: أشركت صفة [نفس][2].

﴿مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾: (كا) بذلته مقابلة نجاتها، يقال: فداه فافتدى، وافتداه بمعنى فداه.

﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ﴾: أظهروها لأنه ليس بيوم تصبر، أو أخفوها عجزًا عن النطق بها لشدة الأمر، أو أخفاها الرؤساء خوفًا من لوم الضعفاء ثَمَّ.

﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾: أي حكم بين الخلائق.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: (تا).

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: (حس).

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: (تا).

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: (تا) فيثيب ويعاقب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ

---

(١) سقط من ب، والمثبت من أ، جـ.

(٢) في جـ: نفسي، والمثبت من أ، ب.

لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ
﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ﴾: كتاب فيه بيان ما يجب لكم وعليكم.

﴿وَشِفَآءٌ﴾: دواء، ﴿لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾: من العقائد الفاسدة.

﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: (تا).

﴿بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾: بالإسلام والقرآن، أو بالعكس.

﴿فَبِذَٰلِكَ﴾: أي بالفضل والرحمة.

﴿فَلْيَفْرَحُوا۟﴾: تقديره بفضل الله [ق/ ١٠٥أ] وبرحمته فليفرحوا، فبذلك فليفرحوا، كرر تأكيدًا، ثم حذف أحد الفعلين لدلالة الآخر عليه، فالفاء الأولىٰ مرتبطة بما قبلها، وجيء بالثانية [لمعنىٰ][1] الشرط، كأنَّه قيل: إن فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح، أو الثانية متعلقة بمحذوف، أي:فليعتنوا بذلك فليفرحوا، نحو:زيدًا فاضربه، أو الأولىٰ زائدة.

وقرئ: (فلتفرحوا) بالتاء و(فافرحوا).

القراءة: ﴿مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾: (حس) بالتاء والياء.

﴿أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: فما نصب بـ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾، أو بأنزل أي خلق.

﴿لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾: من زروع وضروع.

﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾: (حس) المراد ما حرموه من السائبة والوصيلة والحام.

﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾: متعلق بـ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾، المعنىٰ: أخبروني آلله أذن لكم في هذا

(١) في جـ: بمعنىٰ، والمثبت من أ، ب.

التحليل والتحريم؟

﴿أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾: (حس) تكذبون بنسبة ذلك إليه، أم منقطعة والهمزة للإنكار، وهذه الآية من أبلغ الزواجر عن التجوُّز فيما يسأل عنه في الحكم، وباعثة على الاحتياط فيه، ومن لم يحتط في الحكم فهو مفترٍ.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: (حس) نصب بالظن، أي:وأي شيء ظنٍ المفترين يصنع بهم يوم القيامة، وقرئ: و(ما ظنَّ) فعلًا ماضيًا، أي: وأي شيء ظن المفترون؟

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾: بإمهالهم وقبول توبتهم.

﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾: (تا) أنعمه عليهم.

﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾

﴿وَمَا تَكُونُ﴾: يا محمد، ﴿فِى شَأْنٍ﴾: حال وقصد، شأنت شأنه: قصدته.

﴿وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ﴾: أي من الله أو من الشأن، أو من التنزيل.

﴿مِن قُرْءَانٍ﴾: وأضمر ﷺ قبل الذكر تفضيلًا له، ثم جمع مع أمته تفضيلًا لهم في قوله: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾: (تا) في العمل، أو في القرآن.

القراءة: ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾: بضم الزاي وكسرها لغتان، أي ما يغيب، ﴿عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾: أي نملة صغيرة ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾.

القراءة: ﴿وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾: أي الذرة، ﴿وَلَآ أَكْبَرَ﴾: برفعهما عطفًا على موضع من [ومعمولها][(١)]؛ لأنَّ موضعه رفع بيعزب، وفتحًا عطفًا على لفظ الذرة

(١) في ب: ومعموله، والمثبت من أ، جـ.

أو مثقال؛ لأنَّ أصغر وأكبر لا ينصرفان للزوم من لهما، وأفعل إذا اتصل به من كان صفة وإذا كان صفة لم ينصرف نكرة، فلا وقف على السماء لأجل العطف، وإن استأنفت ولا أصغر الآية ورفعته ابتداء وفتحته على نفي الجنس وقفت على ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾.

والاستثناء في ﴿إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾: (تا) منقطع، ويجوز أن يكون متصلًا مستثنىٰ من (يعزب)، ويكون معنىٰ ﴿يَعْزُبُ﴾ يبين ويصدر، المعنىٰ: لم يصدر عن الله تعالىٰ شيء بعد خلقه إلا وهو في اللوح.

تلخيصه: كل مخلوق مكتوب، ويجوز أن يقدم ويؤخر، تقديره: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ إلا في كتاب مبين، ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ إلىٰ ﴿وَلَآ أَكْبَرَ﴾.

تلخيصه: ما من شيء إلا وهو في اللوح، ونحن نشاهده في كل آن.

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: في الآخرة وإلا فهم أشد خوفًا وحزنًا [في الدنيا من غيرهم](1)، وهم الذين إذا رؤوا ذكر الله، والمراد السمت نحو ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ [الفتح:١٢٩]، أو أنَّ علامة أولياء الله أنَّ همومهم مع الله، وشغلهم بالله، وفرارهم إليه، فنوا في أحوالهم ببقائهم في مشاهدة مالكهم، فتوالت عليهم أنوار الولاية، فلم يكن لهم عن نفوسهم إخبار، ولا مع أحد غير الله قرار، وهم المتحابون في الله، قال ﷺ: «**إنَّ لله عبادًا ليسوا بأنبياءَ ولا شُهداءَ يغبطُهم النبيون والشهداءُ يومَ القيامةِ لمكانِهم من الله**»، قيل: يا رسول الله من هم لعلنا نحبهم؟ قال: «**رجال يتحابون من غيرِ أرحامٍ بينهم ولا أموالٍ [يتعاطونها]**(2)**، فوالله إنَّ وجوهَهم لنورٌ، وإنَّهم لعلىٰ منابر من نورٍ، لا يخافون إذا خافَ الناسُ، ولا يحزنون إذا حَزِنَ الناسُ**» (3).

---

(١) في جـ: من غيرهم في الدنيا، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: يتعاطون بها، والمثبت من أ، ب.

(٣) أخرجه ابن حبان (٥٧٣)، وأبو يعلىٰ (٦١١٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٩٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وهذا مبالغة والمعنىٰ لو فرض قوم بهذه الصفة لكان هؤلاء، وإلا فلا خلاف أنَّ أحدًا من غير الأنبياء لا يبلغ منزلة الأنبياء، وقال ﷺ عن الله تعالىٰ: «**إنَّ أوليائي من عبادي الذين يُذكَرون بذكري وأذكَرُهم بذكرِهم**»[(١)]، أو أولياؤهم الموصوفون بما بعد، يتم الوقف هنا إن لم تجعل ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾: صفة أولياء، ونصبته أو رفعته مدحًا أو مبتدأ خبره ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾، وإن جعلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صفة ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ فلا وقف [ق/ ١٨١ب] علىٰ ﴿يَحْزَنُونَ﴾، ويتم علىٰ ﴿يَتَّقُونَ﴾ لأنَّك تبتدئ ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: هي الرؤيا الصالحة يراها الإنسان أو تُرَىٰ له، أو الثناء الحسن.

قال **أبو ذر**: يا رسول الله الرجل يعمل لنفسه [ويحبه][(٢)] الناس، قال: «**تلك عاجل بشرىٰ المؤمن**»[(٣)]، أو هي بشارة الملائكة لهم عند الموت [بالمسار][(٤)]،أو هي ما يرد عليهم من فوائد المعاملة ولطائف الحكمة ﴿وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ بالجنة والرضوان، وإعطائهم كتبهم بأيمانهم .

﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾: لا تُغَيَّرُ لعداته.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي التبشير.

﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: (تا).

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٥٨٨)، والطبراني في «المعجم لأوسط» (٦٥١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٦) من حديث عمرو بن الجموح رضي الله عنه.

(٢) في جـ: ومحبة، والمثبت من أ، ب.

(٣) أخرجه مسلم(٢٦٤٢) .

(٤) في جـ: بالمسارة، والمثبت من أ، ب.

فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ
وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ
بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

﴿وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡ﴾: يتم الوقف هنا وتختار لاستئنافك ﴿ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ ﴾، كأنه قال: فمالي لا أحزن، فقيل: ﴿إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ﴾: حال لأنَّ الكفار لو قالوا: إن العزة لله لم يكونوا كفارًا، ولمَّا حزن ﷺ إلا أن يقولوه استهزاءً، وقرئ: بفتح (أنَّ)أي لأنَّ، فلا وقف أيضًا على ﴿قَوۡلُهُمۡ﴾.

﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾: (تا).

وجاء بـ﴿من﴾ في ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾: (حس) تغليبًا للعقلاء، وما نافية في ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ﴾: (كا) آلهة، المعنىٰ: وما يتبعون حقيقة الشركاء وإن سموهم شركاء؛ لأنَّ شركة الله في الربوبية محال، فشركاء نصب بـ﴿يتبع﴾، تقديره: وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء، فحذفت الأول لدلالة الثاني عليه، أو ﴿مَا﴾ استفهام نصب بـ﴿يتبع﴾، أي: أيّ شيء يتبع؟ فشركاء نصب بيدعون، وقرئ: (تدعون) خطابًا أي أيّ شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبين، فإنهم لا يدعون إلا الله، فكونوا مثلهم.

﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾: أي المشركون، ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: أي ظنهم أنَّ آلهتهم تقربهم إلىٰ الله تعالىٰ.

﴿وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾: (تا) يحدسون ويكذبون.

﴿وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا﴾: (كا) مضيئًا تبصر فيه مطالب الأرزاق.

﴿لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾: (تا) يعتبرون فيعلمون أن لا إله إلا هو فيؤمنون.

﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾: (حس) تنزيهه عن الولد.

﴿هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾: (حس) عن الولد وغيره، وإنما يتخذ الولد المحتاج إليه.

﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: (كا).

﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾: (تا) برهان.

﴿بِهَٰذَآ﴾: القول، والباء متعلقة بما عندكم، ثم نفىٰ عنهم البرهان بقوله: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: (تا) فيه دليل أن كل قول لا برهان عليه جهل وليس بعلم.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾: (كا) لأنَّ تقديره افتراؤهم.

﴿مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنْيَا﴾: بلغة يسيرة بنيل رئاستهم ولذتهم ثم تزول.

﴿يَكْفُرُونَ﴾: (تا).

﴿كَبُرَ﴾: ثقل.

﴿عَلَيْكُم مَّقَامِى﴾: بين ظهرانيكم، أو قيامي واعظًا لكم، ﴿وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: وتحذيري بأدلته.

والفاء في ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾: جواب إذ قال، وفاء ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ﴾: أي فأحكموه في إهلاكي من الإجماع، عطف علىٰ الجواب.

﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾: أي آلهتكم، أي مع شركائكم، أو ادعوا شركاءكم.

وقرئ بها، وقرئ: (فأجمعوا) من الجمع و(شركاؤُكم) رفعًا عطفًا علىٰ الضمير في فأجمعوا، وجاز عطفه من غير تأكيد لطول الكلام.

﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ﴾: في قصدي بالإهلاك، ﴿عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾: خفيًّا، بل جاهروني به، أو غمه غمًّا وكربًا، أي بادروا إلىٰ إهلاكي ولا تضيق صدوركم بلبثي بينكم، يقول هذا احتقارًا بهم واستصغارًا لشأنهم، ثم بالغ في احتقارهم بقوله: ﴿ثُمَّ

ﵟٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّﵞ: أي امضوا ما في أنفسكم من إهلاكي، وأوصلوه إليّ نحو ﵟوَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِﵞ [الإسراء:٤].

وقرئ: بالفاء، أي انتهوا إليَّ بما تريدون من الشر أو من القضاء، أي أبرزوا ما في أنفسكم واعملوا به.

ﵟوَلَا تُنظِرُونِﵞ: (تا) لا تمهلون.

تلخيصه: اقصدوا إهلاكي بكل طريق سريعًا، فلا خوف عندي لوثوقىٰ بالله تعالىٰ.

ﵟ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٧٢ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٧٣ﵞ

ﵟفَإِن تَوَلَّيۡتُمۡﵞ: عن تذكيري.

ﵟفَمَا سَأَلۡتُكُمﵞ: علىٰ ذلك، ﵟمِّنۡ أَجۡرٍﵞ: شيئًا من حطام الدنيا فتنفروا عني.

ﵟإِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَﵞ: (كا) الذين لا يأخذون الأجر علىٰ التعليم.

ﵟفَكَذَّبُوهُﵞ: استمروا علىٰ تكذيبه.

ﵟثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦﵞ: أي بعد نوح، ﵟرُسُلًاﵞ: كإبراهيم وهود ولوط وشعيب.

ﵟإِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِﵞ [ق/ ١٢٤ جـ]: المثبتة لدعواهم، ﵟفَمَا كَانُواْﵞ: أي القوم، ﵟلِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْﵞ: أي قوم نوح، ﵟبِهِۦﵞ: بنوح، تقديره: فما كان

قوم الرسل الذي بعد نوح ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح، أي بمثله، أو المعنىٰ فما كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل بعثة الرسل إليهم؛ لأنَّهم كانوا كفارًا مكذبين قبل ذلك، واستمروا علىٰ كفرهم.

تلخيصه: ما ازدادوا بمجيء الرسل إلا عنادًا.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿ٱلْمُعْتَدِينَ﴾: (كا).

﴿مِنۢ بَعْدِهِم﴾: أي بعد الرسل.

﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: التسع.

﴿مُّجْرِمِينَ﴾: (كا).

﴿مُّبِينٌ﴾: (كا).

﴿لَمَّا جَآءَكُمْ﴾: (حس) تقديره: أتقولون للحق لمَّا جاءكم أنَّه سحر لدلالة إن هذا لسحر عليه، أو تقديره: أتقولون للحق لمَّا جاءكم هذا اللفظ، وهو أنَّ هذا السحر.

ثم قال منكرًا عليهم: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾: خبر ومبتدأ، ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾: (حس): [المعنىٰ][1] أيكون سحرًا وقد أفلح من جاء به.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ

(١) سقط من ب، والمثبت من أ، جـ.

ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

﴿لِتَلۡفِتَنَا﴾: اللفت والفتل واحد: أي لتصرفنا ﴿عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا﴾.

القراءة: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ﴾: أي الملك؛ لأنَّ الملوك موصوفون بالكبر والتعظيم بالتاء والياء.

﴿وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ﴾: (تا) بمصدقين.

﴿عَلِيمٖ﴾: (كا).

﴿مُّلۡقُونَ﴾: (كا).

﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ﴾: (حس) علىٰ **القراءة:** ﴿ٱلسِّحۡرُ﴾: مدًّا استفهامًا، فما استفهام محلها نصب بمحذوف، تقديره أي شيء أتيتم وجئتم به تفسير لأتيتم، ثم ابتدأ السحر هو، أو محلها رفع ابتداء وجئتم به خبره شيء والسحر بدل من موضع ما بدل استفهام من استفهام، فلا وقف علىٰ ﴿بِهِ﴾ وغير جايز علىٰ **القراءة:** أيضًا بقصر السحر؛ لأنَّ ما موصولة مبتدأ ﴿جِئۡتُم بِهِ﴾ صلته ﴿ٱلسِّحۡرُ﴾ خبره، فيكفي الوقف علىٰ ﴿ٱلسِّحۡرُ﴾.

وقرئ: (ما جئتم به سحر).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ﴾: (حس) سيمحقه.

﴿ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾: (كا).

﴿وَيُحِقُّ﴾: أي ويثبت، ﴿ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: بأحكامه.

وقرئ: (بكلمته)، أي أمره وقضائه.

﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾: (كا).

﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا

بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾: بالمعنىٰ لم يصدق موسىٰ إلا أولاد من أولاد بني إسرائيل؛ لأنَّه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفًا من فرعون، فأجابه الأبناء.

﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾: أي ملأ الذرية، ولم يؤنث؛ لأنَّ الذرية قوم، فذكر علىٰ المعنىٰ.

تلخيصه: آمنوا وهم يخافون من فرعون وقومهم، أو هم في ملئهم [ق/ ١٠٦أ] لفرعون، لأنَّه كان عظيمًا في نفسه فخوطب بالجمع، أو المراد بفرعون آله كثمود اسم للقبيلة، أو الضمير في ﴿قَوْمِهِۦ﴾ لفرعون، فالذرية: امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته ومؤمن من آل فرعون، أو من آمن من القبط.

ومحل ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾: (حس) يقتلهم جر بدل من ﴿فِرْعَوْنَ﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: (تا).

﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾: (كا) [ق/ ١٨٢ب] شرط الإسلام مع التوكل؛ لأنَّ الإسلام لا يكون مع التخليط.

﴿تَوَكَّلْنَا﴾: (حس) اعتمدنا ثم ابتدووا داعين: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (تا) المعنىٰ: لا تفتنهم بقتلنا لأنَّهم يقولون: لو كانوا علىٰ الحق ما أصيبوا.

﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: (تا).

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾

﴿أَن تَبَوَّءَا﴾: مصدر في محل [نصب][(١)] بأوحينا قبل، أي اتخذا مباءة أي منزلًا.

﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ﴾: المعروفة، أو الأسكندرية.

﴿بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾: مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة؛ لأنَّ فرعون كان قد أمر بني إسرائيل بتخريب بيعهم، وألا يظاهروا بعبادتهم، فأمروا باتخاذ مساجد في بيوتهم يصلون فيها سرًّا.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أتموها، وهذا ينبئ أنَّ الصلاة كانت مفروضة عليهم دون الزكاة، ولعل ذلك لفقراهم.

﴿وَبَشِّرِ﴾: يا موسىٰ، ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: (حس) بخيري الدنيا والآخرة.

﴿زِينَةً﴾: كلما يتزين به من متاع الدنيا.

ابن عباس[(٢)]: كانت لهم من فسطاط مصر إلىٰ أرض الحبشة جبال فيها معادن ذهب وفضة وياقوت وزبرجد.

وقوله: ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ﴾: (كا) دعاء بلفظ الأمر، يوضحه ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾: **وقرئ**: بضم الميم، وأصل الطمس المحو وإزالة الأثر، قالوا: حولت نفقاتهم وأموالهم كلها حجارة، ويكون الرجل مع امرأته فيمسخان حجرين، وفي اللام معنىٰ التعليل، كأنَّه قال: أوتوا ليضلوا.

﴿وَٱشْدُدْ﴾: واختم، ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: (كا) لئلا يدخلها الإيمان، وأصل الشد الاستيثاق، وإنَّما دعا عليهم بعد الإنذار وعلمه أن لا سبيل إلىٰ إيمانهم.

﴿فَلَا يُؤْمِنُواْ﴾: عطف علىٰ ﴿لِيُضِلُّواْ﴾، فهو منصوب وما بينهما اعتراض، أو علىٰ ﴿ٱطْمِسْ﴾ و﴿وَٱشْدُدْ﴾ فهو مجزوم.

---

(١) في جـ: النصب، والمثبت من أ، ب.

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٨/ ٣٧٣).

﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾: (حس).

﴿أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾: أي دعاؤكما يا موسىٰ وهارون؛ لأنَّ أحدهما كان يدعو والآخر يؤمن؟

وقرئ: (دعواتكما) و(دعاؤكما)، و(أجبت دعوتكما) نصبًا إخبارًا عن الله تعالىٰ، وكان بين الإجابة والدعوة أربعون سنة.

﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾: (كا) علىٰ تبليغ الرسالة وإيضاح الدلالة إلىٰ أن يأتيهم العذاب، أو الاستقامة في الدعاء، ألا ترىٰ الإجابة مكرًا واستدرجًا، [وتأخيره](1) طردًا وإبعادًا.

القراءة: ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ﴾: بتشديد التاء، **وقرئ**: بتخفيفها.

القراءة: بتخفيف النون وكسرها لالتقاء الساكنين كنون التثنية وتشديدها ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: (تا) أمر الله تعالىٰ.

﴿۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةًۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿بَغْيًا وَعَدْوًا﴾: مفعول له، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾: أي قاربه، أو في نفسه: ﴿قَالَ ءَامَنتُ﴾: (حس) علىٰ القراءة باستئناف ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: وغير جائز علىٰ **القراءة**: بفتح أنَّه معموله ﴿ءَامَنتُ﴾.

﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: (حس)، وكرر معنىٰ الإيمان ثلاث مرات حرصًا علىٰ القبول، فلم يقبل منه لأنَّه فرط قبل، ولم يكن وقت قبول، أو لم يقله مخلصًا

(١) في جـ: وتأخيرهم، والمثبت من أ، ب.

[فعند][١] ذلك دس جبريل في فيه من حمأة البحر لعلمه أنَّه لا يؤمن، قال: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ﴾: تؤمن.

﴿وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾: (كا) الضالين المضلين.

ومعنىٰ ﴿نُنَجِّيكَ﴾: نجعلك علىٰ نجوة، أي مكان مرتفع من الأرض، أو من النجاة.

وقرئ: بالحاء أي نجعلك ناحية رماه الماء بعد غرقه علىٰ الساحل قصيرًا أحمر كأنَّه ثور، فتيقن بنو إسرائيل موته.

ومحل: ﴿بِبَدَنِكَ﴾: بجسدك حال أي عاريًا، أو ببدنك كاملًا سويًا من غير نقص، أو ببدنك بدرعك كانت له درع مشهورة.

وقرئ: (بأبدانك) أي بدروعك.

﴿لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ﴾: بعدك، ﴿ءَايَةٗ﴾: (كا) علامة تظهر لهم بها عبوديتك من ربوبيتك، لأنَّك لو كنت ربًّا لمَّا غرقت، ويعتبر بها من بعدك، فلا يقدم علىٰ ما أقدمت عليه من الكفر وادعاء الربوبية.

وقرئ: بالقاف لأنَّه ادعىٰ الربوبية، فعلم بإغراقه أنَّه عبد، [وخاطبه كخطاب][٢] النبي ﷺ أهل القليب.

﴿لَغَٰفِلُونَ﴾: (تا).

﴿بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: بعد إهلاك فرعون.

﴿مُبَوَّأَ صِدۡقٖ﴾: منزل كرامة ورفق وهو مصر والشام.

﴿مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: (كا).

﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ﴾: أي اليهود في دينهم، أو في أمر النبىٰ ﷺ.

---

(١) في ب: فبعد، والمثبت من أ، جـ.

(٢) في جـ: وخاطب، والمثبت من أ، ب.

﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ﴾: (كا) فبعض قال: هو هو، وبعض: ليس هو، وغيَّروا صفته مع معرفتهم صدقه وصفته.

﴿يَخۡتَلِفُونَ﴾: (حس).

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ٩٤ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٩٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٩٦ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٩٧﴾

ثم قال خطابًا للنبي ﷺ والمراد غيره: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾: من القرآن وشرائع الإسلام.

﴿فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: أي التوراة، ﴿مِن قَبۡلِكَ﴾: (حسن): لأنَّهم أهل علم ودراية وهم عامة اليهود، أو عبد الله بن سلام، وفيه نظر؛ لأنَّ السورة مكية، وابن سلام أسلم بالمدينة، أو قيل له ﷺ ذلك على سبيل الفرض، ولهذا قال ﷺ في الجواب: «**لا أشك ولا أسأل، بل أشهد أنَّه الحق**»[(١)].

ابن عباس[(٢)]: لا والله ما أشك ولا طرفة عين، ولا أسأل أحدًا منهم.

والمعنى: فسلهم وإن كانوا أعداءك كيف وصفك ونبوتك في كتابهم، فهو أنشر لفضلك، وأثبت لحجتك عليهم.

﴿لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ﴾: الذي لا شك فيه وهو القرآن.

﴿مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾: (كا) الشاكين.

﴿مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾: (تا).

﴿ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ﴾: وجبت.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٧٩)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٠٢).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٠٣).

﴿عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: أنهم يموتون كفارًا، وهي «**هؤلاء للنار ولا أبالي**»(١).

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: (تا).

﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾: سألوها وأنَّث: فعل كل لإضافته إلىٰ مؤنث ﴿ٱلْأَلِيمَ﴾: (كا).

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿فَلَوْلَا﴾: فهلا، وقرئ بها.

المعنىٰ: لم يكن ﴿قَرْيَةٌ﴾: من القرىٰ الهالكة ﴿ءَامَنَتْ﴾ عند معاينة العذاب.

﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾: نصب استثناء متصل؛ لأنَّ المراد أهالي القرىٰ، أو منقطع.

وقرئ: (قوم) رفعًا بدل، فيكون إلا صفة، ولم ينصرف يونس لعجمته وتعريفه، وإن قيل باشتقاقه فلتعريفه، ووزن الفعل المختص.

تلخيصه: ما ارتفع العذاب بعد نزوله عن أحد إلا عن هؤلاء.

﴿لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ﴾: الذل والهوان.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: (تا) إلىٰ انقضاء آجالهم؛ لأنَّ قوم يونس كانوا بنينوىٰ من أرض الموصل، فبعث إليهم يونس، فكذبوه فقيل له: أخبرهم أنَّ العذاب مصبحهم بعد ثلاث، وروي بعد أربعين، فلمَّا جاء الميعاد تغشاهم العذاب، وكان مرتفعًا علىٰ

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٦٩٦)، وابن حبان(٣٣٨)، والحاكم(٨٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ١٦٩) حديث(٤٣٥) من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي ﵁.

رؤوسهم قدر ميل، أو غشىٰ مدينتهم، واسودت سطوحهم، فلمَّا رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك، فلبسوا المسوح، وبرزوا إلىٰ الصحراء بأنفسهم ونسائهم ودوابهم، وفرقوا بين كل والد وولده، فحن بعضهم إلىٰ بعض، وعجُّوا وتضرعوا، واختلطت أصواتهم، وفعلوا ذلك ليكون أرقَّ لقلوبهم، وأخلص للدعاء، وأقرب إلىٰ الإجابة، وترادُّوا المظالم حتىٰ كان الرجل يقلع الحجر قد وضع عليها بنيانه فيرده [ق/ ١٨٧ب]، وقالوا: آمنا بما جاء به يونس، أو قال: يا حي حين لا حي ويا حي محي الموتىٰ، ويا حي لا إله إلا أنت، أو قالوا: اللهم إنَّ ذنوبنا قد عظمت وجلَّت، وأنت أعظم منها وأجلُّ، افعل بنا ما أنت أهله، ولا تفعل بنا ما نحن أهله، فكشف عنهم العذاب.

ثم أومأ تعالىٰ إلىٰ أنَّه لا مُكرِه إلا هو بقوله: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾: (تا) [ق/ ١٢٥جـ] ليس ذلك إليك، ﴿إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾: (حس) بعلمه وتوفيقه.

القراءة: ﴿وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ﴾: الخذلان لأنَّه سبب الرجس وهو العذاب بالنون والياء إخبارًا عن الله تعالىٰ.

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾: (تا).

﴿مَاذَا﴾: مبتدأ خبره ﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾: (كا) من الدلالات الدالة علىٰ الوحدانية.

و(ما) استفهامية، أو نافية في: ﴿وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ﴾: **وقرئ**: بالياء غيبة.

﴿عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾: (كا) السابق علمه تعالىٰ بموتهم كافرين.

﴿مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: (كا).

﴿مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾: (كا).

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن

كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ
مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن
دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾

القراءة: بتشديد ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا﴾: **وقرئ**: بتخفيفها:

القتيبي: يعلق ﴿كَذَٰلِكَ﴾: بما قبلها ويقف عليها، المعنىٰ: ننجي المؤمنين مثل نجاة الرسل، ويبتدئ ﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾: وأكثرهم يأبىٰ هذا ويعلق ﴿كَذَٰلِكَ﴾ بما بعدها.

القراءة: ﴿نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: (تا) مخففًا من أنجا، ومشددًا من نجىٰ.

﴿إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾: يا أهل مكة وصحته فانظروا فيه، فإنّي أبينه لكم وهو أنّي لا: ﴿أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: وهي الأصنام.

﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾: فهل يدل هذا علىٰ فساد ديني أم علىٰ صلاحه؟ ومع ذلك فقد: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، لا وقف هنا؛ لأنَّ ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾: عطف علىٰ و﴿أَنْ أَكُونَ﴾ فكأنَّه عطف مصدر علىٰ مصدر، وسوغ سيبويه أن توصل أن بالأمر والنهي؛ لأنَّ الأمر والنهي دالان علىٰ المصدر دلالة غيرهما من الأفعال، والمعنىٰ: كن مؤمنًا وأخلص عملك لله.

﴿حَنِيفًا﴾: حال من الدين.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: (حس).

﴿مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (كا) الضارين بأنفسهم، أو الظالم من طلب نفعه ممن لا يملك نفع نفسه، واستدفع الضرر ممن لا يملك الدفاع عن نفسه.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ
بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ
فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ

مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾: (كا).

﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾: (كا).

﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾: أي بالمذكــور، وهو الضر والنفع.

﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾: (كا).

﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ﴾: فلم يبق لكم عذر ولا عليه تعالىٰ حجة.

﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾: اختار الهدىٰ إلىٰ ﴿عَلَيْهَا﴾.

تلخيصه: إنما يقع هداكم وضرر ضلالكم مختصان بنفوسكم.

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: (حس) المعنىٰ: لست مكلفًا حفظ أعمالكم، إن عليَّ إلا البلاغ.

ابن عباس[1]: نسختها آية القتال والتي بعدها، وهي: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾: بينك وبين الكفار وينصرك عليهم، ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: (تا).

بعضهم: الصحيح أن ليس هنا نسخ.

---

(١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص/ ٥٢٦).

سورة (هــود)

مكية إلا ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ....﴾ الآية أو ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ...﴾ وقوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ...﴾ وهي مائة واثنان أو ثلاث وعشرون آية .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾﴾

فبعد ختم يونس بالأمر بنفي الشرك، وثبوت الإيمان، والعمل بمقتضاه، واتباع الموحىٰ، والصبر علىٰ ذلك افتتح هذه السورة ببيان الموحىٰ، وتفصيله والمنع من الشرك والتحذير منه فقال: ﴿الٓر﴾: (تا).

﴿كِتَـٰبٌ﴾: خبر مبتدأ محذوف صفته ﴿أُحْكِمَتْ﴾: أي منعت، ﴿ءَايَـٰتُهُۥ﴾: عن الفساد والتغير والتناقض، ونظم نظمًا محكمًا لا يقع فيه خلل كالبناء المحكم.

﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾: شرحت وبينت بالوعد والوعيد وما يحتاج إليه، أو خص في قوله: ﴿مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ﴾ [آل عمران:٧] وعم هنا حملًا للعام علىٰ الخاص.

وقرئ: (أحكمتُ ثم فصلتُ)، أي أنا.

وقرئ: (فَصَّلتَ) أي فرقت هي بين الحق والباطل، وثم هنا للتراخي في الحال لا في الوقت نحو فلان كريم الأصل، ثم كريم الفعل [ق/ ١٠٧أ].

ومحل ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾: رفع صفة ثانية لكتاب، وبينت لدن لخروجها عن نظيرها؛ لأنَّها بمعنىٰ عند لكنها مختصة بأقرب مكان، [وعند][1] للبعيد والقريب، ولهذا تقول: عندي كذا لِمَا تملكه حضرك أو غاب عنك، ولا تقول: لديَّ كذا إلا لِمَا هو يحضرك، لا وقف هنا لأنَّ محل ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾: نصب مفعول له، أي لئلا، أو رفع فتكون أن المخففة من الثقيلة، أو الناصبة للفعل، تقديره: هي ألا تعبدوا إلا الله، وإن جعلتها مفسرة فلا محل لها.

﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ﴾: أي من الله ﴿نَذِيرٌ﴾: بالعذاب ﴿وَبَشِيرٌ﴾: بالثواب .

﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾: وحدوه، وعطف علىٰ أن قبل، المعنىٰ خصوه بالعبادة ووحدوه.

﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾: من الذنوب، القراءة ثم هنا بمعنىٰ الواو؛ لأنَّ الاستغفار توبة، أو استغفروا من ماضي الذنوب، وتوبوا من مستقبلها.

﴿يُمَتِّعْكُم﴾: يعيشكم في الدنيا.

﴿مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾: عيشًا طيبًا، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إلىٰ الممات.

﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾: يعط كل صاحب عمل صالح جزاءه في الآخرة، ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾: أي تتولوا فحذفت أحد التاءين.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾: (كا) هو يوم القيامة.

﴿قَدِيرٌ﴾: (حس).

ونزل فيمن كان يظهر للنبي ﷺ خلاف ما يضمر، وفيمن كان إذا مر برسول الله ﷺ وهو يقرأ ثنىٰ صدره وطأطأ رأسه وغطىٰ وجهه لئلا يعرفهم ولئلا يسمعوا قراءته: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ﴾: أي يحرفون ويميلون.

﴿صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ﴾: (حس) ليختفوا من النبي ﷺ، أو من الله تعالىٰ،

(١) في جـ: وعنده، والمثبت من أ، ب.

أو يثنون صدورهم: ينحرفون عن الحق.

وقرئ: (تثنوني) تفعوعل صدورهم رفعًا مبالغة لأجل التكرار، نحو: أعشب النبت، فإذا بالغت قلت: اعشوشب، وقرئ: (يُثنون) بضم الياء.

﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾: يغطّون رؤوسهم بها، وحين توقيت للتغطي لا للعلم، أو فحين يستغشون.

﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: (كا).

﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: (تا).

﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾: المعنىٰ لا رازق لكل مرزوق إلا هو تعالىٰ يأتيه به.

﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾: مكان استقرارها، ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾: مكان إيداعها قبل وجودها وبعده، المعنىٰ: كل شيء مكتوب.

﴿فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: (حس) في اللوح لايفوته منه شيء.

﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾: المعنىٰ كان العرش علىٰ الماء قبل خلق السموات والأرض، ولا دليل فيه علىٰ قدم الماء، لقوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ [الحديد:٣]، ثم بين علة الخلق فقال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: (كا) أيها المؤمنون، وأزهد في الدنيا، وأتم عقلًا.

القراءة: ﴿وَلَئِن قُلْتَ﴾: بفتح التاء، وقرئ: بضمها إخبارًا عن الله تعالىٰ [ق/ ١٨٤ب].

وقرئ: (أَنَّكُم مَّبْعُوثُونَ): بفتح الهمزة أي لعلكم.

﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: (كا).

﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾: حين معلوم.

﴿لَّيَقُولُنَّ﴾: أي الكفار استهزاءً وتكذيبًا: ﴿مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾: (حس) المعنىٰ: أي شيء يحبس العذاب عن المجيء.

﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ﴾: العذاب ﴿مَصْرُوفًا﴾: مدفوعًا ﴿عَنْهُمْ﴾: يستدل بهذا من يجيز تقديم خبر ليس عليها؛ لأنَّ يوم نصب بمصروف، ومصروف خبر ليس، وإذا جاز تقديم المعمول علىٰ العامل كان تقديم العامل أولىٰ.

﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾: (كا) المعنىٰ نزل بهم جزاء استهزائهم.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾: المراد الجنس، أو الوليد بن المغيرة.

﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾: نعمة، ﴿ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ﴾: أزلناها عنه.

﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ﴾: شديد اليأس أنَّها لا تعود إليه.

﴿كَفُورٌ﴾: أنعم الله عليه.

﴿نَعْمَآءَ﴾: صحة وسعة.

﴿بَعْدَ ضَرَّآءَ﴾: شدة، ﴿مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ﴾: الإنسان: ﴿ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ﴾: (كا) ويتجبر ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ﴾: بطر.

﴿فَخُورٌ﴾: وقرئ: بضم الراء لغتان، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾:

(كا) نصب استثناء من الإنسان، فلا وقف بينهما أو منقطع، فمحل ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ﴾ رفع، أي لكن الذين مبتدأ خبره ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾: (كا) هو الجنة.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾: مما يسوؤهم رجاء توبتهم.

﴿وَضَآئِقُۢ بِهِۦ﴾: بما كلفت، ﴿صَدْرُكَ﴾: [رفع بضائق قبل أو ﴿صَدْرُكَ﴾][1] مبتدأ ﴿ضَآئِقُۢ﴾ خبره، المعنىٰ: يضيق صدرك بما تتلوه عليهم مخافة ﴿أَن يَقُولُواْ﴾: مكذبين: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ﴾: ينفقه.

﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾: يصدقه.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾: (كا) فأد النذارة.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾: من حفظك وما يقصدونك به من السوء.

﴿وَكِيلٌ﴾: (حس).

تلخيصه: أدِّ الرسالة غير ملتفت إليهم، فإنّي حافظك وناصرك عليهم، وعدل عن ضيق إلىٰ ضيق ليدل علىٰ أنّه كان ضيق عارض، ونحوه: فلان سائد لمن عرض له السؤدد وسيد لمن هو عريق فيه.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿أَمْ﴾: [أي بل][2] ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾: أي اختلق محمد الموحىٰ إليه وهو القرآن.

---

(١) سقط من ب، والمثبت من أ، جـ.

(٢) سقط من ب، والمثبت من أ، جـ.

﴿قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾: صفة سور، قال هنا: عشر، وفي يونس بسورة؛ لأنَّ هذه نزلت قبل تلك؛ لأنَّهم تحدوا أولًا بالإتيان بعشر، فلمَّا عجزوا تحدوا بسورة واحدة.

وقرئ: (بعشرٍ) منونًا، فسور بدل منه، المعنىٰ: إن كان ما جئت به مفترًا كما تزعمون فعارضوا بعضه.

﴿وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾: للمعارضة.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: (كا) في قولكم: افتراه، خوطب ﷺ بقل مفردًا، ثم خوطب جمعًا في ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ﴾: تعظيمًا لقدره، أو خوطب أولًا وحده، وثانيًا هو وأصحابه.

﴿فَٱعْلَمُوٓاْ﴾: أيها المؤمنون، ﴿أَنَّمَآ أُنزِلَ﴾: القرآن.

﴿بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾: أي ملتبسًا بعلمه، المعنىٰ: أنزله وهو عالم بإنزاله، وبجميع ما فيه من الأسرار والعلوم.

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: (تا) استفهام بمعنىٰ الأمر [ق/ ١٢٦ جـ].

ونزل فيمن عمل لغير الله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾: أي: جزاء أعمالهم في الدنيا بسعة الرزق وطيب العيش.

وقرئ: (يوف) بالياء، أي الله و(توف) بالتاء ورفع (أعمالُهم) مجهولًا، و(يوفي) بالياء مخففًا؛ لأنَّ الشرط وقع ماضيًا، نحو[1]:

يقول: لا غائب مالي ولا حرم

﴿وَهُمْ فِيهَا﴾: في الآخرة، أو في الدنيا.

﴿لَا يُبْخَسُونَ﴾: (تا) لا ينقصون.

---

(١) القائل هو زهير بن أبي سلمىٰ، والبيت في «ديوانه» (ص/ ١٥٣)، والبيت بتمامه:

وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالىٰ ولا حرم.

﴿وَحَبِطَ﴾: في الآخرة، ﴿مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾: (حس) ثواب صنيعهم في الدنيا.

﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: (تا) لأنَّه عمل لغير الله تعالىٰ.

وقرئ: (وبَطَلَ) وباطلًا مصدر، أي: وبطل بطلانًا، أو نصب بيعملون، وما زائدة، أي كانوا يعملون باطلًا، قال ﷺ: «**أخوفُ ما أخافُ عليكم الشركُ الأصغرُ**» قالوا: يا رسول الله وما الشركُ الأصغرُ؟ قال: «**الرياءُ**»[1].

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾﴾

ثم أومأ تعالىٰ إلىٰ أن لا مساواة بين مريد الدنيا وبين مريد الآخرة بقوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: دين صحيح وبرهان ثابت.

﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾: فمن مبتدأ محذوف الخبر، أي أفمن كان علىٰ بينة كمن ليس علىٰ بينة، والمراد بمن علىٰ بينة محمد ﷺ، أو المسلمون.

﴿وَيَتْلُوهُ﴾: أي يتبع محمدًا، ﴿شَاهِدٌ﴾: هو جبريل، ﴿مِّنْهُ﴾: من الله تعالىٰ، المعنىٰ جبرائيل رسول من الله يتبع محمدًا، يشهد بصدقه؛ لأنَّه هو الذي نزل بالقرآن وهو معجزة النبي ﷺ، أو يتلو القرآن والنبي ﷺ شاهدًا له من الله تعالىٰ بصدقه.

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾: أي قبل القرآن، أو قبل ذي البينة.

﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾: هو التوراة يشهد أيضًا بصدق محمد ﷺ، وبعضهم يقف

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٦٨٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٣١) من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه.

علىٰ ﴿مِّنۡهُ﴾، ويبتدئ ﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ خبر ومبتدأ، **وقرئ**: كتاب نصبًا، أي ويتلوا فلا وقف علىٰ ﴿مِّنۡهُ﴾.

﴿إِمَامٗا وَرَحۡمَةً﴾: (حس) حال، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: أي المؤمنون.

﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾: بالنبي ﷺ.

﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ﴾: بمحمد ﷺ، ﴿مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾: الكفار المتحيزين علىٰ النبي ﷺ.

﴿فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥ﴾: (كا) مصيره.

﴿فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ﴾: شك من الوعد، أو القرآن، **وقرئ**: بضم الميم لغتان.

﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾: (تا).

﴿كَذِبًا﴾: (كا).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾: (كا) علىٰ حكمه، أو يحبسون في الموقف وتعرض أعمالهم، قال ﷺ: «**إن الله يُدني المؤمنَ يومَ القيامةِ يستُره من الناسِ، فيقول: «أي عبدي تعرفُ ذنبَ كذا وكذا؟» فيقول: نعم يا رب، فإذا قرره بذنوبه قال: «فإني قد سترتُها عليك في الدنيا، وقد غفرتُها لك اليومَ»، ثم يعطىٰ كتابَ حسناتِه**»(١).

وأما الكفار والمنافقون ﴿وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾: أي الشهود جمع شهيد وهم الملائكة والنبيون، أو الجوارح.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾: (كا) وهم الثانية تأكيد، ثم قال الأشهاد:

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٦٣)، والبيهقي في «الشعب» (٢٧١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: أي الكاذبون، ﴿لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ﴾: فائتين الله لو أراد عذابهم، ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾: ناصرين يمنعونهم من عذابه، ولكن أخرهم إلىٰ يوم القيامة.

القراءة: ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾: بالياء ورفع العذاب مجهولًا لإضلالهم الأتباع، **وقرئ**: بالنون ونصب العذاب معلومًا.

﴿مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾: الاستماع إلىٰ كلام النبي ﷺ.

﴿وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ﴾: (كا) محمدًا بغضًا له، فما نافية أو مصدرية، المعنىٰ: يضاعف لهم العذاب باستطاعتهم السمع ولا يسمعون [ويبصرهم](1) الدلائل ولا يعتبرون فيؤمنون، أو المعنىٰ: لم يكن لهم أولياء، أي آلهة، والمراد الأصنام يسمعون، فكيف يتخذونهم أولياء؟ أو فيضاعف لهم العذاب اعتراض.

﴿وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾: (كا) من قولهم: إن آلهتهم تشفع [لهم](2).

﴿لَا جَرَمَ﴾: وأجرم وجرم، أي كسب وأصل (ج ر م) القطع.

الفراء(3): لا جرم كانت في الأصل بمنزلة لا محالة ولابد، فحولت إلىٰ معنىٰ القسم، فصار بمعنىٰ حقًّا، فلذلك يجاب عنها باللام، تقول [ق/ ١٨٥ب]: لا جرم لآتينك فلا وجرم بنيا معًا علىٰ الفتح.

---

(١) في جـ: ويبصرون، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من ب، والمثبت من أ، ب.

(٣) «معاني القرآن» (٢/ ٨).

فمحلها رفع مبتدأ خبره ﴿أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾: (تا) أو محل أنهم الجملة رفع فاعل حق، أي حق ووجب خسرانهم ثَمَّ، فتقف علىٰ ﴿يفترون﴾، وإن جعلت ﴿لَا﴾ ردًّا علىٰ الكفار، أي ليس الأمر كذلك وقفت عليها، ثم تبتدئ جرم فعل فاعله مضمر فيه، فمحل أنَّ إلىٰ ﴿ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ نصب، تقديره: كسب ذلك الفعل لهم الخسران في الآخرة.

تلخيصه: متحقق ثَمَّ خسرانهم.

﴿وَأَخْبَتُوٓاْ﴾: خشعوا، ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: أي لربهم، وأصل الإخبات: الخضوع والانخفاض من مكان خبتٍ مطمئن.

﴿ خَٰلِدُونَ ﴾: (تا) هذه الآية في الصحابة المؤمنين، والتي قبلها في المشركين.

﴿ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٖ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلِۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

ثم ضرب للكافرين والمؤمنين مثلًا فقال: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾: مبتدأ خبره، ﴿كَٱلْأَعْمَىٰ﴾: أي كمثل الأعمىٰ، ﴿وَٱلْأَصَمِّ﴾: هذا للكافرين.

﴿وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾: (كا) للمؤمنين والواو في والأصم والسميع من عطف الصفة علىٰ الصفة، كقوله: الصالح فالغانم فالآيب.

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾: أي الفريقان.

﴿مَثَلًا﴾: تمييز، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: (تا) [ق/ ١٠٨أ].

﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾: (كا) علىٰ، **القراءة:** بكسر ﴿إِنِّي لَكُمْ﴾: علىٰ إرادة القول وغير جائز علىٰ القراءة: بفتح (أنّي) أي بأنّي لكم، ﴿نَذِيرٌ﴾: أي أرسلناه

بهذا القول وتبدل من ﴿إِنِّي﴾ ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾: (كا) هو يوم القيامة، وصف بذلك لأنَّ العذاب يكون فيه، بعث نوح عليه السّلام بعد مائة سنة، أو مائتين ولبث فيهم ألفًا إلا خمسين عامًا، إن جعلت ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ﴾: من رؤية البصر فاتبعك الجملة حال وقد مقدرة معها، وإن جعلتها من رؤية القلب فالجملة المفعول الثاني، المعنىٰ: ما نرىٰ اتبعك فيما ظهر لنا.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾: جمع أرذل، أو جمع أرذال، وأرذال جمع رذل، وهو الدون من كل شيء.

القراءة: ﴿بَادِىَ﴾: [أي أول][1]، ﴿ٱلرَّأْيِ﴾: بهمزة مفتوحة بعد الدال من بدا فعل الشيء ابتداءً، أي ما اتبعك ابتداءً من غير تفكُّر فيك إلا السَّفَلَةُ، وبترك الهمزة من بدا يبدو ظهر، أي ما اتبعك فيما ظهر لنا إلا هؤلاء، ونصبه علىٰ القراءتين ظرف، تقديره: وقت [حدوث][2] أول [رأيهم][3]، أو وقت ظهور أول رأيهم، فحذف المقدر وأقيم البادئ مقامه .

﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾: لأنَّكم بشر تأكلون وتشربون مثلنا.

﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ﴾: نتيقنكم، ﴿كَٰذِبِينَ﴾: (حس) ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: يقين وبصيرة.

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

﴿مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً﴾ هداية ﴿مِّنْ عِندِهِۦ﴾، **القراءة**: ﴿فَعُمِّيَتْ﴾: بضم

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.

(٢) في ج: صدور، والمثبت من أ، ب.

(٣) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.

[العين][(١)] مشددًا مجهولًا أي: خفيت ﴿عَلَيْكُمْ﴾: الرحمة، وبفتح العين معلومًا، أي خفيت هي ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾: أي نلزمكم البينة، أو الرحمة، وقرئ: (أنلزمكموها من شطر أنفسنا) أي: من تلقائها، وهذا استفهام إنكار، **تلخيصه**: أنلزمكم الهداية.

﴿وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾: (حس) لا يقدر على ذلك إلا الله تعالى.

وقرئ: بسكون الميم تخفيفًا، ﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على تبليغ الرسالة وإيمانكم ﴿مَالًا﴾: أجرًا، و كانوا قد قالوا لنوح: اطرد عنك المؤمنين نفاسة عليهم، فقال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: وقرئ (بطاردٍ) منونًا على الأصل، ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾: يوم القيامة فيقتص لهم ممن ظلمهم.

﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾: (حس) أمر الله ولقاءه، أو تسفهون على المؤمنين بتسميتهم أراذل.

﴿مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ﴾: (كا).

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: (حس).

﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾: عطف على عندي خزائن الله، وكذلك ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ﴾: تفتعل من زراه: عابه واستصغره، أي تحتقره ﴿أَعْيُنُكُمْ﴾: من المؤمنين.

﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾: إيمانًا وتوفيقًا لجهلي بحالهم.

تلخيصه: لا أدعي ما ليس لي، لا أحب الوقف هنا لأنَّ جواب لن ﴿إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (تا) إن آذيتهم.

﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ

(١) في ب: الميم، والمثبت من أ، ج.

ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

﴿جَٰدَلْتَنَا﴾: خاصمتنا.

وقرئ: (جدلتنا) أي غلبتنا.

﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: (كا) فيما تقول.

﴿بِمُعْجِزِينَ﴾: (كا).

﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾: أي نصحكم هذا شرط اعترضه ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾: (كا) إغواءكم إضلالكم وإهلاككم، فهذان شرطان اعترض أحدهما الآخر مبالغة، وحكم الشرط المعترض أن يكون قبل المعترض معنىً، وإن كان بعده لفظًا؛ لأنَّ الشرط الأول استحق الجواب، فاعترضه الثاني فعوقه عن الجواب، فاستحقه لسبقه إليه، فوجب تأخير المقدم وتقديم المؤخر في الحكم، وإنَّما وجب ذلك لأنَّ النصح إنما يقع بعد ملابسة جزء من الإغواء، وجواب الشرط إما أن يكون مظهرًا أو مضمرًا، ويكون الشرط الثاني وجوابه جوابًا عن الأول لفظًا، وكذلك الحكم في كل شرط اعترض شرطًا وإن كثرت الشروط، علىٰ هذا يترتب الحكم، مثاله أن تقول لعبدك: إن كلمت زيدًا، إن دخلت الدار، إن أكلت خبزًا فأنت حُرٌّ جواب الشرط الثالث لفظًا، وهما جواب الشرط الثاني، والثاني وجوابه جواب الأول، فلو كلم ثم دخل ثم أكل لم يعتق، لكن إن أكل ثم دخل ثم كلَّم عتق لمَّا ذكرت، وجواب ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْۚ﴾ ما دل عليه ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ﴾، وترتيب الآية وتقديرها علىٰ هذا: ولا ينفعكم نصحي إن كان الله يريد أن يغويكم إن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي، وطريق عمل الشروط الكثيرة المعترضة أن تحل الشرط الآخر، وجوابه محله من الشرط الذي قبله بأن تجعله جوابه لفظًا، وتقطع النظر عما قبله وتجعله مقدمًا عليه حكمًا ثم تحلهما محلهما من الشرط الذي قبلهما، هكذا حتىٰ تأتي علىٰ جميع الشروط.

تلخيصه: لا هادي إلا الله.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: (حس).

القراءة: ﴿فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾: بكسر الهمزة مصدر أجرم، **وقرئ:** بفتحها جمع جرم، المعنىٰ: إن افتريته فعلي عقوبة افترائي وآثامه [ق/ ١٢٧ جـ].

﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ﴾: (تا).

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ٣٩﴾

القراءة: بفتح ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ﴾: ومحل الجملة رفع بأوحىٰ، **وقرئ:** بكسر أنَّه علىٰ إرادة القول، فالمرفوع بأوحي إلىٰ نوح.

﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ﴾: لا تحزن، ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾: (حس).

ومحل ﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾: رعاية وكلاءة حال من فاعل اصنع، أي اصنعها محفوظًا أن تنال بسوء، وأن يحال بينك وبين عملها، وأن تخطئ في عملها؛ لأنَّه لمَّا أمر بعمل السفينة لم يدر كيف يصنعها، فأوحي إليه أن اصنعها كجؤجؤ الطائر، فإنَّك بعيني، فأخذ القدوم وجعل يضرب ولا يخطئ.

﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي﴾: لا تراجعني، ﴿فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾: في هلاك الكفار وابنك كنعان أو يام وامرأتك.

﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾: (كا) محكوم بغرقهم، ولمَّا أوحي إلىٰ نوح هذا استجاز الدعاء عليهم.

﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ﴾: حكاية حال ماضية، وجواب ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ﴾: أي جماعة.

﴿مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُۚ﴾: من عمل السفينة بمكان بعيد عن الماء مع عزته، وقالوا: يا نوح صرت بعد النبوة نجارًا.

﴿قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾ [ق/ ١٨٦ب]: عند الغرق، أو في الآخرة.

﴿كَمَا تَسْخَرُونَ﴾: منَّا الآن لا وقف علىٰ ﴿تَعْلَمُونَ﴾: لأنَّه العامل النصب في ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾: يذله وهو الغرق.

﴿وَيَحِلُّ﴾: أي يجب، ﴿عَلَيْهِ﴾: من حلَّ الدين لزم، ولو قرئ بضم الحاء من الحلول لم يبعد

﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: (كا) هو عذاب الآخرة، فصنعها نوح في سنتين، أو في أربعمائة سنة من خشب الساج، وجعل طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعًا وارتفاعها ثلاثين ذراعًا، ولها ثلاثة بطون، فللبطن الأول: الوحش والسباع والهوام، وللأوسط: الدواب والأنعام، وللأعلىٰ: الناس وما يحتاجون إليه، وطلاها بالقار.

وروي أنَّ عيسىٰ عليه السلام مر بكثيب تراب وقال: «**هذا كعب بن حام، ثم ضربه بعصاه وقال: قم بإذن الله فقام شيخًا ينفض التراب عن رأسه، فقال: هكذا مت؟ فقال: لا متُّ وأنا شاب، ولكني ظننت أنها الساعة، فقال: حدثنا عن سفينة نوح؟ قال: طولُها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع، وكانت ثلاث طبقات: طبقة للدواب والوحش، وطبقة للإنس، وطبقة للطير، ثم قال: عُدْ كما كنت فعاد ترابًا**»(١).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآۚ

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣١٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾: غاية ليصنع، أي كان يصنعها إلىٰ وقت مجيء الوعد بإهلاكهم، وما بين ﴿يَصْنَعُ﴾ و﴿حَتَّىٰٓ﴾ حال، أي يصنعها والحال كذا وكذا.

﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾: الخابر بارتفاع الماء منه خارجًا عنه، وكان بالشام بعين وردة، أو بالكوفة، أو بالهند، أو التنور طلوع الفجر أو الشمس، وكان ذلك علامة لركوب السفينة، لا وقف هنا لتعلق: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا﴾: في السفينة، ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾: صنفين من الحيوان، ﴿ٱثْنَيْنِ﴾: ذكرًا وأنثىٰ، وقيل لهما: زوجان لأنَّ كل واحد منهما يقال له: زوج لأنَّه لا بد لأحدهما من الآخر بما قبل[(١)]، وعند فوران التنور حشر الحيوان لنوح عليه السلام، فجعل يضرب بيديه فيقع الذكر في اليمنىٰ والأنثىٰ في اليسرىٰ، فيلقيهما في السفينة.

القراءة: (من كلٍّ) منونًا هنا والمؤمنين، فمفعول احمل زوجين واثنين نعت زوجين بمعنىٰ التوكيد، نحو ﴿وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [ص:٢٣]، فمن متعلقة بـ(احمل)، وبإضافة كلِّ إلىٰ زوجين فمفعول احمل اثنين، وتعطف علىٰ زوجين أو اثنين ﴿وَأَهْلَكَ﴾: نسبًا، ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾: بالهلاك، وهو ابنك وامرأتك، [واسم امرأته عليه السلام][(٢)] [واعلة][(٣)] مستثنىٰ من الأهل، ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾: (تا) أيضًا احمله.

﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: (تا) وهو بنوه الثلاثة وثلاث نسوة لهم، ونوح وامرأته غير الهالكة، أو ثمانون إنسانًا شطرين نساءً ورجالًا، فلمَّا دهمهم الماء

---

(١) في حاشية ب: أي لتعلق ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ﴾ بما قبل.

(٢) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.

(٣) في ج: علة، والمثبت من أ، ب.

ندبهم إلىٰ الركوب[١].

﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا﴾: فركبوا في السفينة يوم الجمعة من عين وردة لعشر مضين مضين من رجب، فأتت البيت فطافت به أسبوعًا، وخرجوا منها يوم عاشوراء.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا﴾: خبر ومبتدأ.

﴿وَمُرْسَىٰهَآ﴾: عطف عليه، أي بسم الله إجراؤها وإرساؤها، فكان إذا أراد أن يجري قال: بسم الله فجرت، وإذا أراد أن ترسو قال: بسم الله فرست، ومحل الجملة حال مقدرة من الضمير في (فيها) أو اسم صلة نحو[٢]:

ثم اسم السلام عليكما

أي بالله إجراؤها وإرساؤها، أي بمشيئته وقدرته، أو تنصب ﴿مَجْرٖىٰهَا﴾ ﴿وَمُرْسَىٰهَآ﴾ ظرفين، العامل فيه ما في [اسم][٣] الله من معنىٰ الفعل، فبسم الله متصلة باركبوا حال من واو اركبوا، أي اركبوا مسمين بالله، أو قائلين بسم الله تبركًا وقت إجرائها ووقت إرسائها، فحذف وقت نحو: آتيتك مقدم الحاج، أي وقت [مقدمه][٤].

تلخيصه: اركبوا الآن متبركين بسم الله في [وقتي][٥] الإجراء والإرساء.

القراءة: (مجراها) ضمًا وفتحًا مصدر أجريته وجريت به لغتان بمعنىٰ كأذهبته وذهبت به، وبضم ميم (مرساها) من أرست السفينة [ترسو][٦] وقفت.

---

(١) في حاشية ب: قيل: كانوا تسعة وسبعين: زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة ونسائهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم.

(٢) القائل هو لبيد بن ربيعة العامري، والبيت في «ديوانه» (ص/ ٥١)، والبيت بتمامه:

إلىٰ الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

(٣) في جـ: بسم، والمثبت من أ، ب.

(٤) في ب: مقدم، والمثبت من أ، جـ.

(٥) في جـ: وقت، والمثبت من أ، ب.

(٦) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

وقرئ: بفتح الميم من رست بمعنىٰ أرست.

﴿رَّحِيمٌ﴾: (حس) إن استأنفت ما بعد ولم تجعله حالًا من الضمير في بسم الله، ويكفي إن جعلته متعلقًا بمحذوف، دل عليه اركبوا، أي قيل لهم: اركبوا فركبوا فيها يقولون: بسم الله.

﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ ﴾: في اضطراب الماء وارتفاعه.

﴿كَٱلْجِبَالِ﴾: عظمًا وارتفاعًا هذا قبل تطبيق الماء الأرض؛ لأنَّه إذا طبق الماء الأرض لم يكن موج.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾: كنعان أو يام.

وقرئ: (ابنها) أي ابن المرأة وابنه اكتفاءً بالفتحة عن الألف توهمًا أنَّه ابن امرأته لقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾، **وقرئ:** (ابناه) ندبة وترثيا، ولا تكاد الندبة توجد بالهمزة.

﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾: بمكان منقطع عن نوح وعن دينه؛ لأنَّه كان كافرًا.

القراءة: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾: بكسر الياء اقتصارًا عن ياء الإضافة ، وتصغير ابن لامه ياء، أو واو حذفت كما حذفت في اسم، فلمَّا حقر وجيء بياء التحقير ردت اللام، وجيء بياء المتكلم، [فاجتمع][1] ثلاث ياءات، فحذفت ياء المتكلم لدلالة الكسرة [ق/ ١٠٩أ] عليها تخفيفًا، وبفتحها اقتصارًا عن الألف المبدلة عن ياء الإضافة في قولك: يا بنيًّا.

القراءة: ﴿ٱرْكَب مَّعَنَا﴾: بإدغام الباء في الميم لقرب المخرج، وبإظهارها علىٰ الأصل، وقال: يا بني مصغرًا ليكون أعطف له وأمره بالركوب معه بشرط الإيمان، أو كان يظهر الإيمان ويبطن الكفر.

تلخيصه: اركب معنا تنج.

---

(١) في ب: فأجمع، والمثبت من أ، ج.

﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: (كا) فتهلك.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾: (حس) استثناء متصل و﴿عَاصِمَ﴾ بمعنىٰ معصوم، أو نسبة أي لا معصوم من الغرق إلا المرحوم، أو لا ذا عصمة إلا المرحوم أو منقطع، أي لكن من رحمه الله ينجوا، **وقرئ**: (رُحِمَ) مجهولًا.

﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا﴾: بين نوح وابنه، أو بين ابنه والجبل.

﴿ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾: (كا) بالماء قالوا: علا الماء علىٰ رؤوس الجبال قدر أربعين ذراعًا، وعقمت النساء أربعين سنة، وأدرك الصغار علىٰ دين آبائهم، وماتت البهائم بآجالها.

﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾

ثم أومأ تعالىٰ إلىٰ قدرته بقوله: ﴿يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾: الذي خرج منك، أي أدخليه فيك، ﴿وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾: أي [اكففي](١) عن إنزال القطر؛ لأنَّ الأرض كانت قبل ذلك تنبع الماء والسماء لا تقلع.

﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾: انتقص ونصب وغاض متعدٍ ولازم.

﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾: فرفع من إغراق الكفار.

﴿وَٱسْتَوَتْ﴾: استقرت، ﴿عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾: (حس) جبل بالجزيرة بقرب الموصل، وحسن الوقف هنا لأنَّ الواو استئنافية في ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾: هلاكًا، ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ (تا).

---

(١) في جـ: احبسي، والمثبت من أ، ب.

﴿إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي﴾: الذين وعدتني بنجاتهم.

﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: (كا) أقضى القاضين وأعدلهم، وقد وعدتني بنجاة أهلي فابني من أهلي.

﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾: الذين وعدتك بنجاتهم لكفره، أو كان ابن امرأته تبنته، أو كان لغير رشده.

ابن عباس(١): ما زنت امرأة نبي قط؛ لمَّا فيه من الغضاضة والعار بين الناس، والله يعصم أنبياءه من ذلك، وجوزوا أن تكون كافرة وإن كان الكفر أعظم لأنَّ أكثرهم كان كافرًا.

القراءة: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ﴾: بكسر الميم ونصب ﴿غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾: أي عمل شركًا، وبفتح الميم وتنوين اللام مرفوعة ورفع الراء، أي سؤالك إياي بإنجائه عمل غير صالح، أو ابنك ذو عمل غير صالح، ولم يقل: إنَّه عَمِلَ فاسدًا للإيذان أنَّ النجاة إنما كانت بسبب الصلاح [ق/ ١٨٧ب].

القراءة: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ﴾: بفتح اللام وتشديد النون مكسورة تأكيدًا إرادة الإضافة، وبفتحها أيضًا مشددة، وبإسكان اللام وكسر النون مخففًا.

﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: (حس) بجواز سؤال نجاة الكفار، أو من الجاهلين أن تدعو بإهلاك الكفار، ثم تسأل نجاة كافر.

ولمَّا كان نداؤه متضمنًا معنى السؤال ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ﴾: في المستقبل، ﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: (حس) وكان ﷺ على قدم الاستغفار إلى أن توفي، وهذه عادة الصالحين أنَّهم إذا وعظوا اتعظوا، وإذا نبهوا للخطأ استغفروا وتعوَّذوا، وحكى تعالى ما كان من الأنبياء ليقتدى بهم في الاستغفار وألا يوأس من رحمته تعالى.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٩٥)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٣٤).

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٨ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ٥٠ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٥١﴾

القراءة: ﴿ٱهۡبِطۡ﴾: وقرئ: بضم الباء.

ومحل ﴿بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ﴾: حالان من ضمير الفاعل، والبركة: الخير التام، المعنىٰ: انزل من السفينة مسلمًا محفوظًا ومباركًا، أو مسلمًا عليك من جهتنا ومباركًا.

وقرئ: و(بركة عَلَيۡكَ﴾: مفردًا.

﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَ﴾: (حس) في السفينة لأنَّهم كانوا أممًا مختلفة، أو قيل لهم: أمم لوجود الأمم منهم[1]، فمن للبيان، فالسلام مختص بمن كان معه، أو ابتدائية أي وعلىٰ أمم ناشئة ممن معك، فيتناول السّلام جميع المؤمنين إلىٰ يوم القيامة، ودخل كل الكافرين في قوله: ﴿وَأُمَمٞ﴾: مبتدأ، ﴿سَنُمَتِّعُهُمۡ﴾: صفته خبره محذوف يدل عليه ﴿مِّمَّن مَّعَكَ﴾ [ق/ ١٢٨ جـ]، تقديره: وممن معك أمم، المعنىٰ وينشأ من الذين معك أمم ممتعون بالدنيا.

﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: (كا) في [الأخرىٰ][2]، ﴿نُوحِيهَآ﴾: أي آيات القرآن.

﴿إِلَيۡكَ﴾: (حس) بأخبار الأمم الماضية.

﴿لِلۡمُتَّقِينَ﴾: (تا) المعنىٰ: اصبر علىٰ أذىٰ قومك، واتق كنوح، فالعاقبة لك كما كانت له، ويتم الوقف هنا إن استأنفت ما بعد، وإن نصبته عطفًا علىٰ نوح لم

---

(١) في حاشية ب: محمد بن كعب: دخل في ذلك كل المؤمنين إلىٰ يوم القيامة.

(٢) في جـ: الآخرة، والمثبت من أ، ب.

يتم الوقف بينهما، تقديره: أرسلنا نوحًا.

﴿أَخَاهُمْ هُودًا﴾: عطف بيان، وكذلك [صالح وشعيب في أول قصتيهما][(١)]، ولا أحبّ الوقف إلىٰ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: (كا)، المراد منكم فتؤمنون، فلمَّا حبس القطر عن قومه ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم قال لهم: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾: من الذنوب السالفة وآمنوا.

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾

﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾: من الذنوب الآنفة وتنصب ﴿مِّدْرَارًا﴾: متتابعًا.

وقرئ: (دررًا) كطنب حالًا من السماء، ومدرارًا للمبالغة، يستوي فيه الذكر والأنثىٰ.

﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً﴾: في العَدَد والعُدَد والمال والدين والجسد.

﴿إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾: الموجوده لكم.

﴿مُجْرِمِينَ﴾: (كا).

﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾: دليل علىٰ [قولك][(٢)].

﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾: (حس).

﴿ٱعْتَرَىٰكَ﴾: جملة مفسرة لمصدر محذوف، تقديره: ما نقول إلا قولنا: اعتراك أصابك.

﴿بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾: بجنون وتخييل لسبّك إياها حتىٰ قلت ما قلت.

---

(١) في جـ: الكلام في آخر قصة هود، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: ذلك، والمثبت من أ، ب.

تلخيصه: أنت مجنون فلا نتبعك.

فثَمَّ استخفافًا بهم وبآلهتهم ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ﴾: على نفسي، ﴿وَٱشۡهَدُوٓاْ﴾: أنتم أيضًا على ﴿أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾: من إشراككم آلهة، ﴿مِن دُونِهِۦۖ﴾: المعنى: أنا بريء من الذين جعلتموهم شركاء بزعمكم.

﴿فَكِيدُونِي﴾: اقصدوا إهلاكي أنتم وهم ﴿جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾: (تا) لا تمهلون ﴿بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾ (كا).

﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٨﴾ وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٥٩﴾ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ﴿٦٠﴾﴾

﴿مُّسۡتَقِيمٖ﴾: (كا).

تلخيصه: اقصدوا إهلاكي بكل طريق، فلا التفات إليكم لتوكلي على الذي لا يفوته شيء، لا أحب الوقف من ﴿بِسُوٓءٖۗ﴾ إلى ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔا﴾: (كا) بإشراككم.

وقرئ: و(يستخلفْ) و(لا تضروه) جزمًا عطفًا على محل ﴿فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم﴾، وتقدير الكلام ومعناه: وإن تعرضوا عن الإيمان فلا أُلَام ويعذرني ربي لأنّي قد أبلغتكم الرسالة.

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ﴾: (حس) يحفظني ويجازي كلًّا بعمله.

﴿ولَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾: [بعذاب][1] الكفار، ﴿نَجَّيۡنَا هُودٗا﴾: ومؤمنيه منه في الدنيا.

﴿وَنَجَّيۡنَٰهُم﴾: في الآخرة، ﴿مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾: (حس) شديد.

(١) في جـ: بعد عذاب، والمثبت من أ، ب.

تلخيصه: نجوا من عذابيّ الدارين بسبب الإيمان.

﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾: أي آثار عاد، والمراد بكل ﴿جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾: معاند لا يقول الحق ولا يقبله رؤساؤهم ومقدموهم.

﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾: عذابًا بالريح، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: (حس) أيضًا بالنار.

﴿كَفَرُواْ رَبَّهُمْ﴾: (كا) كفروا نعمته، وكفر يستعمل متعديًّا ولازمًا كشكرته وشكرت له.

﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ﴾: من رحمة الله تعالىٰ، ﴿قَوْمِ هُودٍ﴾: (تا) عطف بيان لأنَّ عادًا عادان: عاد هود القديمة، وعاد إرم الحديثة.

﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ ﴾

﴿مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾: (حس).

﴿أَنشَأَكُم﴾: ابتدأ خلقكم من آدم، وآدم ﴿ مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾: جعلكم تسكنونها، وتسكنونها من بعدكم من العمري، أو أطال أعماركم، قالوا: كانت أعمارهم من ألف سنة إلىٰ ثلاثمائة.

﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾: (كا) .

﴿مُّجِيبٌ﴾: (حس) لمن دعاه تائبًا.

﴿كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾: نرجوا أن تعود إلينا ونسودَّك علينا.

﴿قَبۡلَ هَٰذَآ﴾: القول الذي صدر منك، ولا أحب الوقف علىٰ ﴿مُرِيبٍ﴾: ظاهر الريبة من أرابني فلان إذا رأيت منه ما يريبك، رابني وأرابني واحد.

﴿إِنۡ عَصَيۡتُهُۥ﴾: (كا).

﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾: بقولكم هذا ﴿غَيۡرَ تَخۡسِيرٍ﴾: (كا) بأن أنسبكم إلىٰ الخسران والضلال، أو أعمالي وتبطلونها بزعمكم، ﴿لَكُمۡ ءَايَةً﴾: حال، ولكم [متعلق][1] بآية، ومحله حال من آية متقدمة عليها؛ لأَنَّه لو تأخر لكان صفة آية.

﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾: (كا).

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴿٦٩﴾﴾

﴿غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ﴾: (كا) فيه، أو مكذوب مصدر كالمصدوق والمجحود، أي وعد غير كذب.

القراءة: ﴿وَمِنۡ﴾: عطف علىٰ ﴿نَجَّيۡنَا﴾، أي ونجيناهم من ﴿خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍ﴾: هنا والنمل، والتساؤل بفتح الميم بناء لإضافة يوم إلىٰ مبنىٰ وهو إذ، وبكسرها إعرابًا لإضافة الخزي إليه، وظرف الزمان إذا أضيف إلىٰ مبنىٰ جاز فيه البناء والإعراب، والمراد: عذابهم في الدنيا، أو في الآخرة.

تلخيصه: عند حلول العذاب بقوم صالح نجي مع مؤمنيه منه.

﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾: (كا).

﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾: أي الصياح وهو الصوت الذي سمعوه فماتوا.

---

(١) في جـ: متعلقة، والمثبت من أ، ب.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ﴾: (حس) لم يقيموا في ديارهم.

القراءة: ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾: (تا) بصرف ثمود إرادة الحي، وبترك صرفه إرادة القبيلة هنا [والفرقان والعنكبوت][1] والنمل.

﴿جَآءَتْ رُسُلُنَآ﴾: هم جبرائيل ومن معه من الملائكة إبراهيم[2].

﴿إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾: حال بالبشارة بالولد، وبإهلاك قوم لوط.

﴿قَالُواْ سَلَٰمًا﴾: مبتدأ وخبره أي سلام عليكم، أو خبر أي جوابي سلام، وقرئ: بنصبهما ورفعهما.

القراءة: سلام هنا والذريات بفتح السين وألف بعد اللام، وبكسر السين وسكون اللام بمعنى السلام.

﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ﴾: أي فما أبطأ مجيئه، أو فما إبطاء إبراهيم عن المجيء.

﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾: (كا) مشوي بالحجارة في حفيرة يقطر دسمًا من حنذت الفرس إذا وضعت عليه جلاله ليسيل عرقه.

﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةًۚ قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ
لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ
ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِۖ
رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ
ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾﴾

﴿نَكِرَهُمْ﴾: وأنكرهم واستنكرهم [ق/ ١٨٨ب] واحد، وهو ضد المعرفة، وكان إبراهيم بمعزل عن الناس هو وأهله، وكان من عادتهم إذا أكل الطارق من

---

(١) في جـ: والعنكبوت والفرقان، والمثبت من أ، ب.

(٢) في حاشية ب: قيل: كانوا تسعة، وقيل: ثلاثة: جبريل وميكائيل وإسرائيا، قالوا: سلاما، ويجوز نصبه، فقالوا على معنى ذكروا سلاما قال: سلام، أي : أمركم أو جوابي سلام، أو وعليكم سلام الله، إجابة بأحسن من تحيتهم.

طعامهم أن يأمنوه، فلمَّا لم يطعموا من طعامه خاف أن يريدوا به سوءًا ولم يعرفهم.

﴿وَأَوۡجَسَ﴾: أضمر، ﴿مِنۡهُمۡ خِيفَةً﴾: خوفًا ظهر أثره عليه.

﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡ﴾: وروي أنَّه علم أنهم ملائكة، ولكن خاف أن يكونوا جاؤوا بعذاب قومه.

ومحل: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ﴾: خلف الستر تسمع كلامهم، أو على رؤوسهم تخدمهم، ولم يكن ذلك عيبًا في ذلك الزمان، وفي مصحف عبد الله[1]: وامرأته قائمة وهو قاعد، حال من ضمير فاعل أرسلنا فلا أحب الوقف بينهما.

﴿فَضَحِكَتۡ﴾: سرورًا بزوال الخوف عنهم، أو تعجبًا من الأضياف وامتناعهم من الأكل؛ لأنَّه لمَّا قدم لهم الطعام قال: ألا تأكلون طعامًا، قالوا: لا نأكل طعامًا إلا بثمن، قال إبراهيم: فإنَّ له ثمنًا، قالوا: وما ثمنه؟ قال: تذكرون [اسم][2] الله على أوله، وتحمدونه على آخره، فنظر جبريل إلى ميكائيل وقال: حق لهذا أن يتخذه ربه خليلًا، **وقرئ**: بفتح الحاء لغتان، أو ضحكت سرورًا بالولد، فتقديره ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ﴾: (كا) فضحكت يكفي الوقف هنا على **القراءة**: ﴿وَمِن وَرَآءِ﴾: أي بعد، ﴿إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾: (حس) رفعًا مبتدأ خبره الظرف قبله، أو خبره محذوف، أي ويعقوب مولود، ولا وقف على **القراءة**: بنصب الباء عطفًا على محل بإسحاق والوراء ولد الولد.

وألف ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾: مبدلة من ياء الإضافة.

وقرئ: (يا ويلتي) على الأصل، وتقال هذه اللفظة عند ورود أمر عظيم، ﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي﴾: مبتدأ وخبره، ﴿شَيۡخًا﴾: (حس) نصب حال مما دل عليه ذا، كأنها أشارت إلى معروف عندهم، أي [ق/ ١١٠أ] هذا المعروف بعلي، ثم قالت:

---

(١) انظر: «الكشاف» (٢/ ٤١٠).

(٢) سقط من ب، والمثبت من أ، ج.

شيخًا، أي أشير إليه في حال شيخوخيته، ولو لم يكن معروفًا عندهم لكان يجب أن يكون بعلها مدة شيخوخته، ولم يكن بعلها مدة شبيبته، ونحوه: هذا زيد قائمًا إن أخبرت من يعرفه صح المعنىٰ، وإن أخبرت من لا يعرفه لا يصح؛ لأنَّه إنما يكون زيد ما دام قائمًا، فإذا ترك القيام فليس بزيد.

وقرئ: برفع (شيخٌ) خبر مبتدؤه ﴿هَٰذَا ﴾، وبعلىٰ عطف بيان لهذا، أو بدل منه، أو شيخ خبر هذا و(بعلي) بدل من هذا، أو شيخ خبر «بعلي» وهما خبر هذا، أو «بعلي» خبر هذا، أو «شيخ» خبر محذوف، أي هو «شيخ»، أو «شيخ» خبر ثان، أو «بعلي» و«شيخ» خبر واحد كهذا حلو حامض بشرت بالولد ولها تسع وتسعون سنة، ولإبراهيم مائة سنة وعشرون سنة فأنكرت ذلك عادة وقالت: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: أي وجود الولد من كبيرين.

﴿لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾: (حس).

﴿قَالُوٓاْ﴾: أي الملائكة منكرين عليها : ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾: (تا) بإيجاد الولد من كبيرين تم الوقف هنا لاستئنافك، ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ﴾: نبوته، ﴿وَبَرَكَٰتُهُۥ﴾: الأسباط من بني إسرائيل؛ لأنَّ أكثر الأنبياء منهم، وكل الأسباط من ولد إبراهيم، أو المعنىٰ حقيقة الرحمة والبركة حالتان .

﴿عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾: نصب نداء، أو اختصاص.

﴿حَمِيدٌ﴾: محمــود.

﴿مَّجِيدٌ﴾: (حس) واسع الكرم، وأصل المجد: بلوغ نهاية كل حمد.

﴿ٱلرَّوْعُ﴾: الفزع.

ومحل ﴿وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾: بالولد حال من إبراهيم، وجواب لمَّا محذوف فيجادلنا حال تقديره أقبل علينا مجادلًا.

﴿فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾: (كا) في إهلاكهم، أو جوابها يجادلنا، فالمستقبل بمعنىٰ

الماضي لأنَّ لمَّا ترد المستقبل إلىٰ الماضي كما ترد الماضي إلىٰ المستقبل، أو هي حكاية للحال، ومجادلته إياهم أن قال لهم: أتهلكون قومًا فيهم خمسون مؤمنًا؟ قالوا: لا، قال: أربعون؟ قالوا: لا، فما زال ينقص حتىٰ قال: واحد؟ قالوا: لا، قال: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ﴾ [العنكبوت:٣٢] نحن أعلم به ، ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ [العنكبوت:٣٢].

ابن عباس(١): لو كان فيهم خمسة يصلون رفع عنهم العذاب.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾

﴿مُّنِيبٌ﴾: (تا) رجاع إلىٰ الله تعالىٰ، فلمَّا كثر جدالهم قالوا له: ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾: الجدال، ﴿إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾: بإهلاكهم وعذابهم.

﴿غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾: (تا) عنهم.

﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾: تمييز، الذرع: تكليف فوق الوسع، المعنىٰ: اغتم غمًّا شديدًا لا يطاق خشية عليهم من [ق/ ١٢٩ جـ] قومه أن يخبثوا بهم لمَّا رأىٰ جمالهم.

﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾: (حس) شديد وعصيب وعصوصب ومعصوصب واحد، روي أنَّه جاء بهم منزله سرًّا فأخبرت امرأته قومها بهم فجاؤوه.

﴿يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾: يسرعون لنيل شهوتهم؛ لأنَّهم كانوا قبل ذلك الوقت ﴿يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾: يأتون الذكور في أدبارهم، ويكثرون من ذلك، فقلَّ عندهم استقباحه، أو المعنىٰ أنَّ لوطًا عرف أنهم كانوا يفعلون الفاحشة قبل ذلك الوقت.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٠٣).

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: مبتدأ، ﴿بَنَاتِي﴾: عطف بيان أي نساء أمته، أو ابنتاه.

﴿هُنَّ﴾: فصل خبر المبتدأ، ﴿أَطۡهَرُ لَكُمۡ﴾: بالتزويج بشرط الإسلام، أو كان لهم سيدان مطاعان، فأراد أن يزوجهما ابنتيه كتزويج النبي ﷺ ابنتيه من [العاص][1] بن وائل وعتبة بن أبي لهب، أو [تنصب][2] هؤلاء بمضمر، أي خذوا هؤلاء.

وقرئ: (أطهرَ) نصبًا، فهؤلاء مبتدأ، بناتي هن جملة ابتدائية، وهي خبر هؤلاء، وأطهر نصبًا حالًا نحو هذا أخي هو قائمًا، ويجوز أنَّه عرض بابنتيه ليستحيوا منه ويرجعوا عنه.

﴿وَلَا تُخۡزُونِ﴾: لا تفضحون.

﴿فِي ضَيۡفِيٓ﴾: (كا) بفعلكم الخبيث؛ لأنَّ العار يلزمني بذلك؛ لأنَّه إذا خزي ضيف الرجل أو جاره فقد خزي، والضيف مصدر في الأصل يكون للقليل والكثير.

﴿رَّشِيدٞ﴾: (كا) صالح يأمر بالمعروف، وينهىٰ عن المنكر.

﴿قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ٧٩ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ٨٠ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ٨١ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ٨٣﴾

﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ﴾: أي لا رغبة لنا فيهن فلا ننكحهن، أو لمَّا مرنوا علىٰ إتيان الذكور وألفوا ذلك وصار مذهبًا لهم قالوا: لا حق لنا؛ لأنَّ إتيان الإناث غير مذهبنا.

---

(١) في جـ: العاصي، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: نصب، والمثبت من أ، ب.

﴿وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ﴾: (حس) من إتيان الذكور، وجواب لو بعد محذوف تقديره: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً﴾: بطشًا.

﴿أَوۡ ءَاوِيٓ﴾: ألجأ.

﴿إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾: جماعة مانعة لمقاتلتكم، ومحل ﴿أَوۡ ءَاوِيٓ﴾ رفع عطف علىٰ محل أنَّ، ويجوز أنَّه قال ذلك إلهابًا وتهييجًا لناصريه، وسياق الكلام يقتضيه لا شكًّا منه في عدم ناصره، أو المعنىٰ لو أقدمت علىٰ الدعاء لدعوت، أو لو قدرت علىٰ هدايتكم لفعلت.

وقرئ: ﴿ءَاوِيَ﴾: نصبًا بإضمار إن، و﴿رُكُنٖ﴾ بضمتين، وكان لوط قد أغلق عليه وعلىٰ أضيافه بابه، فجعلوا يرمون فتح الباب، وتسوروا الجدار، وهو يعظهم ويناظرهم ويناشدهم، ويلقىٰ من ذلك شدة، فقالت الملائكة: ﴿لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَ﴾: بسوء ولن يخزوك فينا، وإنَّ ركنك لشديد، فخل بيننا وبينهم، ففتح الباب فصفق جبريل وجوههم بجناحه فأعمىٰ أبصارهم، فذهبوا يتهددون لوطًا يقولون: مكانك حتىٰ تصبح.

القراءة: ﴿فَأَسۡرِ﴾: وأن أسر بوصل الألف من سرىٰ، وبقطعها من أسرىٰ، وهما واحد وهما سير الليل، ﴿بِأَهۡلِكَ﴾: بابنتيك وامرأتك.

﴿بِقِطۡعٖ﴾: بطائفة، ﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ﴾.

القراءة: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ﴾: (كا) رفعا بدلًا من أحد، والنهي لفظًا لأحد، ومعنىٰ للوط أي لا تمكن أحدًا من الالتفات، ونصبًا استثناء من الأهل.

وقرئ: (فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك)، ونهوا عن الالتفات لئلا يروا نزول العذاب.

روي أنَّه سار بإمراته معهم، فلمَّا سمعت هذه العذاب التفتت [ق/ ١٨٩ب] وقالت: واقوماه [فأدركتها][(١)] حجر [فقتلتها][(٢)]، أو ساروا خلفها مع أهلها لأنَّها

---

(١) في ب، جـ: فأدركها، والمثبت من أ.

(٢) في ب، جـ: فقتلها، والمثبت من أ.

كانت منهم فقال: متىٰ وقت هلاكهم؟ فقالت الملائكة: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾: (حس) قال: أريد أسرع من ذلك قالوا: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾: (حس) وقرئ: (الصُّبُحُ) بضمتين، فحمل جبريل مدائنهم بمن فيها علىٰ جناحه، وكانوا أربعمائة ألف، أو أربعة آلاف ألف، قالوا: نجت قرية واحدة لم تكن تعمل الفاحشة، ورفعها حتىٰ سمعت الملائكة نباح الكلاب وصياح [الديكة][1]، لم يكفأ إناء ولم ينتبه نائم، ثم قلبها فجعل ﴿عَالِيَهَا سافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾: علىٰ شذاذ القرىٰ، أو علىٰ القرىٰ بعد إهلاكهم.

﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾: هو الشديد الصلب من الحجارة، أو الطين المطبوخ، أو سجيل جهنم نعوذ بالله تعالىٰ منها، أو هو معرب من سنك كل، أو من أسجله أرسله لأنَّها مرسلة عليهم.

﴿مَّنضُودٍ﴾: نعت لسجيل، أي متتابع نضد بعضه فوق بعض.

﴿مُّسَوَّمَةً﴾: نعت لحجارة، أي معلمة لا تشاكل حجارة الدنيا، أو كان عليها اسم من يرمي بها.

﴿عِندَ رَبِّكَ﴾: (تا).

﴿ وَمَا هِيَ ﴾: أي الحجارة.

﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: من هذه الأمة أو من المشركين.

﴿بِبَعِيدٍ﴾: (تا).

﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا

(١) في جـ: الديك، والمثبت من أ، ب.

مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾

وكان قوم شعيب يطففون فقال: ﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ﴾: (كا) ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ﴾: سعة وخصب، فلا حاجة بكم إلىٰ التطفيف، وأخاف ﴿عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ﴾: (حس) وصف ليوم لفظًا ولعذاب معنىٰ، والمراد يوم القيامة.

﴿بِٱلۡقِسۡطِ﴾: بالعدل.

﴿مُفۡسِدِينَ﴾: (تا).

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾: هي ما يبقىٰ من الحلال بعد ترك الحرام.

﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾: من التطفيف.

﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: (كا) لأنَّه لا ينتفع بالثواب إلا مؤمن، أو بقية الله: طاعته. وقرئ: تقية الله، أي تقواه.

﴿بِحَفِيظٖ﴾: (حس)، المعنىٰ: لم أكلف حفظكم وإكراهكم علىٰ الإيمان إن علي إلا البلاغ، وكان شعيب ﷺ كثير الصلاة، فقالوا له سخرية واستهزاءً: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾.

ومحل: ﴿أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ﴾: عطف علىٰ ﴿مَا يَعۡبُدُ﴾، تقديره أصلواتك تأمرك أن نترك معبود آبائنا أو أن نترك أن نفعل ﴿فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾: (كا) من البخس والتطفيف، ثم قالوا مبالغة في السخرية: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾: (حس) [تتعاطي][1] الحلم والرشد، ولست كذلك.

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ

(١) في جـ: متعاطىٰ، والمثبت من أ، ب.

وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾ ﴾

﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾: (تا) نبوة، أو علمًا ومعرفة، أو حلالًا طيبًا، وجواب الشرط محذوف، تقديره: إن كنت كذا وكذا فأشوب الحلال بالحرام.

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾: (كا) المعنىٰ: لا أنهىٰ عن شيء وأرتكبه، وليس بواعظ من يعظ الناس بلسانه دون عمله.

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾: (حس) المعنىٰ: ما مرادي بوعظكم إلا إصلاحكم مدة استطاعتي.

﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ﴾: أي لا أقدر علىٰ توفيق نفسي، ﴿إِلَّا بِٱللَّهِ﴾: (كا) فكيف توفيق غيري، والتوفيق تسهيل سبل الخير، وأصله موافقة فعل الإنسان القدر في الخير، والاتفاق هو موافقة فعل الإنسان خيرًا كان أو شرًّا القدر.

تلخيصه: لا يكون شيئًا إلا بتوفيق الله تعالىٰ.

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: اعتمدت، ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾: (حس) أرجع في جميع أموري.

﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: من جرمت ذنبًا كسبته، **وقرئ**: بضم الياء وكسر الراء من أجرمته بمعنىٰ جرمته، وفاعل يجرمنكم ﴿شِقَاقِيٓ﴾: خلافي مفعوله الأول (كم) الثاني ﴿أَن يُصِيبَكُم﴾: **القراءة**: مثل رفعًا فاعل، **وقرئ**: بفتح اللام بناء لإضافته إلىٰ مبني وهو، ﴿مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ﴾: (تا).

﴿بِبَعِيدٍ﴾: (كا) لأنَّهم قريبو المنازل والهلاك منكم.

﴿رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾: (حس) محب للمؤمنين، أو محبوب لهم، ﴿يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾: احتقارًا بك، ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾: عاجزًا عن التصرف، أو ضعيفًا: مكفوفًا بلغة حمير، ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾: عشيرتك، ﴿لَرَجَمْنَٰكَۖ﴾: شتمناك، أو قتلناك بالحجارة، وقالوا ذلك تألفًا لقومه؛ لأنَّهم كانوا علىٰ دينهم، لا خوفًا

منهم؛ لأنَّ الرهط ما دون العشرة.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾: (حس) بل قومك الأعزة.

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾

﴿أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ﴾: أي الله، ﴿وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾: منسوبًا إلىٰ الظهر، وكسر الظاء من تغيير النسب كأمسيّ في أمس، المعنىٰ: جعلتم أمر الله خلف أظهركم، لا تلتفتون إليه تهاونًا به أنَّه بعملكم ﴿مُحِيطٌ﴾(حس).

﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: قوتكم طالبين إهلاكي، ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾: بقوة الله تعالىٰ، فكأنَّهم قالوا: ماذا يكون إذا عملنا علىٰ قوتنا؟ فقال مستأنفًا حاذفًا الفاء: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: لا وقف هنا لنصبك بتعلمون.

﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾: إلىٰ ﴿إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾: (حس) أرقب نزول عذابكم.

﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾: (كا) لا وقف إلىٰ ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟﴾: لم يقيموا، ﴿فِيهَآ﴾: (حس) في الأرض، ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾: (تا) بعَد يبعَد بعَدًا بفتح العين فيهما، وبُعْدًا بضم الباء وسكون [ق/ ١١١أ] العين هلك، وبَعُدَ يَبْعُد بُعْدا قَصُوا، المعنىٰ: هلاكًا لمدين كهلاك ثمود.

وقرئ:(بُعِدَت) ضمًا.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ

﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ
عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ
ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ ﴾

﴿فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾: (حس).

﴿بِرَشِيدٍ﴾: (حس) لاستئنافك ﴿يَقْدُمُ﴾: قدَم يَقْدُم تقدم وقَدِمَ يَقْدَم ورد، قال: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ﴾: ماضيًا ومعناه الاستقبال للإيذان أنَّ ذلك واقع لا محالة؛ لأنَّ الماضي متيقن الوجود، المعنىٰ: لم يصدقوا موسىٰ واتبعوا فرعون في الدنيا، فيتقدمهم في الأخرىٰ فيوردهم ﴿ٱلنَّارَ﴾: (كا)، وفاعل ﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ﴾: أي المورد نعته ﴿ٱلْمَوْرُودُ﴾: (حس) الذي وردوه، أي المحضور، وردت الماء: حضرته وأوردته غيري: أحضرته، والمخصوص بالذم محذوف، أي بئس الورد النار؛ لأنَّ الورد إنما يراد لتسكين العطش والنار ضده.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: (كا) المعنىٰ لعنوا في الدارين.

﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ﴾: العون، ﴿ٱلْمَرْفُودُ﴾: (حس) المعان رافدهم، أو العطاء المعطىٰ.

﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ خبره ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ﴾: حال، أو خبر بعد خبر، أي ذلك النبأ بعض أنباء القرىٰ المهلكة مقصوص ﴿عَلَيْكَ﴾.

ومحل ﴿مِنْهَا﴾: من القرىٰ، ﴿قَآئِمٌ﴾: لم تهلك، وقد هلك أهله كالزروع حال من ضمير ﴿نَقُصُّهُۥ﴾ أو مستأنف لا محل له .

﴿وَحَصِيدٌ﴾: (حس) هلك بأهله، ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾: لم نهلكهم ظلمًا، ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾: بالشرك.

﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى﴾: وقرئ: (اللاتي)، ﴿يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾: عند نزول العذاب، ﴿وَمَا زَادُوهُمْ﴾: أي الأصنام بعبادتهم، ﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾:

(كا) تخسير وتدمير، القراءة: ﴿إِذَآ أَخَذَ﴾: وقرئ: (إذ أخذ) بمعنىٰ حين ، المعنىٰ : ومثل ذلك الأخذ أخذ ربك.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً
لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْأٓخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا
لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟
فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ
رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ﴾: (كا).

﴿شَدِيدٌ﴾: (حس).

﴿خَافَ عَذَابَ ٱلْأٓخِرَةِ﴾: (كا).

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي يوم القيامة.

﴿يَوْمٌ﴾: مبتدأ وخبره ﴿مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾: رفع بمجموع ارتفاع الفاعل بفعله، والجملة صفة يوم، المعنىٰ: يجمع الأولون والآخرون جميعًا ثم، ﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾: (حس) فيه علىٰ جميع الخلق ولهم ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ﴾: أي ذلك اليوم.

وقرئ [ق/ ١٩٠ب]: ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾: معلوم محسوب، لا أحب الوقف هنا، لأنَّ فاعل ﴿يَأْتِ﴾: ضمير يرجع إلىٰ ﴿يَوْمٌ﴾ في قوله: ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ [ق/ ١٣٠جـ]، ولا يرجع إلىٰ يوم المضاف إلىٰ يأتي؛ لأنَّ المضاف كجزء المضاف إليه، أو الفاعل الله، فيكفي الوقف علىٰ (معدود).

القراءة: (يأتي بإثبات الياء في الحالين علىٰ الأصل، وبحذفها فيهما اكتفاءً بالكسرة، والعامل في ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾: (كا) في الشفاعة وكل الخلائق سكوت إلا من أذن له في الكلام، وللقيامة مواطن، ففي بعضها يتكلمون، وفي بعضها يمنعون عن الكلام.

﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ﴾: بالعذاب.

﴿وَسَعِيدٌ﴾: (تا) بالنعيم.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ﴾: باستحقاقهم النار بالكفر والمعصية.

وقرئ: بضم الشين.

ومحل ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾: هو إخراج النفس بشدة.

﴿وَشَهِيقٌ﴾: رده، الجملة حال العامل فيها ما في النار من معنىٰ الفعل.

﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾: أي مدة دوامها في ظنهم؛ لأنَّهم كانوا يعتقدون ذلك، أو سموات الآخرة وأرضها، فإنَّ لها سماءً وأرضًا بدليل قوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [الإبراهيم:٤٨]، وتلك دائمة أبدًا.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾: (حس) استثناء منقطع، أو متصل من الفريقين الكفار والمؤمنين الداخلين النار بالمعصية، ويجوز أن يقال: من [داخلي][1] النار تعذيبًا وداخليها ورودًا، فما بمعنىٰ من، أو من الخلود، المعنىٰ: أنَّهم استحقوا الخلود في النار من حين بعثوا، لكنَّهم أخروا عنه قدر الحساب، فما علىٰ بابها فخالدين حال مقدرة.

﴿يُرِيدُ﴾: (حس).

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾

القراءة: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ﴾: باستحقاقهم الجنة بالإيمان والطاعة بفتح السين

(١) في جـ: داخل، والمثبت من أ، ب.

من سَعِدَ، وبضمها من سُعِدَ بمعنىٰ أسعد لغتان حكاهما الكسائي.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾: (حس) ولم يشأ، أو سوىٰ ما شاء ربك من الكرامة الزائدة علىٰ ما أعد لهم، أو هو استثناء منقطع، أو متصل من الخلود، أي إلا مدة لبثهم في الموقف؛ لأنَّهم استحقوا الجنة، لكنهم حبسوا عنها مدة الحساب، أو إلا من دخل النار من عصاة المؤمنين، أو من الواردين، فيخرجون من النار، ثم يدخلون الجنة خالدين.

تلخيصه: عذاب الفريقين ونعيمهم دائم أبدًا إلا قدر مشيئة الله تعالىٰ فيهم بما يشاء، يحسن الوقف هنا لنصبك ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾: (حس) مقطوع مصدرًا.

ثم قال تعالىٰ مخاطبًا نبيه والمراد غيره: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ﴾: شك.

﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾: (تا) لاستئنافك.

﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم﴾: تقليدًا لآبائهم من غير دليل .

﴿مِّن قَبْلُ﴾: (حس) وما في (كما) مصدرية أو موصولة.

﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾: من العذاب، ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾: (تا) حال أي وافيًا.

﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾: (حس) .

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: بتأخير العذاب [عنهم][1] [من أمة محمد ﷺ][2].

﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾: (حس) بإهلاك الكفار وإنجاء الأبرار، ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾: أي من القرآن، أو محمد ﷺ.

[﴿مُرِيبٍ﴾: (تا) [موقع][3]الريبة][4].

---

(١) في ب: منهم، والمثبت من أ، جـ.

(٢) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

(٣) في جـ: مواقع، والمثبت من ب.

(٤) سقط من أ، والمثبت من ب، جـ.

القراءة: ﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾: بتشديد إنَّ وتخفيفها وإعمالها علىٰ الأصل، فخبر إنَّ علىٰ الوجهين (لمَّا) وما بعدها، وما نكرة، أي وإن كلًّا لخلق هذا إن لم تجعل ما زائدة للفصل بين لام إنَّ ولام القسم، وإن جعلت ما زائدة فخبر إنَّ ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾: فتكون اللام في الموطئة للقسم، [وفي][1] ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ جواب لقسم محذوف، والتنوين في كلًّا عوض من المضاف إليه، أي وإنَّ كلًّا من المختلفين والله ليوفينهم.

﴿رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: (كا) المراد جزاء أعمالهم من حسن وقبيح.

وقرئ: (وإن كلٌّ) رفعًا، فإنَّ نافية ولمَّا بمعنىٰ إلا، أي وما كل إلا ليوفينهم، وقرئ بها.

القراءة: لمَّا هنا ويس والطارق مشددًا، أصلها لمن ما قلبت النون ميمًا فاجتمع ثلاث ميمات، فحذفت الأولىٰ تخفيفًا وبتخفيف لمَّا تخفيفًا، فلا يكون لمَّا [هنا][2] حرف جزم ولا حينًا لفساد المعنىٰ.

وقرئ: (لمًّا) مشددًا منونًا من ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ [الفجر/ ١٩] أي ملمومين مجموعين.

﴿خَبِيرٌ﴾: (تا) قال ﷺ: «**شيبتنىٰ هود وأخواتها**»، قيل: أشيبتك منها قصص الأنبياء وهلاك الأمم الماضية؟ قال: «**لا ولكن قوله: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾**»[3]: أي افتقرا إلىٰ الله بصحة العزم والاستقامة التبرؤ من الحول والقوة.

ومحل: ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾: رفع عطف علىٰ الفاعل في ﴿فَٱسْتَقِمْ﴾، وجاز لقيام الفاعل مقام المؤكد، أو نصب مفعول معه، المعنىٰ: استقم أنت وليستقم المؤمن، ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾: (كا) لا تخرجوا عن حدود الله.

(١) في جـ: وما في، والمثبت من أ، ب.
(٢) في ب: هناك، والمثبت من أ، جـ.
(٣) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان» (٢٤٣٩) من حديث أبي علي السري.

﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾: (تا).

﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾

القراءة: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ﴾: بفتح التاء والكاف، وقرئ: بضمها وكسرها مع فتح التاء لغات كلها، وبكسر التاء وفتح الكاف على لغة من يكسر حرف المضارعة، وبضم التاء وكسر الكاف من أركن يركن أي لا تجعلوا أنفسكم راكنين.

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: من وجد منه الظلم، ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾: (حس).

ومحل ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾: (كا) يحفظونكم من العذاب حال من ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾: أي فتمسكم وأنتم على هذه الحال.

وثم لاستبعاد نصرهم من الله تعالى في قوله: ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾: (حس)، وعن بعضهم أنَّه سمع هذه الآية فغشي عليه، فلمَّا آفاق قيل له في ذلك، فقال: هذا لمن ركن فكيف [بمن][1] ظلم.

الحسن[2]: جعل الله الدين بين لائين ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ﴾، ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ﴾.

سفيان[3]: في جهنم وادٍ لا يسكنه إلا القراء الزائرون الملوك.

الأوزاعي[4]: ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملًا.

---

(١) في جـ: لمن، والمثبت من أ، ب.
(٢) انظر: «الكشاف» (٢/ ٤٣٤).
(٣) انظر: «الكشاف» (٢/ ٤٣٤).
(٤) انظر: «الكشاف» (٢/ ٤٣٤).

محمد بن سلمة[١]: الذباب علىٰ العذرة أحسن من قارئ علىٰ باب هؤلاء.

ونزل فيمن ألمَّ بما لا يحل ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾: أي أوله وآخره نصب ظرف لإضافته إلىٰ وقت، والمراد الغداة والعشي، وهي الصبح والظهر والعصر؛ لأنَّ ما بعد الزوال عشي.

﴿وَزُلَفًا﴾: ظرف أيضًا جمع زلفة كظلمة وظلم، وهي طائفة ﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ﴾: (كا) والمراد صلاة المغرب والعشاء، **وقرئ**: بضم اللام وسكونها كبُسُر وَبُسْر، وزلفي كقربىٰ، والمعنىٰ أقم الصلاة في هذه الأوقات.

﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ﴾: (كا) الصلوات الخمس، ﴿يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾: (كا) الخطيئات قال ﷺ: «**الصلواتُ الخمسُ، والجمعةُ إلىٰ الجمعةِ، ورمضانُ إلىٰ رمضانَ مكفراتٌ لمَّا بينهن إذا اجتُنِبَت الكبائرُ**»[٢]، أو الحسنات: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، أو جميع الخيرات.

معاذ: قلت: يا رسول الله أوصني، قال: «**اتق الله**»، قلت: زدني، قال: «**أتبِعْ السيئةَ الحسنةَ تمحُها**»، قلت: زدني، قال: «**خالِقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ**»[٣].

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي المذكور من الوصية بالاستقامة منزل الطغيان والميل إلىٰ الظالمين.

﴿ذِكۡرَىٰ﴾: موعظة، ﴿لِلذَّٰكِرِينَ﴾: (حس) للمتعظين.

﴿وَٱصۡبِرۡ﴾: علىٰ الشدائد وما تلقىٰ من أذىٰ قومك.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: (حس).

---

(١) انظر: «الكشاف» (٢/ ٤٣٤).

(٢) أخرجه مسلم(٢٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، وأحمد (٢١٣٩٢)، والدارمي (٢٧٩١)، والحاكم(١٧٨)، والبيهقي في « شعب الإيمان» (٨٠٢٦) .

﴿فَلَوْلَا﴾: فهلا.

القراءة: بتشديد ﴿أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾: أصحاب خير وفضل، وسمىٰ الفضل والخير بقية؛ لأنَّ الرجل يستبقي أفضل ما يخرجه، يقال: هو من بقية الناس، أي خيارهم.

وقرئ: بقية [كتقية][1]، مصدر بقاه يبقيه راقبه وانتظره، ومنه بقينا رسول الله ﷺ.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: حال من الفساد، المعنىٰ: لم يكن فيهم ألو بقية [ق/ ١٩١ب]، ﴿إِلَّا﴾: أي لكن، ﴿قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾: (حس) من الذين نهوا عن الفساد واتباع الأنبياء، ومن في (ممن) للبيان.

﴿أُتْرِفُواْ فِيهِ﴾: نعموا فيما خولوا.

﴿وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾: (تا).

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾: بغير ذنب.

﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾: (تا) لأعمالهم [مؤمنون][2].

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾: مشيئة قسر، ﴿لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: (حس) مسلمين كلهم.

﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾: أي أهل الباطل، ﴿مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾: استثناء من ضمير فاعل (لا يزالون).

(١) في جـ: كلقية، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: يؤمنون، والمثبت من أ، ب.

﴿وَلِذَٰلِكَ﴾: أي للاختلاف، أو للرحمة.

﴿خَلَقَهُمْ﴾: (تا) ويجوز أنَّه خلقهم للاختلاف وللرحمة فيكون ذلك أظهر لحكمه تعالىٰ.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾: وجب حكمه، وهو ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾: (تا) لأنَّ ﴿وَكُلًّا﴾: نصب بنقص، والتنوين عوض من المضاف إليه، أي وكل نبأ ﴿نَّقُصُّ عَلَيْكَ﴾.

وقوله: ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾: بيان لكل، وقوله: ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾: (كا) بدل من (كلًا)، ﴿وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ﴾: السورة، أو الدنيا ﴿ٱلْحَقُّ﴾: النبوة، ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: (حس) فيتعظون بما جرىٰ للأمم، ثم تهددهم بقوله:

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾

﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: إلىٰ ﴿مُنتَظِرُونَ﴾: (تا) قالوا: هذه الآية منسوخة بآية السيف، وإن جعلت تهديدًا فلا نسخ[1].

القراءة: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ﴾: بضم الياء وفتح الجيم، وبفتح الياء وكسر الجيم، أي يعود الأمر ﴿كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾: (حس).

﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: (تا) **القراءة:** هنا وآخر النمل بالياء والتاء خطابًا، قال أبو بكر: يا رسول الله شبت، قال: «**شيبتني هودُ والواقعةُ وعمَّ يتساءلون وإذا الشمس كُوِّرَت**»[2] [ق/ ١١٢أ].

(١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لابن حزم (ص/ ١٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٩٧)، والحاكم (٣٣١٤)، والبزار (٩٢)، وأبو يعلىٰ (١٠٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٠٩١).

سورة (يوسف)

مكية وهي مائة وإحدىٰ عشرة آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾

قال ابن عطاء[1]: لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استروح.

﴿تِلْكَ﴾: أي هذه السورة، ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾: (تا) حرامه وحلاله وإعجازه من أبان: أظهر، أو مبين الحق من الباطل، ومبين لمن تدبره فإنَّه من عند الله[2].

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾: أي الكتاب المتضمن قصة يوسف وغيرها في حال كونه ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾: بلغتكم، فعربيًّا نعت لـ(قرآنا) نعت نسبة لا نعت لزوم؛ لأنَّه كان قرآنا قبل

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٢١٢).

(٢) في حاشية ب: قوله: (المبين صفة الكتاب)، وقوله: (حرامه وحلاله وإعجازه): أول: هذه الأسماء مرفوعة علىٰ أنها فاعل «المبين»، ونصبها كما ترىٰ غلط من الكاتب، وهذا التفسير مبني علىٰ أن أبان لازم كما أشار إليه بقوله: (من أبان ظهر)، وقوله: (أو مبين الحق من الباطل أو مبين عن تدبره) مبني علىٰ أن «المبين» من أبان المتعدي، لكن الوجهان بيان لخلاف في فهم المتعلق علىٰ تقدير كون الفعل متعديا، فقد ثبت أن أبان يرد متعديا ولازما، وأن الآية الكريمة يجوز بناء «المبين» فيها علىٰ الوجهين في أبان من التعدية واللزوم، وأنه أشار أولا إلىٰ الوجه اللازم، وثانيا علىٰ المتعدي علىٰ اختلاف في تقدير المتعلق كما بينا، فافهم ذلك، فإنه مما أشكل فهمه علىٰ كثير من الذكياء، وتعسر علمه علىٰ جمع غفير من الفضلاء وإن علم، وكتبه أبو الحسن البوريني لطف الله به.

نزوله، فلمَّا نزل بلغة العرب نسب إليها.

﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: (تا) لكي تقفوا علىٰ معانيه، فتفهموا المراد منكم فتؤمنون، والعقل: إدراك معنىٰ الكلام.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾: مصدر قصَّ [ق/ ١٣١ جـ] عليه الخبر قصصًا تتبعه، ورواه كما هو، والقصص بالفتح أيضًا الاسم، وضع موضع المصدر، وبالكسر جمع القصة، وتنصب ﴿أَحْسَنَ﴾ نصب المصدر لإضافته إليه، المعنىٰ: نبين لك خبر من تقدمك أحسن بيان.

﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ﴾: بإيحائنا، ﴿إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾: أي هذه السورة؛ لأنَّه كان قد سئل ﷺ عن قصة يوسف، فأخبر بها.

وإن مخففة من الثقيلة في: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ﴾: أي قبل القرآن الفارق بينها وبين إن النافية، اللام في ﴿لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾: عن قصة يوسف لم تكن تعرفها يحسن الوقف هنا إن نصبت ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ﴾: باذكر مقدرة، ولا يجوز إلا ضرورة إن نصبت إذ بدل اشتمال من أحسن القصص؛ لأنَّ الوقت مشتمل علىٰ القصص وهو المقصوص.

القراءة: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾: بفتح التاء حيث حل لتدل الفتحة علىٰ الألف المحذوفة المنقلبة عن ياء الإضافة المقدرة، وبكسرها لتدل علىٰ ياء الإضافة المحذوفة.

وقرئ: بضم التاء تشبيهًا لها بتاء التأنيث، أو هي تاء التأنيث وقعت معوضًا عن ياء الإضافة؛ لأنَّ كل واحد منهما زيادة متصلة بالاسم في آخره، وألحقت التاء في آخر المذكر كإلحاقها في نحو شاة وحمامة وبقرة وأوزة وبطة للذكور [تبيينًا][1] أنَّه واحد من جنس.

القراءة: ﴿رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾: تمييز بفتح الشين، **وقرئ:** بإسكانها تخفيفًا

---

(١) في ب: تنبيها، والمثبت من أ، جـ.

والإسكان جائز إلىٰ تسعة عشر.

الأخفش: لا يجوز ذلك في اثني عشر؛ لأنَّ ما قبل العين ساكن.

﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾: نصب عطفًا علىٰ ﴿كَوۡكَبٗا﴾ تخصيصًا[(١)]، أو الواو بمعنىٰ مع، ثم استأنف علىٰ تقدير كيف رأيت؟ فقال: ﴿رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾: (حس) وجمعهم جمع العقلاء لوصفهم بالسجود، وكان يوسف قد رأىٰ في نومه وهو ابن اثنتي عشرة سنة ليلة القدر أنَّ أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر قد نزلوا فسجدوا له، فُسِّرَتِ الكواكبُ بإخوته وكانوا أحد عشر؛ لأنَّه يستضاء بالأخوة كما يستضاء بالكواكب، والشمسُ بأمه، أو بخالته لأنَّ أمه راحيل كانت قد ماتت وقت تفسير الرؤياء، والقمرُ بأبيه، فذكر ذلك لأبيه فقال:

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦﴾

﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ﴾: **القراءة**: (رؤياك) بواو ساكنة وهمزة ساكنة، وروي (رُيَّاك) بضم الراء وكسرها مع تشديد الياء إدغامًا، والرؤيا في المنام، والرؤية في العين، والرأي في القلب.

وجواب النهي ﴿فَيَكِيدُواْ﴾: نصب بإضمار أن.

﴿لَكَ كَيۡدًا﴾: (كا) مفعول به، فتكون اللام بمعنىٰ من أجلك، أو كيدًا مصدر، فاللام زائدة؛ لأنَّ هذا الفعل يتعدىٰ بنفسه وباللام، والمعنىٰ: لا تخبر إخوتك برؤياك فيحتالون في هلاكك؛ لأنَّهم يعلمون تأويلها، قال ﷺ: «**الرؤيا الصالحةُ من الله تعالىٰ، فإذا رأي أحدُكم ما يحبُّ فلا يحدِّثْ به إلا من يحب، وإذا رأي ما يكره**

(١) في حاشية ب: كشاف: أي علىٰ طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية علىٰ غيرهما من الطوالع، كما أخر جبريل وميكائيل عن الملائكة، ثم عطفهما عليها لذلك.

فلا يحدث به، وليتفل عن يساره، وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم من شر ما رأىٰ، فإنَّها لا تضره» (١).

﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: (كا) ظاهر العداوة بينها، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: مثل ذلك الاجتباء الذي اجتباك للرؤيا، ﴿يَجْتَبِيكَ﴾: يصطفيك لمَّا هو أعظم منها، وأصل الاجتباء الجمع علىٰ طريق الاصطفاء، ثم استأنف ﴿وَيُعَلِّمُكَ﴾: لئلا يكون داخلًا في حكم التشبيه، أي وهو يعلمك ﴿مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: جمع حديث دون أحدوثة، والمراد الرؤىٰ جمع الرؤيا، أي يعلمك تعبير الرؤيا وما يؤول أمرها إليه، وكان يوسف أعبر الناس للرؤيا، أو المراد العلم والحكمة، أو تأويل أخبار الأمم الماضية، وتعطف علىٰ ﴿وَيُعَلِّمُكَ﴾: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾: بالنبوة وباحتياج إخوتك إليك، ﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ﴾: أي أولاد، ﴿يَعْقُوبَ﴾: بالنبوة أيضًا؛ لأنَّهم كانوا أنبياء، ولا يستعمل ﴿ءَالِ﴾ إلا لذي خطر، فيقال: آل الملك، ولا يقال: آل الحائك.

﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ﴾: أي أبيك وجدك، فإنَّ الجد أب في الأصالة، يقال: فلان ابن فلان وبينهما عدة آباء، وتعطف علىٰ ﴿أَبَوَيْكَ﴾ عطف بيان: ﴿إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾: (كا) بجعلها نبيين، أو علىٰ إبراهيم بأن أنجاه من النار، وعلىٰ إسحاق بإخراج يعقوب والأسباط من صلبه.

﴿حَكِيمٌ﴾: (تا) في جميع صنعه، وكان بين رؤيا يوسف وتحقيقها أربعون، أو ثمانون سنة، ولمَّا سمع رؤياه إخوته منهم يهوذا وروبيل وشمعون قالوا: ما رضي أن يسجد له إخوته حتىٰ يسجد له أبواه [ق/ ١٩٢ب]، وكان أبوه يؤثره عليهم، ويميل إليه دونهم لما يرىٰ من مخايل الصلاح فيه، فحسدوه وكانوا أحد عشر غير يوسف، وكان يوسف وبنيامين من راحيل، والباقون من ليا، وزلفة وبلهة جاريتين.

﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٣٧)، ومسلم (٢٢٦١) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

القراءة: ﴿ءَايَٰتٌ﴾: مفردًا إرادة الجنس، وجمعًا إرادة النوع، المعنىٰ: لقد كان في خبر يوسف وإخوته وقصصهم عظات.

﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾: (تا) عنها وغير السَّائلين، فاكتفي بذكر السائلين نحو: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل:٨١]؛ لأنَّهم إذا علموا ما صدر علىٰ الأنبياء ومنهم اتعظوا وسألوا الله تعالىٰ الهداية والتوفيق.

﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾: بنيامين، ﴿أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا﴾: ولم يُثَنِّ أحبُّ لأنَّ أفعل من يستوي فيه القليل والكثير، والمذكر والمؤنث، فإذا عرف لزم الفرق، وإذا أضيف جاز الأمران.

والواو للحال في: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: جماعة عشرة تعصب بنا الأمور، وفينا كفاية ويفضِّلُهما علينا، ولا كفايةَ فيهما لصغرِهما، وأصلُ العصبة والعصابة التعصيب والشدُّ، وتطلق علىٰ الثلاثة أو العشرة إلىٰ أربعين.

وقرئ: عصبة نصبًا أي نتعصّب عصبة أو مدحًا.

﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: لاختيارهما علينا.

﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾: ظرف لاطرحوه، أي مكانًا منكرًا ليهلك فيه.

﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾: فلا يشتغل بغيركم عنكم، وتتوفر محبته لكم.

﴿وَتَكُونُوا۟﴾: جزم عطف علىٰ (يخل)، أو نصب بإضمار أن قالوا والواو بمعنىٰ مع، ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: أي بعد قتله، أو بعد شخوصه عنكم.

﴿قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾: (تا) بأن تتوبوا فيتوب الله عليكم، لا وقف من (السائلين) إلىٰ هنا؛ لأنَّ الكلام جملة محكية عنهم.

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾: هو يهوذا: ﴿لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾.

القراءة: ﴿وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾: الغيابة ما غاب عن العين، والجب: البئر لم تُطْو، من الجَبِّ: القطعُ مفردًا وجمعًا، فكان كل جزء من الجُبِّ غيابة، **وقرئ**: (غيبة) و(غيابات) مشددًا.

﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾: المسافرين، **وقرئ**: (تلتقطه) مؤنثًا لإضافة (بعض) إلىٰ مؤنث، ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾: (تا) عزمتم عليه من القتل، فإنَّ القتل عظيم.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

القراءة: ﴿لَا تَأْمَ۫نَّا﴾: بالإدغام وإشمام النون الضم تنبيهًا علىٰ الأصل.

وقرئ: بترك الإشمام، **وقرئ**: بإظهار النونين، وتيمنًا بكسر التاء والإدغام، **المعنىٰ**: لم تخافنا ﴿عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾: (حس) قائمون بمصلحته وحياطته حتىٰ نرده إليك.

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾: إلىٰ الصحراء.

﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾: أصلها التوسع في الطعام ونيل المشتهىٰ.

القراءة: بالياء فيهما، أسند الفعل إلىٰ يوسف، وبالنون فيهما أسند إلىٰ [جميعهم](١)، ولم يكونوا أنبياء يومئذ(٢)، أو كان لعبهم المسابقة والنضال وما

---

(١) في ب: جمعهم، والمثبت من أ، ج.

(٢) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: واعلم أنه لم يقم دليل علىٰ نبوة إخوة يوسف، وظاهر هذا السياق يدل علىٰ خلاف ذلك، ومن الناس من يزعم أنهم أوحي إليهم بعد ذلك، وفي هذا نظر. ويحتاج مدعي ذلك إلىٰ دليل، ولم يذكروا سوىٰ قوله تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وهذا فيه احتمال؛ لأن بطون بني إسرائيل يقال لهم: الأسباط، كما يقال للعرب: قبائل، وللعجم:=

يتقوىٰ به علىٰ الحرب، وبكسر العين من يرتع فهو من رعىٰ يرعىٰ، فلامه ياء حذفت للجزم، وبقيت الكسرة لتدل عليها، وبإسكان العين جزمًا جوابًا أيضًا لأرسله، فهو من رتع يرتع و(نرتع) بالنون و(يلعب) بالياء، أي نرتع نحن ما شئنا ويلعب يوسف.

وقرئ: (نُرتِع) بضم النون وكسر التاء من أرتع ماشيته رعاها.

﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾: (كا) في قول يعقوب عليه السلام: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾: تعليم لهم العلة في كيد يوسف، وكان قد رأىٰ في النوم أنَّ الذئب قد شدّ علىٰ يوسف، أو كانت أرضهم كثيرة الذئاب.

﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾: (كا) مشغولون بعملكم، وتقدير الكلام قالوا: والله ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾: والساد مسد جوابي القسم والشرط ﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾: (حس) لمغبونون بترك حرمة الوالد والأخ، ثم قالوا ليوسف: أما تحب الخروج معنا ولطفوا به؟ قال: بلىٰ، قالوا: فسل أباك، فقال: يا أبي أرىٰ من إخوتي اللطف، فأحب أن ترسلني معهم إلىٰ الصحراء فأرسله.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿فلمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ﴾: جعلوا يحملونه علىٰ [عواتقهم][1] إكرامًا له وسرورًا به،

=

شعوب؛ يذكر تعالىٰ أنه أوحىٰ إلىٰ الأنبياء من أسباط بني إسرائيل، فذكرهم إجمالا لأنهم كثيرون، ولكن كل سبط من نسل رجل من إخوة يوسف، ولم يقم دليل علىٰ أعيان هؤلاء أنهم أوحي إليهم، والله أعلم.

«تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٧٢).

(١) في جـ: عاتقهم، والمثبت من أ، ب.

فلمَّا [أبعدوا][(١)] به عن العيون ألقوه وجعلوا يضربونه، وكلما لجأ إلىٰ واحد منهم ضربه، ولا يزدادون عليه إلا غلظة وحنقًا، وجعل يبكي بكاءً شديدًا، وينادي: يا أبتاه يا يعقوب، ما أسرع ما نسوا عهدك، وضيعوا وصيتك، لو تعلم ما يصنع بابنك أولاد الإماء، قالوا: فأخذه روبيل فجلد به الأرض، وثبت علىٰ صدره وأراد قتله، فقال: مهلًا يا أخي لا تقتلني، فقال له: قل لرؤياك تخلصك من أيدينا، ولوىٰ عنقه ليكسرها، فنادىٰ: يا يهوذا وكان أرفقهم به اتق الله وخل بيني وبين من يريد قتلي، فأخذته رقة ورحمة، فقال يهوذا: ألستم قد أعطيتموني موثقًا ألا تقتلوه؟ قالوا: بلىٰ، قال: فأنا أدلكم علىٰ ما هو خير لكم من القتل ألقوه في الجب، قالوا: نفعل، ولمَّا عزموا علىٰ إلقائه ﴿فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾: وهو بئر بين مصر ومدين علىٰ ثلاثة أميال من منزل يعقوب جعل يتعلق بثيابهم، فنزعوها من يده، فتعلق [ق/ ١٣٢ جـ] بشفير البئر فربطوا يديه، فنزعوا قميصه لما عزموا عليه من الكذب، فقال: يا إخوتي ردوا علىٰ ثوبي أستر به عورتي في حياتي، ويكون كفنًا لي بعد مماتي، فلم يفعلوا وألقوه، وكان يعقوب قد جعل قميص إبراهيم الذي [كسيه][(٢)] لمَّا ألقي في النار في عوذة، وعلقها في عنقه، فجاءه ملك فألبسه إياه، وقام علىٰ صخرة بجانب البئر، فأرادوا رضخه بحجر، فمنعهم يهوذا، وجاءه جبريل ليؤنسه، وقال له: إذا هِبت شيئًا فقل: يا صريخ المستصرخين، ويا غياث المستغيثين، ويا مفرج كرب المكروبين، قد ترىٰ مكاني وتعلم حالي، ولا يخفي عليك شيء من أمري، فلمَّا قالها حفته الملائكة فأنس بهم، ولبث في البئر ثلاثةَ أيام، أو خرج من ساعته[(٣)].

وجواب لمَّا محذوف، أي فعلوا كذا وكذا، أو جوابها ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ﴾: والواو زائدة أوحي إليه صغيرًا، أو مدركًا ابن سبع عشرة، أو ثماني عشرة سنة.

---

(١) في جـ: بعدوا، والمثبت من أ، ب.
(٢) في جـ: لبسه، والمثبت من أ، ب.
(٣) انظر: «زاد المسير» (٢/ ٤١٩).

﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾: فيما يستقبل، ﴿بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾: الذي فعلوه، بل ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: (حس) أنَّك يوسف لعلوِّ قدرك، وبعدهم عنك، وتغيير الأشكال بمصر إذا طلبوا منك الميرة ثم نحروا سخلة[١]، ولطخوا قميصه بدمها ولم يشقوه.

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً﴾: ظرف أي وقت المساء [ق/ ١١٣أ] وجاؤوا عشاءً ليقدموا علىٰ المبالغة في الاعتذار.

وقرئ: (عشا) جمع عاش، أراد عشاة فحذف التاء.

ابن جني[٢]: لأنَّهم عشوا من البكاء وعشيًا تصغير عشىٰ، ﴿يَبْكُونَ﴾: حال أي متباكين، أو بكوا حقيقة ندمًا علىٰ تفريطهم، ولمَّا سمع يعقوب صوتهم قال فزعًا: ما لكم أصابكم شيء في غنمكم، قالوا: الأمر أعظم قال فما هو؟ قالوا: ﴿ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾: في العدو [والتنضال][٣] ونتصيد.

﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ﴾: بمصدق [ق/ ١٩٣ب].

﴿لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾: (حس) عندك أنَّ الذئب قد أكله لحبِّك إياه، فكيف وأنت تتهمنا به؟!

ومحل: ﴿عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ﴾: ظرف، ولا ينتصب حالًا لأنَّ حال المجرور لا يتقدمه، وتقديره: جاؤوا فوق قميصه، ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾: أي ذي كذب، أو هو وصف بالمصدر، فكأن نفسه صار كذبًا كقولهم للعادل: عَدْل.

وقرئ: (كذبًا) حالًا، أو مفعول له، وقرئ: بالدال المهملة أي كدر، أو طريّ،

(١) يقال: السخلة لولد الغنم من الضأن والمعز ساعة وضعه ذكرا كان أو أنثىٰ وجمعه سخل بوزن فلس و سخال بالكسر.
«مختار الصحاح» (ص/ ٣٢٦) .
(٢) انظر: «الكشاف» (٢/ ٤٥٠).
(٣) في ب، جـ: والتناضل، والمثبت من أ.

أو شبّه الدم بالكذب، وهو نقط بيض تكون علىٰ الأظفار.

وروي أنَّه لمَّا سمع ذلك صاح بأعلىٰ صوته وقال: أين القميص؟ فأخذه وهو مخضب بالدم، وجعله علىٰ وجهه وبكىٰ حتىٰ خضب وجهه بالدم، وقال: إن كان هذا الذئب إلا حليمًا إذ لم يشق ثوبه كذبتم.

﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ (حس).

﴿فَصَبْرٌ﴾: أي فأمري صبر، ﴿جَمِيلٌ﴾: (حس) والصبر الجميل ما لا شكوىٰ فيه إلىٰ مخلوق، أو هو تلقي البلاء بقلب رحيب ووجه مستبشر.

وقرئ: (فصبرًا جميلًا) مصدر، يأمر نفسه بالصبر.

﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾: أي أطلب منه العون، ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾: (حس) من شأن يوسف.

﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾: جماعة يسيرون من مصر إلىٰ مدين، فنزلوا قريبًا من جب يوسف.

﴿فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ﴾: الذي يرد الماء، أي يحضره ليستقي لهم منه، وهو مالك ابن ذعر، ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾: أي أرسلها في البئر، فتعلق يوسف بها فدلاها، فإذا بغلام في غاية الحسن.

﴿قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ﴾: كحبلىٰ، **القراءة**: [بلا ياء][1] بمعنىٰ السرور، أو هو اسم رجل

---

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

ناداه المدلي، وبياء بعد الألف أضاف البشرىٰ إلىٰ نفسه.

وقرئ: (بشرىٰ) لغة معروفة يقولون في الدعاء: يا سيدي ومولاي وبشراي ساكنة الياء علىٰ نية الوقف، وكان قد أعطي يوسف شطر الحسن.

تلخيصه: بشر نفسه وأصحابه بغلام فقال: ﴿هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾ (حس).

﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾: (كا) قطعة من المال، أي أخفىٰ مالك وأصحابه شأن الغلام، ووجدانهم إياه لئلا يطالَبوا بالشركة فيه، ويجوز أن أسروه بضاعة لئلا يعترض عليهم فيه.

﴿يَعْمَلُونَ﴾: (حس) أو أخفىٰ إخوة يوسف شأنه؛ لأنَّه لمَّا أخذه المدلي علم به يهوذا؛ لأنَّه كان يأتيه بطعامه، فذهب هو وإخوته إلىٰ السيارة، فقالوا: هذا عبد لنا آبق فاشتروه منا، ويوسف ساكت ولا يتكلم مخافة القتل.

﴿وَشَرَوْهُ﴾: السيارة من إخوته، أو شروه إخوته أي باعوه.

﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾: مصدر بمعنىٰ مبخوس، أي حرام منقوص؛ لأنَّ ثمن الحر حرام، وتبدل من ثمن ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾: أي قليلة؛ لأنَّهم كانوا لا يَزِنُون إلا ما بلغ أوقية وهو أربعون درهمًا، ويعدون ما دونها وكانت عشرين، أو اثنين وعشرين، أو أربعين درهمًا.

﴿وَكَانُواْ﴾: أي إخوة يوسف، أو السيارة.

﴿فِيهِ﴾: في يوسف، ﴿مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾: (حس) ليبعد عنهم، أو خوف الإباق هذا مع الجمال الظاهر، وفيه إشارة إلىٰ أنَّ الجمال الظاهر لا خطر له عند الله، وإنَّما الجمال جمال الباطن، كقوله ﷺ: «**إن الله لا ينظرُ إلىٰ صورِكم ولا إلىٰ أعمالكم، ولكن ينظرُ إلىٰ قلوبِكم**»[1]، وليس الزهد الترك أصلًا، إنَّما الزهد التهاون

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «**إن الله لا ينظر إلىٰ صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلىٰ قلوبكم وأعمالكم**»

بالشيء، وإن أخذ منه البلاغ، وليس بيع يوسف إخوته بأعجب من بيعك نفسك بأدنىٰ شهوة، بل بأدنىٰ من ذلك وهو الطمع في الشهوة، وباع يوسُفَ من يعاديه، وأنت تبيع نفسك مع محبتك إياها، فما أغفلك وأسوأ حالك، أيقظك الله تعالىٰ وإيانا من رقدة الغافلين، وليس (فيه) من صلة الزاهدين؛ لأنَّ الصلة لا تتقدم علىٰ الموصول، وإنَّما هو بيان كأنَّه قيل: في أي شيء زهدوا؟ فقيل: زهدوا فيه، فباعه المدلي بمصر من قطفير، أو أطفير العزيز بعشرين دينارًا وزوجي نعل وثوبين أبيضين، أو عرض في السوق فاشتراه العزيز بوزنه مسكًا، ووزنه ذهبًا، ووزنه فضة، ووزنه حريرًا، أو كان الملك يومئذ الريان بن الوليد من العماليق آمن بيوسف ومات في حياته، فملك بعده قابوس بن مصعب، فدعاه يوسف إلىٰ الإسلام فأبىٰ، أو كان الملك في أيامه فرعون موسىٰ عاش أربعمائة سنة بدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [غافر:٣٤]، أو فرعون موسىٰ من أولاد فرعون يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

واللام في: ﴿لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾: منزله متعلقة بقال لا باشتراه، المعنىٰ: قال العزيز لزليخا: أحسني إليه مدة مقامه فينا.

﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾: فيما يحتاج إليه وكان العزيز لا يولد له فقال: ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾: (كا) نتبناه لمَّا رأىٰ فيه من مخايل الفلاح، أو عرفه نسبه، فأراد تبنيه لحريته.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: أي وكإنجائنا يوسف من الشدائد، وعطف قلب العزيز عليه.

﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أرض مصر بأن جعلناه حاكمًا عليها.

﴿ٱلْأَحَادِيثِ﴾: (حس).

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾: الهاء لله تعالىٰ، المعنىٰ: لا مانع لقضائه تعالىٰ، أو ليوسف أي أنَّه يدبر يوسف، ولا يكله إلىٰ سواه.

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: (حس) مراد الله تعالىٰ.

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا
عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ
ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

﴿أَشُدَّهُۥٓ﴾: قوته جمع شَدّ أو شِدّ، أو لا واحد له من لفظه، وهو ما بين ثماني عشرة إلىٰ ثلاثين، أو ثلاث وثلاثين، أو أربعين سنة، أو أقصاه اثنتان وستون سنة.

﴿حُكْمًا﴾: نبوة، ﴿وَعِلْمًا﴾: فقهًا، أو المراد العلم والعمل.

الحسن: من أحسن عبادة ربه في حال شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله، أو تكفل لمن أطاعه أن يفتح له ينابيع الحكمة.

﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: (حس) المطيعين.

﴿وَرَٰوَدَتْهُ﴾: أي طلبته مرة بعد مرة برفق وسهولة، ﴿ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا﴾: وهىٰ زليخا، والمعنىٰ: أنَّها احتالت عليه وأرادت خدعه.

﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾: لتنال غرضها منه، ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾: عليها وعليه وكانت سبعة، أو كان واحدًا وشدد مبالغة في الاحتياط والتستر، فكأنَّها غلقته مرة بعد مرة، أو بمغلاق بعد مغلاق، وجمع نظرًا إليه وإلىٰ أجزائه، فكأن كل جزء منه باب.

القراءة: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾: بكسر الهاء وفتحها لغتان مع فتح التاء وبهمزة ساكنة بدلًا من الياء مع كسر الهاء وفتح التاء [بناءً][1] كأين وغيض، وبفتح الهاء وضم التاء بناءً أيضًا كحيث.

وقرئ: (هيت) بناء كجير لغات كلها، وبنيت هذه اللفظة لأنَّها اسم للفعل كـ(شتّان) ومعناها خبر، أي تهيأت لك، أو أمر أي هلم وأقبل، فاللام في لك بيان نحو [سقيا][2] لك، كأنَّه قيل لك: أقول هذا كقولك هلم لك.

---

(١) سقط من ب، والمثبت من أ، جـ.

(٢) في جـ: سعيت، والمثبت من أ، ب.

وقرئ: (هِئت) بكسر الهاء، وهمزة ساكنة وضم التاء فعل صريح من هاء يهيء كجاء يجيء وزنًا ومعنىٰ وتصرفا أي هيئت لك، وقرئ بها، فاللام صلة للفعل.

تلخيصه: قالت: أنلني شهوتي منك.

﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾: مصدر، المعنىٰ: أعتصم بالله مما يطلب مني، ﴿إِنَّهُۥ﴾: أي الشأن ﴿رَبِّيٓ﴾: المعنىٰ: زوجك سيدي.

﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾: حين أوصاك بإكرامي، فما جزاؤه أن أخونه بعد إكرامه إياي، وحسن ظنه بي، في هذا دليل علىٰ وجوب معرفة الإحسان، أو المراد بربي الله تعالىٰ، أي أحسن إليَّ بما أعطاني [ق/ ١٩٤ب] [ق/ ١٣٣ جـ].

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: (حس) الزناة، أو أي الذين يجازون الحسن بالقبيح، الهُّم: عقد القلب علىٰ فعل شيء قبل أن يفعل من خير أو شر، وهو القصد ومنه: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦ﴾: بمجامعة يوسف، ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾: مجامعتها علىٰ ما تقتضيه الطباع البشرية والخواطر الإنسية[1].

---

(١) قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اختلفت أقوال الناس وعباراتهم في هذا المقام، وقد روي عن ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وطائفة من السلف في ذلك ما ذكره ابن جرير وغيره، والله أعلم.

وقال بعضهم: المراد بهمه بها هم خطرات حديث النفس، حكاه البغوي عن بعض أهل التحقيق، ثم أورد البغوي ههنا حديث عبد الرزاق، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال: رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالىٰ: إذا هم عبدي بحسنة فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها، وإن هم بسيئة فلم يعملها فاكتبوها حسنة، فإنما تركها من جرائي، فإن عملها فاكتبوها بمثلها**».

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وله ألفاظ كثيرة، هذا منها.

وقيل: هم بضربها. وقيل: تمناها زوجة. وقيل: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ أي: فلم يهم بها.

وفي هذا القول نظر من حيث العربية، ذكره ابن جرير وغيره.

«تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٨١).

وجواب: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾: محذوف لدلالة ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ عليه، تقديره: لجامعها، فوقف بعضهم علىٰ (وبها) تبيينًا أنَّ همه كان كهمها، لكن الفعل لم يقع لأنَّه عقبه بلولا، وكل ما عقب بلولا لم يقع الفعل نحو كنت قتلت زيدًا لولا أن منعت، ولا يتقدم جواب لولا عليها؛ لأنَّه في حكم الشرط، والشرط له صدر الكلام، والشرط وجوابه بمنزلة كلمة واحدة، ولا يجوز تقديم بعض الكلمة علىٰ بعض، ويجوز حذف بعضها إذا دل عليه دليل، أو تقدير المحذوف: لولا أن رأىٰ برهان ربه لهَمَّ بها، وهذا يؤذن بنفي الهمّ، أي أنَّه لم يهم بها، فرأىٰ بعضهم الوقف علىٰ هذا علىٰ (همت به) لبيان المعنىٰ، أو همه بها أن جعلت تعرض له بالفعل، ويعرض لها بالموعظة، بأن قالت: ما أحسن شعرك، فقال: هو أول ما ينتثر من جسدي، قالت: ما أحسن عينك، قال: هي أول ما تسيل علىٰ وجهي، قالت: ما أحسن وجهك، قال: هو للتراب يأكله، قالت: إن فراش الحرير مبسوط، فقم فاقض حاجتي، قال: إذن يذهب نصيبي من الجنة.

قالوا: والبرهان: ما رأىٰ في جانب البيت مكتوبًا: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ...﴾ الآية [الإسراء:٣٢]، أو رأىٰ يعقوب عاضًا علىٰ يديه، وبه كان يخوَّف صغيرًا، أو قال له ملك: تهم بفعل السفهاء، وأنت مكتوب في الأنبياء، أو البرهان هنا النبوة، وعند المتقين واعظ الله تعالىٰ في قلوبهم، قالوا: وابتلي الأنبياء ليكونوا علىٰ خوف من الله تعالىٰ، وليعرفوا موقع النعمة في الصفح، وليكونوا أئمة لأهل الذنوب.

الحسن[1]: لم يقصص الله تعالىٰ عليكم ما حكىٰ من أخبار الأنبياء تعييرًا لهم، لكن لئلا تقنطوا من رحمته؛ لأنَّ الحجة للأنبياء ألزم، فإذا قبلت توبتهم كان قبولها من غيرهم أسرع، وعدم ذكر توبة يوسف دليل علىٰ عدم معصيته؛ لأنَّه تعالىٰ ما ذكر معصية عن الأنبياء وإن صغرت إلا وذكر توبتهم واستغفارهم منها كآدم ونوح وداود وإبراهيم وسليمان عليهم السّلام أجمعين.

---

(١) انظر: «زاد المسير» (٢/ ٤٣٠).

تقف هنا إن عقلت ﴿كَذَٰلِكَ﴾: بمحذوف، أي فعلنا مثل ذلك، ﴿لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ﴾: خيانة السيد، ﴿وَٱلۡفَحۡشَآءَ﴾: (كا) الزنا، وكذلك إن رفعت الكاف خبر مبتدأ، أي الأمر كذلك، وإن علقت كذلك بما قبل أي اشتهاها واشتهته كذلك، لم تقف بينهما ولا تقف عقيب كذلك؛ لأنَّك تعلق لولا بـ﴿نُصَرِّفُ﴾، أي أريناه البرهان لنصرف عنه ما هَمَّ به من السوء والفحشاء، فعلىٰ هذا لا وقف من ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦ﴾ إلىٰ ﴿ٱلۡبَابَ﴾.

القراءة: ﴿ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾: بفتح اللام إذا كان في أوله ألف ولام حيث حلَّ، أي المختارين، وبكسرها أي المخلصين لله الطاعة.

وروي أنها سترت صنما كان عندها، فقال: لم سترتيه؟ قالت أستحيي أن يراني علىٰ معصية، فقال: أتستحيين ممن لا يسمع ولا يبصر؟ فأنا أحق أن أستحي من ربي وهرب.

﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ﴾: (كا) وَحَّدَ الباب أراد الجنس، أو أراد الباب الخارج، المعنىٰ: أنهما طلبا الباب مسرعين، أما يوسف فللفرار منها، وأما هي فلتصده عن الخروج، ولمَّا هرب تطاير فراش القفل فتبعته فلزمته.

﴿وَقَدَّتۡ﴾: شقت، ﴿قَمِيصَهُۥ﴾: نصفين، ﴿مِن دُبُرٖ﴾: لأنَّها كانت خلفه.

﴿وَأَلۡفَيَا﴾: وجدا، ﴿سَيِّدَهَا﴾: قطفير، أو العزيز، ﴿لَدَا ٱلۡبَابِ﴾: (كا) جالسًا، أو مقبلًا ليدخل، ولم يقل: سيدهما لأنَّ ملك يوسف لم يصح، فلمَّا رآها سيدها مغتاظة.

﴿قَالَتۡ﴾: منزهة نفسها: ﴿مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا﴾: أي زنا، ثم خافت عليه، أو استبقته قالوا: لتنال شهوتها منه بعد فقالت: ﴿إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ﴾: أي ما جزاؤه إلا السجن.

﴿ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾: (حس) [ق/ ١١٤أ] يضرب بالسياط، وقرئ: عذابًا أليمًا مصدر، فلمَّا عرضته للهلاك، أو لمَّا قال له سيده: أختنتني يا يوسف وغدرت بي وغررتني بما رأيتُ من صلاحك، فثَمَّ قال دفعًا عن نفسه وتنزيها لعرضه: ﴿ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِي﴾: (حس).

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾: أخوها، أو ابن عمها، أو رجل يقربها بصُر بهما ولم يشعرا فغضب لله تعالىٰ وليوسف، أو صبيٌ تكلم في المهد وقال: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ﴾: لأنَّه إذا طلبها دفعته عن نفسها فشقت قميصه من قدام، أو يسرع ليدركها فيتعثر في ثوبه فينشق.

﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ﴾: لأنَّها إذا تبعته هي تعلقت بقميصه لتلحقه فتشقه، ﴿وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: (كا) في قوله، وسمي قول الشاهد شهادة لأنَّه قائم مقام الشهادة في ثبوت صدق يوسف وكذبها.

وقرئ: (قُبُلُ) و(دُبُرُ) ضمًا فيهما بناء [لاقتطاعهما][1] عن الإضافة كقبلُ، أي قُبُلَ القميص ودُبُره، ﴿فلمَّا رَءَا﴾: الشاهد، أو الزوج، ﴿قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ﴾: أي قولها ﴿مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا﴾ أو قدّ القميص.

﴿مِن كَيۡدِكُنَّ﴾: عملكن ومكركن معاشر النسوة.

﴿عَظِيمٞ﴾: (تا) يخلص إلىٰ البريء والسقيم، وسمي كيد الشيطان ضعيفًا لأنَّه وسوسة، وكيد النساء عظيمًا لأنَّه مواجهة[2].

---

(١) في جـ: لانقطاعهما، والمثبت من أ، ب.

(٢) في حاشية ب: كشاف: وعن بعض العلماء: أنا أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان؛ لأنَّ الله تعالىٰ يقول: ﴿ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء:٧٦]، وقال للنساء: ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾.

ثم قال الشاهد حاذفًا حرف النداء: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا﴾: (تا) الأمر لا تذكره لأحد، ثم قال لها: ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ﴾: توبي من صنيعك، أو اعتذري إلىٰ زوجك.

﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾: (تا) المتعمدين للذنب، وجمع بالياء والنون تغليبًا للذكور.

﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى
ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا
وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ
﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ
لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾: هي مصر بعد شياع الخبر وكن أربعًا، أو خمسًا، أو أربعين.

﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾: غلامها، ﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾: لتنال شهوتها منه، ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾: تمييز، الشغاف: غلاف القلب أو سويداؤه، المعنىٰ: قد أصاب حبه شغاف قلبها وخرقه، نحو كبده ورأسه أصاب كبده ورأسه.

وقرئ: بعين مهملة من شعف البعير هناه بالقطران أحرقه به، أو من شعاف الجبال رؤوسُها، أي ذهب حبه بها كل مذهب.

﴿فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾: (حس) خطأ بيّن من حب عبدها، ﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾: بغيبتهنَّ لها، أو كانت قد أطلعتهن علىٰ سرها فأفشينه.

﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾: دعتهن إليها، ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ﴾: من العتاد وهو الشيء المهيأ أي هيأت لهن، ﴿مُتَّكَـًٔا﴾: ما يتكأ عليْه وله من مخاد وطعام إكرامًا لهن ومكرًا بهن، ولتعذر في يوسف لعلمها أنهن إذا رأينه دهشن فافتتن به.

وقرئ: (مُتْكًا) بضم الميم وإسكان التاء وهو الأترج، أو البزماورد[(١)].

﴿وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ﴾: بعد الجلوس على المتكأ أو للمتكأ له، ﴿سِكِّينًا﴾: تَحُزُّ بها الطعام، وكان يوسف إذا سار في الأزقة رؤى تلألؤ وجهه على [الجدر][(٢)]، أو كان [يشبه][(٣)] آدم يوم خلق، فخبأته ثم أمرتهن بالأكل فشرعن يأكلن ويقطعن الطعام بالسكاكين حزًّا.

﴿وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾: (كـا) فخرج عليهن، قالوا: لم يشعر بهن، أو خرج خوفًا لئلا [يدخلن][(٤)] عليه [ق/ ١٩٥ب].

﴿فلمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾: أعظمنه وهالهن حسنه، أو حضن، أو أمنين لتوقهن إليه، ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: جرحنها لمَّا رأينه دهشًا، أو أبنها وهن لا يشعرن [لاشتغالهن][(٥)] بيوسف، وهب[(٦)]: مات منهن جماعة.

القراءة: ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ﴾: أي تنزيهًا ﴿لِلَّهِ﴾: أن يجري على يوسف ما نقل عنه بألف في الوصل في الحرفين خاصة، وهي من الحشا الناحية، وحذف الألف في الوقف لاتباع الإمام، وبحذفها في الحالين تخفيفًا، ولدلالة الفتحة عليها.

وقرئ: (حاش الله، و(حاشى الإله)، أي المعبود، وحاش سكونًا تخفيفًا، المعنى بُعد يوسف عما رمي به لخوفه من الله تعالى، ولطفه به.

ولمَّا رأين ما هو عليه من الجمال رفعن قدره عن البشرية فقلن: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾: نصب خبر ما، وقرئ: (بَشَرٌ) رفعًا بإهمالها، وقرئ: (بِشِرًا) أي مشترى.

---

(١) البزماورد: هو: طعام من البيض واللحم معرب، وأصله: الزماورد، والعامة يقولون بزماورد. «القاموس المحيط» (ص/ ٤١٥).
(٢) في ب: الجدار، والمثبت من أ، جـ.
(٣) في جـ: شبه، والمثبت من أ، ب.
(٤) في جـ: تدخل، والمثبت من أ، ب.
(٥) في جـ: لانشغالهن، والمثبت من أ، ب.
(٦) انظر «تفسير القرطبي» (٩/ ١٨٠).

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾: (حس) مع علمهن أنَّه بشر؛ لأنَّـه في النفوس أن لا أكمل ولا أحسن خلقا من الملك.

وقرئ: (مَلِكٌ) واحد الملوك.

فثم قالت موبخة لهن: ﴿فَذَٰلِكُنَّ﴾: كن للنسوة وذا ليوسف، ﴿ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾: (كا) ولم تقل هذا مع حضوره رفعًا لمحله، أو أشارت إليه بعد ذهابه، فلمَّا بان عذرها لهن اعترفت ببراءته فقالت: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾: (حس) طلب العصمة من الله تعالىٰ مبالغًا في الامتناع منها؛ لأنَّ في استفعل معنىٰ المبالغة، فثم أمرته بطاعتها فقالت: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ﴾: أي الذي آمره به من قضاء شهوتي، أو ما مصدرية أي وإن لم يفعل يوسف أمري أي مقتضاه.

القراءة: بتشديد ﴿لَيُسْجَنَنَّ﴾: وتخفيف ﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾: (تا) الذليلين.

تلخيصه: لئن لم يطعني [لأذلنه][(١)]، ولمحبتها إياه جعلت الذل في حقه تهديدًا، والوقف علىٰ (ليكونن) بألف كـ﴿لنسفعًا﴾ لموافقة الإمام [ق/ ١٣٤ جـ].

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾

وقرئ: (وليكونن) مشددًا ﴿ٱلسِّجْنُ﴾: أي [المحبس][(٢)] مبتدأ خبره ﴿أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾: روي أنهن كلهن دعونه إلىٰ أنفسهن أو جمعن لأنَّهن زين له طاعة مولاته، وأحب سكنىٰ السجن علىٰ قضاء حاجتهن وإن أحبتها الطباع

(١) في جـ: لأذللته، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: الحبس، والمثبت من أ، ب.

البشرية نظرًا إلىٰ العاقبة، وما ينال بذلك من الكرامة.

وتضمن قوله: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ﴾: أي أَمِلْ، ﴿إِلَيْهِنَّ وَأَكُن﴾: وقرئ: (وأكـون)، ﴿مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: (كـا) المقدمين علىٰ المعصية عمدًا معنىٰ الدعاء؛ فلذلك قيل: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾: (كا).

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: (حس).

روي أنَّها راودته بعد ذلك فلم يزدها إلا بعدًا، فقالت للعزيز: إن هذا العبد العبراني قد فضحني بقوله: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ فإما إن تأذن لي فأخرج إلىٰ الناس فأعتذر أو تحبسه، قالوا: وكان مطواعًا لها وجملًا ذلولًا[1] حتىٰ أنساه ذلك ما رأىٰ من الآيات فأذن لها في سبحنه.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾: أي ظهر للعزيز وزوجته رأي ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾: الدالة علىٰ براءته من شق القميص وكلام الشاهد وقطع الأيدي،أو فاعل ﴿بَدَا﴾ محذوف، وهو السجن يدل عليه ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾: (تا) أي مدة ينقطع كلام الناس في ذلك[2]، وقرئ: (لتسجننه) خطابًا خوطب به العزيز تعظيمًا له.

وقرئ: (عتىٰ حين)، روي أنَّ يوسف لو لم يطلب السجن لم يسجن، والأولىٰ بكل سؤال العافية عافاك الله تعالىٰ وإيانا في داريه.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ﴾: عبدان للملك، كان أحدهما ساقيه، والآخر صاحب طعامه، وكان المصريون قد بذلوا لهما رشوة ليسُمَّا الملك، فردها الساقي وقبلها الخباز وسَمَّ طعامه، فعرَّف الساقي الملك بذلك، فقال لصاحب الطعام:

---

(١) في حاشية ب: أي زمامه في يدها.

(٢) في حاشية ب: في فاعل بدا ثلاثة أوجه:

أحدها: هو محذوف، (وليسجننه) قائم مقامه، أي: بدا لهم السجن، فحذف وأقيمت الجملة مقامه، وليست الجملة فاعلا، لأنَّ الجمل لا تكون كذلك.

والثاني: أنَّ الفاعل مضمر، وهو مصدر بدا، أي: بدا لهم بداء فأضمر.

والثالث: أنَّ الفاعل ما دل عليه الكلام، أي: بدا لهم رأي.

كل طعامك فأبىٰ، فأكلت منه بهيمة فهلكت، فحبسهما الملك، وكان يوسف عند دخول السجن قال: أنا أعبر للناس الأحلام فقال الساقي: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾: عنبًا بلغة عمان، وقرئ: بها، أو سمي خمرًا لأوله إليه؛ لأنَّه رأىٰ في نومه أنَّه قد دخل بستانًا فإذا بكرمة عليها ثلاثة عناقيد، فعصر العناقيد في زجاجة، فأتىٰ به الملك فشربه.

وقال الخباز: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا﴾: لأنَّه رأىٰ أنَّه قد خرج من مطبخ الملك وعلىٰ رأسه ثلاث سلال في أعلاها أنواع الأطعمة.

﴿تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ﴾: (كا) من ذلك الطعام، وكانا صادقين في قولهما، أو كاذبين، أو أحدهما صادق وهو الناجي، والآخر كاذب وهو المصلوب.

﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ﴾: بتأويل ما قصصنا عليك.

﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: (حس) العالمين، أو المحسنين في [تعبير][(١)] الرؤيا، أو من المحسنين إلىٰ الناس؛ لأنَّه كان ينصر المظلوم ويعين الضعيف ويداوي المرضىٰ، ويأخذ بقلب المكروبين، وإذا ضاق المجلس علىٰ أحدٍ وسع له بصدر منشرح، وقال لقوم في السجن انقطع رجاؤهم وحزنوا: أبشروا واصبروا تؤجروا، فإن لهذا آخرًا، فقالوا: له بارك الله فيك، ما أحسن خَلْقك وخُلقك، لقد أحسنت إلينا، ثم قال للساقىٰ والخباز:

﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾

(١) سقط من ب، والمثبت من أ، ب.

﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ﴾: في اليقظة إلا أخبرتكما به وبكميته ولمَّا أعدَّ ﴿قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾: (حس) وإن رأيتما ذلك في النوم أخبرتكما بما يؤول أمره إليه، فقالا له: من أين لك ذلك؟ فقال: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾: (حس) بأن أوحاه إليَّ ولم أقله تكهنًا ولا تنجُّمًا، يحسن الوقف إن استأنفت ما بعد، ويكفي إن جعلته تعليلًا لمَّا قبل وهو: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ﴾: أي رفضت، ﴿مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾: ولا وقف إلىٰ ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾: (حس).

﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾: (حس) لأنَّا معاشر الأنبياء معصومون من الشرك.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي التوحيد أو العلم والنبوة، ﴿مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا﴾: بذلك، ﴿وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾: بإرسالنا إليهم، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾: المرسل إليهم.

﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾: (تا) فضل الله تعالىٰ عليهم، بل يكفرونه.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ﴾: يا ساكنيه كأصحاب الجنة، ولمَّا كانت الأصنام مما يُدَّعَىٰ [فيه][1] الربوبية قال موبخًا: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ﴾: الذي لم يزل وحده، ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾: (حس) وأم هنا متصلة، المعنىٰ: إله منفرد عن جميع خلقه غلاب له خير، أم آلهة مختلفوا الطبائع عجزة لا تضر ولا تنفع، أو لم يكن أحدهما مشركًا.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾

(١) في جـ: فيها، والمثبت من أ، ب.

ثم قال لهما ولمن على دينهما: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً﴾: أي مسميات لأنَّ الاسم لا يعبد.

﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾: آلهة، ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾: تخرُّصًا لا عن ﴿سُلْطَٰنٍ﴾: (حس) حجة وبرهان، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ﴾: في جميع الأشياء، ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾.

ثم بين الحكم فقال: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾: (حس).

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي التوحيد، ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾: الثابت المستقيم، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: (تا) ما لهم وعليهم من الثواب والعقاب، ثم شرع يعبر لهما رؤياهما فقال للساقي: أما الحبلة فسلطانك وعزك، والعناقيد الثلاثة فلبثك في السجن ثلاثة أيام، ثم خروجك منه وعودك إلى ما كنت عليه عند الملك.

﴿فَيَسْقِى رَبَّهُۥ﴾: وقرئ: (فيُسقِي) من أسقى و(فيُسقَي) ربه من الارتواء مجهولًا أي يسقيه الملك، ﴿خَمْرًا﴾: حتى يرويه، ﴿وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ﴾: وهو الخباز فخروجه من المطبخ خروجه من عمله، والسلال الثلاث فلبثه في السجن ثلاثة أيام [ق/ ١٩٦ب]، وأكل الطير من أعلاها إخراجه في اليوم الثالث.

﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾: (حس) فلمَّا سمعا قول يوسف قالا: إنما كنا نلعب فقال: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ﴾: أي في معناه، ﴿تَسْتَفْتِيَانِ﴾: (تا) تسألان أعاقبته هلاك أم نجاة ؟

تلخيصه: ما قلته واقع صدقتما أو كذبتما.

﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ﴾: أي تيقن يوسف، ﴿أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾: هو الساقي.

﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾: فقل له: في السجن غلام محبوس ظلمًا طال حبسه. ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: أي فأنسى الساقي ذكر يوسف لسيده فلم يذكره له.

ابن عباس(١): هذا نسيان عهد لا نسيان سهو.

---

(١) انظر: «زاد المسير» (٢/ ٤٤١).

أو فأنسىٰ يوسف ﴿ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾: فاستعان بالمخلوق [ق/ ١١٥أ]، ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ﴾: هو ما بين واحد أو ثلاثة إلىٰ تسع.

﴿سِنِينَ﴾: (تا) أي مقدار مدة بضع سوىٰ لبثه المتقدم، أكثرهم أنَّه لبث فيه سبع سنين.

روي أنَّ جبريل قال له عَلَيْهِ السَّلَامُ: من الذىٰ حببك إلىٰ أبيك دون إخوتك، وحفظك في الشدائد؟ فقال: الله، فقال: أنَّه يقول: أحسبت أني أنساك في السجن حتىٰ [استغثت][1] بغيري، وأنا أقرب إليك وأقدر علىٰ خلاصك، لتلبثن فيه بضع سنين، قال: وربي عني راضٍ؟ قال: نعم، قال: فلا أبالي إذن.

وروي أنَّه قال: لأطيلن حبسك، فبكىٰ وقال: يا رب أقسىٰ قلبي كثرة البلوىٰ، فقلت: كلمة، ولا شك أنَّ الأنبياء يعاتبون علىٰ الصغائر معاتبة غيرهم علىٰ الكبائر.

وقرئ: فلبث مجهولًا.

وعن **الحسن**: أنَّه كان إذا قرأها يبكي ويقول: نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلىٰ الناس.

﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ ﴾

ولمَّا قرب خروج يوسف رأىٰ الملك الأكبر وهو الريان ﴿سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ﴾: خرجن من البحر، أو من نهر يابس وسبع بقرات عجاف هالكات من الهزال، فابتلعت العجاف السمان، ثم رأىٰ سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعًا أخر

(١) في ب: استعنت، والمثبت من أ، جـ.

يابسات قد استحصدت وأدركت، فالتَوَت اليابساتُ علىٰ الخضرِ حتىٰ غلبن عليهن، فلم يبق منهن شيء، وجر ﴿سِمَانٍ﴾ جمع سمينة صفة ﴿بَقَرَٰتٍ﴾ لقصدك تمييز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن، ولو نصبت سمان نعتًا لسبع لكنت قد قصدت تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها، ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن.

وقوله: ﴿عِجَافٌ﴾: هزال جمع عجفاء وأعجف وأفعل وفعلاء لا يجمعان علىٰ فعال، لكنَّه حمل علىٰ سمان؛ لأنَّه نقيضه فجمع جمعه لأنَّهم يحملون النقيض علىٰ النقيض كحملهم النظيرعلىٰ النظير، ولم يقل: سبع عجاف إضافة؛ لأنَّ التمييز موضوع لبيان الجنس، والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده، وأما قولهم: خمسة فرسان ونحوها، فلأنَّ الفارس ونحوه صفات جرت مجرىٰ الأسماء، فجاز فيها ما لم يجز في غيرها، ألا تراهم لا يقولون: ثلاثة غلاظ ونحوها.

وقوله: ﴿خُضْرٍ﴾: نعت لسنبلات، ويجوز في العربية خضرًا نعتًا لسبع.

وقرئ: (سنابل).

﴿وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾: (كا) فقال لعرافيه ومنجميه: فسروا لي ﴿رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾: (حس) عبرت الرؤيا مخففًا أعبرها، وقد جاء عبرتها مشددًا تعبيرًا أولتها.

﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾: أي أضغاث من أحلام جمع ضعث، وهو الحزمة من النبات، والأحلام: جمع حلم وهو ما يرىٰ في النوم.

المعنىٰ: هذه الرؤيا مختلطة لا يصح تأويلها.

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ﴾: أي هذه الرؤيا وما شاكلها في الاختلاط.

﴿بِعَٰلِمِينَ﴾: (حس) لاختلاطها.

القراءة: ﴿وَٱدَّكَرَ﴾: بدال مهملة.

﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾: بضم الهمزة أي حين، وهو مدة لبث يوسف في السجن.

وقرئ: بذال معجمة وكسر همزة (إمة) [ق/ ١٣٥ جـ] مشددًا بمعنىٰ النعمة، وأمه مخففًا مصدر أَمِهَ أَمَهًا نسىٰ، وأمه سكونًا مصدر أمه أيضًا، المعنىٰ أنَّ الساقي لمَّا سمع قول الملك تذكر يوسف وديانته وعلمه بعد بطء نسيان فقال: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم﴾: وقرئ: (آتيكم)، ﴿بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾: (تا) إلىٰ يوسف فأرسلوه إليه فقال له: أخبرني عن رؤيا الملك.

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾: أي الملك وأصحابه لاحتمال أنَّه يخترم في الطريق.

﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: (كا) منزلتك وتأويل الرؤيا فيخرجونك من السجن، فقال: أمَّا البقرات السمان والسنبلات الخضر فسبع سنين مخصبات، والبقرات العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين مجدبات، ثم أرشدهم إلىٰ مصلحتهم فقال: ﴿تَزْرَعُونَ﴾: أي ازرعوا، ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾: علىٰ عادتكم بجد واجتهاد.

القراءة: (دأْبا) بسكون الهمزة وتحريكها مصدر دأب وهو حال أي دائبين.

﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾: لئلا يفسد، ثم يأتي بعد السنين المخصبة ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾: صعاب، ﴿يَأْكُلْنَ﴾: أي السنون، ﴿مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾: إسناد مجازي، ﴿مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾: تدخرون، ثم يأتي بعد السنين المجدبة، ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾: يمطرون من الغيث، أو ينقذون من الشدة من الغوث.

القراءة: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾: (حس) الأعناب وغيرها، أو ينجون من الجدب

ويعطون ويفضلون لسعة عيشهم بالتاء والياء، لا أحب الوقف من ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ﴾ إلىٰ هنا اختيارًا، فأخبر الساقي الملك بقول يوسف فقال: عليَّ به، فجاء يوسف فقال: أجب الملك فأبىٰ، وقال للساقي: ارجع إليه فاسأله عن حال النسوة المقطعات الأيدي، ولم يذكر سيدته تأدبًا ومراعاةً لحقها.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾: (تا) وأراد بذلك إظهار براءته.

ابن عباس[(١)]: لو خرج يوسف قبل علم الملك بشأنه ما زالت في نفس الملك منه حاجة.

قال ﷺ: «**لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي**»[(٢)].

وروي أنَّه قال: «**رحم الله أخىٰ يوسف إن كان إلا ذا أناةٍ، لو كنت أنا لأسرعت الإجابة**»[(٣)]، يقول ذلك هضمًا للنفس.

في هذا دليل علىٰ وجوب الاجتهاد في نفي التهم ونفي الوقوف في مواقفها، في الحديث: «**من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فلا يقف مواقف التهم**»[(٤)]، ولا أحب الوقف من ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ﴾ إلىٰ هنا اختيارًا، فجمعهن الملك ثم ﴿قَالَ مَا

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ١٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٩٢)، ومسلم(١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ١٣٦): غريب، وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (ص/ ٢٥٩).

خَطْبُكُنَّ﴾: أي شأنكن العظيم.

﴿إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ﴾: (كا) هل وجدتن منه ميلًا إليكن؟ قلن تعجبًا من عفته وصيانته: ﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾: ريبة ما، فثم ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ معترفة: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ﴾: أي ثبت، ﴿ٱلْحَقُّ﴾: وقرئ حُصحِص مجهولًا ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾: لأنَّ المعصية خيانة، ومحل ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: حال، أي أنا غائب عنه، وهو غائب عني أو هذا من كلام زليخا.

﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: (كا) في قوله، فلمَّا علم ذلك يوسف وهو في السجن قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي التثبت.

﴿لِيَعْلَمَ﴾: العزيز، وقرئ: (لِيُعْلَم) مجهولًا.

المعنىٰ: ذلك الذي قلت ليعلم يوسف أني لم أخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة، بل جئت [بالصدق][1] فيما سئلت عنه.

تلخيصه: فعلت ذلك ليعلم عدم خيانتي، وليعلم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾: (تا) العاصين، أو الزناة وغيرهم.

﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾

روي أنَّ جبرائيل قال له: ولا حين هممت؟ فقال: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ﴾: من الخطأ والزلل، أو قال ذلك هضمًا لنفسه وخوفًا من دخول العجب[2]، ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ﴾: أي جميع النفوس، ﴿لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾: بنيل شهوتها الردية.

---

(١) في جـ: بالحق، والمثبت من أ، ب.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ١٤٤).

﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾: (كا) إلا الذي رحمه ربي، أو ما بمعنىٰ الوقت، أي أنها آمرة بالسوء في كل وقت إلا وقت رحمة ربي، أو هو استثناء منقطع.

﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: (تا) فلمَّا ظهرت براءته عند الملك: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ﴾: أجعله خالصًا، ﴿لِنَفْسِى﴾: دون غيره فخرج من السجن ودعا لأهله فقال: اللهم أعطف عليهم قلوب الأخيار، ولا تعم عليهم الأخبار، فهم أعلم الناس بالأخبار.

وجاء الملك ﴿فلمَّا كَلَّمَهُۥ﴾: شفاهًا وسأله عن رؤياه وعرفه ﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾: ذو مكانة في ملكي.

﴿أَمِينٌ﴾: (حس) علىٰ خزائني وأموري، فما ترىٰ؟ قال: تزرع زرعًا كثيرًا، وتأخذ من الناس خمس زروعهم في السنين المخصبة، وتدخر الجميع في سنبله فيكفيك ولأهل مصر مدة السنين المجدبة، فقال الملك: ومن لي بذلك؟ [ق/ ١٩٧ب] فقال: ﴿ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ﴾: أرض مصر، أي علىٰ جميع الأموال، وقال ذلك لعلمه أن لا أحد أقوم منه بذلك.

﴿إِنِّى حَفِيظٌ﴾: لما وليتني ولما استودعتني.

﴿عَلِيمٌ﴾: (حس) بسني المجاعة وسياسة الملك وألسنة الناس، أو كاتب حاسب، قالوا: إذا علم النبي أو العالم أن لا سبيل إلىٰ الحكم بالعدل ودفع الظلم إلا بتمكين الملك الكافر أوالفاسق فله أن يستظهر به، وفوَّض الملك جميع أمره إلىٰ يوسف، وعزل قطفيرًا وجعله مكانه، ومات قطفير فزوجه بامرأته زليخا، فوجدها عذراء فولدت له أفراييم وميشا.

القراءة: ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا﴾: من أرض مصر، ﴿حَيْثُ يَشَآءُ﴾: (حس) بالنون والياء أي يشاء يوسف، ولا أحب الوقف إلىٰ ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: (حس)، ثم أسلم الملك وجماعة، ثم جاء القحط وكان يوسف لا يشبع مدة القحط مخافة نسيان الجياع، فباع الطعام من أهل مصر في السنة الأولىٰ بالدنانير والدراهم، والثانية بالحلي

والجواهر، والثالثة بالدواب والمواشي، والرابعة بالعبيد والإماء، والخامسة بالضياع والعقار، والسادسة [بأولادهم](١)، والسابعة برقابهم، فقال يوسف للملك: كيف رأيت صنيع ربي فيما خولني، فما ترىٰ؟ فقال: الرأي رأيك، ونحن لك تبع، فقال: إني أشهد الله وأشهدك أني قد أعتقت أهل مصر عن أولهم وآخرهم ورددت عليهم أملاكهم.

﴿يَتَّقُونَ﴾: (تا) وكان يوسف لا يبيع أحدًا من الممتارين إلا حمل بعير تقسيطًا بين الناس، وأصاب الشام وأرض كنعان ما أصاب أرض مصر من القحط، فأمسك يعقوب بنيامين أخا يوسف من أمه فأرسل إخوته العشرة إلىٰ مصر في طلب الميرة(٢)، فدخلوا علىٰ يوسف.

﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

﴿فَعَرَفَهُمْ﴾: أنَّهم إخوته.

﴿وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾: (حس) لبعدهم عنه، ولذهابه عن قلوبهم، ولشدة ما بهم من الضر.

الحسن: ما عرفهم حتىٰ تعرفوا له؛ لأنَّه قال: أخبروني من أنتم؟ قالوا: قوم من أرض الشام، قال: بل أنتم جواسيس جئتم تطلعون علىٰ عورة بلادي، قالوا: لا والله لسنا بجواسيس، وإنما جئنا نمتار، ونحن إخوة بنو أب واحد، وهو شيخ صديق نبي من أنبياء الله تعالىٰ، وكان قد قال لنا: إنَّ بمصر ملكًا صالحًا، فانطلقوا إليه وأقرئوه مني السلام، وهو يقرئك السلام، فبكىٰ يوسف وعصر عينيه، وكنا اثني عشر هلك منا واحد وبقي واحد منَّا عنده يتسلىٰ به عن أخيه الهالك، قال:

(١) في جـ: بالأولاد، والمثبت من أ، ب.

(٢) في حاشية ب: الامتيار: حمل الطعام من بلد إلىٰ بلد.

فاتركوا بعضكم رهينة عندي وأتوا بأخيكم من أبيكم، ويراسلني أبوكم عن لسانه ويخبرني أبوكم مم حزنه حتىٰ أصدقكم، فتركوا عنده شمعون وكان يوسف يحسن إليهم.

﴿ولمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ﴾: أصلحهم بما يحتاجون إليه في السفر.

وقرئ: بكسر الجيم.

﴿قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ﴾: أي أتمه .

ثم قال تهديدًا: ﴿فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ﴾: داري وبلادي، وتقربون جزم نهي، أو عطف علىٰ محل ﴿فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي﴾.

﴿سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ﴾: سنطلبه منه بجد واجتهاد ورفق.

﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾: (كا) ما أمرتنا به، قالوا: الله أمره بطلبه أخيه ليعظم أجر أبيه علىٰ فراقه.

﴿وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

القراءة: ﴿لِفِتۡيَٰنِهِ﴾: بألف بعدها نون مكسورة جمع فتىٰ جمع كثرة، ولفتيته جمع فتىٰ أيضًا جمع قلة.

المعنىٰ: أنَّه قال لغلمانه: ﴿ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ﴾: أثمان ما أخذوه، ﴿فِي رِحَالِهِمۡ﴾: أوعيتهم، ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾: (كا) إذا رأوا إحسانه إليهم وليعلموا أنَّه لم يطلب عودهم لأجل الثمن، وأنَّهم إذا رأوا الثمن عادوا إليه؛ لأنَّهم لا يستحلون أكله.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ﴾: إن لم نحمل أخانا إليه وذكروا إحسانه، وأنَّه قد ارتهن شمعون.

القراءة: ﴿نَكۡتَلۡ﴾: بالنون أي كلنا، وبالياء أي يكال هو حمل بعير زيادة علينا [ق/ ١١٦أ]، ﴿لَحَٰفِظُونَ﴾: (حس) ضامنون برده إليك.

القراءة: ﴿خَيۡرٌ حَٰفِظٗا﴾: تمييز، وحافظًا بألف تمييز أيضًا، أو حال.

وقرئ: (خيرُ حافظٍ)، المعنىٰ: كيف آمنكم عليه وقد فعلتم بيوسف ما فعلتم، ولكن حفظ الله خير من حفظكم إياه وحفظي [ق/ ١٣٦جـ].

روي أنَّه لمَّا قال ذلك قال تعالىٰ: وعزتي لأردن عليك كليهما.

﴿وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: (حس) لأنَّ ما بعده جملة مستأنفة، ولا أحب الوقف من ﴿قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ إلىٰ هنا.

﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

القراءة: ﴿رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡ﴾: بضم الراء.

وقرئ: بكسرها يرد إلىٰ الراء كسرة الدال، وبالإشمام كحيل.

المعنىٰ: عند عود بضاعتهم إليهم ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِي﴾: (حس) لاستئنافك ما بعد، أجمعوا علىٰ إثبات الياء هنا.

وقرئ: (تبغي) بتاء خطابًا ليعقوب، وما استفهامية نصب بنبغي، المعنىٰ: أي شيء نطلب علىٰ ما أخبرناك به من تفضله علينا وإحسانه إلينا دليلًا أكثر من ردّه البضاعة.

تلخيصه: لم نقل ذلك تمدحًا.

﴿وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا﴾: نأتيهم بالميرة، وهي الطعام من بلد إلىٰ بلد، ﴿وَنَحۡفَظُ أَخَانَا﴾:

في الذهاب والمجيء، ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ﴾: أي وقر، ﴿بَعِيرٍ﴾: نصيب أخينا، ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي حمل البعير.

﴿كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾: (حس) سهل على الملك فيعطيناه، أو يعقوب قال: حمل بعير شيء يسير، فلا نخاطر بالولد بسببه.

﴿مَوْثِقًا﴾: عهد مؤكدًا بيمين، ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: وجواب اليمين، ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ﴾: المعنىٰ: لا يذهب معكم حتىٰ تحلفوا أنَّكم تردونه إليَّ .

﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾: استثناء منقطع، أي لكن تهلكوا جميعًا، أو متصل أي تأتوني به في كل حال إلا في حال الإحاطة بكم.

﴿وَكِيلٌ﴾: (حس) رقيب مطلع عليكم.

﴿لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ﴾: من أبواب مصر الأربعة خشية العين لحسنكم، ولأنَّ الملك يراعيكم فيكثر الناظرون إليكم فيعينونكم، ولم يأمرهم بالتفرق في المرة الأولىٰ لأنَّهم كانوا مجهولين، وكان ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين من العين(١)، أو لئلا يظن أنَّكم جواسيس، ويجوز أنَّه أراد أن يذيقهم ألم الفراق ليعذروه.

﴿وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾: (كا).

﴿مِن شَيْءٍ﴾: (كا) المعنىٰ: لا أقول ذلك دفعًا لمَّا قضي سواء دخلتم متفرقين أو مجتمعين، لكن ذلك مقتضىٰ الشفقة، لا أحب الوقف إلىٰ ﴿ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾: (حس) في قول يعقوب: ﴿لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ...﴾ الآية دليل علىٰ جواز التعلق بالأسباب الظاهرة مع صحة التوكل.

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا

(١) أخرجه البخاري (٣١٩١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

وفاعل ﴿يُغۡنِي﴾ محذوف تقديره: ﴿ولمَّا دَخَلُواْ﴾: متفرقين، ﴿مَّا كَانَ يُغۡنِي﴾: رأي يعقوب، ﴿عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: من قضائه، ﴿مِن شَيۡءٍ﴾: (كا) لأنَّهم سرقوا وافتضحوا، وأخذ أخوهم منهم وازداد حزن أبيهم، ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿حَاجَةً﴾: مفعول له.

﴿فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَا﴾: (كا) أظهرها لهم وهي الشفقة عليهم، المعنىٰ: إنَّما دخلوا متفرقين لأجل حاجة أبيهم.

﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٍ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ﴾: المعنىٰ هو عالم عامل بتعليمنا إياه.

﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾: (حس) إن جعلت جواب ﴿لَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ﴾ محذوفًا، تقديره: امتثلوا، وإن جعلت جواب: ﴿ولمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾: ولمَّا دخلوا قبل واحدًا وهو: ﴿ءَاوَىٰٓ﴾: أي ضم، ﴿إِلَيۡهِ أَخَاهُ﴾: فلا أحب الوقف بينهما، وجاز ذلك لأنَّ دخولهم علىٰ يوسف كان عقيب دخولهم من الأبواب ونحو هذا ولمَّا آتيتك ولمَّا حدثتك أكرمتني، ولمَّا قالوا له: قد جئناك بأخينا، قال: أحسنتم، وسترون ذلك عندي وأكرمهم وأجلس كل اثنين منهم علىٰ مائدة، فبقي بنيامين وحده فبكىٰ، وقال: لو كان أخي يوسف حيًّا لأجلسني معه، فأجلسه معه وجعل يؤاكله، وأنزل كل اثنين في مكان، فلم يبق لبنيامين ثان، فبات عند يوسف فقال له: أتحب أن أكون أخاك؟ فقال: ومن يجد مثلك ولكن لم تلدك راحيل؟ فقال: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾: يوسف، ﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ﴾: لا تحزن، ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾: (حس) بنا فيما مضىٰ، فقد أحسن تعالىٰ إلينا، وجمعنا فلا تعلمهم بأمرنا، فقال: لا أفارقك، فقال: لا يمكنني أخذك وردك إلا بعد أن أرميك بالسرقة، فقال: افعل ما شئت [ق/ ١٩٨ب]، فوفىٰ يوسف الكيل لكل واحد من إخوته حمل بعير، دس في رحل

أخيه السقاية مشربة الملك، وكان يسقىٰ بها، وهي الصواع، وكانت من ذهب مرصعة بالجواهر، كال بها لإخوته إكرامًا لهم، فلمَّا انفصلوا عن مصر نحو الشام أرسل يوسف من استوقفهم فوقفوا.

﴿أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾: نادىٰ مناد، ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾: أي القافلة تحمل الميرة، والمراد أهلها، والأصل في العير أن تكون حميرًا، ثم كثر ذلك حتىٰ قيل: لكل قافلة عير. ﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾: (حس) فيما يظهر لمن لا يعرف الأمر، أو قال ذلك المؤذن.

﴿ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾

﴿قَالُواْ مَّاذَا﴾: أي ما الذي ﴿تَفْقِدُونَ﴾: (كا) وقرئ: تفقدون من أفقدته جعلته فقيدًا، ﴿قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾: المذكور.

الزجاج(1): الصواع يذكر ويؤنث، وكذلك الصاع.

وقرئ: (صاع) و(صُوع) و(صَوع) بغين معجمة ومهملة في الألفاظ الثلاثة، فبالمعجمة من الصياغة، وبالمهملة لغات في الصَّاع.

﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ﴾: بالصواع، ﴿حِمْلُ بَعِيرٍ﴾: من طعام ضمانًا علينا إن ردّ الصواع إلينا، ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ﴾: بالحمل، ﴿زَعِيمٌ﴾: (كا) كفيل لمن رد الصواع أن يعطيه حمل بعير، ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم﴾: بما رأيتم من رد البضاعة، وبإدخالنا إبلنا السوق مكمومة الأفواه لئلا يتناول طعامًا لأحد وأنا ﴿مَّا جِئْنَا﴾: لنسرق، ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾: أرض مصر، ﴿وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾: (كا) ما سرقنا قط.

﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾: أي السّارق، أو السرق، ﴿إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ﴾: (كا) في قولكم

﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ

(1) «معاني القرآن» (٣/ ١٢٢).

قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴿٧٦﴾ ﴾

﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ مبتدأ خبره، ﴿مَن وُجِدَ﴾: الصواع، ﴿فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾: (كا) مبتدأ وخبر، والجملة مؤكدة للجملة قبلها، المعنىٰ: جزاء السارق أن يسلم إلىٰ المسروق منه فيسترقه سنة، هذه سنة آل يعقوب.

تلخيصه: جزاء السارق أو السرق الاسترقاق.

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (كا).

﴿فَبَدَأَ﴾: المفتش، ﴿بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾: (كا) لئلا يتهم أنَّه قد دس الصواع في رحل بنيامين فلم يجد شيئًا.

﴿ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا﴾: أي السرقة ﴿مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾: (كا) **وقرئ**: بضم الواو و(إعاء) بكسر الهمزة، ﴿ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَ﴾: (حس) وأصل الكيد الفعل من خير أو شر، المعنىٰ: كفعلنا بيوسف من الإحسان إليه ابتداءً فعلنا به انتهاءً.

﴿ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ ﴾: أي لم يكن له أخذ أخيه، ﴿فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ﴾: أي: في حكمه؛ لأنَّ حكمه أنَّ علىٰ السارق الضرب والغرم.

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: (كا) وقد شاء أخذه بقضاء أبيه يعقوب.

تلخيصه: لولا شريعة أبيه لمَّا تمكن من أخذ أخيه.

﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُ﴾: (كا) بالعلم والعمل كيوسف، **وقرئ**: بالياء فيهما وتنوين ﴿دَرَجَٰتٖ﴾، فمحل ﴿مَّن﴾ نصب.

﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾: (حس) وهذا عام مخصوص؛ لأنَّه تعالىٰ لا يدخل في عمومه؛ لأنَّه لا عليم أعلم منه، ولا يناسبه أحد في علمه.

﴿ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا

شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾

﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾: هو يوسف سرق صنمًا لجده أبي أمه كان يعبده فكسره، أو كان عند عمته وكانت تحبه وكانت أكبر ولد إسحاق، فلمَّا كبر طلبه يعقوب، فأخذت منطقة إسحاق كانت عندها فشدتها علىٰ وسطه وهو نائم، فلمَّا ذهب إلىٰ أبيه طلبت المنطقة فوجدتها في وسطه، فقالت: يا يعقوب إنَّ يوسف لي، فقال لك ذلك؛ لأنَّه كان في شريعتهم استرقاق السارق.

﴿فَأَسَرَّهَا﴾: أي كلمتهم وهي أنَّه سرق، وقرئ: (فأسره) أي قولهم، أو أسرّ قوله: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾: تمييز أي منزلة عند الله تعالىٰ المشهور أنَّه لم يصرح لإخوته بأنتم شر، فأنتم شر مكانًا بدل من ﴿فَأَسَرَّهَا﴾، أو المعنىٰ أنتم شر صنيعًا من يوسف؛ لأنَّ سرقتكم ظهرت وسرقته لم تظهر.

﴿تَصِفُونَ﴾: (حس) فغضبوا غضبًا شديدًا وكانوا إذا غضبوا لا يطاقون، وكان منهم من إذا صاح غضبًا ألقت الحوامل أجنتها خوفًا وهو روبيل، وكان إذا مسه أحد من ولد أبيه سكن غضبه فقال لإخوته: اكفوني الملك وأكفيكم الأسواق، أو اكفوني الأسواق وأكفيكم الملك، فدخلوا علىٰ يوسف فقال روبيل: لتردّن علينا أخانا أو لأصيحن صيحة لا تبقي بمصر حامل إلا ألقت ولدها، وقامت كل شعرة في جسده فخرجت من ثيابه، فقال يوسف لابن له صغير: قم إلىٰ روبيل فمسه فسكن غضبه فقال: إن هنا بذرًا من بذر يعقوب، قال يوسف: ومن يعقوب؟ قال: أيها الملك لا تذكر يعقوب فإنَّه إسرائيل الله ابن ذبيح الله ابن خليل الله.

وروي أنَّه غضب ثانية، فركضه يوسف برجله وأخذ بتلابيبه فوقع علىٰ الأرض، فقال: أنتم معشر العبرانيين تظنون لا أحد أشد منكم، [ق/ ١٣٧ جـ] فثم خضعوا.

﴿قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا﴾: يحبه كثيرًا يشق عليه فراقه، ﴿فَخُذۡ أَحَدَنَا﴾: عبدًا، أو رهينة، ﴿مَكَانَهُۥٓ﴾: ظرف، ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: (حس) إلينا في الكيل والضيافة فتمم إحسانك.

﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾: مصدر أي نعوذ بالله معاذًا من ﴿أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾: فحذفت من، وأضيف المصدر إلىٰ المفعول به، ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ﴾: (حس) إن أخذنا غيره.

﴿ ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ ﴾: يئسوا زيدت فيه السين والتاء مبالغة يئس وأيس واحد. ﴿نَجِيّٗا﴾: جماعة يتناجون سرًّا؛ لأنَّ النجي من تساره وهو مصدر يعم الواحد والجمع والذكر والأنثىٰ.

﴿قَالَ كَبِيرُهُمۡ﴾: علمًا وعقلًا وهو يهوذا، أو رئاسة وهو شمعون، أو سنًّا وهو روبيل وما صلة في ﴿وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ﴾: أي ومن قبل هذا قصرتم في شأن يوسف، أو مصدرية فمحلها رفع ابتداء خبره (من قبل)، فيجوز الوقف علىٰ اسم الله تعالىٰ، أو النصب عطفًا تقديره ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم موثقًا، وألم تعلموا تفريطكم.

﴿فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ﴾: لن أفارق أرض مصر، ﴿حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾: في الانصراف إليه، أو في قتال آخذ أخي.

﴿أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِي﴾: برد أخي إليَّ وبما فيه المصلحة، ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾: (تا) لا أحب الوقف من (الظالمين) إلىٰ هنا اختيارًا.

﴿ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾ ﴾

﴿إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ﴾: أخذ ما لم يؤتمن عليه في خفية.

وقرئ: بضم السين وكسر الراء مشددًا مجهولًا.

﴿وَمَا شَهِدۡنَآ﴾: عليه ﴿إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا﴾: المعنىٰ: لا نقطع عليه بالسرقة لكنَّا رأينا الصواع قد أخرج من رحله، وحسبك بهذا شاهدًا، ﴿وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ﴾: لمَّا غاب من أموره في ليله ونهاره ﴿حَٰفِظِينَ﴾: (كا).

﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَا﴾: لأنَّهم كان قد صحبهم قافلة من كنعان، المعنىٰ: أرسل إلىٰ أهل مصر وأصحاب العير فسألهم عن ذلك.

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾: (كا) في قولنا.

﴿أَمۡرٗا﴾: (حس).

﴿جَمِيلٌ﴾: (حس).

﴿يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًا﴾: بيوسف وأخيه وكبيرهم.

﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾: (كا) الأسف شدة الحزن وإضافة يعقوب إلىٰ نفسه في قوله: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ﴾: لأنَّ ألفه منقلبة عن ياء الإضافة، وقلبت ألفًا ليكون [ق/ ١١٧أ] أتم للصوت لملازمته الأسف، قال ﷺ: «**لم تُعْطَ أمةٌ ما أُعطِيت هذه الأمّة إنا لله وإنا إليه راجعون، ألا ترىٰ إلىٰ يعقوب لمَّا أصابه ما أصابه لم يسترح، وإنما قال: يا أسفىٰ علىٰ يوسف**» وتأسفه علىٰ يوسف دون غيره دليل علىٰ أن كل رزء حل به بعده كان دون رزئه، ولأنَّه سبب كل رزء حل بيعقوب.

﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ﴾: من البكاء لأنَّ العبرة محقت سواد عينه، وقلبته إلىٰ البياض قالوا: عمىٰ، أو كان يبصر يسيرًا [ق/ ١٩٩ب].

﴿فَهُوَ كَظِيمٞ﴾: (حس) فعيل بمعنىٰ مفعول من كظم السقي شده علىٰ ملئه، أي هو مملوء من الحزن والغيظ علىٰ أولاده، ومع ذلك فلا يظهر لهم ما يسوءهم، وكان بين ذهاب يوسف إلىٰ عوده إلىٰ أبيه ثمانون سنة، لا تجف عينا يعقوب وما

على الأرض أكرم على الله من يعقوب؛ لأنَّ الإنسان لا يملك نفسه عند الشدائد، ولذلك يحمد الصبر فيها، وحذف لا من ﴿تَفْتَؤُاْ﴾ لأنَّه لا يلتبس؛ لأنَّه لو كان إثباتًا للزمه اللام والنون أو أحدهما لأنَّ تقديره لا تفتأ.

﴿قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾

وقرئ: (تفتا) بلا همزة، المعنى: لا تزال تذكر يوسف، ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾: مشرفًا على الهلاك؛ لأنَّ الحرض: الإشراف على الهلاك، فالحرض مصدر يستوي فيه [الواحد والجمع، والذكر والأنثى][1] كالدنف، وإن جعلتهما صفة كسرت النون والراء.

وقرئ: بكسر الراء، و(حُرُضا) بضمتين أي كالأشنان المدقوق و(حُرْضًا) مخففًا، الحرض: الأشنان.

﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾: (كا) الميتين.

تلخيصه: لا تزال تذكره حتى تقارب الموت أو تموت.

ولمَّا قال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي﴾: همي الذي لا يُصبر عليه حتى يُبث، ﴿وَحُزْنِيٓ﴾: **وقرئ**: و(حزني).

المعنى: ما أشكو ما بي من شديد الحزن ويسيره إلى أحد إلا ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: (كا) أوحى تعالى إليه وعزتي وجلالي لو كانا ميتين لأحييتهما لك.

روي أنَّه أوحى إليه أنما وجدت عليكم لأنَّكم ذبحتم شاة، فقام مسكين ببابكم فلم تطعموه، وإنَّ أحب خلقي إليَّ الأنبياء ثم المساكين، فاصنع طعامًا وادع

(١) في ب: الذكر والأنثى، والواحد والجمع، والمثبت من أ، ج.

[عليه][١] المساكين، أو باع ولد جارية كانت له وتركها فبكت حتىٰ عميت.

﴿وَأَعْلَمُ﴾: يا بني، ﴿مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: (كا) وهو أنَّ رؤيا يوسف حق، وأني وأنتم سنسجد له.

﴿ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ﴾: تطلبوا الخبر، ﴿مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: **وقرئ**: [بالجيم ومعناهما الطلب والمعرفة، ومنه حواس الإنسان وجواسه لمشاعره، وقال بعضهم: بالجيم لخبر الشر، وبالحاء لخبر الخير][٢].

﴿مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾: من رحمته وهو مصدر.

وقرئ: بضم الراء لغة، أو اسم للمصدر نحو الشَرْب والشُرْب، وأصله استراحة القلب من غمه.

المعنىٰ: لا تقنطوا من رحمة تأتيكم من الله، لا أحب الوقف من ﴿تَعْلَمُونَ﴾ إلىٰ ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: (كا).

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: بلغة مصر الملك.

﴿ٱلضُّرُّ﴾: الجوع والشدة.

﴿بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾: مدفوعة لا يرغب فيها لرداءتها من أزجيت الشيء دفعته، وكانت دراهم زيوفًا لا تؤخذ إلا بنقصان، أو سويق مقل وأقطٍ، أو حب الصنوبر وحب الخضراء.

---

(١) في جـ: إليه، والمثبت من أ، جـ.

(٢) في ب: بالحاء لخبر الخير، وبالجيم لخبر الشر، والمثبت من أ، جـ.

﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ﴾: الذي نستحقه.

﴿وَتَصَدَّقْ﴾: تفضل، ﴿عَلَيْنَآ﴾: (كا) بأخذ بضاعتنا وإعطائنا ما بين الثمنين الجيد والرديء؛ لأنَّ منهم من يرىٰ تحريم الصدقة علىٰ جميع الأنبياء وأهليهم أجمعين، فالمراد المساهلة في المعاملة لا حقيقة الصدقة، أو تصدق علينا برد أخينا إلينا، وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال: ألا تسمع إلىٰ قوله: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾، يريد أنَّ الصدقة لم تكن محرمة عليه؛ لأنَّهم سألوها ثم قالوا مرغبين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾: (حس).

ابن عباس[(١)]: لو علموا أنَّه مسلم لقالوا: إن الله يجزيك.

وسمع **الحسن**: إنسانًا يقول: اللهم تصدق عليّ، فقال: إن الله لا يتصدق، إنما يتصدق من يبتغي الثواب، ولكن قل: اللهم أعطني، أو تفضل علي أو ارحمني ونحوه[(٢)].

فلمَّا سمع قولهم: ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ...﴾ الآية، رق لهم، ثم أومأ إلىٰ توبتهم وعفوه وتعظيم قصتهم فقال: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: وقد تقدم ما صنع [بهما][(٣)].

﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾: (كا) بما يؤول أمر يوسف إليه، أو عاصون معكم جهل الشباب، ثم تعرف لهم فعرفوه وقالوا: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾.

القراءة: (إنك) بهمزة مكسورة علىٰ الخبر، وبتحقيق الهمزتين وبتسهيل الثانية وفصل الألف بينهما.

وقرئ: (أوأنت يوسف؟) ﴿قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى﴾: إن استأنفت ﴿قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾: (كا) باجتماعي بأخي وإنجائنا من الشدائد.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٣٤٩).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٤٣).

(٣) في ب: بهم، والمثبت من أ، ج.

القراءة: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ﴾: بحذف الياء في الحالين جزم بمن لأنَّها شرط، وبإثباتها في الحالين لغة للعرب يثبتون الياء في الجزم ومنه:

ألم يأتيك والأنباء تنمي(١)

المعنىٰ: من يخف الله ﴿وَيَصْبِرْ﴾: علىٰ امتثال الأمر و اجتناب النهي، أو علىٰ العزوبة.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: (حس) المتصفين بهذه الصفات، ووضع المحسنين موضع هم مبالغة، وتنبيهًا علىٰ قدرهم(٢).

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾

﴿ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ﴾: فضلك، ﴿عَلَيْنَا﴾: بالصبر والعلم والعقل.

﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾: (حس) المعنىٰ: وما كنا إلا متعمدي الخطأ والإساءة إليك، يقال: خطئ فعل الإثم عمدًا، وأخطأ فعله غير عمد.

فلمَّا اعترفوا بذنوبهم ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾: لا تأنيب ولا عتب من الثرب الشحم يكون غشاوة للكرش، فكان اللوم يذيب جسم الكريم وثربه لشدته عليه، فبعد عفوه عنهم دعا لهم تطييبا لقلوبهم فقال: ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: ما صدر منكم في حقي فإنَّه يقبل التوبة.

---

(١) البيت بتمامه:

ألم يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد

وهو لقيس بن زهير العبسي، انظر: «معاني القرآن» للفراء(١/ ١٦١).

(٢) في حاشية ب: والعائد من الخبر محذوف، وتقديره: المحسن منهم، ويجوز أن يكون وضع الظاهر موضع المضمر، أي: لا يضيع أجرهم.

﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: (تا)، ولمَّا عرفوه قالوا له: نستحي من الحضور لديك لإساءتنا إليك، فقال: لقد شرفت بكم؛ لأنَّ المصريين وإن ملكتهم فما ينظرون إليَّ إلا بالعين الأولىٰ؛ لأنّي كنت عبدًا فيهم، ثم سألهم عن أبيه فقالوا: عمي فقال: ﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا﴾: هو قميص إبراهيم، لبسه حين ألقي في النار، جاءه به جبريل من الجنة، وصل إلىٰ يوسف.

﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾: حال، أو هو الذي خرقته زليخا لتظهر براءته عند أبيه.

﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ﴾: بأبيكم وأهله، ﴿أَجْمَعِينَ﴾: (حس) فقال يهوذا: أنا أحزنته بالقميص الملطخ بالدم، فسأفرحه بهذا القميص، فحمله من مصر إلىٰ كنعان، وبينهما ثمانون فرسخًا.

﴿ولمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾: أي خرجت من عريش مصر، وقرئ: (انفصلت) ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾: يعقوب لولد ولده: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾: لأنَّ الصبا حملت ريح يوسف من ثمانين فرسخًا.

﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾: (كا) تسفهون وتنسبون إلىٰ الخرف والهرم، وصدقتموني وأصل التفنيد [ق/ ١٣٨ جـ] ضعف الرأي وفساده، يقال: شيخ مفند، ولا يقال: عجوز مفندة؛ لأنَّها لم يكن لها رأي في شبيبتها، فتفند في كبرها، وكانوا يعتقدون موت يوسف؛ فلذلك قالوا ليعقوب:

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾: (حس) لفي خطئك بمحبتك يوسف قديمًا، وتعتقد أنك تلقاه حديثًا.

﴿فلمَّـآ أَن جَـآءَ ٱلْبَـشِيرُ﴾: هـو يهـوذا، أو غيـره، ﴿أَلْقَىٰـهُ﴾ أي القمـيص، ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾: وجه يعقوب، ﴿فَٱرْتَدَّ﴾: فرجع رده فارتد، وارتده: ارتجعه.

﴿بَصِيرًا﴾: حال، فثم قال لولد ولده: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: (حس) وهو قولي ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ...﴾ الآية، ﴿وَلَا تَاْيْـَسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ...﴾ الآية، أو قولي: أني وأنتم سنسجد له.

روي أنَّ يعقوب سأل البشير عن يوسف؟ قال: ملك مصر، وما أصنع بالملك علىٰ أي دين هو؟ قال: علىٰ الإسلام، قال: الآن تمت النعمة.

﴿خَٰطِـِٔينَ﴾: (كا) ثم الاستغفار إلىٰ السحر، أو إلىٰ ليلة الجمعة، أو ليتعرف [صدق][1] توبتهم فقال: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾: روي أنَّهم [ق/ ٢٠٠ب] قالوا ليعقوب ويوسف: ماذا يعني عفوكما إذا لم يعف الله عنا؟ فاستقبل الشيخ القبلة قائمًا يدعو ويوسف خلفه يؤمن وهم خلفهما أذلة خاشعين عشرين سنة فقال جبريل: إنَّ الله قد تاب علىٰ ولدك وعقد مواثيقهم بعدك علىٰ النبوة.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾: (حس) وكان يوسف قد أرسل بمائتي راحلة إلىٰ أهله وجهاز ليرتحلوا إليه، وكانوا اثنين وسبعين إنسانًا لمَّا دخلوا مصر ما بين ذكر وأنثىٰ، وكانوا لمَّا خرجوا منها هاربين من فرعون ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلًا سوىٰ الذرية والهرمىٰ، قالوا: وكانت الذرية والهرمىٰ ألف ألف ومائتي ألف، ولمَّا دنا يعقوب وأهله من مصر خرج يوسف والملك الأكبر بأربعة آلاف من الجند وعظماء المصريين يتلقونهم، فلمَّا رأىٰ يعقوب الخيل قال ليهوذا وكان يعتمد عليه: هذا فرعون مصر؟ قال: هذا ابنك، فلمَّا لقيه يوسف قال يعقوب: السلام عليك يا مذهب الأحزان.

﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾: أباه وراحيل، أو أباه وخالته؛ لأنَّ راحيل كانت قد ماتت فتزوج يعقوب أختها بعدها.

(١) سقط من ب، والمثبت من ا، جـ.

وروي أنَّ يوسف قال لأبيه: بكيت حتىٰ عميت، أما علمت أنَّ القيامة تجمعنا، قال: خشيت أن تسلب دينك فيحال بيننا، ولمَّا لقيهم يوسف سُرَّ بهم وسايرهم، فلمَّا قارب البلد قال: ﴿ٱدْخُلُواْ مِصْرَ﴾: وتقديره مصر آمنين دخلتم.

﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾: (كـا) فالمشيئة متعلقة بالدخول والأمن، كقولك للغازي: ارجع سالمًا غانمًا إن شاء الله، فالمشيئة متعلقة بالسلامة والغنم معًا، فلمَّا عاد إلىٰ مصر جلس علىٰ سريره وجمع الناس وإخوته حوله.

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ﴾: معه، ﴿ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾: السرير فرفع من قدرهما بقدر حزنهما، ﴿وَخَرُّواْ﴾: أي إخوته وأبواه، ﴿لَهُۥ سُجَّدًا﴾: حال مقدرة؛ لأنَّ السجود بعد الخرور يكون، أو كان سجودهم انحناء ولم يكن فيه وضع الجباه، ويجوز أنهم سجدوا علىٰ وجوههم شكرًا لله تعالىٰ لأجل اجتماعهم بيوسف، فاتفق أنَّه كان في ناحية القبلة.

﴿قَدْ جَعَلَهَا﴾: أي الرؤيا، ﴿رَبِّى حَقًّا﴾: (حس) يقينًا لا شك فيه مصدر، أو صفة مصدر جَعْلًا حقا.

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ﴾: أحسن بي وأحسن إليَّ واحد، والمفعول محذوف، تقديره: أحسن بي صنعه.

﴿إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾: ولم يقل: من الجب تكريمًا لئلا يستحيي إخوته من تمام الصفح والعفو ألا يذكر ما تقدم من الذنب.

﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾: البادية؛ لأنَّهم كانوا أصحاب ماشية وعمد ينتقلون في الماء والمرعىٰ.

﴿نَّزَغَ﴾: أفسد ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ﴾: (حس) بوسوسته وأصل النزغ نخس الرائض الدابة لتتحرك كنسع وندع.

﴿لَطِيفٌ﴾: ذو لطف بمن شاء، أو ﴿لِّمَا يَشَآءُ﴾: من الحكمة.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: (تا) وأقام يعقوب عند يوسف أربعًا وعشرين سنة، فلمَّا حضره الموت وصاه بحمله ودفنه عند أبيه.

ابن جبير[1]: لمَّا مات يعقوب نقله يوسف في تابوت من ساج إلىٰ بيت المقدس، فوافق يوم موت عيص فدفنا في قبر واحد، وكان في بطن واحد، وعاش مائة وسبعًا وأربعين سنة.

و﴿مِنَ﴾ تبعيض في ﴿مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾: وفي، ﴿مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: (تا) لأنَّه لم يؤت جميع الملك، ولا جميع تعبير الرؤيا.

لمَّا تم أمر يوسف زهد في ملكه، وطلب الملك الدائم فتمنىٰ الموت فقال: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾: أي مخلصًا.

﴿وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾: (حس) ولمَّا توفي يوسف تشاح المصريون في مدفنه حتىٰ كادوا أن يقتتلوا، فدفنوه في أعلىٰ النيل لتعمهم بركته، فبقي ثَّم حتىٰ أخرجه موسىٰ إلىٰ الشام معه.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي المذكور قبل، ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾: (حس) [ق/ ١١٨أ] لأنَّك لم [تحضره ولا قرأته][2] من كتاب، وقد أخبرت بها كما جرت.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٥١٦).

(٢) في جـ: تحضرها ولا قرأتها، والمثبت من أ، ب.

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ﴾: على كيد يوسف، ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾: (تا) به ويبغون له الغوائل.

﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾: هذا عام، أو خاص بأهل مكة، ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾: بالغت في طلب إيمانهم.

﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾: (كا).

﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ﴾: على إرشادك إياهم، ﴿مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾: موعظة وإنذار، ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: (تا).

القراءة: ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: عطفًا على السموات فالآية لهما.

وقرئ: بنصبها بإضمار فعل، وبرفعها مبتدأ خبره ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾: فالآية للسموات وما بعدها منقطع عنها، فالوقف على هاتين القراءتين على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، المعنى: كثير من الآيات الدالة على الوحدانية يشاهدونها في أسفارهم.

﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾: (تا) لا يتعظون بها.

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

ونزل في مظهر الإيمان ومضمر الكفر: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾: (تا).

الحسن[1]: هم أهل الكتاب معهم إيمان وشرك.

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (٢/ ١١٧).

ابن عباس[(١)]: هم الذين شبهوا الله بخلقه.

﴿غَٰشِيَةٌ﴾: نقمة تغشاهم، ﴿مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ بَغْتَةً﴾: مصدر في موضع الحال. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: (تا) بمجيء القيامة.

﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾: طريقي وهما يذكران ويؤنثان ثم بيَّن سبيله فقال: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: (حس)؛ لأنَّ قوله: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾: أي يقين وحجة واضحة منوي به التأخير، أي: ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾: (حس) آمن بي علىٰ بصيرة، وإن عطفت ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ علىٰ ﴿أَدْعُوٓاْ﴾ لم تقف علىٰ اسم الله تعالىٰ؛ لأنَّ تقديره: ادعو لي الله ومن اتبعني أيضًا يدعو كدعائي، وأجمعوا علىٰ إثبات الياء هنا.

تلخيصه: أنا ومتبعيّ مؤمنون، ولسنا ﴿مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: (تا).

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾: وليسوا بملائكة.

القراءة: ﴿نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾: هنا والنحل والموضعين في الأنبياء بنون مضمومة وكسر الحاء وبياء مضمومة وفتح الحاء وقلب الياء ألفًا.

﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾: (تا) الأمصار.

الحسن[(٢)]: ما بعث الله نبيًّا من البدو، ولا من الجن، ولا من النساء لجفائهم وقوتهم وجهلهم.

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (٢/ ١١٧).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٤/ ٢٨٥).

﴿مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: (تا).

القراءة: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾: (كا) بالتاء والياء.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ﴾: أي طلب، ﴿ٱلرُّسُلُ﴾: علم فلاح قومهم.

القراءة: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾: بكسر الذال مخففًا، فالواو في ﴿ظَنُّوٓاْ﴾ للأمم وهم في ﴿أَنَّهُمۡ﴾ للرسل.

تلخيصه: ظن الأمم أنَّ الرسل قد أخلفوا ما وعدوا به من عذاب قومهم لبعد المدة ومشددًا ففي ﴿ظَنُّوٓاْ﴾ ضمير ﴿ٱلرُّسُلُ﴾، والهاء والميم في ﴿أَنَّهُمۡ﴾ للرسل، فالظن بمعنىٰ اليقين، أي وتيقن [الرسل][1] أنَّ الأمم قد كذبوهم فيما جاؤوهم به.

وقرئ: بفتح الذال مشددًا، أي وظن الرسل أنَّ الأمم قد كذبوهم، وبفتحها مخففًا أي تيقن الرسل أنَّ الأمم قد كذبوا فيما ادعوه من الإيمان، فبعد تكذيب الرسل ﴿جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾.

القراءة: ﴿فَنُجِّيَ﴾: بنون واحد مشددة مجهولًا فعل ماض من نجىٰ، فالقائم مقام الفاعل ﴿مَن نَّشَآءُ﴾: (حس) من المؤمنين، وبنونين مخففًا معلومًا مستقبلًا من أنجاه، أخبر تعالىٰ عن نفسه، فمن نشاء نصب بنجي، **وقرئ:** بنون مشددًا مستقبل أيضًا من نجاه.

وقرئ: (فنجا).

﴿عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾: (تا).

﴿فِي قَصَصِهِمۡ﴾: في أخبار يوسف وإخوته.

وقرئ: بكسر القاف جمع قصة، ﴿عِبۡرَةٞ﴾: اعتبار ﴿لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾: (حس) [ق/ ٢٠١ب].

﴿مَا كَانَ﴾: أي القرآن وما ذكر فيه.

---

(١) سقط من ب، والمثبت من أ، جـ.

﴿حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾: يختلق، ﴿وَلَٰكِن﴾: كان ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من الكتب السماوية، وتنصب ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾: [يحتاج][1] إليه من أمر الدين عطفًا علىٰ خبر كان بـ﴿وَلَٰكِن﴾ وكذلك، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: (تا) وقرئ: برفع الأربعة [ق/ ١٣٩ جـ]، أي ولكن هو تصديق.

(١) في جـ: محتاج، والمثبت من أ، ب.

سورة (الرعد)

مكية كلها إلا آيتين وهي: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾ الآية، ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا...﴾ الآية، أو مدنية إلا ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ...﴾ الآيتين نزلتا بمكة، وهي ثلاث أو أربع أو خمس أو ست وأربعون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿تِلْكَ﴾: أي: أخبار الأمم المتقدمة، ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أي: الكتب المتقدمة النزول على الأنبياء قبلك، تم الوقف هنا؛ لأنَّ الواو للاستئناف، وما بعدها مبتدأ هو: ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: خبره ﴿ٱلْحَقُّ﴾: أو تقديره: هو الحق، وهما خبر المبتدأ، ولا أحب الوقف هنا لأجل: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾: مشركي مكة، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: (تا) بعضهم يقف على ﴿رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾: ليبين أن لا عمد للسموات، ومع ذلك فهي واقفة كالقبة والقدرة أعظم من ذلك، ويبتدئ: ﴿تَرَوْنَهَا﴾: أي: السموات أي: ترونها كذلك، فمحل ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ الجار والمجرور حال، أي خالية من عمد، وبعضهم يقف على ﴿تَرَوْنَهَا﴾، يشير أنَّ لها عمدًا، ولكن لا ترى، والعمد بالفتح جمع عمود، أو عماد شاد كأديم وأدم، وإهاب وأهب، وأفيق وأفق، قالوا: ولا خامس لها، والقياس بضمتين.

وقرئ بها، وقرئ: (ترونه)، ومحل ﴿تَرَوْنَهَا﴾ جر إن جعلتها صفة لـ ﴿عَمَدٍ﴾،

ونصب إن جعلتها صفة للسموات، ولا أحب الوقف اختيارًا من ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إلىٰ: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾: (حس).

﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: لوقت معلوم وهو انقضاء الدنيا، وتم الوقف هنا لاستئنافك.

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: أي: أمر خلقه وحده، ﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾: يبين البراهين، **وقرئ**: ندبر ونفصل بالنون.

﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾: (تا).

﴿مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾: بسطها، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾: جبالًا ثوابت من رسا الشيء يرسو ثبت.

ابن عباس[1]: أبو قبيس أول جبل وقع علىٰ الأرض.

﴿وَأَنْهَٰرًا﴾: وقف بيان عند بعضهم، ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا﴾: أي: خلق في الأرض حين بسطها من كل نوع من الثمرات.

﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: ثم كثرت بعد، أو المراد الحلو والحامض والأسود والأبيض والصغير والكبير ونحو ذلك.

﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾: (كا).

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: المذكور، ﴿لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: (تا)

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ

(١) انظر: «الكشف والبيان» (٥/ ٢٦٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٩٣).

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٦﴾

القراءة: ﴿قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾: برفعهما مبتدأ وخبر، **وقرئ:** بنصبهما، أي: جعل قطعًا والمراد بقاع مختلفة مع تلاصقها طينة إلىٰ سبخة، وكثيرة الريع إلىٰ قليلته، وصلبة إلىٰ رخوة ونحو ذلك.

القراءة: ﴿وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ﴾: رفعًا عطفًا علىٰ ﴿قِطَعٌ﴾، **وقرئ:** بنصب جنات أو جرها عطفًا علىٰ زوجين، أو كل الثمرات.

القراءة: ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾: برفع أربعتهن، فزرع عطف علىٰ ﴿قِطَعٌ﴾ ﴿وَنَخِيلٌ﴾ علىٰ ﴿زَرْعٌ﴾ و﴿صِنْوَانٍ﴾ نعت لنخيل وغير عطف عليه، وبجرهن عطف علىٰ أعناب، وصنوان جمع صنو، وهي النخلات يجمعها أصل واحد ويتشعب فروعها، والمراد بغير صنوان: النخلة المنفردة بأصلها، والفرق بين تثنية صنوان وقنوان وجمعهما كسر النون.

وقرئ: بضم الصاد وفتحها لغات.

القراءة: ﴿يُسْقَىٰ﴾: بياء مذكرًا أي: يسقىٰ المذكور ﴿بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾: (حس) وبتاء مؤنثًا، أي: تسقىٰ الجنة بماء فيها.

القراءة: ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا﴾: بياء وبنون، **وقرئ:** يفضل بالياء مجهولًا ورفع بعضها.

﴿عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ﴾: (كا) في الريع والأكل أيضًا الرزق وكل ما يأكل، والأكلة بضم الهمزة: اللقمة، وبكسرها الحالة يؤكل عليها، وبفتحها المرة الواحدة كذلك بنو آدم من أب واحد، [واختلفت][1] خِلَقُهم [وأخلاقهم][2].

مجاهد[3]: معناه الفارسي والبرني والدقل والعجوة.

---

(١) في جـ: واختلف، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من أ، والمثبت من ب، جـ.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٤٣)

﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾: (تا).

﴿فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ﴾: خبر ومبتدأ.

ومحل ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا﴾: الآية نصب بقولهم، أو رفع بدل من قولهم، والعامل في ﴿أَءِذَا﴾ ما دل عليه.

﴿أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ﴾: (كا) وتقديره أئذا كنا ترابًا انبعث، والمعنىٰ: إن تعجب يا محمد من إنكار المشركين البعث وعبادتهم الأصنام بعد اعترافهم بالقدرة علىٰ ابتداء الخلق، فحقيق أن تعجب.

تلخيصه: إن عجبت من شيء فأعجب من هذا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: أي منكروا البعث الكافرون ﴿بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ﴾: أي أعمالهم الخبيثة، أو حقيقة الأغلال، ﴿فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ﴾: يوم القيامة.

﴿خَٰلِدُونَ﴾: في النار.

ونزل فيمن طلب العذاب قبل حينه استهزاءً بالنبي ﷺ: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ﴾: أي يطلبون منك العجلة بالإتيان، ﴿بِٱلسَّيِّئَةِ﴾: بالعقوبة والشر، ﴿قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ﴾: الرحمة والخير.

﴿وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ﴾: (حس) جمع مثلة كصدقة، وتضم ميمها وهي العقوبة والتنكيل.

وقرئ: بضم الميم والثاء، وبضم الميم وسكون الثاء وفتحها، والمعنىٰ: قد عرفوا ما نزل بالأمم قبلهم من الهلاك فكيف يستعجلونه.

ومحل: ﴿عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ﴾: حال من الناس، أي: ظالمين، العامل فيها [المغفرة][1]، المعنىٰ: أنَّه يغفر ذنوبهم مع ظلمهم أنفسهم بالمعاصي والشرك إن تابوا، أو المراد بالمغفرة هنا الستر والإمهال.

---

(١) في جـ: المعرفة، والمثبت من أ، ب.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: (تا) للكفار أو إن عاقب.

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩ ﴾

ولمَّا قال الكافرون لمحمد ﷺ عنادًا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ﴾: حجة على صدق نبوته كإحياء عيسىٰ الموتىٰ وقلب عصا موسىٰ حية ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾: (حس).

نزل: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾: (كا): المعنىٰ: ما عليك إلا البلاغ.

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾: (تا) يرشدهم إلىٰ فلاحهم، أو الهادي الله تعالىٰ، أو محمد ﷺ، أو المنذر محمد والهادي عليّ احتجاجًا بقوله ﷺ: «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم**»(١).

فمن جعل الهادي محمدًا لم يقف علىٰ ﴿مُنذِرٌ﴾؛ لأنَّ المعنىٰ إنَّما أنت منذر هادي، ومن جعله غيره وقف علىٰ منذر.

القراءة: هاد ووال وواق وباق بياء وقفًا في الأربعة؛ لأنَّها الأصل، ولأنَّ الذي حذفت الياء لأجله وهو التنوين قد زال وبحذفها وقفًا؛ لأنَّ الأصل هو [الوصل](٢)، قالوا: وهي في مصحف الإمام بغير ياء والحذف والإثبات جائزان يتم الوقف هنا لاستئنافك، ﴿ٱللَّهُ﴾: ولم يجعله تفسيرًا لمَّا قبل، والمعنىٰ يعلم: ﴿مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾: من ذكر وأنثىٰ وناقص وأبيض وأسود وواحد واثنين وأكثر.

﴿وَمَا تَغِيضُ﴾: تنقص الأرحام من غاض الماء وانغاض نقص، وغاضه الله وأغاضه.

﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾: (حس)، فنقصان الأرحام وضعها لأقل من تسعة أشهر،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩٨)، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) في جـ: الوقف، والمثبت من أ، ب.

وزيادتها وضعها لأكثر من تسعة أشهر إلىٰ سنتين عند عائشة وأبي حنيفة، وأربع عند الشافعي وخمس عند مالك، أو نقصانها ضعف الولد لحيض أمه حاملًا؛ لأنَّ الدم غذاؤه، أو نقصانها وزيادتها قلة الحيض وكثرته، أو قلة الحمل وكثرته، فقد تحمل أربعة في بطن واحد ويعيشون.

و﴿مَا﴾ موصولة في ﴿مَا تَحْمِلُ﴾ منصوبة بيعلم، أي يعلم الذي تحمل [ق/ ٢٠٢ب] الأرحام علىٰ أي وصف كان [ق/ ١١٩أ]، أو مصدرية وكذلك في ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾، ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ أي يعلم حمل كل أنثىٰ ونقص جميع الأرحام وزيادتها، أو ما في الثلاثة استفهام نصب بما بعدها.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ﴾: في علمه، ﴿بِمِقْدَارٍ﴾: (حس) مقدر معلوم.

تلخيصه: علمه محيط بكل شيء تفصيلًا ومجملًا.

ثم أوضح ذلك بقوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾: ما غاب عن خلقه، ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: ما شاهدوه و﴿عَٰلِمُ﴾ مبتدأ وخبره، ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾: (حس) عن صفات المخلوقين وقول المشركين.

﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ ﴾

القراءة: (المتعالي) بلا ياء وبياء في الحالين، وقرئ: عالم نصبًا مدحًا، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿سَوَآءٌ﴾: خبر، ﴿مِّنكُم﴾: حال من ضمير (سواء)؛ لأنَّه بمعنىٰ مستوٍ مبتدؤه ﴿مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾: المعنىٰ استوىٰ في علمه خافي القول وظاهره، ومخفيه ومظهره، ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ﴾: مستتر يطلب الخفاء، ﴿بِٱلَّيْلِ﴾: بظلامه، ﴿وَسَارِبٌۢ﴾: ذاهب في سربه[1] طريقة ومتصرفه في حوائجه، ﴿بِٱلنَّهَارِ﴾: (كا).

---

(١) في حاشية ب: السرب ـ بفتح السين وسكون الراء ـ: الطريق.

ابن عباس[(١)]: هو صاحب ريبة [مستخف][(٢)] بالليل، وإذا خرج بالنهار أرىٰ الناس أنَّه بريء من الإثم، أو مستخف ظاهر، فنجعل ساربًا بمعنىٰ مستتر ليغاير بين اللفظين.

عن أبي حاتم وأبي بكر [ق/ ١٤٠ جـ]: إنَّ الوقف علىٰ ﴿جَهَرَ بِهِۦ﴾ وعلىٰ ﴿مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ﴾ حسن، وعن العماني أنَّه ليس بشيء قال: لأنَّه كله كلام واحد متصل، فلا يفصل بينهما، يشير إلىٰ أنَّ الجهر والإسرار في علمه تعالىٰ سواء، ولعلهما حسنا ذلك؛ لأنَّ كل جملة منهما مستقلة بنفسها، أو ليفرقا بين علم الله تعالىٰ وبين علم غيره.

ولمَّا أريد الفتك بالنبي ﷺ نزل: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾: جمع معقبة، التاء فيه للمبالغة كنسابة والمعقب والمعقبة من يجئ مرة بعد أخرىٰ، أو الهاء في ﴿لَهُۥ﴾ وفي، ﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾: لمن أسر وجهر واستخفي وسرب، والمعنىٰ لهذا الشخص حفظة ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾: (تا) من بأسه، أو من الجن والإنس، «أو» من بمعنىٰ الباء، أي: بأمر الله.

وقرئ: بها، أو من أجل أمر الله بأن أمرهم بحفظه.

مجاهد[(٣)]: ما من عبد إلا وملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما من شيء يأتيه يريده إلا يقول له وراءك إلا شيء يؤذن له فيصيبه، أو المراد الملكان القاعدان عن اليمين والشمال يكتبان الحسنات، فمن بمعنىٰ علىٰ.

ثم أكد حفظه عباده وأوضحه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ﴾: من العافية والنعمة، ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾: (كا) من النعمة بالمعصية.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٦٧).

(٢) في جـ: متخف، والمثبت من أ، ب.

(٣) انظر «زاد المسير» (٢/ ٤٨٦).

﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا﴾: عذابًا، ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾: لا يرده شيء، ﴿وَمَا لَهُم﴾: لمن أراد الله تعالىٰ هلاكه، ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾: من دون الله، ﴿مِن وَالٍ﴾: (حس) ملجأ.

﴿يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا﴾: من الصاعقة وخراب البيوت.

﴿وَطَمَعٗا﴾: في الغيث وزوال المشقة، ونصبهما مفعول له، أي: إخافة وإطماعًا، أو حال من المخاطبين، أي: خائفين طامعين.

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ١٣ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤﴾

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ﴾: روي أنَّ الرعد ملك موكل بالسحاب، وأنَّه يجوب الماء في نقرة إبهامه، فإذا سبح لم يبق ملك إلا رفع صوته بالتسبيح فينزل القطر، أو الرعد صوته، فالمعنىٰ يسبح ذو الرعد، أو المعنىٰ: يسبح سامعوا الرعد رافعين أصواتهم بسبحان الله والحمد لله.

﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾: أيضًا تسبح، ﴿مِنۡ خِيفَتِهِۦ﴾: من خيفة الله تعالىٰ، أو خيفة الرعد.

ابن عباس[(١)]: من سمع الرعد فقال: سبحان الذي [يسبح][(٢)] الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو علىٰ كل شيء قدير فأصابه صاعقة فهلك فعليّ ديته.

ونزل لمَّا أصابت الصاعقة أربد أخا لبيد، أو لمَّا قال بعض فراعنة العرب: ما الله أمن ذهب أم من فضة أم من حديد فأصابته صاعقة فهلك: ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾: إلىٰ ﴿وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ﴾[(٣)]: بتكذيبهم عظمته وتوحيده، أو الواو للحال، أي: فيصيب بالصاعقة من يشاء في حال الجدال.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٠٣).
(٢) في ب: سبح، والمثبت من أ، ج.
(٣) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ٢٧١).

﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾: (حس) الأخذ والمكر والقوة، والمحال بالكسر: المكر.

وقرئ: بفتح الميم مفعل من حال يحول محالًا تحرك، ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾: (حس) هي التوحيد أو لا إله إلا الله، أو هو الدعاء بإخلاص أنَّه يعطي العبد سؤله إن كان مصلحة، **القراءة**: ﴿يَدْعُونَ﴾: بالياء غيبة، **وقرئ**: بالتاء، المعنىٰ: والآلهة التي يدعوهم الكفار ويلتجئون إليهم.

﴿مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾: إلا استجابة كاستجابة، ﴿كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ﴾: عطشًا، واللام في ﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾: متعلقة بباسط والفاعل ضمير الماء.

﴿وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾: (تا) لبعده عنه لأنَّه؛ علىٰ شفير البئر والماء في قعرها ولا سبيل له إليه.

تلخيصه: لا ينتفع عبدة الأصنام بدعائهم إلا كانتفاع من يمد يده إلىٰ الماء وهو لا يصل إليه، **وقرئ**: كباسط كفيه منونًا، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: الأصنام، ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾: (تا) هلاك؛ لأنَّهم لا ينتفعون بهم.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ (١٥) قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ (١٦) أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ (١٧)﴾

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا﴾: هم المؤمنون، ﴿وَكَرْهًا﴾: هم المنافقون ومن أكره علىٰ السجود، أو المراد السجود في الآخرة طوعًا وكرهًا حال، أو مفعول له، أو المراد بالسجود الانقياد.

﴿وَظِلَٰلُهُم﴾: عطف علىٰ «من»، أي: ظلال الساجدين أيضًا تسجد أو سجود

الظلال تغيرها وتنقلها من جانب إلىٰ جانب.

﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾: (حس) بالبكر والعشايا، أو سجودها سجود الناظرين إليها، والآصال جمع أصل، وأصل جمع أصيل، وهو ما بين العصر وغروب الشمس.

وقرئ: والإيصال من آصل دخل في الأصيل.

﴿قُلْ﴾: للمشركين استفهام إنكار، ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: فإن لم يعترفوا فأنت، ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾: (حس) ربهما وإن اعترفوا فقل أنت إلزامًا لهم: ﴿أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ﴾: أي دون الله، ﴿ أَوْلِيَآءَ ﴾: أصنامًا، ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: (حس) ومن لا يملك لنفسه شيئًا فلا يملك لغيره، ومن هو كذلك فكيف يعبد ويتخذ وليًا؟! ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾.

القراءة: ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾: بالتاء والياء؛ لأنَّ الظلمات بمعنىٰ الإظلام، والمراد بالأعمىٰ والظلمات الكافر والكفر، وبالبصير والنور المؤمن والإيمان.

المعنىٰ: كما لا يستوي في الحسن الأعمىٰ والبصير، فكذلك لا يستوىٰ المؤمن والكافر وكما لا يستوي الظلمات والنور، فكذلك لا يستوي الكفر والإيمان.

ثم استفهم منكرًا متعجبًا منهم فقال: ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾: (حس) المعنىٰ: لم يتخذوا آلهة يخلقون شيئًا فيشتبه خلقهم بخلق الله تعالىٰ، وإذا كانت آلهتهم عجزة فكيف يعبدونهم؟ وإنما يعبد: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾: بلا شريك، فيعبد بلا شركة.

﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾: (حس).

ثم جاء بمثل آخر تأكيدًا فقال: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ﴾: جمع وادٍ وجمع فاعل علىٰ أفعلة شاذ، قالوا: لم يجئ إلا [ق/ ٢٠٣ب] هذا الحرف وحده

وصفة ﴿أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾، وقرئ: بسكون الدال لغتان، أي: سال الصغير بقدره والكبير بقدره، أو بقدر المنفعة.

﴿فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدًا﴾: هو ما علىٰ وجه الماء من رغوة وغيرها، وأصله كل شيء تولد من شيء مع مشابهة له ومنه الزبد.

﴿رَّابِيًاۖ﴾: أي: عاليًا منتفخًا.

القراءة: ﴿يُوقِدُونَ﴾: بالتاء والياء.

﴿عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ﴾: كالذهب والفضة.

﴿ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ﴾: طلب زينة يتزين بها.

﴿أَوۡ مَتَٰعٖ﴾: عطف علىٰ (حلية) وهو ما ينتفع به كالنحاس والرصاص يذاب فيتخذ منه الأواني، ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ﴾ خبر مبتدؤه ﴿زَبَدٞ﴾ صفته ﴿مِّثۡلُهُۥۚ﴾: من في مما لابتداء الغاية.

تلخيصه: الموقد عليه له زبد أيضًا إذا أذيب، فالصافي ينتفع به كالماء، وزبده يبطل كزبد الماء.

قتادة[1]: شبه نزول القرآن بنزول الماء من السماء والقلوب بالأودية، فيأخذ ذو اليقين علىٰ قدر يقينه، وذو الشك علىٰ قدر شكه.

أو هذه الأمثال للحق والباطل، فالحق مشبه بالماء الصافي الباقي، والباطل بالزبد الذاهب، فهو وإن علا الماء ينمحق كالباطل وإن علا الحق، أو مثل للمؤمن والكافر، فالمؤمن وعمله واعتقاده كالماء المنتفع به، والكافر واعتقاده وعمله كالزبد.

﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ﴾: أي يمثل، ﴿ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ﴾: (كا).

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ﴾: باطلًا من جفأت القدر: رمت بزبدها.

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤١٠).

﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾: (حس) لمنافعهم.

﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾: (تا) ليظهر الحق من الباطل، يتم الوقف هنا إن استأنفت

﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٨ ۞ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ٢٠ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١﴾

﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ﴾: بالطاعة والإيمان وجعلته خبرًا مبتدؤه ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾: (تا) يعني المثوبة الحسنىٰ، وهي الجنة فما دونها.

﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ﴾: هم الكافرون مبتدأ خبره.

﴿لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ﴾: (حس) لبذلوه افتداء أنفسهم لا يقبل [منهم][1].

﴿لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ﴾: هو المناقشة والمجازاة بجميع ذنوبهم مع التوبيخ.

﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ﴾: بعد المناقشة، ﴿جَهَنَّمُۖ﴾: (كا) ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾: (تا).

ثم أدخل همزة الإنكار علىٰ الفاء مبينًا أن لا مساواة بين حال المستجيب وضده فقال: ﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ﴾: ويؤمن به وهو حمزة، أو عمار، ﴿كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ﴾: (حس) عن الحق لا يبصره وهو أبو جهل وهذا عام فيمن كان كذلك.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: (تا) فيستجيبون.

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾: إذا عاهدوا مبتدأ، ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ﴾: العهد الموثق، ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾: المراد: صلة الأرحام، قال

(١) سقط من ب، والمثبت من أ، ج.

ﷺ: «من أحبَّ أن يُبْسَطَ له في رزقِهِ، ويُنْسَأَ في أَثَرِهِ، فليَصِلْ رَحِمَه»[(١)] [ق/ ١٤١جـ]، وقال: «لا يدخلُ الجنَّةَ قَاطعُ الرَّحِم»[(٢)].

أو هم المتحابون في الله، والمتواصلون فيه، ويدخل في هذا جميع أبواب البر والمتعارف شرعًا كعيادة مريض وإجابة دعوة واتباع جنازة، قالوا: حتىٰ الإحسان إلىٰ الهرة والدجاجة.

وعن الفضيل أنَّه قال[(٣)]: لو أحسن الرجل الإحسان كله وكان له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين.

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾: سرًا وعلانية.

﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ (٢٢) جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ (٢٤) ﴾

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾: علىٰ المكاره، ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾: لا غير، ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾: بالعفو الظلم [وبالحلم السفه][(٤)]، أو إذا أذنبوا تابوا وخبر ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ﴾: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: وما بينهما كلام منسوق علىٰ المبتدأ، فلا وقف بينهما إلا ضرورة، ثم يبتدأ بما وقف عليه؛ لأنَّ بعضه عطف بعض علىٰ وإن جعلت ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ﴾ صفة لمَّا قبله لم تقف بينهما، ويتم الوقف علىٰ السيئة لأنَّك تبتدئ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾.

﴿لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾: (تا) الجنة مبتدأ وخبر يحسن الوقف هنا إن رفعت ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ [ق/ ١٢٠أ] مبتدأ خبره ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾، وقرئ: (يُدخَلونها) مجهولًا، ولا

(١) أخرجه البخاري(١٩٦١)، ومسلم(٢٥٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري(٥٦٣٨)، ومسلم(٢٥٥٦) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٣٣).
(٤) في ب: بالسفه والحلم، والمثبت من أ، جـ.

يحسن إن رفعت ﴿جَنَّٰتُ﴾ بدلًا من ﴿لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾.

ومحل: ﴿وَمَن صَلَحَ﴾: وقرئ: بضم اللام رفع عطف علىٰ ضمير الفاعل، وإن لم يؤكد أو نصب مفعول معه.

﴿وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ﴾: (حس) المعنىٰ: يدخلون الجنة بجميع أهلهم؛ تكميلًا لفرحهم.

﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ﴾: (حس) من أبواب الجنة يقولون لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم﴾: وإن جعلت ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم﴾ حالًا أي: مسلمين لم تقف علىٰ ﴿بَابٖ﴾.

والباء في ﴿بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ﴾: متعلقة بمحذوف، وما مصدرية أي هذا الثواب لكم بسبب صبركم علىٰ مشاق الدين.

تلخيصه: تعبتم فاسترحتم هنا.

﴿فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾: (تا) وقرئ: بضم النون.

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾

ونزل في الكافرين وأعد لهم ضد ما أعد للمؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ﴾: المأخوذ عليهم بالطاعة والإيمان لهم في الآخرة، ﴿سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾: (تا) جهنم.

﴿وَيَقۡدِرُۚ﴾: (تا) يضيق.

﴿وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: (كا) فرح بطر وأشر لا فرح شكر واعتراف بالنعمة، فيه دليل علىٰ أنَّ الفرح بالدنيا حرام.

﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: ليس بظرف للحياة ولا للدنيا؛ لأنَّهما لا يقعان فيها بل هي حال،

تقديره: ما الحياة الدنيا كائنة في جنب الآخرة.

﴿إِلَّا مَتَٰعٌ﴾: (تا) ما يتمتع به كالقصعة والقدر، ثم لا بقاء له ولا شك في فناء نعيم الدنيا، والمغرور من اغتر به أو بها .

ولمَّا قال الكافرون: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ﴾: (كا) تكون دليلًا علىٰ صدقه نزل تعجيبًا منهم ومن سؤالهم بعد مشاهدتهم الآيات الدالة علىٰ صدقه وتجهيلًا لهم: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾: إضلاله، ﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ﴾: يرشد إلىٰ دينه من رجع إليه بقلبه، لا أحب الوقف هنا لأنَّ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ﴾: تسكن، ﴿قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ﴾: (حس) إذا ذكروه أو ذكر لهم، أو بذكر رحمته بدل من ﴿أَنَابَ﴾، أو نعت له.

﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾: (تا) بعد فرقها وقلقها، فوجل القلب يقع عند الوعيد، والطمأنينة عند الوعد، فإذا ذكرت قلوبهم شدة الحساب والمناقشة وجلت، وإذا ذكرت فضله ورحمته اطمأنت.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: مبتدأ خبره، ﴿طُوبَىٰ لَهُمۡ﴾: مصدر كالبشرىٰ، وواوها منقلبة عن ياء للضمة قبلها، أو ﴿طُوبَىٰ﴾ نصب بمضمر، أي: جعل، واللام في ﴿لَهُمۡ﴾ للبيان كسلام لك وسقيا لك.

ابن عباس[1]: ﴿طُوبَىٰ﴾ سرور لهم وفرح، أو هي الخير الكثير، أو شجرة في

---

(١) قال البغوي : واختلفوا في تفسير ﴿طُوبَىٰ﴾ . =

الجنة تظل الجنان كلها، أصلها في دار محمد ﷺ، وفي كل دار وغرفة غصن منها لم يخلق الله لونًا ولا زهرة إلا وفيها منها إلا السواد، ولم تخلق فاكهة إلا وفيها منها، وينبع من أصلها عينان الكافور والسلسبيل.

﴿وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾: (حس) مرجع أي الجنة.

القراءة: برفع (حُسن) عطفًا علىٰ (طوبىٰ) إذا قدرتها مرفوعة.

وقرئ: بنصب (حُسن) عطفًا علىٰ (طوبىٰ) إذا قدرتها منصوبة وبفتح النون ورفع (مآب) فحسن فعل نقلت ضمة العين إلىٰ الفاء، قالوا: وكل فعل إذا كان

=

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: فرح لهم وقرة عين.
وقال عكرمة: نعم ما لهم.
وقال قتادة: حسنىٰ لهم.
وقال معمر عن قتادة: هذه كلمة عربية، يقول الرجل للرجل: طوبىٰ لك، أي: أصبت خيرًا.
وقال إبراهيم: خير لهم وكرامة.
وقال الفراء: أصله من الطيب، والواو فيه لضمة الطاء، وفيه لغتان، تقول العرب: طوباك وطوبىٰ لك أي: لهم الطيب .
﴿ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾: أي حسن المنقلب.
قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: طوبىٰ اسم الجنة بالحبشية.
قال الربيع: هو البستان بلغة الهند.
وروي عن أبي أمامة وأبي هريرة وأبي الدرداء قالوا: طوبىٰ شجرة في الجنة تظل الجنان كلها. وقال عبيد بن عمير: هي شجرة في جنة عدن أصلها في دار النبي ﷺ، وفي كل دار وغرفة غصن منها لم يخلق الله لونا ولا زهرة إلا وفيها منها إلا السواد، ولم يخلق الله تعالىٰ فاكهة ولا ثمرة إلا وفيها منها. تنبع من أصلها عينان: الكافور والسلسبيل.
قال مقاتل: كل ورقة منها تظل أمة عليها ملك يسبح الله عز وجل بأنواع التسبيح .
وروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلا سأل رسول الله ﷺ ما طوبىٰ؟ قال: «**شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها**» .
وعن معاوية بن قرة عن أبيه يرفعه: «**طوبىٰ شجرة غرسها الله تعالىٰ بيده، ونفخ فيها من روحه، تنبت الحلي والحلل وإن أغصانها لترىٰ من وراء سور الجنة**».
«تفسير البغوي» (٤/ ٣١٦-٣١٧).

فعلًا وكان مدحًا أو ذمًا جائز فيه نقل ضمة العين إلىٰ الفاء.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي: مثل إرسالنا الرسل قبلك يا محمد ﴿أَرْسَلْنَٰكَ﴾.

ثم بين المرسل إليهم فقال: ﴿فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ﴾: ثم علل ذلك فقال: ﴿لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾: من القرآن وشرائع الإسلام يحسن الوقف هنا إن استأنفت ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾: (حس) ولم تجعله حالًا مما قبل، أي وحال هؤلاء أنهم [ق/ ٢٠٤ب] يكفرون بالرحمن الواسع الرحمة، ثم تبتدئ ﴿قُلۡ﴾: يا محمد، ﴿هُوَ﴾: أي: الرحمن الذي كفرتم به، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾: (تا) توبتي أو رجوعي في الآخرة.

ولمَّا اقترح مشركوا مكة عليه ﷺ إزالة جبالهم وجري مياه بأرضهم وإحياء موتاهم ليؤمنوا نزل ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ﴾: نقلت، ﴿بِهِ ٱلۡجِبَالُ﴾: عن أماكنها، ﴿أَوۡ قُطِّعَتۡ﴾: شققت، ﴿بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ﴾: أي أحيا، ﴿بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ﴾: (حس) لكان هذا القرآن وإن قدرت المعنىٰ، وهم يكفرون بالرحمن وإن أجيبوا إلىٰ سؤالهم من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتىٰ وهو منقول، فلا وقف من (أولئك) إلىٰ هنا.

﴿بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ﴾: أي: أمر خلقه، ﴿جَمِيعًاۗ﴾: (كا) فيتصرف فيهم كما يشاء لا راد لحكمه.

﴿أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ﴾: أي: يتبين، وقرئ: بها، وروي أنَّ الكاتب كتبها وهو ناعس مستوية السينات ولم يصح هذا، وكيف يجوز وقوع مثل هذا في الكتاب العزيز مع ديانة الصحابة، وغزارة علمهم، وجودة ضبطهم، وكذلك الناقلون عنهم أو ﴿يَاْيۡـَٔسِ﴾ يعلم.

وقوله: ﴿أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ﴾: متعلق بـ﴿يَاْيۡـَٔسِ﴾، تقديره: أفلم يعلم الذين آمنوا بأن لو يشاء الله: ﴿لَهَدَى ٱلنَّاسَ﴾: فآمنوا ﴿جَمِيعًاۗ﴾: (كا).

﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ﴾: بالنبي ﷺ أو من الكفر، ﴿قَارِعَةٌ﴾: داهية تقرعهم بصنوف البلايا والرزايا في أنفسهم وأولادهم وأموالهم.

ابن عباس[1]: القارعة السرايا التي كان النبي ﷺ يغير بها عليهم، وأصل القرع: الضرب والصدع.

تلخيصه: لا يزالون معذبين بقارعة.

﴿أَوْ تَحُلُّ﴾: القارعة، أو أنت يا محمد، أو السرايا.

﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾: (كا) هو فتح مكة، أو يوم القيامة. ﴿ٱلْمِيعَادَ﴾: (تا).

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْأٓخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ﴾

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾: كاستهزاء قومك بك، ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾: أرخيت وأمهلت للمستهزئين كفرًا.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾: بعد الإملاء، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾: (تا) هذا تعجيب من شدة أخذه لهم، ثم احتج عليهم موبخًا فقال: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ﴾: أي رقيب، ﴿عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾: (كا) من صالح وطالح بحفظه عليها فيجازيها به كمن ليس كذلك وهم أصنامكم.

﴿وَجَعَلُواْ﴾: عطف على كسبت أي ويجعلهم، ﴿لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾: أو استئناف فتقف على ﴿كَسَبَتْ﴾، ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾: (كا) بينوا شركاءكم [بأسمائهم][2]، وصفوهم

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٥٨).

(٢) في جـ: بسماتهم، والمثبت من أ، ب.

بصفاتهم حتىٰ نعرف هل يجوز أن يُعبَدوا، وكفي الوقف هنا: لأنَّ «أم» بعد منقطعة نحو قل لي من زيد أم هو أقل من أن يعرف، المعنىٰ: بل يخبرون الله تعالىٰ بشركاء.

﴿لَا يَعْلَمُ فِي ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾: (كا) بكلام لا طائل تحته ولا حقيقة له، أو المعنىٰ أتنبئونه بما لا يعلم أم هذا أمر ظاهر، فإن كان مما لا يعلمه الله فمحال، وإن كان ظاهرًا أن يكون الدليل عليه ظاهرًا، والأدلة علىٰ خلافه.

﴿مَكْرُهُمْ﴾: كيدهم بشركهم.

القراءة: ﴿وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: (كا) بضم الصاد وفتحها، وقرئ: بكسرها وصد منونًا.

﴿مِنْ هَادٍ﴾: (حس).

﴿ٱلدُّنْيَا﴾: (كا).

﴿أَشَقُّ﴾: (حس).

﴿مِن وَاقٍ﴾: (تا) مانع يمنعهم من العذاب،

﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿مَّثَلُ﴾: أي: صفة، وقرئ: أمثال مبتدأ محذوف الخبر، أي: فيما قصصنا عليك مثل ﴿ٱلْجَنَّةِ﴾: فتقف علىٰ ﴿ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾: (حس) أو تقديره مثل الجنة جنة، ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: علىٰ حذف الموصوف، أو الخبر ﴿تَجْرِي﴾ فلا تقف علىٰ ﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾.

﴿أُكُلُهَا﴾: أي ما يؤكل فيها، ﴿دَآئِمٌ﴾: لا ينقطع.

﴿وَظِلُّهَاۚ﴾: دائم أيضًا لا ينسخه الشمس هذا رد علىٰ من يقول بفناء نعيم الجنة، ﴿تِلْكَ عُقْبَى﴾: أي الجنة مصير، ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۚ ﴾: (تا).

﴿وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾: (تا).

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن هم الصحابة، أو المؤمنون.

﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَۖ﴾ [ق/ ١٤٢جـ]: وسم الوقف هنا بالصلاح وأراه كافيًا.

﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾: الذين تحزبوا[١] عليه ﷺ كفارًا، ﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥۚ﴾: (حس) بعض القرآن لأنَّهم وافقوا في القصص وأنكروا غيرها.

ابن عباس[٢]: آمن اليهود بسورة يوسف، وكفر المشركون بجميعه، أو عرفوا نعته وأنكروا نبوته، أو بالعكس.

القراءة: ﴿وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓۚ﴾: نصبًا عطفًا علىٰ أن أعبد أي أمرت فيما أوحي إليَّ بأن أعبد الله وبأن لا أشرك.

وقرئ: (أشرك) رفعًا استئنافًا، أي: وأنا لا أشرك، أو حال، أي أمرت أن أعبده غير مشرك، ﴿إِلَيْهِ أَدْعُواْ﴾: خصوصًا في جميع مهامي.

﴿وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾: (حس) مرجعي في كل أحوالي وإن خالفتموني، ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: أي القرآن وما فيه من الأحكام، ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّاۚ﴾: حال، لأنَّه نزل بلغة العرب لتحكم بين الناس وتعرفهم شرائع الإسلام.

وكانوا يطلبون أن يوافقهم ويصلي إلىٰ قبلتهم فنزل ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: بأنَّهم كفار، ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾: (تا) ناصر

---

(١) في حاشية ب: تحزبوا: تجمعوا، الأحزاب: الطوائف تجتمع علىٰ محاربة الأنبياء.

(٢) انظر «زاد المسير» (١/ ٤٩٢).

يقيك من عذابه، وهذا خطاب له ﷺ وتحريض للسامعين على التمسك بالدين، أعانك الله تعالىٰ وإيانا في كل مقام.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ ﴾

لمَّا عيروه ﷺ بكثرة الزوجات واقترحوا عليه الآيات نزل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ﴾: (تا).

ثم أوضح ذلك بقوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾: (تا) لكل شيء وقت معلوم لا يتقدم ولا يتأخر عنه، ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾: من الشرائع بأن ينسخها.

القراءة ﴿وَيُثْبِتُ ۖ﴾: (حس) ما يشاء منها فلا ينسخه مشددًا ومخففًا.

ابن عباس[1]: يمحو ما يشاء ويثبت إلا الشقاوة والسعادة والرزق والأجل.

عمرو بن مسعود: يمحو الشقاوة والسعادة والرزق والأجل.

في الأثر: إنَّ الرجل يكون قد بقي عمره ثلاثون سنة فيقطع رحمه، فيرد إلىٰ ثلاثة أيام ويكون قد بقي من عمره ثلاثة أيام، فيصل رحمه فيرد إلىٰ ثلاثين سنة، أو أنَّ الحفظة يكتبون جميع أعمال بني آدم فيمحوا لله تعالىٰ من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب، أو يمحو ما يشاء من الذنوب فيغفرها ويثبت ما يشاء منها فلا [يغفره][2]، أو يمحو الدنيا ويثبت الآخرة.

ثم أوما إلىٰ مقر المثبت بقوله: ﴿وَعِندَهُ أُمُّ﴾: أصل ﴿الْكِتَابِ﴾: (حس)

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٧٩).

(٢) في ب: يغفر، وفي جـ: يغفرها، والمثبت من أ.

الكتب وهو اللوح، فلا يبدّل ما فيه ولا يغير.

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾: في حياتك يا محمد، ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾: من إنزال العذاب بهم، ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: قبل ذلك فلا تحزن.

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾: تبليغ الرسالة لا غير، ﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾: (تا).

ابن عباس[1]: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ نسخ بآية السيف وفرض الجهاد.

﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: (كا) بفتح ديار الشرك فما زاد في بلاد الإسلام نَقَصَ من بلاد الشرك.

المعنىٰ: أفلا يعتبرون بقصدنا بلاد الشرك، وفتحها [بمحمد][2] ﷺ أرضًا بعد أرض، أو نقص الأرض بموت الناس أو العلماء، قال ﷺ: «**إنَّ الله لا يقبضُ العِلمَ انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبضُ العلمَ بقبضِ العلماء، حتىٰ إذا لم يَبْقَ عالمٌ اتخذ الناسُ رؤوسًا جُهالًا، [فسئلوا][3] فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**»[4].

سلمان[5]: لا يزال الناس بخير ما بقي الأول حتىٰ يتعلم الآخر، فإذا [ق/ ٢٠٥ب] أهلك الأول [ق/ ١٢١أ] ولم يتعلم الآخر هلك الناس.

ومحل: ﴿لَا مُعَقِّبَ﴾: لا راد، ﴿لِحُكْمِهِۦ﴾: حال أي: نافذًا حكمه، ﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: (تا).

﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾

---

(١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لابن حزم (ص/ ١٧).

(٢) في جـ: لمحمد، والمثبت من أ، ب.

(٣) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

(٤) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم(٢٦٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄.

(٥) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٨).

﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: قبل مشركي مكة برسلهم.

﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾: (حس) المعنىٰ: أسبابُ المكر وجزاؤه بيد الله لا يغلبه أحد علىٰ مراده.

ثم تهددهم بقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾: (حس).

تلخيصه: مكرت الأمم قبلك بأنبيائهم وعلمت ذلك فجزاؤهم عليّ.

القراءة: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ﴾: مفردًا إرادة للجنس وجمع تكسير، وقرئ: (الكافرون والكفَّار والذين كفروا ﴿وَسَيَعْلَمُ﴾ من أعلمه.

﴿لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾: (تا) الآخرة فيدخل المؤمنون الجنة والكافرون النار، وهذا تهديد أيضًا.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: هم أهل الكتاب، أو مشركوا مكة: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾: لي بإظهار المعجز علىٰ صدقي، ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: (تا) اللوح أيضًا شهيد بصدقي، أو المراد: أهل الكتاب، أو المسلمون، أو كل من عرف إعجاز القرآن أو جبرئيل، وعلم مرتفع بالظرف فاعل؛ لأنَّ الظرف إذا وقع صلة أوغل في شبه الفعل لاعتماده علىٰ الموصول، فعمل عمل الفعل، وتقديره الذي استقر عنده علم الكتاب، وإذا لم تجعل عنده صلة فعلم رفع مبتدأ خبره (ومن عنده)، ومحل (من) جر عطف علىٰ اسم الله تعالىٰ، أو رفع عطف علىٰ موضع بالله.

وقرئ: وبمن عنده ومِنْ عِنِده بكسر الميم والدال واللام ورفع الكتاب فاعل علم المجهول ومن عنده علم فعلم مبتدأ من عنده خبره(١).

---

(١) في حاشية ب: إعراب: قوله: (ومن عنده) يقرأ بفتح الميم، وهو بمعنىٰ الذي، وفي موضعه وجهان:

أحدهما: رفع عطف علىٰ موضع اسم الله، أي كفىٰ الله، وكفىٰ من عنده.

والثاني: في موضع جر عطفا علىٰ لفظ اسم الله، فعلىٰ هذا ﴿عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ مرفوع بالظرف؛ لأنه اعتمد بكونه صلة، ويجوز أن يكون خبرا والمبتدأ ﴿عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

وانتصب ﴿شَهِيدًا﴾ علىٰ البيان، و﴿بِٱللَّهِ﴾ في موضع رفع.

سورة (إبراهيم عليه السلام)

مكية إلا: ﴿۞أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟...﴾ الآيتين، وهي إحدىٰ أو اثنتان أو أربع أو خمس وخمسون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾

﴿كِتَٰبٌ﴾: أي هذا قرآن، ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ صفة لكتاب، ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ﴾: وقرئ: (ليخرج الناس)، ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾: من الضلالة إلىٰ الهدىٰ.

ومحل ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾: أي: بتسهيله حال أي: مأذونًا لك، ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾: (تا) علىٰ القراءة ﴿ٱللَّهِ﴾: رفعا مبتدأ خبره ﴿ٱلَّذِى﴾: والمتصل به وغير جائز علىٰ القراءة (الله) جرًا بدلًا من (العزيز).

﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾: (حس).

﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: (تا) إن نصبت أو رفعت، ﴿ٱلَّذِينَ﴾: بعد ذمًّا ولم تجره صفة ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤]، ومعنىٰ ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾: يختارون ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾.

ابن عباس: يأخذون ما تعجل منها تهاونًا بأمر الآخرة.

﴿وَيَصُدُّونَ﴾: **وقرئ**: بضم الياء وكسر الصاد صده وأصده لغتان منعه تقف علىٰ ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ﴾: [إن لم ترفع][1] ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ﴾ مبتدأ خبره.

---

(١) في جـ: إن رفع، والمثبت من أ، ب.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ﴾: (تا).

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿٥﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٦﴾ ﴾

﴿بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾: كلامهم ولغتهم، وقرئ: (بلسن) لغتان كريش ورياش، و(بلسن) بضم اللام والسين، وبإسكان السين مخفف جمع لسان؛ لأنَّه ﷺ بعث من العرب وبعث رسله منهم إلىٰ الأطراف يترجمون لكل قوم بلغتهم، ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾: (كا) ما يجب عليهم فتلزمهم الحجة.

﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾: (كا).

﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾: (تا) وأن بمعنىٰ أي لا محل لها من الإعراب في ﴿أَنۡ أَخۡرِجۡ﴾: لأنَّ في الإرسال معنىٰ القول، أو مصدرية أي بإخراج قومك.

﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكفر، ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الإيمان.

﴿وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ﴾: (كا) ترهيبًا وترغيبًا، والمراد وقائع الله في الأمم الماضية وأنعمه عليهم.

﴿لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾: (حس).

قال هنا: ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾: وفي البقرة بغير واو، فحيث طرح الواو فسر العذاب بالتذبيح، وحيث أثبتها جعل التذبيح جنسًا مستقلًّا بنفسه، فعطفه علىٰ العذاب يوضحه ﴿وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ﴾: (كا).

﴿عَظِيمٞ﴾: (تا)

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾
وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ
مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ
مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾

إن نصبت ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾: بفعل بمضمر، وإن عطفته علىٰ ﴿نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ لم يتم، ومعنىٰ تأذن لابد أن يفعل.

الخليل: تأذَّن للذي أوجب الفعل علىٰ نفسه.

المعنىٰ: أوجب ربكم علىٰ نفسه ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾: يا بني إسرائيل.

وقرئ: (وإذ قال ربكم لئن شكرتم أنعمي ووحدتموني).

﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾: من فضلي وثوابي، ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾: إحساني إليكم، ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾: (حس).

﴿حَمِيدٌ﴾: (تا) واجب الحمد.

﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾: بدل من (الذين) وتعطف علىٰ ﴿قَوْمِ﴾: ﴿وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾: (تا) لجعلك.

﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: مبتدأ خبره.

﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: (كا) والجملة وقعت اعتراضًا، وإن عطفت ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ علىٰ ﴿عَادٍ﴾ لم تقف علىٰ ﴿ثَمُودَ﴾ وكفىٰ علىٰ ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾، المعنىٰ: لكثرتهم لا يحصي عددهم إلا الله.

لمَّا قرأ ابن مسعود هذه الآية قال[1]: كذب النَّسَّابون من بعد، يعني أنَّ النَّسَّابين يدعون علم الأنساب وقد نفىٰ تعالىٰ علمها إلا عنه.

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٢٩).

ابن عباس[(١)]: بين إبراهيم وبين عدنان ثلاثون قرنًا لا يعلمهم إلا الله تعالىٰ.

﴿فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾: أي: عضوا أصابعهم غيظًا علىٰ الرسل عند تبليغهم الرسالة، أو وضعوا أصابعهم علىٰ أفواههم إشارة إلىٰ الرسل عند تبليغهم الرسالة أن اسكتوا، ففي بمعنىٰ علىٰ.

تلخيصه: أنَّهم كذبوا الرسل ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ﴾.

القراءة: ﴿تَدۡعُونَنَآ﴾: بنونين ظاهرتين، وقرئ: (تدعونا)، ﴿إِلَيۡهِ مُرِيبٖ﴾: (حس) موجب الريبة بنون مشددة، ثم أدخل [ق/ ١٤٣ جـ] همزة الإنكار علىٰ الظرف ليوضح أنَّ الكلام إنَّما هو في المشكوك فيه لا في الشك فقال:

﴿۞ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٠ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١١ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ١٢﴾

﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ﴾[(٢)]: إلىٰ الإيمان والتوبة، ﴿لِيَغۡفِرَ لَكُم﴾: شيئًا، ﴿مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾: التي بينكم وبينه تعالىٰ دون المظالم، ومنع سيبويه من زيادة من في الإيجاب وأجازه أبو عبيدة، بعضهم جعل من هنا بدلًا، أي: يغفر لكم بدلًا من عقوبة ذنوبكم نحو ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ [التوبة:٣٨].

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (٣/ ٣١).

(٢) في حاشية ب: إعراب: قوله: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ﴾: فاعل الظرف؛ لأنَّه اعتمد علىٰ الهمزة، ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: صفة أو بدل ﴿لِيَغۡفِرَ لَكُم﴾ المفعول محذوف، و(من) صفة، أي: شيئًا من ذنوبكم، وعند الأخفش (من) زائدة.

﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾: إلىٰ وقت معلوم وهو الموت إن آمنتم وإلا عوجلتم بالعذاب، ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾: لا فضل لكم علينا.

﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ﴾: ببرهان، ﴿مُّبِينٍ﴾: (تا) ظاهر علىٰ صدقكم، فثم ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ﴾: معترفة بالبشرية، ومشيرة إلىٰ منة الله تعالىٰ عليهم: ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾: (كا) بالنبوءة والتوحيد.

ومحل ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾: (كا) نصب خبر «كان» إن جعلت أن يأتيكم الاسم ولنا بيانًا، وإن جعلت لنا الخبر وأن نأتيكم الاسم تقديره ما كان لنا الإتيان، فمحل ﴿بِإِذْنِ﴾ حال، المعنىٰ: ليس لنا أن نأتي بشيء من تلقاء أنفسنا.

تلخيصه: إنما نحن عبيد مربوبون.

ثم حثوا علىٰ التوكل فقالوا: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: (حس)، ثم وبخوا نفوسهم علىٰ ترك التوكل: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ﴾: المعنىٰ: وأي عذر لنا في ترك التوكل، ﴿عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ﴾: عرفنا طريق التوكل والهداية، ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ﴾: (كا) به في أبداننا وأعراضنا، ثم حُرِّضوا علىٰ الثبوت علىٰ التوكل فقالوا: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾: (تا) ليثبت الثابتون، فثم قالوا:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾: لتصيرن، ﴿فِى مِلَّتِنَاۖ﴾: وليس المراد [ق/٢٠٦ب] الرجوع؛ لأنَّهم لم يكونوا في ملتهم قط، ولا يوقف علىٰ ﴿لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: لأجل العطف في ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾: أي: أرضهم

من بعدهم، (كا) من بعد هلاكهم، وقرئ: (ليهلكن، وليسكننكم) بالياء فيهما، في الحديث: «من أذىٰ جاره أورثه الله داره» (١) (٢).

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي نصر المؤمنين.

﴿لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي﴾: أي قيامه لديّ، أو قيامي عليه وحفظي ما يصدر منه، أو مقامي صلة.

القراءة: ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾: (كا) بإثبات الياء وصلًا وحذفها، فبعد إنذار الرسل قومهم يئسوا، ﴿وَٱسۡتَفۡتَحُواْ﴾: (حس) استنصروا الله تعالىٰ علىٰ أممهم، أو أنَّ الأمم دعوا علىٰ أنفسهم بالهلاك إن كان الرسل علىٰ الحق.

﴿وَخَابَ﴾: خسر عند نزول العذاب.

﴿كُلُّ جَبَّارٍ﴾: الذي يجبر الخلق علىٰ مراده.

﴿عَنِيدٍ﴾: (كا) معاند يأبىٰ قول لا إله إلا الله.

﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾: قدامه ﴿جَهَنَّمُ﴾: لأنَّه في الدنيا، وجهنم مُعَدَّةٌ له في الآخرة،

---

(١) قال العجلوني: كذا رأيته في كلام بعض من جمع في الحديث ممن لا يعرف لكن بلفظ «وَرَّثه» بتشديد الراء فلينظر حاله ثم رأيت النجم قال: أورده في «الكشاف» ولعله مَثَلٌ سائر وليس بحديث ومأخذه في كتاب الله من قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٣ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾

ومن أمثلة العوام: اصبر علىٰ جارك المشؤوم إما يموت وإما يرحل. انتهىٰ

نعم! ورد في أذىٰ الجار ما رواه أبو الشيخ وأبو نعيم عن أنس بلفظ: **«من آذىٰ جاره فقد آذاني ومن آذاني فقد آذىٰ الله ومن حارب جاره فقد حاربني ومن حاربني فقد حارب الله»**. «كشف الخفاء» (٢/ ٢٥٨).

(٢) وفي حاشية ب: قال صاحب «الكشاف»: لقد علمت هذا في مدة قريبة: كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي أنا فيها ويؤذيني فيه، فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته، فنظرت يومًا إلىٰ أبناء خالي يترددون فيها ويدخلون في دورها ويخرجون ويأمرون وينهون، فذكرت قول رسول الله ﷺ وحدثتهم به، وسجدنا شكرا لله.

وتقدير الكلام: بين يديه جهنم يلقىٰ فيها.

﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾: بيان لـ«ماء»، والمراد ما يسيل من جلود أهل النار وفروج الزناة، ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾: يتحساه جرعة جرعة؛ تكلفًا لكراهيته.

﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾: لا يبتلعه، وكاد صلة فلا يسيغه ولا يقارب إساغته نحو ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [النور: ٤٠]، أو غير صِلَّة فيسيغه بعد مشقة يعضد هذا ما جاء في الحديث: «**إنه يُقَرَّبُ إليه فيتكرَّهُهُ، فإذا أدنىٰ إليه شُوِيَ وجْهُه ووقعت فروةُ رأسِه، فإذا شَرِبَه قَطَّع أمعاءه حتىٰ تخرُجَ من دُبُرِه**»(١).

﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ﴾: أي: ألمه، ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾: من جهاته الست، ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾: (كا) فيستريح.

﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾: أي: بعد الصديد له، ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾: (تا) وهو الخلود في النار.

الفضيل: هو قطع الأنفاس وحبسها في الأجساد.

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٨٣)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٢٦٣)، وأحمد (٢٢٣٣٩)، والحاكم(٣٣٣٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٤٦٠) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.
قال الترمذي: هذا حديث غريب.
وهكذا قال محمد بن إسماعيل عن عبيد الله بن بسر: ولا نعرف عبيد الله بن بسر إلا في هذا الحديث
وقد روىٰ صفوان بن عمرو عن عبد الله بن بسر صاحب النبي ﷺ غير هذا الحديث، و عبدالله بن بسر له أخ قد سمع من النبي ﷺ وأخته قد سمعت من النبي ﷺ، وعبيد الله بن بسر الذي روي عنه صفوان بن عمرو هذا الحديث رجل آخر ليس بصاحب.

شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ ﴾

﴿مَّثَلُ﴾: أي: صفة.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ﴾: (حس) مبتدأ محذوف الخبر، أي: فيما نقص عليك مثل، فتقف هنا لاستئنافك ما بعد أو خبره ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾: أي مثلهم مثل أعمالهم فتكون ﴿كَرَمَادٍ﴾: خبر مبتدأ أي هي كرماد، أو ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ بدل اشتمال من ﴿مَّثَلُ﴾، فيكون الخبر ﴿كَرَمَادٍ﴾، فلا تقف علىٰ ﴿بِرَبِّهِمْ﴾.

ومعنىٰ ﴿ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾: قويت عليه ففرقته ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾: ريحه، فحذفت الريح ووصف اليوم بالعصوف مجازًا، أو ذي عصوف.

المعنىٰ: الكفار لا ينتفعون في الآخرة بأعمالهم الصالحة في الدنيا كصلة رحم وفك أسير وإكرام ضيف، وإنما هي كرماد ضربته ريح شديدة ففرقته في أقطار الأرض، يوضحه: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾: في الآخرة، ﴿مِمَّا كَسَبُواْ﴾: أي: في الدنيا، ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: **تلخيصه**: لا ينتفعون ثَمَّ بما صنعوا هنا.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾: (تا) الذي لا تدرك غايته فيرجىٰ الخلوص منه.

القراءة: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: فعل ومفعول وخالق كفاعل وجر السموات إضافة، وكذلك ﴿خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ﴾ [النور:٤٥] في النور، ومعنىٰ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: (حس) لم يخلقهن عبثًا تعالىٰ علاؤه وشأنه.

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: (حس) بل هو سهل يسير؛ لأنَّه تعالىٰ لا اختصاص له بمقدور دون مقدور، بل إذا خلص الداعي له إلىٰ شيء وانتفىٰ الصارف تكون من غير توقف.

﴿وَبَرَزُواْ﴾: أي: ويبرز الكفار يوم القيامة من قبورهم، ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾: أي لحسابه فيقول ﴿ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾ هم الأتباع للمتبوعين، وهم المستكبرون عن الإيمان: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾: جمع تابع: وهو المستنُّ بآثار من يتبعه، ﴿فَهَلْ أَنتُم

مُّغْنُونَ﴾: مانعون، ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍۚ﴾: قالوا لهم هذا القول توبيخًا؛ لأنَّهم كانوا يعلمون أنهم لا يغنون عنهم شيئًا مما هم فيه، ﴿مِنْ﴾ الأولىٰ تبعيض، والثانية تبيين، أي هل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله؟ أو هما تبعيض، أي هل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله؟ فثم قال المتبعون: ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾: أرشدنا إلىٰ الإيمان [ق/ ١٢٢أ]، ﴿لَهَدَيْنَٰكُمْۖ﴾: إليه ولكن أضلنا فأضللناكم.

مقاتل: تضرعوا خمسمائة سنة وصبروا خمسمائة سنة فلم ينتفعوا، فقالوا: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾: (تا) ملجأ نعتصم به.

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِىۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

﴿لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾: فرغ من الحساب ودخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، لام أهل النار إبليس فقام خطيبًا فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾: الذي لا ريب فيه وهو البعث والحساب والجنة والنار، ﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾: أن لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار، ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْۖ﴾: كذبتكم، ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾: تسليط حتىٰ أقسركم علىٰ دعواي؛ إذ ليس ذلك إليَّ لكن ﴿أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِىۖ﴾: أي أجبتم، ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾: بمغيثكم.

القراءة: (وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىِّ): بكسر الياء لغة صحيحة محكية عن العرب، وبفتحها لا أحب الوقف من ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ إلىٰ: ﴿بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُۗ﴾: (حس) و﴿مَّآ﴾ موصولة، و﴿مِن قَبْلُۗ﴾ متعلق بـ﴿كَفَرْتُ﴾ كفرت، تقديره: إني كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذي أشركتموني معه في الطاعة وهو الله؛

لأنَّ إبليس زين لهم عبادة الأوثان فأطاعوه وجعلوا الأوثان شركاء لله، يقول: شركت زيدًا فإذا عديته بالهمزة قلت: أشركنيه فلان جعلني له شريكًا، أو مصدرية و﴿مِن قَبۡلُۗ﴾ متعلق بـ﴿أَشۡرَكۡتُمُونِ﴾، تقديره: كفرت اليوم بإشراككم إياي الله في الطاعة في الدنيا قبل هذا اليوم.

تلخيصه: تبرأت منكم مع كفري بالله، وهذا آخر قصة الخبيث.

[ثم قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: يعني: الكافرين][1] ﴿لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: (تا).

القراءة: ﴿وَأُدۡخِلَ﴾: مجهولًا، فهو متعلق بقوله: ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ﴾: (كـا) المعنىٰ: أدخلتهم الملائكة الجنة بأمر الله تعالىٰ.

وقرئ: وأدخل معلومًا أي أدخلهم الله فتعلق بإذن ربهم، أي: بأمر ربهم بقوله: ﴿سَلَٰمٌ﴾: (تا) فلا وقف علىٰ ربهم؛ لأنَّ تقديره ﴿تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ بإذن ربهم.

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ٢٦ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧﴾

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا﴾: نصب بـ﴿ضَرَبَ﴾، وتنصب كلمة بدلًا من مثلًا، أو بمضمر أي جعل ﴿كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ﴾: هي شهادة أن لا إله إلا الله، أو كل كلمة جميلة.

﴿كَشَجَرَةٍ﴾: أي: كثمرة شجرة ﴿طَيِّبَةٍ﴾: هي النخلة، أو كل شجرة طيبة الثمرة كالعنب.

ابن عباس[2]: هيٰ شجرة في الجنة.

---

(١) سقط من ب، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٦٦).

﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾: أسفلها ضارب متمكن في الأرض، ﴿وَفَرْعُهَا﴾: أي أغصانها مرتفعة، ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: أي: نحو السماء.

المعنىٰ: هذه الكلمة الطيبة ثابتة في قلب المؤمن بالمعرفة والتصديق بها كثبوت هذه الشجرة، فإذا تكلم بها صعدت كلمته نحو السماء كصعود هذه الشجرة [ق/ ١٤٤جـ].

وقرئ: (كشجرة طيبة ثابت أصلها)، أجريت الصفة علىٰ الشجرة ثم وصف الشجرة بقوله: ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا﴾: جناها، ﴿كُلَّ حِينٍ﴾: سنة؛ لأنَّ النخلة تحمل كلَّ سنة مرة، أو ستة أشهر؛ لأنَّ ذلك مدة اطلاعها إلىٰ وقت صرامها، أو كل وقت لأنَّ ثمر النخل يؤكل ليلًا ونهارًا رطبًا ويابسًا، كذلك عمل المؤمنين يصعد كل وقت، قالوا: وشبَّه الإيمان بالشجرة؛ لأنَّ الشجرة لابد لها من أصل ثابت وفرع قائم ورأس عال، فكذلك الإيمان لابد له من تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل الأبدان.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: (تا) بضرب الأمثال؛ لأنَّ فيها زيادة إفهام لذوي العقول والأفهام.

﴿وَمَثَلُ﴾: **وقرئ**: ومثل نصبًا عطفًا علىٰ ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾، والمراد ﴿كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾: الشرك، أو كل كلمة [ق/ ٢٠٧ب] قبيحة، ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾: هي الكشوف(١)، أو الحنظل، أو الثوم، أو كل شجر لا يطيب ثمره.

﴿ٱجْتُثَّتْ﴾: استؤصلت قلعًا، ﴿مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾: (تا) استقرار وثبات، وسئل بعضهم عن الشجرة الخبيثة فقال: ما أعلم لها مصعدًا في السماء ولا نباتًا في الأرض، بل تلزم عنق صاحبها حتىٰ الحساب.

﴿بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾: هو قول: لا إله إلا الله، ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: أي: قبل

(١) في حاشية ب: الكشوف: نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرقه الأرض.

الموت، وتثبيتهم في الدنيا أنهم إذا ابتلوا ثبتوا ولم يرجعوا عن دينهم، ولو عذبوا أنواع العذاب كمن تقدمنا من الأنبياء والصالحين، أو عند السؤال في القبر.

﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾: (حس) بعد الموت، أو عند البعث، أو بأنَّهم إذا سئلوا عن أعمالهم في ذلك الموطن أجابوا من غير دهش ولا تحير، وفي الحديث: «**إنَّ الروحَ تعودُ إلىٰ الميِّتِ، ويأتيه ملكان فيجلسانه في قبرِه ويقولان: ما ربُّك وما دينُك ومن نبيُّك؟ فيقول: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد، فينتهرانه الثانية ويقولان: من ربك وما دينُك ومن نبيُّك؟ وهي آخرُ فتنةٍ تعرضُ فيقول: اللهُ ربىٰ محمدٌ نبيي والإسلامُ ديني، فينادي منادٍ من السماءِ أن قد صدق عبدي، وذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ...﴾ الآية**»[1].

وكان ﷺ إذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه وقال: «**استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيتَ، فإنَّه الآن يُسأل**»[2].

﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ﴾: فلا يثبتهم.

﴿وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾: (تا) من تثبيت المؤمنين وخذلان الكافرين وغيرهما لاعتراض عليه في شيء ما.

﴿۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٣)، وأحمد (١٨٥٥٧)، والطيالسي (٧٥٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣/ ٥٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٩٥) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٢١)، والحاكم(١٣٧٢)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٦٨٥٦) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ونزل فيمن أنكر أنعم الله تعالىٰ عليه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾: أي شكر نعمته كفرًا، ﴿وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾: (كا) الهلاك لنصبك، ﴿جَهَنَّمَ﴾: بفعل يفسره: ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: فلا يكون ليصلونها، محل من الإعراب وإن نصبت ﴿جَهَنَّمَ﴾ بدلًا من ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ لم تقف بينهما، وكفىٰ الوقف علىٰ ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾، فمحل ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ حال.

المعنىٰ: يدخلونها فيقاسون حرها.

﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾: (تا) المقر.

القراءة: (لِّيَضِلُّواْ): بفتح الياء هنا والحج ولقمان والزمر (لِيُضِلَّ)، وبضمها أي ليضلوا هم الناس.

﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾: (كا).

﴿إِلَى ٱلنَّارِ﴾: (تا) وجواب ﴿قُل لِّعِبَادِيَ﴾: وهو الدال علىٰ المقول، تقديره: قل لعبادي المؤمنين: أقيموا الصلوة وأنفقوا.

﴿يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: مصدران أي إنفاق سر وعلانية، أو حال.

﴿وَلَا خِلَٰلٌ﴾: (تا) مخالة.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ خبره ﴿ٱلَّذِى﴾: وصلته ﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾: (حس).

﴿بِأَمْرِهِۦ﴾: (كا).

﴿ٱلْأَنْهَٰرَ﴾: (كا).

﴿دَآئِبَيۡنِۖ﴾: (كا) حال من الشمس والقمر.

المعنىٰ: يجريان لا يفتران في سيرهما في طاعة الله تعالىٰ.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾: (حس) يتعاقبان بالزيادة والنقصان والإضاءة والإظلام والحركة والسكون فيهما.

و«من» تبعيض في ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ﴾: أي: وأعطاكم بعض جميع ﴿مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ﴾: (تا) مصلحة لكم فما موصولة، أو مصدرية، أو نكرة موصوفة.

وقرئ: (من كلٍّ) منونًا، فما نافية محلها نصب حال، أي: آتاكم جميع ذلك غير سائلين، أو موصولة، أو مصدرية، فمحلها نصب مفعول آتاكم.

﴿لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾: (كا) لا تطيقوا عدّها لكثرتها، وأصله أنَّ الحساب كان إذا بلغ عقدًا وضعت له حصاة ثم استؤنف العدد.

المعنىٰ: لا توجد له غاية فتوضع له حصاة، وأجل النعم استواء الخلقة وإلهام المعرفة.

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ﴾: [أي: يظلم نفسه][1] بالمعصية ﴿كَفَّارٞ﴾: (تا): لنعم ربه، أو ظلوم يشكوا ويجزع، وكفار يجمع ويمنع، قال هنا:

﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾
رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ
إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ
مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ﴾: مكة.

﴿ءَامِنٗا﴾: معرفًا، ونكر في البقرة؛ لأنَّ النكرة إذا عينت تعرفت، أو دعا مرتين فحكيتا، ﴿وَٱجۡنُبۡنِي﴾: وقرئ: بكسر النون وقطع الهمزة جنبه الشر وجنبه وأجنبه

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

واحد المعنىٰ: بعّدني.

﴿وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ﴾: من أن نعبد ﴿ٱلْأَصْنَامَ﴾: (حس).

ابن عيينة[1]: ما عبد أحد من ولد إسماعيل صنمًا، إنما كان أنصاب حجارة لكل قوم؛ لأنَّهم قالوا: البيت حجر، فحيثما نصبنا حجرًا فهو بمنزلة البيت، فكانوا يطوفون بذلك الحجر ويسمونه الدوار، ولذلك يكره أن يقال: دار بالبيت، إنما يقال: طاف.

﴿إِنَّهُنَّ﴾: أي: الأصنام، ﴿ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾: (حس) أي ضلوا بسببهن.

﴿فَمَن تَبِعَنِي﴾: علىٰ الإسلام، ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾: من أهلي دينًا، بعضهم يقف هنا لأنَّ: ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾: لم يؤمن بي شرط مبتدأ جوابه ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: (حس).

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾: المفعول محذوف، أي: بعض ذريتي ذرية؛ لأنَّ إبراهيم جاء بهاجر وابنها إسماعيل إلىٰ مكة، وترك عندهما شيئًا من تمر وماء وتركهما بمكة، ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾: لأنَّه لم يكن بها ماء ولا حرث فكانت ترضعه وتأكل التمر وتشرب الماء، فنفد التمر والماء فعطشت وعطش ابنها، فجعل يتلبط[2] فذهبت عنه لئلا تراه، فصعدت الصفا تنظر ثم استفلت حتىٰ بلغت أسفل الوادي سعت حتىٰ جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فعلت كذلك سبع مرات، فجاءها الملك فبحث بجناحه موضع زمزم، فنبع الماء فجعلت تحوضه[3] تقول بيدها هكذا، قال ﷺ: **«رحم اللهُ أمَّ إسماعيلَ لو تركَتْ زمزمَ لصارت عينًا معينًا»**[4].

(١) انظر «الكشاف» (٢/ ٥٥٨).

(٢) في حاشية ب: تلبط: اضطجع وتمرغ.

(٣) في حاشية ب: تحوضه: أي تحفر له كالحوض لتستقر فيه أو تسير فيه.

(٤) أخرجه البخاري (٢٢٣٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾: (حس) لأَنَّه عظيم الحرمة، أو لأَنَّه حرم علىٰ الطوفان أن يناله، أو أَنَّه تعالىٰ حرَّم التعرض له بسوء يوم خلق السموات والأرض ويتعلق بأسكنت ﴿لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

و﴿مِّنَ﴾ تبعيض في ﴿أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: أي أفئدة من أفئدة الناس.

مجاهد(١): لو قال أفئدة الناس لزاحمتكم الروم والفرس والترك والهند، أو لحج اليهود والنصارىٰ والمجوس.

وقرئ: أفدة جمع آفد اسم فاعل، أي جماعات.

﴿تَهۡوِيٓ﴾: تميل وتسرع، ﴿إِلَيۡهِمۡ﴾: وقرئ: (تهوي) مجهولًا من هوىٰ إليه وأهواه غيره، وتهوىٰ من هوىٰ يهوي أحب ضمن معنىٰ تنتزع فعدىٰ تعديته.

﴿لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾: (حس).

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١﴾

﴿تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي﴾: من فراق إسماعيل وأمه، ﴿وَمَا نُعۡلِنُۗ﴾: (تا) نظهر من التجلد لسارة، أو أَنَّك تعلم جميع أمورنا.

﴿وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: (تا).

تلخيصه: لا يخفىٰ عليك شيء ما في مكان ما فافعل بنا ما هو مصلحتنا.

ومحل ﴿عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ﴾: حال من الياء في ﴿وَهَبَ لِي﴾.

﴿لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾: (حس).

﴿مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾: متمها.

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٥).

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾: عطف على الياء في ﴿ٱجْعَلْنِي﴾ وبعَّض؛ لأنَّه علم أنَّ من ذريته من لا يؤمن.

واستغفر إبراهيم لأبيه بقوله: ﴿ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾: وهما حيَّان طمعًا في هدايتهما، أو أن أمَّه أسلمت فأراد إسلام أبيه.

وقرئ: (لوالديَّ، ولأبويَّ ولولديّ) أي: إسماعيل وإسحاق، و(لوُلدِي) بضم الواو بمعنى المفتوحة.

﴿يَوْمَ يَقُومُ﴾: يثبت ﴿ٱلْحِسَابُ﴾: (تا).

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾

ثم وعد المظلوم وأوعد الظالم فقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: (حس) واستدل بعضهم على قيام الساعة بموت المظلوم مظلومًا، قالوا: وجد على جدار في الصخرة:

نامت عيونُك والمظلوم منتَبِهٌ يدعو عليك وعينُ اللهِ لم تَنَمِ

﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ﴾: لأجل يوم ﴿تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾: لهول ما ترى، وقرئ: نؤخرهم بالنون، والمراد يوم القيامة، يقال: شخص بصر فلان وأشخصه صاحبه إذا فتح عينيه ولم يطرف بجفنيه.

المعنى: أنها لا تثبت في أماكنها لهول ذلك اليوم، لا وقف هنا؛ لأنَّ ﴿مُهْطِعِينَ﴾: مسرعين إلى إجابة الداعي، أو إلى النار، [ويقال: مهطعين ناظرين قاصدين نحو الداعي][1]، والإهطاع: تصويب النظر وإدامته إلى المرء حال من

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

الأبصار، أي: تشخص الأبصار [ق/ ١٢٣أ] في تلك الحال.

﴿مُقۡنِعِي﴾: رافعي ﴿رُءُوسِهِمۡ﴾: ملتصقة [ق/ ٢٠٨ب] بأعناقهم ﴿لَا يَرۡتَدُّ﴾: لا يرجع ﴿إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ﴾: وأصل الطرف تحريك الجفون في النظر، ثم سميت العين طرفًا مجازًا.

المعنىٰ: أنهم لا يلتفتون ولا ينظرون مواقع أقدامهم لما بهم.

﴿وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ﴾: (تا) خالية لا تعي شيئًا لخوفها، ويقال لكل أجوف: خال هواء، فكأنه سمي بذلك لحلول الهواء فيه؛ أو لأنَّ قلوبهم خرجت من صدورهم فصارت في حناجرهم، فلا تقر في أماكنها ولا تخرج [ق/ ١٤٥جـ] من أفواههم فهي مترددة كالهواء، وهذا مبالغة في وصفهم بالجبن.

تلخيصه: الأبصار شاخصة والرؤوس مقنعة والقلوب فارعة زائلة لهول ذلك اليوم ثبتك الله تعالىٰ وإيانا فيه.

﴿يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ﴾: مفعول ثان لـ«أنذر» ولا يكون ظرفًا؛ لأنَّ الإنذار لا يكون يوم القيامة.

﴿أَخِّرۡنَآ﴾: أمهلنا وردنا إلىٰ الدنيا ﴿نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ﴾: علىٰ لسان رسلك إلىٰ التوحيد.

﴿وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ﴾: (تا) فيما جاؤونا به، فيجابون توبيخًا علىٰ إنكارهم البعث: ﴿أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ﴾: في الدنيا ﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ﴾: (حس) عنها

﴿وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَسَكَنتُمۡ﴾: قررتم ﴿فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾: كقوم نوح وعاد.

﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ﴾: حالهم، ومحل ﴿كَيْفَ﴾: نصبت بقوله: ﴿فَعَلْنَا بِهِمْ﴾: ولا تكون كيف فاعل ﴿تَبَيَّنَ﴾؛ لأنَّ لا استفهام له صدر الكلام، ولأنَّ كيف لا تكون إلا ظرفًا، أو خبرًا، أو حالًا.

وقرئ: تبين لكم بالنون ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾: (حس) المعنىٰ بينًّا لكم من أحوالهم وما فعلنا بهم مما هو في الغرابة كالأمثال التي يسألونها.

﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ﴾: العظيم وهو تكذيب الرسل.

﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾: أي: جزاء مكرهم، أو هو مضاف إلىٰ المفعول، أي وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو تعذيبهم.

القراءة: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ﴾: أي قريش ومتقدمي الكفار ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾: (كا) هي أمور محمد ﷺ بكسر اللام الأولىٰ من ﴿لِتَزُولَ﴾ لجعلها لام كي ونصب الثانية فإن نفي، وقرئ: وما كان مكرهم، والمراد تحقير مكرهم.

المعنىٰ: لم يكن مكرهم بمزيل الجبال.

تلخيصه: محال زوال أمر محمد ﷺ بمكرهم، أو «إن» مخففة من الثقيلة، أي وإنَّه كان مكرهم، فالمراد تعظيم مكرهم، المعنىٰ: محال زوال أمر محمد بمكرهم وإن عظم، وبفتح اللام الأولىٰ لام ابتداء ورفع الثانية؛ لأنَّه فعل مستقبل لا ناصب له ولا جازم، فإن مخففة من الثقيلة واللام بعدها للتوكيد.

وقرئ: وإن كاد مكرهم.

وقدم المفعول الثاني في قوله: ﴿مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾: (كا) بقهر الكافرين ونصر المؤمنين علىٰ الأول للإيذان لا نخلف وعدًا ما أبدًا، وإضافة مخلف إلىٰ الوعد اتساع[1].

---

(١) في حاشية ب: قوله: ﴿الرسل﴾: مفعول أول، والوعد مفعول ثاني، وإضافة ﴿مُخْلِفَ﴾ إلىٰ «الوعد» اتساع، والأصل: مخلف رسله وعده، ولكن ساغ ذلك لما كان كل واحد منهما مفعولًا.

وقرئ: (مخلفُ وَعْدَهُ رسله بنصب وعده وجر «رسله» كقراءة ابن عامر (زَيَّنَ لكثير من المشركين).

﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾: لأوليائه، لا وقف هنا إن نصبت:

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾: ظرفًا لانتقام، ويكفي إن نصبت يوم باذكر مقدرة، وتبديل الأرض تغير آكامها وآجامها وجبالها وأشجارها.

ابن مسعود[1]: تبدل بأرض بيضاء نقية لم تعمل عليها خطيئة، أو تبدل بخبزة بيضاء فيأكل المؤمنون من تحت أقدامهم حتىٰ يفرغ الحساب.

﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾: (حس) أيضًا تبدل بزوال شمسها وقمرها وكونها مرة كالدهان ومرة كالمهل، أو أنها تطوىٰ كطي السجل، ويكون الناس وقت التبديل علىٰ الصراط، أو في الظلمة دون الجسر.

﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ﴾: أي لحسابه.

﴿ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾: (كا).

﴿مُّقَرَّنِينَ﴾: مشدودين مع شياطينهم في قَرَن، أو شد بعضهم إلىٰ بعض.

﴿فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾: القيود والأغلال ﴿سَرَابِيلُهُم﴾: قميصهم ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾: هو عصارة شجر سمي الأبهل يستخرج بالنار وهو كريه اللون والطعم والرائحة، سريع الالتهاب تهنأ به الجرباء، فيحرق الجرب والجلد، تُطلىٰ به جلود الكفار، فيصير قميصًا لهم، فيضطرم عليهم نارًا، وتفتح قافه وتكسر مع سكون الطاء

---

(١) انظر «زاد المسير» (٢/ ٥٢٠).

وتفتح مع كسر الطاء.

وقرئ: (من قطران)، أي: من نحاس، مذاب حار قد بلغ نهاية الحر.

﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾: (حس) عند أبي حاتم تجعل اللام بعد لام قسم على ما مر من أصله في آخر التوبة، ولا يجيزه غيره؛ لأنَّه يجعل لام ﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾: من خير وشر لام كي.

تلخيصه: برزوا للجزاء.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: (حس).

﴿هَٰذَا﴾: أي: القرآن ﴿بَلَٰغٌ﴾: كفاية ﴿لِّلنَّاسِ﴾: وما بعد معطوف على محذوف.

تلخيصه: هذا وعظ كاف ليوعظوا ﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟﴾: بالنظر الصحيح ﴿أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: (تا).

سورة (الحجر)

مكية وهي تسع وتسعون آية .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٢ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۝٤﴾

﴿وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾: [مظهر][1] الحق من الباطل، والحلال من الحرام عطف على الكتاب، وإن كان هو هو لاختلاف لفظهما، أو قرآن قسم.

القراءة: ﴿رُّبَمَا﴾: [مثقلًا ومخففًا][2] لغتان، وقرئ: ربما بفتح الراء وربتما بزيادة تاء، وفيها ثماني لغات: ربما بضم الراء وفتحها مخففًا ومثقلًا، وربتما بضم الراء وبفتحها مخففًا ومثقلًا وما كافة، أو نكرة موصوفة ورب تختص بالأسماء، فإذا ركبت معها ما دخلت على الفعل الماضي ودخلت هنا على: ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: يوم القيامة أن ﴿لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾: (تا) في الدنيا وإن كان مستقبلًا؛ لأنَّ إخباره تعالى صدق فصار في تحققه كالماضي، في الحديث: «**لا يزال الربُّ يرحمُ ويُشفَعُ إليه حتى يقول: من كان من المسلمين، فليدخلِ الجنَّةَ فيتمنون الإسلام**»[3].

و«رب» حرف جر لا يعمل فيه إلا ما بعده؛ لأنَّه أشبه النفي؛ لأنَّه للتقليل وحروف النفي لها صدر الكلام، ولا يعمل إلا في نكرة لأنَّه للتقليل والنكرة دليل التكثير، ويلزم مجروره الصفة عوضًا من حذف المتعلق به وهو العامل فيه، ولا

---

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

(٢) في ب: مخففا ومثقلا، والمثبت من أ، جـ.

(٣) ذكره أبو السعود في «تفسيره» (٥/ ٦٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما من قوله موقوفًا عليه.

يظهر للعلم به إلا ضرورة بخلاف حروف الجر والعامل فيه هنا محذوف تقديره ربّ كافر يود الإسلام، ثم بلغ هنا ورب للتقليل، قالوا: وهي هنا للتكثير أو هي علىٰ بابها، وذلك أنهم إذا شاهدوا أهوال يوم القيامة تذهب عقولهم، فإذا ثابت إليهم عقولهم وذلك قليل سألوا الإسلام، ويجوز أنَّهم لمَّا تمنوا الإسلام فلم ينفعهم تمنيهم شيئًا كان قليلًا، لأنَّه لم تحصل به فائدة ثم تهدد بقوله: ﴿ذَرۡهُمۡ﴾: يا محمد ﴿يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ﴾: بنيل شهوات الدنيا، ﴿وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُ﴾: أي يشتغلون بطول أملهم، فلا يتفكرون فيما هم إليه صائرون.

﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾: (تا) وبال صنيعهم، ولا شك أنَّ التمتع بلذات الدنيا والاشتغال به والركون إليه من أخلاق الهالكين، نسأل الله تعالىٰ التوفيق لمحابه.

ومحل: ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ﴾: الجملة صفة قرية، وتوسطت الواو بينهما لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كتوسطها بين الحال وصاحبها، فيقال: جاءني زيد عليه ثوب، وجاءني زيد وعليه ثوب.

﴿مَّعۡلُومٌ﴾: (تا) المعنىٰ: وما أهلكنا أهل قرية إلا لوقت أجلها المحدود، يوضحه قوله:

﴿ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ۝٥ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ ۝٦ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ۝٨ ﴾

﴿مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾: المعلوم.

﴿وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ﴾: (تا) عنه، والمراد بالذي ﴿نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ﴾: أي: القرآن محمدٌ ﷺ، قال له المشركون: ﴿إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ﴾: (تا).

﴿لَّوۡ مَا﴾: ولولا تفيدان التحضيض بعد التركيب وامتناع الشيء لوجود غيره، وهلا تفيد التحضيض لا غير، المعنىٰ: هلا ﴿تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾: يشهدون لك ﴿إِن

كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: (تا) لأنَّ هذا آخر كلامهم، ثم [ق/ ٢٠٩ب] ابتدأ تعالىٰ قائلا: ﴿مَا نُنَزِّلُ﴾.

القراءة: بنونين الأولىٰ مضمومة والثانية مفتوحة، وكسر الزاي ونصب ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾: وبتاء مضمومة وفتح النون والزاي ورفع الملائكة وبفتح التاء والنون ورفع الملائكة، المعنىٰ: ما ننزل الملائكة ﴿إِلَّا﴾: ملتبسة ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: وهو الرسالة والقرآن، أو نزول العذاب بالكفار إن لم يؤمنوا.

وقوله: إذا جواب للمشركين وجزاء الشرط مقدر، تقديره: ولو نزلنا الملائكة.

﴿وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾: (تا) مؤخرين، وما أخر عذابهم عند معاينة الملائكة.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

ونحن في ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾: أي: القرآن ليست بفصل؛ لأنَّها ليست بين اسمين وإنما هي مبتدأ ﴿وَإِنَّا لَهُۥ﴾: للقرآن ﴿لَحَٰفِظُونَ﴾: (تا) من الزيادة والنقصان والتبديل، أو لمحمد من الأسواء، المعنىٰ: الله يحفظ القرآن أو محمدًا من كل نقص.

﴿فِى شِيَعِ﴾: في أتباع ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾: (حس) وأحزابكم.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم﴾: الآية حكاية حال ماضية؛ لأنَّ ما لا يدخل علىٰ مضارع إلا وهو في معنىٰ الحال ولا علىٰ ماض إلا وهو قريب [ق/ ١٤٦جـ] من الحال.

ومحل: ﴿إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ﴾: بالرسول ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾: (كا) الجملة حال مقدرة من ضمير المفعول في ﴿يَأْتِيهِم﴾.

القراءة: ﴿نَسْلُكُهُۥ﴾: أي: الشرك، أو الاستهزاء، أو التكذيب.

وقرئ: بضم النون المعنىٰ كإدخالنا الشرك والتكذيب والاستهزاء في قلوب

الأولين، كذلك ندخله ﴿فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: أهل مكة.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: بالرسول، أو العذاب، أو القرآن، أو الهاء في ﴿نَسْلُكُهُۥ﴾ للذكر؛ لأنَّهم كانوا يسمعون القرآن [يقرؤه][1] النبي ﷺ فيدخل في قلوبهم، ومع ذلك لا يؤمنون.

﴿وَقَدْ خَلَتْ﴾: مضت ﴿سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: (كا) بأن تهلكوا إن لم تؤمنوا.

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ ﴾

﴿فَظَلُّوا۟ فِيهِ﴾: أي: الملائكة في الباب ﴿يَعْرُجُونَ﴾: يصعدون، **وقرئ**: بضم الياء وكسر الراء، ولا وقف هنا؛ لأنَّ جواب ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: ﴿لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا﴾.

القراءة: ﴿سُكِّرَتْ﴾: مخففًا ومثقلًا، أي: غشيت ﴿أَبْصَٰرُنَا﴾: **وقرئ**: بفتح السين وكسر الكاف من سكر الشراب أي: لحارت.

﴿مَّسْحُورُونَ﴾: (تا) المعنىٰ: لو فتح باب في السماء وصعدت فيه الملائكة والمشركون يرونهم عيانًا لقالوا: منعت أبصارنا عن إدراكهم، بل سحرنا محمد.

تلخيصه: لو أتوا بما طلبوا لكذبوا.

﴿فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾: وهي الاثنا عشر برجًا، وهي منازل الشمس والقمر، ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾: أي: السماء بالنجوم ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾.

ومحل ﴿مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾: نصب استثناء منقطع، أو جر بدل من ﴿ كُلِّ شَيْطَٰنٍ﴾، أو رفع مبتدأ.

ودخلت الفاء في ﴿فَأَتْبَعَهُۥ﴾: فلحقه ﴿شِهَابٌ﴾: لهب محرق.

---

(١) في ب: بقراءة، والمثبت من أ، ج.

﴿مُّبِينٌ﴾: (كا) ظاهر لأنَّ من شرط، أو بمعنىٰ الذي.

عن ابن عباس[(١)] أنَّهم كانوا لا يُحجَبون عن السماوات إلىٰ أن ولد عيسىٰ، فمنعوا عن ثلاث سماوات، فلمَّا ولد محمد ﷺ منعوا عن السماوات كلها.

في الحديث: «**إنّ الملائكةَ تنزلُ إلىٰ العنان فتذكر الأمر الذي قضي في السموات فيسترقُ الشيطانُ السمع فيوحيه إلىٰ الكهانِ فيكذبون مائة كذبةٍ من عند أنفسهِم**»[(٢)].

معمر[(٣)]: قلت للزهري: أكان يُرمىٰ بالنجوم في الجاهلية؟ قال: نعم، أو أنَّ النجم ينقض ويرمي الشيطان فيقتله أو يخبله ولم يقتله؛ لئلا يعود إلىٰ استراق السمع، ثم يعود إلىٰ مكانه [ق/ ١٢٤أ]، قالوا: وما يخبل من الشيطان، يبقىٰ في الأرض غولًا يغتال الناس.

﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾

﴿مَّوْزُونٍ﴾: مقدر علىٰ قدر الحاجة إليه، أو ما يوزن كالذهب والفضة والحديد.

المعنىٰ: بسطنا الأرض علىٰ الماء وأثبتناها بالجبال ،وجعلنا فيها ما هو مقدر.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾: ما تعيشون به.

ومحل ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾: (كا) كالعبيد والنساء والصبيان نصب عطف علىٰ ﴿مَعَٰيِشَ﴾، المراد: جميع الدواب والوحوش والجنين في البطن.

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (٣/ ٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٣٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) انظر «تفسير البغوي» (٣/ ٥٣).

المعنىٰ: الله الرازق، فلا تعتقدوا أنكم ترزقون أحدًا.

ثم أوضح ذلك بقوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾: المعنىٰ: وما من شيء إلا وقدرتنا محيطة ونحن المتصرفون فيه.

﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ﴾: أي نوجده مع كثرته وتمكننا منه، ﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾: (كا) بحد محسوب علىٰ قدر المصلحة.

﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿لَوَٰقِحَ﴾: حال جمع ريح لاقح إذا أتت بسحاب ماطر من لقحت الناقة تلقح حبلت، وألقحها الفحل، فكأن الريح حملت الماء وحملته السحاب.

أبو عبيد[١]: ﴿لَوَٰقِحَ﴾ بمعنىٰ ملاقح جمع ملقحة؛ لأنَّها تلقح السحاب والأشجار، أو علىٰ النسب، أو ذوات إلقاح كطالق.

﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾: جعلنا المطر لكم سقيا تشربونه، سقىٰ وأسقىٰ واحد، ثم أكد ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ بقوله: ﴿وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ﴾: أي للمطر، ﴿بِخَٰزِنِينَ﴾: (كا) محافظين، بل نحن الخازنون له المتصرفون فيه.

﴿وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾: (كا) الباقون، ومنه: «**واجعله الوارثَ منا**»[٢].

ونزل فيمن يتقدم في صف الصلاة وفيمن يتأخر، أو في صف القتال، أو فيمن مات وفيمن هو آت؛ إشارة إلىٰ علمه تعالىٰ كليات الأشياء وجزئياتها: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾[٣]: (كا) فنجازي كلًّا بعمله.

---

(١) «غريب القرآن» (٣/ ١٣١).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٠٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٢٣٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٢٧٥).

﴿عَلِيمٌ﴾: (تا).

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾
وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ
فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن
يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ
لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾﴾

﴿مِن صَلْصَالٍ﴾: طين يابس غير مطبوخ إذا نقر صل، فإن طبخ فهو فخار.

ومحل: ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾: جمع حماءة وهو الطين الأسود المتغير جرّ صفة ﴿صَلْصَالٍ﴾.

﴿مَّسْنُونٍ﴾: مصورًا، أو مصبوب من سننت الماء: صببته، أي: أفرغ من الطين صورة كما تفرغ الصور من الجواهر الرصاص والنحاس ونحوهما، المعنىٰ: خلق الإنسان من صلصال كان من حمأ مسنون.

وتنصب ﴿وَالْجَانَّ﴾: وقرئ: والجان بالهمزة بفعل يفسره ﴿خَلَقْنَاهُ﴾: والمراد: إبليس، أو أبو الجن؛ لأنَّ إبليس أبو الشياطين خلق ﴿مِن قَبْلُ﴾: أي: قبل آدم، ﴿مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾: (حس) الحر الشديد بالنهار؛ لأنَّه ينفذ في المسام، أو النار التي عندنا جزء من سبعين جزء من نار السموم التي خلق منها الجان، أو هي من نار جهنم، أو هي نار بين السماء والأرض منها تكون الصاعقة.

﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾: (كا).

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾: عدلت [خلقه][1]، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾: أي: أحييته وليس ثم نفخ، وأضاف تعالىٰ آدم إليه تشريفًا.

[﴿فَقَعُوا لَهُ﴾: أي خروا][2] ﴿سَاجِدِينَ﴾: (كا).

---

(١) في جـ: خلقته، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾: استثناء من الملائكة لأنَّه كان بينهم، أو كان منهم.

﴿مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: (كا).

﴿مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾: (كا).

﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾

﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾: ﴿مِنۡهَا﴾ أي: من رحمتي، أو الجنة، أو صورة الملائكة، ولا وقف إلىٰ ﴿يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾: (كا).

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾: (كا) هو يوم موت الخلائق، وهو وقت النفخة الأولىٰ ومدة موت الخبيث أربعون سنة قدر ما بين النفختين.

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾: (كا) واستثنىٰ الخبيث المخلصين؛ لعلمه أنَّ كيده لا يضرهم.

﴿هَٰذَا﴾: أي: الإخلاص.

﴿صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ﴾: (حس) حق واجب علىٰ استقامته، وأن أراعيه وأراعي من سلكه، أو علىٰ بمعنىٰ إلىٰ.

وقرئ: عليّ بكسر اللام منونًا مشددًا من العلو الشرف.

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ﴾: أي: علىٰ قلوبهم، أو علىٰ إغوائهم حجة

وتسليط، أو ليس لك أن توقعهم في ذنب يضيق عفوي عنه.

﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾: (كا).

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ﴾: لمصير الغاوين ﴿أَجْمَعِينَ﴾: حال من الضمير المجرور العامل فيها معنىٰ الإضافة.

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾: كل باب فوق باب علىٰ قدر طبقاتها لكل طبقة باب.

﴿لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ﴾: من إبليس وأتباعه [ق/ ٢١٠ب] ﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾: (تا) وقرئ: جز بتشديد الزاء، لا أحب الوقف من ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ إلىٰ هنا، للطبقة الأولىٰ وهي العليا الموحدون من أهل الكبائر للثانية النصارىٰ للثالثة اليهود للرابعة الصابئون للخامسة المجوس للسادس أهل الشرك للسابعة المنافقون.

وللمتقين ﴿جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾: يقال لهم ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾: أي: الجنات ﴿بِسَلَٰمٍ﴾: أي: سالمين من كل مخوف، أو تسلم عليكم الملائكة ﴿ءَامِنِينَ﴾: (تا) (حس) من النار ومن كل مخوف حال أيضًا، أو بدل من سلام.

وقرئ: (ادخلوها) بضم الهمزة وكسر الخاء.

عن علي أنَّ ابن طلحة سلم عليه فقال له: مرحبًا يا بن أخي إني والله لأرجو أن أكون أنا وأبوك ممن قال الله تعالىٰ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾: حقد كائن في القلب بسبب عداوة كانت بينهم في الدنيا[1].

وأصل الغل والغلل: تدرع الشيء وتوسطه، ومنه الغلل للماء الجاري بين الشجر، فالغل يتدرع الأعضاء ويتوسطها، أو أنَّ أهل الجنة لا يتحاسدون فيها علىٰ المنازل لزوال الغش عن قلوبهم، بل يتوادون.

﴿إِخْوَٰنًا﴾: حال.

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾: (كا) صفة سرر أو حال، المعنىٰ لا ينظر أحدهم إلىٰ قفا

---

(١) انظر: «الكشاف» (٢/ ٥٨٠).

الآخر لدوران الأسرة بهم، تقف هنا إن استأنفت ولم تنصب ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾: تعب؛ حالًا من ضمير (متقابلين).

﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾: (تا) .

﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّيَ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

يا محمد ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّيَ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾: لمن تاب ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾: (كا) لمن لم يتب، في الحديث: «**لو يعلمُ الكافرُ بكلِّ الذي عند اللهِ من الرحمةِ لم ييأسْ من الجنةِ، ولو يعلمُ المؤمنُ بكلِّ الذي عند الله من العذابِ لم يأمن من النار**»[1].

ثم عطف على ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ﴾: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ﴾: أي: عن خبر ضيف ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾: يستوي فيه القليل والكثير، والمراد بالضيف الملائكة ﴿فَقَالُواْ سَلَٰمًا﴾: أي: نسلم سلامًا عند دخولهم على إبراهيم.

﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾: (كا) خائفون، وقرئ: (واجلون) ووجل منهم؛ لامتناعهم من طعامه، أو لدخولهم عليه [ق/ ١٤٧ جـ] في غير وقت الدخول بغير إذن.

﴿قَالُواْ لَا تَوْجَلْ﴾: وقرئ: لا تؤجل من أجله يؤجله أخافه.

﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾: (كا) في صغره، حليم في كبره وهو إسحاق، فتعجب من بشراهم.

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٤) من حديث أبي هريرة ﵁.

ومحل ﴿عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ﴾: حال أي: أبشرتموني كبيرًا.

﴿فَبِمَ﴾: فبأي أعجوبة ﴿تُبَشِّرُونَ﴾: (كا) أعجب من وجود الولد من بين هرمين.

القراءة: بكسر النون وتشديدها، أصله: تبشرونني أدغم النون في النون، ثم حذف الياء، فأبقىٰ الكسرة تدل عليها، وبنون مكسورة خفيفة علىٰ حذف إحدىٰ النونين نون الوقاية، أو التي هي علامة الرفع، ثم حذفت الياء لدلالة الكسرة عليها، ولا يلتفت إلىٰ الطاعن في هذه القراءة لصحة نقلها؛ بل لتواترها، فيكون أصلًا يحتج به لا له، وبفتح النون مخففة.

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: بالصدق الواجب وجوده ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ﴾: (كا) الآيسين، وقرئ: القنطين.

القراءة: ﴿وَمَن يَقۡنَطُ﴾: بفتح النون وكسرها، وقرئ: بضمها لغات.

﴿ٱلضَّآلُّونَ﴾: (كا) المعنىٰ: لا أنكر وجود الولد منا قنوطًا؛ بل استبعادًا عادة.

﴿ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلۡ جِئۡنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ﴾: قصدكم ﴿أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾: (كا).

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ﴾: لا وقف هنا إن جعلت ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾: استثناء منقطعًا من ﴿قَوۡمٖ﴾؛ لأنَّ القوم موصوفون بالإجرام، وآل لوط لم يجرموا، فعلىٰ هذا آل لوط مخرجون من حكم الإرسال، وإنما الإرسال إلىٰ قوم مجرمين خاصة، فعلىٰ هذا الإرسال بمعنىٰ الإهلاك، كأنَّه قال: وأهلكنا قومًا مجرمين لكن آل لوط لم نهلكهم، وكذلك لا تقف علىٰ ﴿مُّجۡرِمِينَ﴾ إن جعلت ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾

استثناء متصلًا من الضمير في ﴿مُّجۡرِمِينَ﴾، تقديره: أرسلنا إلىٰ قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط، وحدهم لم يجرموا نحو ﴿فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الذاريات:٣٦]، فعلىٰ هذا آل لوط داخلون في حكم الإرسال، فتكون الملائكة قد أرسلت لإهلاك الكافرين وإنجاء المؤمنين، وإذا جعلت ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ منقطعًا جعلت ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾: جاريًا مجرىٰ خبر لكن في الاتصال، تقديره لكن آل لوط منجون، وإذا جعلت ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ متصلًا كان ﴿لَمُنَجُّوهُمۡ﴾ مستأنفًا، كأنَّه قال: فما حال آل لوط؟ فقالوا: إنَّا لمنجوهم.

﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ﴾: استثناء من ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾، فيكون استثناء من استثناء تقديره: أهلكناهم إلا آل لوط إلا مرأته فالحكم متحد، أو من الضمير المجرور في ﴿لَمُنَجُّوهُمۡ﴾، فلا يكون استثناء من استثناء؛ لأنَّ الاستثناء من الاستثناء إنَّما يكون فيما اتحد فيه الحكم نحو أنت طالق ثلاثًا إلا اثنتين إلا واحدة تطلق اثنتين، وله علي عشرة إلا ثلاثة إلا درهمًا يلزمه ثمانية.

القراءة: (لمنجوهم) مثقلًا ومخففًا.

﴿قَدَّرۡنَآ﴾: أي: حكمنا ﴿إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾: (كا) الباقين في الهلاك الذين لم يستثنوا منه.

القراءة: هنا والنمل بتشديد الدال وتخفيفه، ولولا اللام في خبر «إنَّ» لكانت مفتوحة، وأسندت الملائكة تقدير الله تعالىٰ إلىٰ أنفسهم لاختصاصهم به، ولقربهم منه كخاصة الملك.

﴿قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾: (كا) غرباء لا يعرفون، وكان لوط يعد قومه نزول العذاب فقالت الملائكة: ﴿وَأَتَيۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ﴾: باليقين من عذابهم، ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾: (كا) في قولنا.

﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ٦٥

وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَـٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ ﴾

﴿فَأَسْرِ﴾: وقرئ: فسر.

﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾: لئلا تروا نزول العذاب بقومكم، فترق قلوبكم وتكرهون المهاجرة.

﴿وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾: (حس) بالذهاب إليه وهو الشام، أو مصر، أو نهوا عن الالتفات؛ حثًّا لهم علىٰ الإسراع في السير.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ﴾: أي أوحينا ﴿ذَٰلِكَ﴾: نصب بقضينا، ﴿ٱلْأَمْرَ﴾: نصب بيان لذلك، أو بدل منه.

ومحل ﴿أَنَّ دَابِرَ﴾: أي آخر ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾: وخبر أنَّ ﴿مَقْطُوعٌ﴾: مهلك الجملة تفسير للأمر، أو بدل منه.

وقرئ: بكسر «إنَّ» استئنافًا.

وتنصب ﴿مُّصْبِحِينَ﴾: (حس) حالًا.

تلخيصه: أوحينا إليه أنهم يهلكون جميعًا وقت الصبح.

﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ﴾: أي: سدوم إلىٰ لوط ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾: (كا) طمعًا في نيل شهوتهم الخبيثة من الملائكة فقال: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾: (كا) في ضيفي بفعلكم الخبيث بهم؛ لأنَّ من أهين ضيفه فقد أهين.

﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: (كا) عن ضيافتهم؛ لأنَّهم كانوا يأخذون المار بهم ليخبثوا به، فيحول بينهم وبينه ويبيته عنده ضيفًا فنهوه عن ذلك، فعند طلبتهم الملائكة ﴿قَالَ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ﴾: أي: نساء أمتي فانكحوهن، فإنَّ كل نبي أبو أمته.

المعنىٰ: اتركوا الرجال وأْتُوا النساء نكاحًا ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾: (تا) ما أقول فهو خير لكم.

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾

ابن عباس: ما خلق الله تعالىٰ خلقًا أكرم عليه من محمد، وما أقسم بحياة أحد إلا بحياته فقال: ﴿لَعَمْرُكَ﴾: أي: وحياتك، أو حقك يقال: عُمُر عُمْر وعَمْر لم يستعمل في القسم إلا المفتوح تخفيفًا، وهو مبتدأ خبره محذوف، أي لعمرك قسمي، أو هو قسم جوابه: ﴿إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ﴾: عمايتهم وجهلتهم.

وقرئ: (سكرهم، وسكراتهم) [ق/ ١٢٥أ].

﴿يَعْمَهُونَ﴾: (كا) يتحيرون فلا يقبلون منك.

وقرئ: بفتح أنهم علىٰ زيادة اللام كما قرئ ﴿إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ﴾ بفتح أَنَّهم علىٰ زيادة اللام.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾: أي: صيحة جبريل بهم.

﴿مُشْرِقِينَ﴾: (كا) داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس؛ لأنَّ ابتداء عذابهم كان عند طلوع الصبح، وآخره عند طلوع الشمس؛ لأنَّ جبريل قلع الأرضين بهم ورفعها إلىٰ السماء، ثم أهوىٰ بها نحو الأرض، ثم صاح بهم صيحة عظيمة [ق/ ٢١١ب].

﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا﴾: عالي القرىٰ ﴿سَافِلَهَا﴾: منخفضها ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾: علىٰ شذاذهم ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾: (كا) طين مطبوخ عليه إسم من يرمىٰ به.

﴿لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾: المعتبرين المتعظين.

﴿وَإِنَّهَا﴾: أي: قرىٰ لوط بعد هلاكها ﴿لَبِسَبِيلٍ﴾: أي: طريق ﴿مُّقِيمٍ﴾: (كا)

ثابت لم يدرس، فاتعظوا بآثارهم يا قريش إذا ذهبتم إلى الشام؛ لأنَّها في طريقكم.

﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: (حس).

﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾: الغيضة وهو شجر مجتمع وهم قوم شعيب.

﴿وَإِنَّهُمَا﴾: أي قرى لوط والأيكة، أو الأيكة ومدين؛ لأنَّ شعيبًا بعث إليهما.

﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾: (تا) لبطريق يؤتم به واضح.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ﴾: هم قوم صالح، والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا﴾: هي: الناقة كان فيها آيات، منها وجودها من هضبة، وكثرة شربها ولبنها وولادتها مثلها في العظم في الحال فأعرضوا عنها.

﴿بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾: (حس) من خرابها، أو من حلول العذاب بهم فيها، لا أحب الوقف من مبين إلى هنا.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾: وقت الصبح.

﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾: (تا) من عددهم وعددهم وبناء حصونهم، إن استأنفت.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾: أي: بين جنسي السموات

والأرضين، ولو أراد بين أجزاء المذكور لقال: بينهن، وفيه إشارة إلىٰ أن أصل السموات واحدة عند بعضهم، ثم قسمت كـ﴿ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ ﴾ [البقرة:٢٩] ، ولا يجوز إن وصلته بما قبله.

المعنىٰ: علىٰ هذا باستحقاقهم أهلكناهم، ولم نخلق شيئًا ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: (كا).

تلخيصه: لم نوجد شيئًا عبثًا إلا بالحق.

﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾: (تا) المعنىٰ: أعرض عن المشركين إعراضًا جميلًا بلا عتب ولا حقد، وهذا منسوخ بآية السيف[1].

القراءة: ﴿ٱلْخَلَّٰقُ﴾: وقرئ: (ٱلْخَٰلِقُ ٱلْعَلِيمُ): (تا).

﴿سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾: هي الفاتحة؛ لأنَّها سبع آيات بإجماع، ولأنَّها تثنىٰ في الصلاة أو لاشتمالها علىٰ الثناء علىٰ الله تعالىٰ، الواحد: مثناة، أو مثنية فمن تبعيض، وتعطف: ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾: (تا) علىٰ السبع؛ لأنَّ ما [عدا][2] الفاتحة قرآن، وكأن القرآن قد صار غيرها، فحسن العطف، أو السبع المثاني القرآن كله، وهو سبعة أسباع، وسمي «مثاني»؛ لمَّا فيها من الثناء علىٰ الله تعالىٰ، فمن تبين المعنىٰ علىٰ هذا: آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم.

تلخيصه: آتيناك ما هو منعوت بهذين النعتين.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾: وقرئ: (تمدن) أي: لا تنظرن ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾: أصنافًا من المال ﴿مِّنْهُمْ﴾: من الكفار ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: إن لم يؤمنوا، أو علىٰ ما بأيديهم من حطام الدنيا، لا أحب الوقف من ﴿ٱلْعَظِيمَ﴾ إلىٰ ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: (كا) أَلِنْ جانبك لهم واعطف عليهم ومل إليهم ﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾: برهانه لا تقف هنا إن علقت الكاف من ﴿كَمَآ﴾: بنذير وتنصبها

(١) انظر «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص/ ٥٣٩)، و«الناسخ والمنسوخ» لابن حزم (ص/ ٤٢).

(٢) في جـ: بعد، والمثبت من أ، ب.

[ق/ ١٤٨ جـ] صفة مصدر محذوف تقديره وأنذر قريشًا إنذارًا مثل ما ﴿أَنزَلْنَا﴾: من العذاب ﴿عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾: وكذلك إن جعلت الكاف زائدة، أي: أنذرهم ما أنزلنا على المقتسمين.

تلخيصه: خوفهم أن ينزل بهم ما نزل بأولئك، وإن علقت الكاف بـ«آتيناك» فيكون الإتيان بمعنى الإنزال، فيكون ما بينهما اعتراض، فلا تقف بينهما اختيارًا، تقديره: أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على المقتسمين.

المعنى: شرفناك بالقرآن كما شرفناك بنزول العذاب على المقتسمين، والمقتسمون: المشركون اقتسموا على عقاب مكة يثبطون الناس عن اتباع النبي ﷺ، ويقعون فيه عندهم، أو هم قوم صالح الذين تقاسموا ليبتنه وأهله، أو هم ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾: أي: المنزل على النبي ﷺ ﴿عِضِينَ﴾: (حس) أجزاء جمع عضة، فلامها واو محذوفة، أصلها عضوة من عضيت الشاة جعلتها أعضاء، ومنه العضو؛ لأنَّ بعضهم قال: القرآن شعر وبعض سحر، وبعض: كهانة، وبعض: أساطير الأولين، أو المحذوف هاء من العضهة: الإفك، يقال: عَضِهَ الرجل يعضه أفك، ووزنها على التقديرين فعله.

﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ﴾: يوم القيامة إلى توبيخ ﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: (كا) في الدنيا ويقولون.

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾

و«ما» مصدرية في ﴿فَٱصْدَعْ﴾: فأظهر ﴿بِمَا تُؤْمَرُ﴾: بالقرآن وما فيه من الأحكام، وأصل الصدع: الشق والبينونة، أو أصله الشق في الشيء الصلب كالزجاج، ثم استعير لغيرها.

تلخيصه: اكشف الحق وأبنه عن غيره.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: (حس) اكفف عنهم ولا تبال بهم، وهذا نسخ بآية السيف[(١)].

كان جماعة يستهزئون بالنبي ﷺ ويؤذونه كثيرًا، فأهلكهم الله تعالىٰ وكفاه شأنهم، فقال: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾: بك وبالقرآن؛ لأنَّ بعضهم كان يقول سخرية: سورة العنكبوت لي، وآخر: سورة النحل لي، وآخر: كذا لي.

يتم الوقف هنا إن رفعت ﴿ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾: يعني الأصنام وغيرها مبتدأ خبره ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: (تا) وكذلك إن نصبت ﴿ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ﴾ بفعل مضمر، وإن نصبت صفة ﴿ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ لم تقف بينهما، ووقفت علىٰ ﴿إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: قل: سبحان الله والحمد لله، أو فافزع إليه في الشدائد، أو فَصَلِّ.

﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾: (تا) الموت؛ لأنَّه يقين لا شك فيه، ويزول بنزوله كل شك، ووقَّت العبادة بالموت؛ لئلا يتوهم أنَّ لها نهاية دون الموت.

---

(١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص/ ٥٤١)، و«الناسخ والمنسوخ» لابن حزم (ص/ ٣٧).

فهرس الجزء الثاني

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأعراف

سورة الأنفال

سورة التوبة

سورة يونس

سورة هود

سورة يوسف

سورة الرعد

سورة إبراهيم

سورة الحجر